دار الثقافة

التفسير الحديث للكتاب المقدس



العهد القديم

أيوب



سفر أيوب

بقلم

فرانسيس اندرسن

نقله إلى العربية
إدوارد وديع عبد المسيح

المحرر المسئول
جوزيف صابر



Job:

An Introduction and Commentary

By : Francis I. Andersen

This book was first published in England by Inter - Varsity Press.

Translated by permission and published in Arabic, 1990.

طبعـة أولـى

صدر عن دار الثقافة - ص . ب . ١٢٩٨ - القاهرة .

رقم الايداع بدار الكتب : ٢٩١٥ / ٩٠ .
جمـع فـى سـيوبـرس .
طبع بمطبعة دار نوبار للطباعة - شبرا - القاهرة .

مقدمة

تحرص دار الثقافة على تقديم كلمة الله مشروحة للقارىء العربى . فإن العالم العربى لا يوجد فيه تفسير واحد كامل حتى الآن للكتاب المقدس كله . إن الموجود حالياً هو أجزاء غير كاملة . وقد رأت دار الثقافة أن توفر للقارىء العربى مرجعاً كاملاً للكلمة المقدسة .

وقد اختارات دار الثقافة المسيحية Tyndale Commentaries وهى تشمل العهدين القديم والجديد . ودار الثقافة تقدم المجموعة كلها بالإتفاق مع الناشر الأصلى وهو Inter , Varsity Press وكان سبب الاختيار إنها مختصرة ومركزة ، محافظة لاهوتياً ، متمسكة بالأسس الكتابية الهامة ، تهتم بالنص الذى يعاون الدارس على الدراسة ، كما يعاون الواعظ على اكتشاف الأفكار الوعظية .

قد جاء هذا التفسير ، رغم إهتمامه بتفسير النص ، والرجوع إلى اللغات الأصلية التى صدر فيها الكتاب المقدس ، لكنه تفادى كثيراً من التعقيدات الدراسية . وقد إهتم هذا التفسير بإلقاء الضوء على المعانى ، ليكتشف القارىء ما هو المقصود بالمعنى .

قد إهتم هذا التفسير ، بأن يدرس الكتاب المقدس فقرات فقرات ، ليوضح المعانى العامة المقصودة ، ثم شرح الآيات ، آية آية . وفى حالة وجود مشكلات معينة حاول الاسهاب فى شرحها .

كما إهتم التفسير ، بكتابة مقدمة كل سفر ، توضح الكاتب ، وتاريخ الكتابة ، وظروفها . إن مقدمة السفر ، تعاون الدارس أن يعرف الظروف المحيطة بالسفر ، والموضوعات الرئيسية فيه .

إشترك فى كتابة التفسير مجموعة من العلماء العظماء المدققين ، الذين قدموا الدراسة ، بعمق وبأمانة . كما أشرف على تحرير العهد القديم D . J . Wiseman والعهد الجديد R . V . G . Tasker & Leon Morris

ودار الثقافة ترجو أن يجد القارىء فى هذه السلسلة من الكتب مرجعاً مفيداً ، يعاونهم على التعمق فى كلمة الله ، وإدراك المعانى العظيمة من خلالها ، فيعاونهم فى التعمق فى المعرفة والفهم الروحى .

دار الثقافة

مقدمة عامة

إن هدف هذه السلسلة من تفسير تندل Tyndale للعهد القديم كما كان فى تعليقات العهد الجديد هو تزويد طالب دراسة الكتاب المقدس تفسير حديث صغير عن كل سفر مع التأكيد الأساسى على التفسير حيث تناقش المشكلات الكبرى فى المقدمات والمذكرات الإضافية مع تجنب التفاصيل الفنية الغير مناسبة . وفى هذه السلسلة تركت الحرية للمؤلفين للإسهام المتميز لكل واحد منهم للتعبير عن وجهات نظرهم فى المسائل التى تحتاج للجدل ، وفى إطار الحيز المسموح به فإنهم كثيراً ما يلفتون الأنظار لتفسيرات لا يؤمنون بها هم أنفسهم ، ولكنها تمثل آراء بعض المسيحيين المخلصين .

وسفر أيوب بما فيه من نقاش عميق المستوى لسر الألم الشخصى يعلق عليه دارس يعرف شيئاً عن المشكلة ، ويكتب البروفيسور أندرسن أيضاً من واقع خبرته كمدرس للغة العبرية واللغات السامية الأصلية والآداب التى تبحر فى دراستها وحصل على قدر كبير من المعلومات الحديثة فيها .

وهو يواجه المشكلات العديدة للنصوص الصعبة لهذا السفر القديم بوضوح وموضوعية ، وفى نفس الوقت يقدم تفسيرات وآراء حديثة لتعليق يعكس القدر الكبير من شخصيته وحياته وعمله ، ولذا فإنه بلا شك سوف يساعد كل أيوب فى زماننا ، وكل شخص يتصدى لمواساته .

وفى العهد القديم بنوع أخص لا توجد ترجمة انجليزية واحدة فيها كل الكفاية لتعكس النص الأصلى ، ولذا فمؤلفو هذه التعليقات يقتبسون بحرية من عدة طبعات أو يقدمون ترجمتهم الخاصة فى محاولة لإيضاح الفقرات أو الكلمات الصعبة لجعلها واضحة المعنى لعصرنا . فقد ترجمت كلمات من العبرية (والآرامية) تتعلق بالدراسة حيثما كان ذلك ضرورياً ، وهذا سوف يساعد القارىء الذى قد لا يكون على دراية باللغات السامية فى أن يتعرف على الكلمة التى يدور حولها النقاش ، وهكذا يتمكن من تتبع الحوار . ومن المفترض عموماً أن القارىء سوف يكون بإمكانه الحصول على طبعة أو أكثر من الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية .

وسوف يظل الاهتمام بمعنى ورسالة العهد القديم دائماً وأبداً ، ويرجى أن تساعد هذه السلسلة على تعميق الدراسة المنظمة للإعلان الإلهى وإرادته وطرقه ، كما نرى فى هذه السجلات .

وإن صلاة المحرر والناشر والمؤلفين أن تساعد هذه الكتب الكثيرين لفهم كلمة الله اليوم والعمل بموجبها ،

د . ج . ويزمان D . j . Wlseman

محتويات الكتاب

مقدمة المؤلف

إنه لمن باب الادعاء أن أعلق على سفر أيوب ، فالسفر ملىء بالحقيقة الرهيبة عن الإله الحى .

وكأيوب لا يمكن للمرء أن يفعل شيئاً سوى أن يضع يده على فمه (٤٠ : ٤) ، ولكن الله قد أماط اللثام عن نفسه محتفظاً فى نفس الوقت بسر وجوده الذى لا يمكن الاقتراب منه . ولذا فعلينا أن نحاول المستحيل الذى يجعله الله ممكناً (مرقس ١٠ : ٢٧) ، وبالرغم من صعوبة ذلك فهو يخلب ألبابنا ويجذبنا بطريقة أو بأخرى حتى أنه عن طريق « لطف الله وصرامته » (رومية ١١ : ٢٢) يجعلنا نسير فى طريقه ليوصلنا إلى اقتناع أيوب الختامى ويمتعنا بالفرح الذى حصل عليه . إن قصة أيوب هى دعوة لنا وهداية لنحقق اكتشافات كتلك التى توصل إليها هو ، وبصفة خاصة لأولئك الذين يجدون أنفسهم فى موقف مشابه لموقف أيوب كنتيجة لاختبار عاصف .

لقد أخذ هذا التعليق شكله النهائى فى ظروف عصيبة بدأت فى أورشليم حيث نشبت الحروب التى أيقظت أهوالها صرخات أيوب ثانية ، واكتمل فى أفريقيا وغينيا الجديدة حيث الكفاح القاسى من أجل لقمة العيش يحوطه البؤس . وأخيراً في بيركلى بكاليفورنيا التى قدمت خلفية من الاحتجاج الأخلاقى المتشنج ضد الحرب والفقر والعنصرية . إن سفر أيوب يتضمن الحقائق الإنسانية الثابتة ــ الحرب والفقر والمرض والذل والحزن والاكتئاب ، ويتضمن أيضاً صلاح الله الغير متغير الذى يحول ألمنا البشرى إلى عدالة وشفقة وحب وفرح . إنه يتحدث عن « مخافة الرب » (كورنثوس الثانية ٥ : ١١ وعن رأفته الكثيرة (يعقوب ٥ : ١١)

إنه يحكى عن رجل تمسك بحياته فى الله بإيمان ظل حياً دائماً فى وجه معاناته للخسارة الشاملة وظل ذلك الإيمان ثابتاً وممتداً نحو آفاق جديدة من البهجة والسرور والإعجاز .

وإنى لمدين لأشخاص كثيرين ، فهناك بحث فياض قدمه المعهد الأسترالى للحفريات وقد مكننى من إكمال المراجعة النهائية .

وأشكر الله من كل قلبى من أجل المحبة الثابتة لزوجتى لويز ، واكتمال هذا الكتاب قد تم أيضاً بفضل عميد اوكلاند الموقر جون ريمر John O Rymer وزوجته جويس Joyce اللذان سكبا فى قلوبنا محبة الله فى ساعات الظلمة . إن كل شىء هبة من الله والألم وهو أقدس الأشياء وشفاء كل الآلام يوجد فى ذلك الجسد الذى كسر من أجلنا ، الشفيع الوحيد ربنا ومخلصنا يسوع المسيح .

عيد القديس اندراوس سنة ١٩٧٤

فرانسيس أندرسن

المقدمة

١ ـــ قصة أيوب

يحكى سفر أيوب عن رجل صالح يقع فريسة للمتاعب من كل جانب ، فيجرد من ثروته ثم يفقد عائلته وأخيراً تتخلى عنه صحته . وهو لا يعلم لماذا فعل الله معه ذلك ؛ وكل ما يعلمه القارىء للسفر أن الله يحاول أن يثبت للشيطان أن إيمان أيوب حقيقي . ويأتى ثلاثة أصدقاء لتعزيته على بلواه ويدخل رابعهم فى حوار ، ويحاول الأصدقاء تفسير ذلك بالقول أن ما حدث لأيوب من مصائب يرجع لارتكابه الآثام والذنوب ولكن أيوب من ناحية أخرى يرفض نظريتهم وبدلاً من قبول نصيحتهم له بالتوبة ليكون له سلام مع الله فإنه يصر على أنه برىء ، ويتساءل عن سر معاملات الله معه والحكمة من وراء ذلك .

عند هذه النقطة تظهر شخصية جديدة وهى شخصية أليهو ويقوم بتقديم أربعة أحاديث يعتقد أنها سوف تحل المشكلة ولكنها لا تقدم ولا تؤخر . وفى ذلك الوقت يظهر الله نفسه مخاطباً أيوب ، وهذه الأحاديث تغير وجهة نظر أيوب لأنه يستجيب لها فى خضوع وتسليم كامل وفى النهاية يعلن الله أن أيوب رجل مستقيم ، ويرد له ثروته وسعادته ، وقد استخدم أحد الكتاب المجهولين وهو عبقرى فذ هذه الحبكة البسيطة لينسج منها كتاباً خالد الأثر .

وقد عالج السفر أهم المشكلات الملحة فى العلاقة بين البشر والله معالجة لاهوتية قوية تحوى شعراً رائعاً لا يضاهيه شعر آخر فى الأدب القديم أو الحديث من حيث جماله أو عاطفته .

٢ ـــ دراسة سفر أيوب

إن سفر أيوب فى العهد القديم من أفضل هبات العقل البشرى للإله الحى وهو أيضاً من أعظم عطايا الله للبشر ، والقيام بمحاولة فهمه محاولة مجزية وإن كانت منهكة ، ويمكن لطالب الدراسة أن يستعين بمجموعة كبيرة من التراث ، ومما يزيد من عظمة هذا السفر أن القيام بتفسيره مهمة غير منتهية ، فبعد كل اكتشاف جديد تظل الحاجة ماسة للوصول إلى آفاق أكثر بعداً ، ويندهش

المرء دائما على ما فى السفر من فكر لاهوتى متحرر جرىء وعلى ما فيه من إنجاز فكرى عظيم . وسفر أيوب كتاب شامل من حيث تعدد ما فيه من أفكار تضم قطاعاً عريضاً من الخبرة البشرية وعمق المشاعر الإنسانية وسمو الفكرة عن الله وأخيراً وليس آخراً ذلك الأدب السامى الرفيع .

والسفر يتعامل مع كل مشاكل الوجود باحثاً عن مكان للحيوانات كما للبشر فى عالم الله .

إنه يسبر غور اليأس البشرى والغضب المقدس ، وآلام البعد عن الله والهجر منه ، وهو يتحدث عن آلام نفس بشرية ثم يذهب للحديث عن سر الله بطريقة تعجز عنها أى كلمات أو تأويلات فالله وحده فقط هو الذى يجلب الفرح لأيوب فى النهاية وعندما يحدث ذلك يظل السر كما هو . فالله يبدو ظاهراً مع احتجابه كموضوع للرهبة والعبادة والمحبة ، ويقف أيوب أمامه « كإنسان » (٣٨ : ٣ ، ٤٠ : ٧) واثق فيه وقانع بما هو عليه . إن دراسة هذه المشكلات العظمى كما يثيرها سفر أيوب قد أنتج أدباً عظيماً لا نستطيع فى هذا التعليق أن ندرس إلا شطراً منه . وأخيراً فإن مثل هذه الدراسة يجب أن تستند على النص الماسورى (MT) والمترجمون متفقون على أن النص العبرى لسفر أيوب يثير مشكلات أكثر من أى سفر آخر فى كل أجزاء العهد القديم ولسوف نستعين فى هذا التعليق بالكثير من طبعات الكتاب المقدس بما فيها الترجمات القديمة كالترجمة السبعينية ، ومقارنة ترجمة بأخرى تبين أننا لا نزال نجهل المعنى الصحيح للنص العبرى فى مواضع كثيرة ، وليس هناك مجال فى هذا التعليق للبحث الدقيق المطول لكل المشكلات اللغوية التى نصادفها فى السفر ، وحتى الأدب الفنى بعيد كل البعد عن التوصل لإجابات شافية عن كل المشاكل وعلينا أن نقنع بذلك فى الوقت الحاضر ، ولكن عدم اكتمال بحثنا لا يجب أن يسمح لنا بأن نقلل من احترامنا للنص العبرى للسفر ، بل على النقيض من ذلك تماماً فالصعوبات التي تواجهنا هى دليل على أمانة الكتبة اليهود الذين فضلوا أن ينسخوا نصاً غامضاً بكل احترام على أن يحاولوا إيضاح النص بالقيام بمحاولة تعديله ، وفى هذا الصدد كانوا أكثر تواضعاً وأكثر علماً من النقاد العصريين . فى بداية النقد الذى وصل ذروته فى مطلع القرن الحالى كان الدارسون يسرعون إلى الاستنتاج بأن النص الذى لا يستطيعون فهمه لابد أن يكون محرفاً فيقومون بتصحيحه ، وبعض المشاكل قد تم حلها بتلك

الطريقة ، وحتى النص الماسورى ليس خال من العيوب ، ولكن فى أغلب الأحيان فإن إعادة كتابة النص لا يحل المشكلة ، بل إنه يفسد الدليل فقط . والبحوث الحديثة قد جعلت نقاد النص أكثر حرصاً ، والاكتشافات العديدة وبخاصة تلك المبنية على علم الحفريات تمكننا الآن من فهم النص كما هو ، فالكثير من التعديلات المقترحة لجيل سابق من الدارسين يجب تركها الآن كشيء لا ضرورة له . ومع ذلك وبالرغم من التقدم الهائل الذى أحرزه الإنسان فكثير من النصوص فى سفر أيوب تمثل مشكلة مستعصية على الفهم . وهذه النصوص يجب أن تخضع لكل أجهزة العلم المعاصرة : كآخر ما وصل إليه التقدم فى تحليل هجاء الكلمات فى العبرية القديمة ومعانى الكلمات النادرة (وهى متوفرة فى سفر أيوب) والتراكيب النحوية وأشكال الشعر العبرى وكل أنواع الأدب الموجود فى إطار هذا السفر .

إن سفر أيوب دائرة معارف مصغرة للحياة قديماً فى الشرق الأدنى ولذا فإن بناءه الثقافى ، وخلفيته الاجتماعية تسهمان فى تفسير الكثير من النصوص .

وليس هناك كتاب واحد يمكن أن يقوم بكل هذا العمل المتعدد الجوانب ، دع عنك استعراض الإنجازات العظيمة الماضية والنواحى المعقدة التى لا مجال لها فى هذه السلسلة من الدراسة والعديد من المؤلفات الضخمة تكمل بعضها البعض ، وللرجوع للنصوص فإن تعليق (ادوارد دورم Edouatd Dhorm) لا غنى عنه ، والتعليق الذى بدأه (س . دريفر Driver) يجمع بين دفتيه النتائج الأساسية لنقد رفيع المستوى ولكن موت الأستاذ دريفر قبل إتمام هذا العمل ترك لدكتور (جراى Gray) مهمة صعبة لتجانس المادة المقدمة فى هذا التعليق .

وعلى أى حال فالكثير من أبحاثهما اللغوية قد تراجعت نتيجة للاكتشافات اللغوية المتعاقبة ، ومن بين التعليقات المستمرة والدراسات الخاصة بسفر أيوب ؛ نذكر هنا النذر اليسير فقط .

فالدراسات المطولة لنفتالى هـ . تورسينا Tur Sinai (H - Torczner) قد أورثتنا ثروة من الملاحظات اللغوية المثيرة .

إن استعادة هيكل كامل للأدب الكنعانى القديم متمثلاً فى لغة مدينة

(اوجاريت Ugarit) قد افتتح عصراً جديداً من البحث يمكن رؤية مزاياه فى ما ساهم به (مارفن بوب Marvin pope) بكتابه (The Anchor Bible) وفى الجهد المتصل الذى قام به (متشل داهود Mitchell Dahood) وقد كتب روبرت جوردس تقريظاً جميلاً للسفر كشكل أدبى من أفضل ما كتب فى هذا المجال من دراسات عن العلاقة بين الله والإنسان . وهناك أيضاً تعليقات (ج هولشر Holscher) (وآرثر ويزر Arthur Weiser) سنة ١٩٥٦ (وهـ . هـ رولى Rowley) سنة ١٩٧٠ يمكن ذكرها أيضاً فى هذا الصدد . وأن تأملات المفكرين القدامى على هذا السفر العظيم لا تزال تقدم لنا الشىء الكثير خاصة فيما يتعلق بالفكر اللاهوتى . إن عدداً من معلمى ومبشرى الكنيسة الأولى قد استخدموا سفر أيوب فى تعليمهم وتبشيرهم إلا أنه لا يتبقى من أعمالهم سوى النذر اليسير فيما عدا ما نجده من كتابات الدارسين المحدثين ، وتعليق جريجورى الكبير ظل هو التعليق السائد عبر القرون الأخيرة . ومؤلفات (البرت ماجنوس Albert Magnus) وتوما الاكوينى قد أفسحت المجال لبحث أكثر دقة علمياً وباستثناء مدة ألف سنة ظلت الكنيسة عموماً تفضل طرق التفسير التى تعتمد على الاستعارات والتشبيهات والمغزى الروحى والأخلاقى على المعنى الحرفى للنص الكتابى .

وقامت حركة الإصلاح الدينى بوضع التفسير اللغوى التاريخى للسفر وأنتجت أعظم تفسير قدم للسفر على الإطلاق فى مائة وتسعة وخمسين عظة لجون كالفن عن سفر أيوب .

إن عمق الفكرة والمشكلات الفنية العديدة فى السفر لا يصح أن تعرقل قراءته أمام القارىء العادى .

وتأثير قصة أيوب لا يعوقها توقفنا المتكرر لتفسير بعض الأسرار المتعلقة باللغة والنص .

ويمكن الإحساس بعمق بقوة وعظمة السفر اللاهوتية والفنية من واقع الخبرة البشرية .

فالاشمئزاز المعبر عنه فى عبارة أيوب عن استهجانه لطعم « مرق البقلة » (٦ : ٦) يمكن استيعابه جيداً حتى وإن كنا لا نعرف شيئاً عن هذا الطعام المذكور . والدراسة المضنية للنص بكل وسيلة علمية متاحة ضرورة للتفسير

السليم ، ولكن المعلم (جوردس Gordis) أضاف حكمة قيمة لكتابه بقوله بأنه يصر على أن التأثير الأدبى للسفر كله ، من الناحية الجمالية والفكرية ، هو الوسط الذى به يمكن دراسة لاهوت السفر . وقراءة السفر بهذه الطريقة عندئذ تصبح الفرصة المناسبة لأى شخص لإدراك تلك المقابلة العظيمة لأيوب مع الإله الحى .

وكمسيحى فإن الكاتب المعاصر يتعرف على أفكار فى سفر أيوب تشير إلى ما بعد العهد القديم وبخاصة ما نراه منها فى شوق أيوب المتصل لوسيط ورجاؤه المستميت للقيامة من بين الأموات ، فهذا الرجاء يجد إتماماً له فى يسوع المسيا .

وفى هذا السفر القديم من الكتاب المقدس نرى الله يعلن عن ذاته فى الإله الذى يغفر ويخلص من وراء الخالق والقاضى ، ونرى أيوب مستعداً لمقابلة فاديه .

٣ ـــ خطة سفر أيوب

إن خطة السفر يسهل فهمها ، فعن طريق الترتيب البسيط للأحداث المتقابلة فى مواقف متوازنة ، قد أسست الحبكة التى تمكننا من تتبع أحداث القصة بسهولة . والأحاديث الكبرى تشكل الجزء الأكبر من السفر متداخلة فى الإطار القصصى فى تناسق يضفى على السفر جمالاً وانسجاماً .

وفى نفس الوقت هناك تطور فى سرعة الأحداث تؤدى من ذروة إلى أخرى حتى توصلنا للقرار النهائى .

والأحاديث متجمعة فى شكل حلقات تنشىء توتراً من مرحلة إلى أخرى .

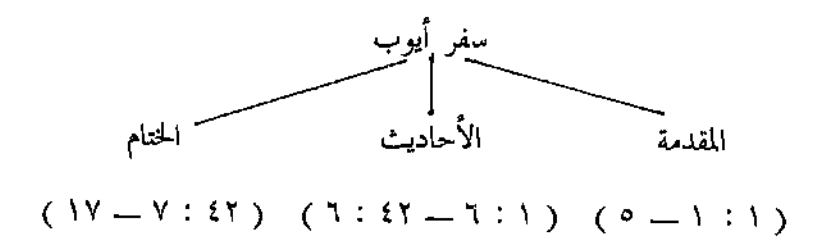
وهكذا فالمقابلة الثانية مع الشيطان أكثر تأثيراً من الأولى ، وخطاب يهوه الثانى لأيوب أعنف من الأول والأحاديث التى دارت بين أيوب وأصحابه تشتد حدتها شيئا فشيئا جولة بعد الأخرى .

ولكن الدراما لا تتصاعد بثبات نحو الذروة ثم تهبط فى انحدار نحو النهاية .

وحديث أيوب الختامى يستهل باستخدام قصيدة جميلة عن الحكمة (أصحاح ٢٨) كمقدمة بعد انتهاء الجولات الرئيسية الثلاث ، وهدوء

تأملاته فى مقابل العنف والصخب قبل وبعد ذلك يقدم ارتياحاً ضرورياً للقارىء وبنفس الطريقة فإن أعظم لحظتين فى هذا السفر هما التحدى الجسور لأيوب (من أصحاح ٢٩ ـ ٣١) ورد يهوه الحاسم (من أصحاح ٣٨ ـ ٤١) تفصل بينهما أحاديث أليهو (من أصحاح ٣٢ ـ ٣٧) والتى تخلق فيها بطء الحركة فترة من التوقع تصبح فيها وقع كلمات الرب أكثر جلالاً ومهابة .

ويمكن بيان الخطة كالآتى : ـ



تبدأ المقدمة لترينا أيوب فى سعادة أصيلة والختام يصور مشهداً مماثلاً يصور قناعته النهائية .

وما بين المشهدين يأخذ شكل أقوال لا أفعال .

والأحاديث لها نفس هذا التناظر المتزن فى الهيكل المعمارى

الأحاديث

مقابلتا الله مع الشيطان	حوار أيوب مع أصحابه	مقابلتا يهوه مع أيوب
(١ : ٦ ـ ٢ : ١٣)	(٣ : ١ ـ ٣٧ : ٢٤)	(٣٨ : ١ ـ ٤٢ : ٦)

أربع جولات من الأحاديث مع أيوب	أربع لأليهو أحاديث
(٣ : ١ ـ ٣١ : ٤٠)	(٣٢ : ١ ـ ٣٧ : ٢٤)

إن التشابه فى الشكل بين مشهد الافتتاح الذى فيه يتحدث الله مرتين مع الشيطان ، ومشهد الختام الذى فيه يتكلم الله مرتين مع أيوب ، يدل على روعة الجمال الفنى للمضمون . إن ذلك يوحى بالتخطيط المسبق وأن الكاتب شخص واحد . ولكن كثيرين من الدارسين يشيرون إلى حديث المقدمة المذكور فى (١ : ١ ــ ٢ : ١٣) والحوار المذكور فى (٣ : ١ ــ ٤٢ : ٦) وينسبونهما لكاتبين مختلفين . ونحن نقر بأن التركيب الداخلى لهاتين المقابلتين المزدوجتين مختلف فى الواحدة عن الأخرى . والمقابلة الختامية بين يهوه وأيوب تسرد ببساطة فى التركيب وهى مكونة من جزئين يتحدث الله فيهما حديثاً مطولاً ويقدم أيوب رداً موجزاً .

ولكن هذا الجزء من القصة يسرد بنفس الطريقة الشعرية كما فى (١ : ٦ ــ ٢ : ١٣) باستخدام نفس التعبيرات المألوفة للتعريف بالمتحدثين فى كل جولة .

وهكذا فكلا الحديثين ليهوه كما فى كل مقابلة مع الشيطان تحدث فى محضر الله نجد تقريباً نفس المقدمات لكل مناسبة والجزء (١: ٦ ــ ٢ : ١٣) يتضمن بالطبع أكثر من مجرد المقابلتين مع الشيطان . وكل منهما يعقبه فعل الشيطان ورد فعل أيوب . والتشابه فى تطور الأحداث له نفس التوازن فى المقطوعة الموسيقية الكلاسيكية .

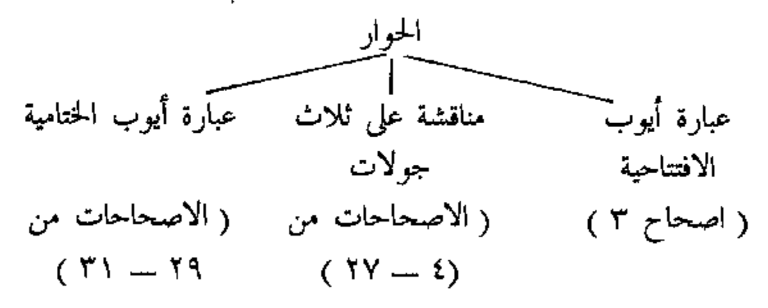
الجولة الأولى	الجولة الثانية
المقابلة مع الشيطان	المقابلة مع الشيطان
(١ : ٦ ــ ١٢)	(٢ : ١ ــ ٧ أ)
الكوارث	المرض والقروح
(١ : ١٣ ــ ١٩)	(٢ : ٧ ب و ٨)
رد فعل أيوب	رد فعل أيوب
(١ : ٢٠ ــ ٢٢)	(٢ : ٩ ــ ١٣)

وما أسميناه برد فعل أيوب تجاه مرضه يعد شيئاً أكثر تعقيداً من استجابته البسيطة لمصائبه الأولى ، لأن زوجته وأصحابه الآن يدخلون فى نسيج القصة ، وهذا الجزء يعد تمهيدياً للانتقال للحوار الرئيسى الذى يلى ذلك . ولكن بالمقابلة فإن قصة المصائب فى الجولة الأولى أكثر تفصيلاً وإيضاحاً من مجرد

الضربة المذكورة فى (٢ : ٧ ب) .

وزد على ذلك فإن تقارير حدوث الدمار الذى حل بأهل بيت أيوب يسردها أربعة رسل ، وهو نمط مفتعل يكشف بأن الكاتب مولع برقم (أربعة) الموجود فى كل أجزاء السفر ، فنجد أن أليهو يقدم أربعة أحاديث متميزة مع أنها تتوارد كلها معاً ، والحوار مع الأصحاب الثلاثة يتضمن فعلاً أربع جولات من الأحاديث مع أن أيوب هو المتكلم الوحيد فى آخر هذه الأحاديث .

لقد لاحظنا من قبل أن قصيدة الحكمة (اصحاح ٢٨) وأحاديث أليهو (من اصحاح ٣٢ ــ ٣٧) تخدم اغراضاً خاصة كمقدمات لأحاديث أخرى اكثر اهمية بين أيوب ويهوه وعندما نترك ذلك جانباً نرى أن الأحاديث المتبقية بين أيوب وأصحابه الثلاثة مرتبة كحوار أيضاً فى نمط متوازن مشابه للنمط العام فى السفر ككل وللأحاديث بوجه عام .



هناك تشابه حقيقى بين ما يستهل به الأصحاح الثالث من السفر من سب أيوب ليومه وبين لعنه الختامى لنفسه فى (أصحاح ٣١)

ولكن ليس من الواضح كيفية ترتيب الأحاديث المتعددة فى الثلاث جولات ، فلو استبعدنا الأصحاح الثالث باعتباره افتتاحية ، فإننا نترك اليفاز ليبدأ الحوار فى الأصحاح الرابع ويرد عليه أيوب وهكذا تستمر جولات الحوار ، وهذا يوحى بأن ديناميكية الحوار عبارة عن سلسلة متتابعة من هجوم أيوب على عبارات أصحابه بدلاً من أن تكون انتقادات أصحاب أيوب على أقواله كل فى دوره .

ولكن من قبيل تبسيط الأمور أكثر من اللازم وخلق مشاكل خطيرة فى

التفسير أن ننظر إلى كل حديث متتابع كرد منطقى على الحديث الذى يسبقه مباشرة ، فالحوار ليس مبنياً هكذا . فبينما يتكلم أيوب بالتبادل مع كل من الأصحاب كل فى دوره ، نجد الجولات الثلاث ليست متطابقة .

أصحاح	الجولة ١	الجولة ٢	الجولة ٣
أليفاز	٤ ــ ٥	١٥	٢٢
أيوب	٦ ــ ٧	١٦ ــ ١٧	٢٣ ــ ٢٤
بلدد	٨	١٨	٢٥
أيوب	٩ ــ ١٠	١٩	٢٦
صوفر	١١	٢٠	؟
أيوب	١٢ ــ ١٤	٢١	٢٧

يلاحظ أنه فى مرة من المرات لا يدلى صوفر بأى حديث فى الجولة الثالثة ، وقد جرت محاولات عديدة لتفسير ذلك وسوف نتابع بدقة بعض هذه المحاولات فى الجزء السابع من المقدمة .

وتوجد طرق أخرى للتأمل فى التركيب الكلى للسفر ، وإحدى هذه الطرق التى يتبعها الدارسون على نطاق واسع تقسم السفر إلى حديث افتتاحى (١ : ١ ــ ٢ : ١٣) وحديث ختامى (٤٢ : ٧ ــ ١٧) ، وكلاهما نثر خلافاً للحوار الشعرى بينهما . والحوار ينقسم إلى ثلاثة أجزاء حسب تتابع المتحدثين . فيتحدث أيوب أولا مع أصحابه الثلاثة (أصحاح ٣ : ٣١) ثم يقدم أليهو أربعة أحاديث دون مناقشة (أصحاح ٣٢ ــ ٣٧) وأخيراً يخاطب يهوه أيوب مرتين (٣٨ ــ ٤٢ : ٦)

٤ ــ الخلفية الأدبية لسفر أيوب

إن كتاباً كسفر أيوب لم يكتب من فراغ ، فالله وحده هو الذى يخلق من العدم ومخلوقاته تستخدم المواد التى أعطاها لهم ، والعقل يؤدى وظيفته من واقع التجربة الإنسانية ومن حصيلة الثقافة البشرية . فإذا كان المرء قد حصل على قدر واف من التعليم فإنه يتزود بأفكار الآخرين . وكاتب سفر أيوب لم يكن حساساً وذكياً فقط بل كان ذى تجربة ومثقفاً ، ويمكن أيضاً أن نستشف من السفر المجتمع الذى كان يغذى فكره . إننا لا نعرف مقدار

ما حصل عليه من تعليم من قراءة السفر أو من مناقشة أنواع الصور البلاغية فى كتابه أو من رحلاته ، ولا نعرف إن كان يستطيع أن يقرأ لغات أخرى خلاف اللغة العبرية لنعرف إن كان قد اقتبس مباشرة من أدب الدول المجاورة .

ولكن مهما كان الباعث فإن فنه فريد فى بابه ولكنه ليس منعزلاً . ففى المقام الأول فإنه متفق مع تقاليد شعبه ، إنه اسرائيلى فى الجوهر والعقيدة وفى نفس الوقت فهو عالمى فى إنسانيته ، فهو عينه من نوع الأدب السائد فى العالم القديم والذى كان أدباً عالمياً فى طبيعته ، ذلك الأدب الذى يسمى على نطاق واسع بأدب « الحكمة » .

وهذا الاسم يطلق على مجموعة كبيرة من أشكال الأدب ابتداء من الأقوال البسيطة لعامة الشعب حتى نتاج الأفكار الفلسفية للصفوة . وكل جيران اسرائيل كان لهم تراثهم من أدب الحكمة والذى تبقى منه الكثير على أشكال متعددة ، وبينما كانت له سماته المحلية الخاصة به إلا أنه كان هناك الكثير منه يعبر عن الخبرات المشتركة للبشر بالرغم من كل الاختلافات فى الجنس أو الثقافة أو القومية ، والعهد القديم يحتوى قدراً كبيراً من أدب الحكمة ليس فقط كأجزاء شاملة مثل سفر أيوب أو سفر الأمثال أو الجامعة بل أيضاً فى الأمثال والألغاز والأشعار والمعلومات والتأملات فى المسائل الكونية أو الأخلاقية المتناثرة فى كل أجزاء العهد القديم .

والعهد الجديد أيضاً له نصيبه من مواد الحكمة وقد لوحظ أن هناك قدراً كبيراً من التشابه بين سفر أيوب والكتابات الأخرى فى العالم القديم وبخاصة فى أدب الحكمة فى بلاد ما بين النهرين ومصر .

وهذه الكتابات الأخرى تقدم لنا خلفية قيمة وتساعدنا فى تفسير أجزاء كبيرة من السفر وهى أيضاً تبعث على التساؤل عن مقدار ما كان يعرفه كاتب سفر أيوب منها وربما استخدمها كمصدر لأفكاره وربما اقتبس منها .

وعند دراسة هذه المسألة يجب تجنب أمرين على طرفى نقيض . فلا فائدة ترجى من الدفاع عن فكرة تميز شعب اسرائيل وبخاصة فى الديانة نتيجة للإعلان الإلهى الخاص وأن شعب الله كان معزولاً عن بقية العالم . فبعض الدارسين ليسوا على استعداد للإعتراف بوجود صلة بين العهد القديم والكتابات « الوثنية » إذ يصرون على تفسير العهد القديم دون الاعتماد على أى مصدر آخر .

وفى الجانب الآخر فبعضهم يصور ثقافة الشرق الأدنى القديم كما لو كانت ثقافة واحدة تعم جميع البلدان من الخليج الفارسى حتى نهر النيل . وقد ألقت الدراسة المقارنة للأساطير والطقوس القديمة الضوء على التشابه بين آلهة ومؤسسات شعوب المنطقة ، وبذلك يعطون انطباعاً بأن الاسرائيليين لم يخترعوا شيئاً من عندياتهم ولكنهم استعاروا كل شيء تماماً كما استعاروا الحروف الهجائية من جار أو أكثر من جيرانهم ، ولذا فإن سفر أيوب ينظر إليه من هذه الزاوية ككتاب عالمى أو مجموعة متناثرة من أدب الحكمة جمعها إسرائيلى محب للكتب من مكتبات الشعوب الأخرى .

هناك جزء من الحقيقة فى كل من هذين الموقفين ، ولكن كل واحد منهما ليس صحيحاً إذا نظر إليه من وجهة نظر مستقلة .

فسفر أيوب يبدو فيه بعض الشبه بالكتب الأخرى هنا وهناك ، ولكن إلى أى مدى يذهب هذا التشابه ؟ يمكن معرفة الإجابة على ذلك بمقارنة سفر أيوب تفصيلياً بكل من هذه الكتب ، وهذا البحث سوف يبين أيضاً إلى أى مدى قد نهل السفر من تراث الشعوب الأخرى .

أما من حيث الحبكة فمن الغريب أن القصة الوحيدة التى يقال إنها تشبه قصة أيوب هى قصة لا تمت بصلة للتاريخ . وهى الأسطورة الهندية « هارس كاندرا » وبطل هذه الأسطورة ملك مثالى يسود الرخاء والعدالة والرضا كل أرجاء مملكته .

أما ادعاء بعض الدارسين الغربيين بأن الآلهة تقرر أن تمتحن فضيلته عن طريق الألم فلا يمكن استنتاجه من قراءة القصة .

وبينما كان الملك فى طريقه لمساعدة امرأة فى محنة يواجه باختبار تقواه بالتعهد بأن من واجبه إعطاء الصدقات وخاصة للبراهمة وأن يحمى الخائفين وأن يحارب الأعداء . بعد أن استطاع البراهمة الحصول من الملك على هذا التعهد ، بدأوا فى امتحان مصداقيته وأخلاقه بطلب كل ممتلكاته ــ كل مملكته ــ فى الواقع فيما عدا زوجته وابنه وجسده ، وبالطبع تقواه وصلاحه . قدم الملك البار كل ما يمتلك عن طيب خاطر وترك مملكته ليعيش كشحاذ مفلس . ولكن

الملك كان قد أوقف من قبل أجر شخص يدعى (راجاسيا Raja Suya) بسبب تضحية كان قد قدمها و لم يعد الملك الآن قادراً على دفع هذا الأجر ، وفى نفس الوقت فهو لا ينكر التزامه بحفظ تعهده ، فيعطى مهلة لتنفيذ ذلك التعهد .

ويلح (فيزفاميتر Visvàmitra) فى طلبه ولكن فقر (هارس كاندرا) وعوزه الشديد قد جعل هذا الطلب مستحيل التحقيق ، وأخيراً يضطر (كاندرا) لبيع زوجته وابنه للحصول على الأجر المطلوب ويأكل لقمة عيشه فى إذلال تام بالعمل فى مدفن ، ويموت الإبن وعندما تعد الأم جسد ابنها للدفن يقرر الوالدان حرق أنفسهما مع ابنهما على المحرقة ، فيتدخل الإله (اندرا) ويعيد الإبن للحياة ويكافأ هارس كاندرا على فضيلته بجمع شمل الأسرة كلها وصعودها للسماء .

هناك قليل من الشبه بين قصة أيوب وهذه القصة ، فالألم الذى اجتازه هارس كاندرا كان فى الواقع ، بمحض اختياره ، وكان خاضعاً غير شاكٍ ، وخلفية هذه القصة مختلفة تماماً عن قصة الكتاب المقدس من الناحية الأخلاقية واللاهوتية . أما ر . ك (هاريسون R . K . Harrison) فيعتقد أنه من الجائز أن تكون القصة تحريف حديث العهد للقصص القديمة لبلاد ما بين النهرين ، ولكن إن كان الأمر كذلك فالقصة قد انتقلت بعيداً فى الزمان والمكان حتى اختفت الصلة فيما بينها وبين قصص الشرق الأدنى والتشابه القليل بينهما مجرد مصادفات متوقع حدوثها فى اختبارات الحياة المشتركة [1] . وبهذا الصدد فإننا يجب أن نقول بحسم إنه لا توجد أرضية مشتركة بين قصة أيوب وبين تلك القصص الغير متحضرة عن تلك الكائنات الروحية التى تراهن على إفساد بعض الصالحين من الجنس البشرى ، والاتفاقات التى تمت بين يهوه والشيطان ليست من قبيل المراهنات (انظر التعليق على ١ : ١١) ، ويمكن مقارنة قصة أيوب بقصة (كريت) المأخوذة من بلاد قريبة من موطن الاسرائيليين (وكريت) هذا كان ملكاً صالحاً وقد حُرم من كل أفراد عائلته (سبعة أبناء) ،

---

(١) يشك (هولشر Holscher) أنه يجوز أن تكون القصة الهندية قد أخذت من قصة الكتاب المقدس .

ويسترد ثروته بعد صلوات طقسية ولكن القصة تمضى قدماً لتنتهى نهاية مختلفة تماماً عن قصة ايوب ، ولا مكان فيها لمناقشة المشكلات المثارة فى الكتاب المقدس . وهناك رأى يقول إن مؤلّفا أكّاديا يسمى (لودلل بيل نيميكى (Laudul Bêl Nemequ . ويمكن تسميته (بأيوب البابلى) وقد ظهر لأول مرة سنة ١٩٠٦ وقد تجمعت الأدلة على صحة هذا النص بالتدريج والمؤلَّف عبارة عن ترنيمة شكر للإله (ماردوك) للشفاء من أحد الأمراض ، وقد أظهر النقد الظاهرى لصلوات الرثاء وترانيم الشكر تقارباً شديداً فى الشكل بالرغم من التفاوت الكبير بين طبيعة الحزن والفرح فى كل منهما لأنه فى كل منهما يعدد المتألم مصائبه فى الأولى لاستدرار شفقة الآلهة وفى الثانية بواعث الشكر وكل منها تحكى قصة آلام الشاعر فى أوقات مختلفة . (وأيوب البابلى) المزعوم هذا ينتمى لهذا النوع من القصص ، وإلى هنا ينتهى التشابه بينه وبين قصة الكتاب المقدس ، فالعابد يسترجع مأساته وهى عبارة عن مرض مريع لا مبرر له ، وبينما توجد فقرات فى سفر أيوب يصف فيها أيوب آلامه بتفاصيل مشابهة إلا أن المؤلف البابلى لابد أنه ينتمى لعصر ما بعد نجاة أيوب ، والذى لا توجد فيه (أى في سفر أيوب) أغنية حمد . وهكذا فبينما القصة تعبر عن قصائد ما بين النهرين فهى لا تعدو أن تكون حواراً مع النفس (مونولوج) ، وتنقصها الحبكة الدرامية الموجودة فى قصة أيوب . وزد على ذلك فإن تعدد الآلهة فى بابل لا يتيح للقصة أن تقترب من المسائل التى يثيرها أيوب . والشكر للآلهة لاسترجاع الصحة موضوع عالمى ، ومن الملاحظ أن سفر أيوب لا يقول شيئاً عن شفاء مرض أيوب المريع اللهم إلا الإشارة الواردة فى (٤٢ : ١٠) منه بالقول « ورد الرب سبى أيوب » وهناك مؤلَّف أقدم من بلاد ما بين النهرين وهو عبارة عن قصيدة سومرية تحتوى على تفاصيل قصصية أكثر ، ويسميها صموئيل نوح كرامر (أيوب الأول) ومع ذلك فهى ليست قصة أو حوار ولكنها مقالة جيدة البناء المقصود منها تشجيع شخص فى مصيبته للاستمرار فى تمجيد إلهه الشخصى وعن طريق العويل المرير والذى يتزايد بمساعدة الأصدقاء واستئجار المحترفين لزيادة كمية العويل والبكاء لتحريك شفقة هذا الإله ويتم ذلك بترديد قضية معينة ، وهنا يوجد بعض الشبه بينها وبين اختبار أيوب بما فيها النهاية السعيدة ، وهناك أيضاً بعض التعبيرات المتشابهة الدالة على البؤس ولكنها تعبيرات تقليدية . وبينما تشترك القصائد السومرية مع

قصة أيوب فى الإحساس بثقل الخطية إلا أن عدالة الآلهة فى القصائد ليست موضع نقاش أو حتى مجرد إدعاء ذلك ، وكل ما على الرجل أن يفعله هو البكاء ، والنصيحة البسيطة فى القصة السومرية تكاد تشبه التقوى المزيفة لأصحاب أيوب .

وبينما لا محل للتساؤل عما اذا كان هناك تأثير مباشر من كتاب أقدم من سفر أيوب بألف سنة عليه ، إلا أن القصيدة السومرية تبين قدم النظرية القائلة بأن الرجاء الوحيد للشخص المذنب يوجد فى محاولة استدرار عطف الله .

أما من ناحية الشكل فالحوار الموجود فى قصة أيوب يستدعى المقارنة بينه وبين أدب « المسابقات » فى بلدان الشرق الأدنى القديم ، وهذا يقدم مفتاحاً لفهم المناظرة وكيف تبدأ ، فهى لا تنتقل من حوار منطقى لتدحر خصماً عن طريق المنطق الذى لا يقاوم بل المقصود منها هو التأثير على جمهور السامعين بفصاحة القول وطلاقة اللسان . وهناك مثال شائع لذلك فيما ذكر فى (سفر اسدراس الأول) عن مسابقة البلاغة التى عقدت بين ثلاثة من أعضاء حاشية الملك داريوس (١ إسدراس ٣ ــ ٤) ، ومثال آخر لذلك يوجد فى خضوع أبشالوم للنصيحة العكسية لأخيتوفل وحوشاى (٢ صم ١٧) .

هذه المواقف تبين بوضوح أكثر دوره أليهو ويهوه بعد ذلك كحكم فى المناظرة بين أيوب وأصحابه الثلاثة .

وهناك مثل لتلك المجادلات نجدها فى عدة قصص خرافية ، كالألغاز التى تقول : أيهما أنفع السكر أم الملح أو تلك التى تقول أى الأشجار أنفع للإنسان كالمناظرة بين نبات الطرفاء وأشجار النخيل وهو مثل قديم يشبه قصة يوثام فى (قضاة ٩) .

ولقد كان القدماء أيضاً يتناظرون فى موضوعات أكثر جدية ، كمشكلة العدالة الإلهية فى عالم الأنين وأحد تلك الكتب من بلاد ما بين النهرين وقد سمى باسم « جماعة بابل » . والقصيدة التى يحويها هذا الكتاب ربما تعد أقدم من ألف سنة ق . م . ، وكسفر أيوب فهى تتمتع بأسلوب ذى مستوى عال فى التركيب اللغوى . وهى تتكون من ٢٧ مجموعة من الأبيات وكل منها تتكون من ١١ سطراً وكل السطور تبدأ بنفس الحروف ذات العلامات المعينة وكل السبع والعشرين علامة تشكل اسم الكاهن الذى قد يكون هو المؤلف .

وبالرغم من عدم وجود اسم المتحدث إلا أنه يتضح من المحتوى ومن تغيير حروف مقدمات السطور أن شكاوى المتألم تجد رداً عليها فى مجموعات الأبيات التالية سواء من صديق أو من عدة أصدقاء ، ومشكلة هذا الشخص لا تشبه مشكلة أيوب فقط بل إن كثيراً من العبارات تذكرنا ببعض عبارات أيوب ومع ذلك فإن (لامبرت W . G . lambert) متأكد تماماً أنه لا توجد صلة مباشرة بين الاثنين فحيث لا توجد قصة فالحوار ليس ملموساً كما فى سفر أيوب وغير منطقى حيث ينقصه أساس الإيمان برب واحد كما فى السفر ، ومع ذلك فكل من الانتاجين توجد بهما نفس التقاليد . ويعتقد (البريت Albright) أن كاتب سفر أيوب قد يكون على دراية ببعض مواد الحكمة البابلية عن طريق الترجمات الآرامية .

وأسلوب الحوار أيضاً كان مستخدماً فى مصر فى المناقشات الفلسفية ، فهناك قصة تسمى « احتجاجات الفلاح الفصيح » تمت مقارنتها بقصة أيوب ، وأوجه الشبه يبدأ من الشكل الخارجى لأن هذا المؤلف الذى يرجع تاريخه إلى الألف الثانية قبل الميلاد يتكون من تسعة أحاديث نصف شعرية مع مقدمة نثرية وخاتمة نثرية كذلك . وهذا فى حد ذاته لا يبرهن على شىء باستثناء الاستخدام الشائع للشكل المألوف للمقدمة والجزء الأوسط والخاتمة كعمل أدبى . وهكذا كان قانون حمورابى وهو مجموعة من القوانين المدونة نثراً داخل إطار من مقدمة شعرية وخاتمة شعرية . وهذا دليل على قيمة معينة فى دراسة سفر أيوب بالإشارة إلى اتباع طريقة أ ــ ب ــ أ أى باتباع نمط معين ، ولو إن أى خليط من النثر والشعر فى مؤلف قديم لا يعد دليلاً على وجود أكثر من مؤلف لهذا العمل أو ذاك . ومما يثير الانتباه فى الحوار فى المؤلَّف المصرى أنه يتكون من سلسلة من التوسلات لفلاح مصرى مظلوم طلباً للعدالة مع ردود عليه من الحاكم ، فالشبه بينه وبين سفر أيوب طفيف والأحداث التى تشكل جوهر هذا العمل الأدبى مختلفة تماماً ، فالفلاح يشكو من العمال الغير جديرين بالثقة واحتجاج أيوب ضد الظلم موجه لله وليس موجه ضد البشر ، ولنفس السبب لا يمكن اعتبار أن سفر أيوب يقف جنباً إلى جنب مع ما يسمى « بأدب الاحتجاج » كما فى (مناشدات ابو ور Adomnitions of Ipu - Wer) الذى يشكو من انهيار الأخلاق العامة فى نهاية المملكة القديمة (الألف الثالثة قبل الميلاد) .

وهذا العمل الأدبي يتكون من ست قصائد تنعى احتفاء السلوك القويم ولكنها لا تجد أذناً صاغية وسط التحولات الاجتماعية فى ذلك العصر . إنه ذلك الصوت المألوف كرد فعل سياسى ، وتحول الأغنياء إلى فقراء والعكس بالعكس والذى كان يعتبر فى العهد القديم شيئاً عظيماً كعمل من أعمال الله وشئونه فى خلقه يشار إليه باستياء فى ذلك المؤلَّف المصرى ولكن لا توجد فيه أية إثارة لمشكلات الحق والباطل .

وتمت أيضاً مقارنة أحاديث أيوب بمناجاة النفس فى أدب التشاؤم ، فاليأس من الفوضى السائدة فى المجتمع يعبر عنها فى عمل مصرى آخر ينتسب لأواخر الألف الثالثة قبل الميلاد ، ويبدأ العمل أيضاً بالنثر ثم ينتقل إلى الشعر لينتهى بالنثر ، وذلك العمل عنوانه (خلاف حول قضية انتحار) له شكل حوار رجل مظلوم مع نفسه ، فهو يقول إن الانتحار هو أفضل الحلول لمشكلة الحياة ، والحنين للموت معبر عنه بكلمات تدعو للمقارنة بين هذا العمل وبين الأصحاح الثالث من سفر أيوب ، ولكن إلى هنا ينتهى التشابه . إن اليأس من الحياة شيء شائع ولكن أيوب أبعد ما يكون عن رثاء النفس لدى ذلك المصرى فالأخير لا يقاوم ولا يجاهد للوصول إلى الأهداف النهائية ولكنه يسعى للتخلص من الحياة كشيء لا معنى له ، ولكن أيوب يقرر البحث والتقصى ، والمصرى لا يسأل الآلهة ، ولكن أيوب يصر على الحصول على إجابة من الرب نفسه . ومع أن أيوب أحياناً يناجى نفسه إلا أنه فى الأغلب منهمك فى حوار مع أصحابه بفكر ثابت ، ولم تخطر فكرة الانتحار عليه قط بل على العكس فهو يرفض الموت ، ويبغى تحقيق آماله فى الحياة . إن أيوب غاضب ومتألم ولكنه غير حاد الطبع أو ساخط إطلاقاً . وخلافاً لثورة أيوب أو حدة الطبع التى بدرت فى المؤلِّفين المصريين هناك التأمل الهادىء فى الموت الموجود فى أغنية « عازف القيثارة » ، ومن حيث أنه لم يقم أحد من الموت ليخبرنا ما الذى رآه فأفضل ما يمكن عمله أن نستمتع بهذه الحياة طالما كانت هناك بقية من حياة ، هذه المشاعر تذكرنا بما جاء فى سفر الجامعة من تأييد للاستمتاع بالحياة أكثر مما تذكرنا بمجادلات أيوب العنيفة .

وبعض الكتابات المتشائمة من بلاد ما بين النهرين أيضاً تأخذ شكل حوار ، وأقربها لسفر أيوب مناقشة بين سيد مع عبده عن فراغ الحياة .

وقد احتار الدارسون إن كانوا يأخذون هذا العمل مأخذ الجد أو يعتبرونه نوعاً من الهجاء . ويقر (لامبرت) أن بالقصة توتر يبعث على الضحك ولكن عدم وجود الباعث الأخلاقى فيها يجعلها بمنأى عن سفر أيوب . إن المشكلة تكمن فى الضجر من الحياة ، وليس فى الألم . والسيد المتنعم لا يعرف شيئاً عن آلام أيوب ، وليس هناك حوار حقيقى حيث أن العبد لا يفعل شيئاً سوى ترديد أحاسيس سيده متهكماً .

وطبقاً لسفر الأمثال فإن عمل الحكماء أن يعلموا الآخرين وبخاصة الصغار الطريق السليم حتى يسلكوا فيه فى هذا العالم . وسفر أيوب يحوى الكثير من تلك المعانى ، وليس من المستغرب أن يوجد شيء من هذه التعاليم الأخلاقية فى كتب أخرى ، وهناك نظرية بأن أيوب كان مهتماً أساساً بالناحية التعليمية ولذا فإن (هولتشر Holscher) يجد تشابها بين سفر أيوب وبين كتب التعليم المصرية القديمة مثل (أقوال أمينمحب) . ووجود صلة بين هذا العمل الأدبى وسفر الأمثال شيء لا ينكر ، ولكن حقيقة هذه الصلة محل أخذ ورد ، (فهولتشر) يزعم أن التعليم الذى هو على شكل حوار فى هذا العمل وفى كتاب « تعاليم آنى » (The Instruction of Ani) مشابه لما ورد من سفر أيوب من تعليم ، ولكن هذا يجعل الذين قاموا بتعزية أيوب فى مرتبة المعلمين ، ولكن مهما اشتط بنا الخيال لا يمكن أن نتصور أيوب تلميذاً فى مدرسة الحكمة . إن أى عمل مشابه لسفر أيوب يجب أن يشبه قصة الكتاب المقدس فى الحبكة والشكل والمضمون ولكن أن يكون هناك تشابه عابر هنا أو هناك ليس كافياً ، وأن نسمى كل قصة عن الألم البشرى باسم أيوب فهذا يخلق انطباعاً زائفاً ويضعف من قوة القصه الاسرائيلية كقصة فريدة فى بابها . إن الألم شامل وعام ومناقشة أسبابه لابد أن تنشأ فى كل الثقافات ورد الفعل البشرى تجاهه يتراوح ما بين الحيرة والارتباك المضنى والانسحاب السلبى من الحياة .

إن أدب الشرق الأدنى القديم لم يفرز سفراً آخر كسفر أيوب . وهناك قائمة مطولة بالكتابات فى هذه المنطقة وقائمة ثانية من بلاد أخرى تذكرنا بأيوب من ناحية أو أخرى ، ولكن ما من واحد منها قريب من سفر أيوب عند فحص العمل ككل . فبكل منها الكثير من أوجه الاختلاف أو التشابه ولكن ما من واحد منها يمكن أن يعتبر بحق مصدراً محتملاً أو نموذجاً لسفر

أيوب . إن ذلك الاسرائيلي الحزين ، والألم يطبق عليه من كل جانب ، لم يكن بحاجة إلى أن يقرأ كتاباً مصرياً أو كتاباً من مدن ما بين النهرين حتى يثير ذلك السؤال القديم : لم يجرب الله الناس بهذه التجارب ؟ . إن أقرب الكتب شبهاً بقصة أيوب يمكن إرجاعها للخلفية المشتركة لتقليد الحكمة دون افتراض أن يكون أحدهما قد اقتبس من الآخر ، ويمكن مع ذلك الاستعانة بها فى القاء الضوء على بعض النصوص التى تشبهها فى سفر أيوب .

إن السفر تعلو قامته على أقرب منافسيه فى دقة معالجته لموضوع البؤس البشرى وفى مجال فحصه الدقيق لكل جوانب المشكلة وفى قوة ووضوح دفاعه عن المبادىء الأخلاقية ومبدأ وحدانية الله وفى تميزه فى عرض شخصياته وفى سمو أشعاره الغنائية وفى تأثيره الدرامى وأمانته الفكرية التى يواجه بها الآلام والأثقال التى تشد وثاق الوجود الإنسانى والتى تستعصى على الفهم .

يقف (أيوب) وحيداً فى كل هذه فلا يوجد من قبله ، على قدر ما نعلم ، نموذجاً يمكن أن ينهل منه ولم يأت بعده ما يتطاول لمستواه . إن المقارنة تعمل فقط على تعميق احترامنا وتقديرنا لتلك العظمة الفريدة للسفر .

٥ ــ الخواص الأدبية لسفر أيوب

ليس من السهل أن ندرس كتاباً فريداً فى بابه . وفيما يختص بسماته الأدبية تبرز مشكلتان متميزتان فالنظام الحديث للنقد الأدبى يحل محل تصنيف الشكل أو النمط الأدبى ، فهو يقر بوجود أنواع كثيرة من الأشكال الأدبية وأنها متعددة الاستخدامات فى المجتمع الذى انتجت لأجله ، وكل عمل له وظيفة اجتماعية معينة حتى لو كان الشكل تقليدياً فله دوره المعروف فى حياة الناس . ككلمات تقال فى الاحتفالات والمناسبات وقد تكون مجرد تبادل التحية بين الأصدقاء الذين يلتقون فى الشارع أو يتزاورون فى المنازل ، أو كأسلوب رفيع فى طقوس العبادات أو المناسبات القومية . فأى حدث خاص أو عام ــ سواء كان طقساً جنائزياً أو زفافاً أو حفل تتويج أو قضية فى محكمة ، من المحتمل أن تقال فيه كلمات تليق بالمناسبة ، ومضمون هذه الكلمات يصلح كمفتاح لمعرفة زمان ومكان المناسبة التى قيلت فيها تلك الكلمات . وعندما تعرف القرينة كالمناسبة التى ألقى فيها داود حديث الفجر كمحارب قبل التقائه بجليات لا يكون تفسير الكلمات موضع شك ، ولكن أدب الخيال يستطيع أن يستفيد من أحد

الأشكال التقليدية فى قرينة بعيدة ، وهكذا يستطيع إشعياء أن يعمل مرثاة لا ليعزى الحزانى بل ليتنبأ باستهزاء عن سقوط مدينة عظيمة (إشعياء ١٤) . إن السخرية والهجاء يمكن أن يغير معنى قصيدة شعرية .

وسفر أيوب خليط عجيب من كل أنواع الأدب الموجود فى كل العهد القديم تقريباً ، فالكثير من الأقسام يمكن فصلها وتصنيفها كأمثال وألغاز وترانيم ومراثى ولعنات وقصائد غنائية فى وصف الطبيعة ، وبعض هذه القصائد وبخاصة المادة الغنائية قد يكون مكانها الصحيح فى طقوس العبادة ولكن يكون من الخطأ أن نستنتج من ذلك أن السفر ككل قد قدم كطقس دينى . وحيث أن فى السفر نوع من المحاكمة لأيوب فهناك أحاديث تتهمه بالذنب ورد فعله فى الدفاع عن نفسه (وخاصة فى اعترافه السلبى فى أصحاح ٣١) فأشياء كهذه يمكن أن تسمع فى محكمة قضائية ولكن الاستعمال المتكرر لتلك الأحاديث القضائية والبلاغة المتعلقة بها لا يعنى أن الكتاب ككل هو قضية من النوع الذى يعرض على المحاكم .

وبينما يمكن أن نطبق على السفر أدوات النقد للاستفادة منها فى تفسير السفر لكثير من الفقرات إلا أنها لم تستطع أن تجيبنا على السؤال عن هوية السفر ، فبعد أن فشل بعض الدارسين أن يجدوا عملاً مشابهاً لسفر أيوب فى الشرق الأدنى القديم ، اتجهوا إلى الأدب اليونانى ، فلا يوجد دليل على أن للإسرائيليين شىء فى ثقافتهم يشبه المسرح وحتى الطقوس الدينية كانت خالية من القصص الروائية الدرامية سواء على صعيد القصص اللاهوتية (كقصة الخليقة) أو على صعيد التاريخ القومى (كقصص الآباء) ، وكان الاحتفال بعيد الفصح هو الطقس الوحيد الذى يحوى تمثيلاً لحدث مضى ولكن جزءاً بسيطاً فقط من القصة هو الذى كان يجرى تمثيله ألا وهو (الأكل) من خروف الفصح ، وبالمثل فالمناسبة السنوية للسكن فى (مظال) كانت مجرد تذكار وليست تمثيلاً درامياً . وعلى أى حال فهذه الاحتفالات سواء كانت بالكلمة أو الإشارة كان المقصود منها إحياء اشتراك الأمة فى هذه الأحداث وليس المقصود منها أن تقدم للعرض أمام الجمهور سواء كانت للتسلية أو للتثقيف . ونشيد الأنشاد هو نوع من قصائد الحب وقد بذلت المحاولات لإيجاد خيط قصصى يربطها معها لتكون دراما تمثل فيها القصائد أحاديث ألقاها متحدثون ، هم أعضاء فريق تمثيلى ، ولكن لو كان ذلك العمل مقصوداً به الأداء بهذه الطريقة فأين

التوجيهات المسرحية اللازمة للعرض المسرحى ؟ ونفس الشيء ينطبق على سفر أيوب : فالأحاديث المتبادلة تعطى الانطباع بأنها حوار مسرحي ولكن ليس هناك ما يوحى بأن العمل قد أنتج كدراما ، بل على العكس فشكل المقدمة والخاتمة يوحى بأنه عمل أدبى عبرى من الطراز الكلاسيكى . وقد ظهرت فكرة أن السفر نوع من المسرحيات من تلقاء ذاتها . والصفة الروائية لسفر أيوب يمكن التعرف عليها دون أن نسمى السفر دراما بالمعنى الحقيقى للكلمة . وقد بذلت محاولة جادة من جانب (هـ . م كالن Kallen) للتعرف على سفر أيوب كتقليد يهودى للدراما الإغريقية ، ثم تحديد تاريخ السفر بناء على هذه النظرية ، فمن الناحية التاريخية من المعروف أن أول دراما يهودية قد كتبت بواسطة شاعر إغريقى الأصل يسمى (حزقيالوس) فى القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد اختار خروج بنى اسرائيل كموضوع لروايته ، ومجرد فكرة « التراجيدى » (المأساة) كما طورها الإغريق أكثر جدية من الرواية الدرامية . وبالرغم من إحساس عميق بالذنب أمام الله فإن أيوب الإسرائيلى لم يعتبر الحياة فى أى وقت من الأوقات مأسوية تماماً .

لقد أحس الإغريق من قبل بثقل اللامبالاة الأخلاقية لعالم مغلق يطبق على صدر الإنسان العصرى ، فالإنسان كان يُعتبر الفريسة المسكينة العاجزة أمام قدر لا يرحم أو أمام حقد الآلهة التى لا يمكن مقاومتها وبخاصة (زيوس) كما فى أكثر المآسى الإغريقية إثارة وأعظمها ، مأساة (يرميثوس) .

ومن الخطأ تماماً أن نقارن بين موقف أيوب كشخص يتساءل عن أشياء معينة وبين أوهام الإغريق . وفى أدب شكسبير فإن المأساة هى نتاج خطأ إحدى الشخصيات أو خطأ فى الحكم على إحدى الشخصيات ، وعالم شكسبير دنيوى فالله غائب فى أدبه . بينما فى سفر أيوب ، نجد أن الله كلى الأهمية والإيمان بصلاح الخليقة وعدالة الله وفى إمكانية الفداء قد جعلت المأساة مستحيلة فى الفكر الكتابى ، وهذا هو السبب فى النهاية السعيدة لأيوب والتى كثيراً ما يساء فهمها والتى لا تنتهى بالتأكيد كمأساة وهذا ضرورى لتزكية أيوب والدفاع عن الله .

وكان الرائد العظيم فى الدراسة العصرية للشعر العبرى هو الأسقف (لوث

Lowth) قد درس فى القرن الثامن عشر عما إذا كان سفر أيوب يعتبر رواية درامية ، ثم طبق قواعد أرسطو ووجد أنه لا ينطبق على السفر وصف الدراما لعدم وجود الحديث الدرامى . ومع ذلك فقد صرح بأنه يمكن تسمية السفر بأنه قصيدة درامية(١) ولكن إذا كان سفر أيوب ليس دراما فإن الحوار الدرامى فى السفر قد أوحى للبعض بأن السفر هو المقابل الاسرائيلى للأعمال الإغريقية المحتوية على حوار فلسفى، وكما سنرى بدراسة العلاقات المنطقية بين الأحاديث المختلفة فى التعليق فإن سفر أيوب ينقصه النسيج المنطقى للجدل الفلسفى ، والرأى الذى ينادى به (فرايز Fries) من بعد (أوسكار هولتزمان Oscar Holtzman) أن سفر أيوب تقليد للحوار الأفلاطونى هو قول عار عن الصحة . ويبدو أن معلمى اليهود لم يكونوا على يقين تام بكيفية تصنيف سفر أيوب ، وهذا يتضح من حقيقة أنه لم يكن للسفر موقف محدد فى قائمة الكتب القانونية ، فمع أنهم ربطوا بينه وبين سفر المزامير والأمثال فى المجموعة الثالثة للائحة تحت اسم (الكتابات) إلا أن هذا الموقع ينطبق على طبيعته الشعرية ، والقوائم المسيحية تُظهر اختلافات أكبر من حيث تاريخ السفر(٢) ، ولقد سبق أن أشرنا لرأى (لوث Lowth) بأنه لا توجد بالسفر أحداث كثيرة ونفس النقطة يؤكدها (جوردس Gordis) بالقول إن السفر يتصف بعدم وجود الحبكة الدرامية ، ويقول (دورم Dhorme) بحذر أكثر إن الوصف الأدبى للسفر غامض لأن القصة المكتوبة نثراً يمكن تصنيفها مع الأسفار التاريخية بينما الحوار الشعرى ينتمى لكتابات الحكمة وهو يقول بأن السفر تنقصه الوحدة التى تجمع أجزاءه معاً .

ونحن لا نتفق مع هذا الرأى فسفر أيوب قصة محكمة على رأس قائمة القصص العبرية الكلاسيكية ، والشكل الفنى للأحاديث لا يصح أن يخفى

---

(١) يمكن فهم صحة هذه المعلومات على أساس أن النص الكتابى قد استخدم فعلاً فى مسرحيات ، فمسرحيات (كولمان) المبنية على مادة كتابية تشمل تقريباً عشرين مثلاً لتعديل النص الوارد فى السفر وتحويله إلى شكل درامى ، وبعض النصوص بأقل قدر من التعديل فى النص والآخر بإدخال عدة تعديلات عصرية عليه .

(٢) ذهب (ريش لاكش Resh Lachish) فى القرن الثانى للميلاد إلى أن أيوب لم يكن شخصية تاريخية بل هو مجرد « مثال » وهو تعبير يعنى أن السفر مجرد رواية تعليمية .

حقيقة الحبكة الدرامية فهناك الكثير من الأحداث حتى لو كان الكثير منها مجرد حديث ، والحديث الشعرى غالباً والذى يتسم بلمسات الحكمة موجود فى كل القصص التاريخية العبرية . فمن ناحية الشكل الأدبى فإن سفر أيوب أقرب إلى أشعار البطولة فى تاريخ إسرائيل المبكر والذى تم التعبير عنه فى قصص الآباء وقصة سفر الخروج ومزامير داود وقصة راعوث . إنه ينتسب حقاً إلى زمن المملكة المتحدة والذى وصل فيه مثل ذلك الأدب إلى آفاق عليا ولكنه يبدو على الأقل أنه تقليد لتلك الكتابات .

إن سفر أيوب يشبه هذه الكتب فى أربعة ملامح رئيسية تتعلق بمهارة الكاتب :

أولاً : اقتصاد فى سرد الحقائق الجوهرية والتى تعطى الانطباع الخاطىء بأن الحبكة الدرامية غير مترابطة .

ثانياً : كنتيجة لهذا الإيجاز ، نجد موضوعية وتجرد فى وصف أعمال الناس دون تحليل سيكلوجى لدوافعهم أو انفعالاتهم ، على نقيض الرواية الحديثة التى نجد أنها تخبرنا بما يحدث فى عقل البطل . إن مشاعر أيوب والآخرين لا يصفها الكاتب كجزء من القصة ، بل يعبر عنها فى أحاديث أبطاله .

ثالثاً :إن كتّاب هذه الأسفار المذكورة يقفون بمنأى عن الأحداث أى أنهم يمتنعون عن التعليق عليها ، فعلى سبيل المثال نجد أنه يستحيل تحديد الهدف من كتابة قصة تمرد أبشالوم (سفر صموئيل الثانى) فهو يسرد القصة ببساطة ، ونواجه نفس المشكلة فى محاولة اكتشاف السبب فى كتابة قصة أيوب بهذا الشكل .

رابعاً : وهو بيت القصيد ، فكما أن أهم شىء فى قصص سفر التكوين أو سفر صموئيل ... الخ فى الأحاديث التى تشغل حيزاً كبيراً من تلك الأسفار والتى يغلب عليها الطابع الشعرى والتى تعبر عن الاهتمام المتزايد الذى نلحظه بالشخصيات . وكذلك فإن قصة يهوه وأيوب تسرد أساساً من خلال الأحاديث التى تدور بين الشخصيات .

فيمكن أن نطلق على سفر أيوب بأنه يشتمل على « قصص الأبطال » تماماً

كقصص إبراهيم ويوسف أو موسى التى تستحق أن يطلق عليها هذا الوصف .

وقال (بوب Pope) إن الحوار الذى فى السفر يذكرنا بسفر راعوث ويمكن إيضاح ذلك بقول (مايرز) فى دراسته للشكل الأدبى لسفر راعوث ، فالكثير منه فعلاً فى شكل شعرى ، أما ما لا يوضحه توضيحاً كافياً هو أن ذلك الشعر يسود الحوار فقط بينما معظم القصة مكتوبة نثراً . ونفس الشيء بالضبط نجده فى سفر أيوب ، وعلى النقيض من القول الشائع بأن سفر أيوب هو سفر شعرى يمكننا أن نقول إن سفر أيوب قد كتب كله نثراً باستثناء الأحاديث فقط التى كتبت شعراً .

٦ ــ الشعر فى سفر أيوب

حيث أن معظم سفر أيوب فى قالب شعرى يلزمنا فهم الشعر العبرى حتى نستطيع تفسير السفر .

إن تفصيلات التذوق الشعرى يحسن أن نشرحها فى التعليق نفسه . أما هنا فسنقدم عدة ملاحظات عامة ونشرح استعمال القليل من المصطلحات . فليس من السهل تعريف الشعر ، فهو استخدام فن الكلمات تستغل فيه خواص اللغة وبخاصة فى الأصوات لأغراض جمالية . ولكن النغمات والإيقاع فى الأصل العبرى لا يمكن مناقشتها فى تفسير باللغة العربية ولكن لحسن الحظ فإن الملامح الرئيسية لعلم العروض والقوافى العبرى تظل محفوظة فى الطبعات الأخرى ، فتركيب الشعر العبرى لا يندثر بالترجمة (كلما كانت الترجمة حرفية كان أفضل) لأنه يعتمد أساساً عن تقارب الأفكار وموازنة فكرة بفكرة أخرى .

وعند مقارنة الشعر العبرى بالقواعد الدقيقة للشعر الكلاسيكى والتى سادت الحضارة الأوربية لعدة قرون نجد أن الشعر العبرى يبدو لأول وهلة غير منتظم أو ردىء التركيب ، وعند مقارنته بالأشعار الغربية منذ عصر هوميروس فصاعداً يمكن الحكم عليه بالبدائية ، وقد قام بعضهم بالبحث عن ملامح بديلة فى طبيعته الشرقية الغريبة كاستعمال نوع مختلف من الخيال ، ولكن ما أن عُرفت قواعد ذلك الشعر جيداً حتى عُلم أن ذلك الشعر يصلح كأداة

طيعة يستخدمها ذكاء وبراعة الشاعر تماماً كالقواعد الصارمة التى يستخدمها الكلاسيكيون ، كما أنه يرضى أذواق السامعين عندما يقوم شاعر عبقرى باستخدام تلك القواعد لتحقيق أغراضه تماماً كالشعر الكلاسيكى . وقد كان كاتب سفر أيوب عبقرياً كذلك ، فهو كهوميروس فى « شعر البطولة » ومثل شكسبير فى « الاهتمام بمشاكل الإنسان » وكبوشكين فى « التحكم فى الأهواء المختلفة » وفوق الكل مثل ملتون فى جلال معالجته لأسمى كل الموضوعات « طرق الله مع البشر » .

وهناك أنواع مختلفة من الوحدات فى الشعر العبرى ، وسوف نستخدم كلمة (عدد) لنشير للأجزاء التى ينقسم إليها النص حسب التقسيم الحديث . وهذا التقسيم بالأرقام يساعد على إيجاد مكان الأصحاح والعدد ولكن هذا التقسيم لا يفيد فى دراسة التركيب الشعرى ، والذى تعتبر أصغر وحدة فيه ما يمكن أن نسميها سطراً أو شطراً ، والبيت هو وحدة مكونة من شطر أو أكثر والذى يعتبر كاملاً من ناحية قواعد اللغة أو التركيب ، وأكثرها شيوعاً ، البيت الثنائى وفى أبسط أشكاله فهو يقول نفس الشىء مرتين باستخدام تعبيرات مختلفة ، وتلك الفكرة ذات النغمة المعينة تسمى عادة « المترادفات المتوازنة » كما فى أيوب (٢٧ : ٤) .

(أ) لن تتكلم	(ب) شفتاى	(ج) إثماً
١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤ ــ ٥	٦ ــ ٧ ــ ٨	٩ ــ ١٠
(بَ) لسانى	(أَ) لا يلفظ	(جَ) بغش
١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤	٥ ــ ٦ ــ ٧	٨ ــ ٩ ــ ١٠

وكل سطر يحوى أربع كلمات فى العبرية وعشرة مقاطع ، وبما أن الكلمة المترجمة لا أو لن ليست مشددة توجد ثلاث شدات فى كل سطر . وهكذا يوجد توازن كمى بين السطور المزدوجة سواء حسبنا المقاطع أو الكلمات أو النبرات ، والكلمة الأخيرة فى كل سطر تنتهى بالصوت (أ) (â) ولذا فهناك إيقاع ورتم ، ولا تتكون كل السطور المزدوجة فى العبرية بهذا الشكل .

وبالإضافة إلى ذلك فهو يختلف عن النظام الأوروبى الذى يفضل أن تكون كل بيوت القصيدة من نفس الطول ، فمثلاً (طويل ــ قصير) أو (غير

مشدد ـــ مشدد) إلا أنه فى الشعر العبرى نجد كل سطر يختلف عن السطر الآخر من حيث الطول كما فى المثال السابق ، والنبرة الثانية تقع على المقطع الثامن فى السطر الأول وعلى المقطع السابع فى الثانى ، فلو بحثت عن الوزن فى الشعر العبرى لاختلط عليك الأمر ، فثلاثة سطور متوازنة والباقى مختلف .

إن الاهتمام الحقيقى فى الشعر العبرى ينصب على الأفكار وليس على الأصوات . والسطران اللذان يكونان بيتاً فى (أيوب ٢٧ : ٤) مترادفان فى المعنى وباستثناء الواو فى عدد (٤ ب) فكل المفردات تأتى مزدوجة الكلمات .

عدد ٤ أ	عدد ٤ ب
لن	لا
تتكلم	يلفظ
شفتاى	لسانى
إثم	غش

وهذا الازدواج قد يكون تكرار كلمة (لا) أو المترادفات (يتكلم = يلفظ) (وإثم = غش) أو (شفاه ولسان وهى ليست مترادفات بل يكملان معاً أعضاء الكلام) . ومثل ذلك الاستخدام للمفردات التى تكمل بعضها البعض فى سطور متعاقبة هو الذى يربطهما معاً فى بيت منفرد ، فليس من الصحيح تماماً أن نصف عدد (٤ أ) و (٤ ب) بأنهما عبارتان كاملتان تحويان معنى متشابه فى توازى . وهناك أيضاً أحد الملامح البلاغية الأخرى التى تربط السطرين معاً . فالترجمة الحرفية المذكورة آنفا تبين تقاطع البنود المتوازية أ // أ¯ و ب // ب¯ وهذا النمط :

أ ب

ب¯ أ¯

يسمى (Chiasmus) أى قلب ترتيب العبارات المتوازية ، وتستخدم أحياناً أنماط أخرى بهذه الطريقة كالمثال التالى :

أ ب جـ ء جـَ بَ أ¯ ب¯ أ¯ وهكذا

والجمال المركب لهذه السطور المزدوجة التى تأملنا فيها تعطينا فكرة طفيفة فقط عن تعقيد الأشعار العبرية فهناك العديد من أنماط الأوزان الشعرية ، وقد طور الشعراء الإسرائيليون ذلك حتى بلغ درجة كبيرة من التعقيد ، ولسوء الحظ فضيق المجال يعوقنا عن الفحص الشامل للنسيج اللفظى الجميل فى سفر أيوب والذى يبرزه كشعر على درجة عالية من التفوق .

والسطر المزدوج ليس هو الشكل الوحيد للأبيات المستخدمة فى الشعر العبرى ، فالسطر المنفرد يمكن أيضاً أن يكون وحدة مستقلة ومن الخطأ القول كما قال قدامى النقاد كثيراً بأن الجزء الثانى من السطر قد فقد لخطأ أحد النساخ عندما يصادفون سطراً منفرداً ، وكما سنرى فالسطر المنفرد علامة مميزة للنسيج اللغوى لفقرة مطولة كقصة درامية على سبيل المثال . والسطر المثلث كان يستخدم كثيراً أيضاً . فالقاعدة التى تقول بأن الشعر العبرى كان يكتب كله على شكل سطور مزدوجة قد أدت بغير داعٍ إلى التقليل من قيمة البيوت ذات الأسطر الثلاثة . فالكثيرون من النقاد لا يقبلون الأسطر الثلاثة بل يحولونها إلى أسطر مزدوجة باستبعاد أحد السطور ، وهم يفترضون أن السطر الزائد قد زحف إلى النص عندما اعتمد أحد النساخ قراءة بديلة تحوى سطراً آخر باعتباره داخلاً فى متن الحديث ، وهناك تفسير آخر يقول بأن الأصل كان أربعة سطور (سطرين مزدوجين) فأصبح ثلاثة حيث السطر الثالث صحيح ولكن السطر الرابع قد فقد . ووجود ثلاثة أسطر متوازنة يعنى عدة احتمالات معقدة لتطور الأنماط الشعرية المتشابكة ، بينما كانت تستخدم أحياناً عدة أبيات مكونة من أربعة أو خمسة أسطر ولكنها لم تكن شائعة . ونحن لا نفضل استخدام كلمة (Stanza) أى مجموعة أبيات مترابطة لنطلقها على مجموعة أبيات فى الشعر العبرى ، لأن هذا اللفظ يعنى شكلاً مألوفاً فى الشعر الأوروبى ، لكل مجموعة منه نفس عدد الأبيات فى كل أجزاء القصيدة الشعرية ولكن القليل من القصائد العبرية تحوى هذا الشكل المنتظم .

ومجموعة الأبيات تكون عادة وحدة يمكن تسميتها (ستروف) (Strophe) ،ولا يتسع المقام هنا لمناقشة تركيب هذه المجموعة من الأبيات فى القصائد العبرية الكبيرة . ولسوف نقوم بتقديم ملاحظات على أنماط هذه المجموعات الشعرية

فى سفر أيوب فى أثناء التفسير نفسه . ويمكن هنا أن نلاحظ أن هذه المجموعات من الأبيات ترد فى أحجام مختلفة وأن كل مجموعة يربطها موضوع واحد . وهناك عدة أنماط بلاغية تتعلق بالأسلوب وسوف نستخدم كلمة (قصيدة) لنصف تكويناً شعرياً ذى طبيعة متميزة ويحمل معنى كاملاً . وكاتب سفر أيوب قد ضمن سفره عدة قصائد ، وقد لاحظنا من قبل أنه توجد فى تركيب السفر ككل ، سلسلة من الأحاديث لعديد من الشخصيات ، وفى بعض الحالات يكون الحديث كله عبارة عن قصيدة واحدة ولكن فى الغالب يحوى الحديث أكثر من قصيدة أو سلسلة من القصائد ، الواحدة تلو الأخرى ، والتى يصعب أن نجد ما يربطها بالحديث أو مجموعة من القصائد المتصلة مرتبة بحيث تعطى انطباعاً بوحدة الحديث .

وتركيب الشعر العبرى يمكن تجزئته إلى أقسام بعضها فوق بعض . فأكبر قسم فى السفر هو الحديث الذى قد يتكون من قصيدة أو أكثر . وكل قصيدة تتكون من وحدة أبيات أو مجموعات منها ، وكل وحدة أبيات مكونة من سطر أو عدة سطور . وكل بيت من شطرين أو ثلاثة تحوى عادة نوعاً من الوزن ، ومع ذلك فقد نجد الوزن ليس فقط فى الشطرات المتتابعة ، كل وراء الآخر ، بل يمكن أن نجده أيضاً فى شطرات قد يفصلها بعضها عن بعض قدر كبير من الحديث الاعتراضى .

وقد لجأ بعض النقاد مراراً إلى تغيير مواقع تلك الفقرات الاعتراضية حتى يصلوا لفكرة مترابطة . فمثلاً ما ورد فى (أيوب ٣ : ١٦) ينقل أحياناً من مكانه لوضعه بين (٣ : ١١) ، (٣ : ١٢) وذلك لتجميع كل الآيات التى تتحدث عن الميلاد فى مكان واحد . ونحن نعتقد أن مثل هذا التعديل فى النص غير ضرورى ، وعلى غير هدى ، بل إنه ضار فى الواقع لأن استبعاد العدد (٣ : ١٦) من مكانه يجرده من وظيفته الأساسية كمركز بين مجموعتين متوازنتين من الأبيات عن غبطة الموت كما سنحاول أن نبين فى تعليقنا على ذلك العدد .

٧ ــ سفر أيوب

لم توجد مصادر لسفر أيوب ، فوجود أجزاء شبيهة ببعض أسفار العهد

القديم الأخرى أو بعض الفقرات فى أدب الشرق الأدنى القديم (انظر الجزء الرابع من المقدمة) لا يمكن أن تعتبر كوثائق مأخوذة من سفر أيوب أو اقتبس منها السفر . ثم أن السفر من الممكن أن يكتبه شخص واحد فقط ويمكن أن يكون قد مر بعدة مراحل من التكوين على أيدى أكثر من شخص . أما تعقيد الأسلوب فى النتاج النهائى فقد فسره أحد الدارسين بأنه نتيجة لتطور أدبى بالغ التعقيد وعلى فترة ممتدة من الزمن . ودراسة أسلوب السفر على ما هو عليه الآن قد أثار العديد من الأسئلة منها ما يأتى :

ما العلاقة بين المقدمة والخاتمة النثرية بالحوار الشعرى ؟ وهل أحاديث يهوه جزء أصيل من مكونات السفر أو يوجد لها أكثر من وثيقة مختلفة ؟ وهل تلك الأحاديث أصلية فى السفر أم أضيفت إليه بعد ذلك . وهل أحاديث أليهو أصلية ؟ وهل أضيفت قصيدة الحكمة (أصحاح ٢٨) فيما بعد ؟ وهل عدم وجود حديث ثالث لصوفر يعنى فقد ذلك الحديث أم أنه مقصود ؟

وقد أجاب كل دارس على هذه الأسئلة بطريقته الخاصة ، حتى أن عدد الآراء التى قيلت فى هذا الموضوع يفوق الحصر . ونجد هنا عرضاً موجزاً لتلك المشكلة وبعض الحلول المقترحة لها .

ليست هناك أية إجابة يمكن أن نأخذها من خارج السفر ذاته ، وليس هناك فى تعليم وحى الكتب المقدسة ما يقول بأن كل سفر يجب أن يكون كاتبه شخص واحد خلال فترة قصيرة من الزمن . فالله يمكن أن يخلق شيئاً فى لحظة من الزمن ، ويمكن أن يلهم شخصاً لينتج سفراً فى فورة واحدة من فورات الإبداع ، ويمكن لله فى نفس الوقت أن يخلق الأشياء ببطء وعلى فترات من التطور التدريجى عبر حقب التاريخ . والسفر المنتج نتيجة جهود متعاقبة من عدة أشخاص على فترة كبيرة من الزمن لا يؤخذ قرينة على أنه ليس جزءاً من كلمة الله . والطريقة التى جمع بها السفر يمكن أن تكتشف فقط من دليل مأخوذ من السفر ذاته ومن طبيعة هذا الدليل . ولكن بناء على الكثير من المشاكل المتعلقة بهذا الموضوع قد لا نستطيع أن نحصل على دليل ، ومع ذلك فقضية وحدة السفر هامة جداً فيما يتعلق بتفسير السفر ، فعلى سبيل المثال ، لو لم تكن أحاديث أليهو مدرجة فى الأصل بل أضيفت بواسطة كاتب متأخر أقصر باعا من الكاتب الأول كما يعتقد كثيرون من النقاد ، لحدث فرق كبير

لو قمنا باستبعاد تلك الأحاديث ودرسنا باقى السفر فقط . ولو أن السفر من نتاج شخص واحد أو أن أسلوبه النهائى بيد كاتب واحد ، فعلى المرء أن يحاول اكتشاف الخطة التى كانت فى ذهنه ثم يفسر السفر ككل بناء على هذه الخطة . ولو أن عدداً من الكتاب المتعاقبين ، وكل واحد منهم له وجهة نظره الخاصة به ، اشتركوا فى كتابة السفر ليغيروا من طبيعته فى كل طبعة جديدة فعلينا استعادة حالة السفر عند كل مرحلة من نموه لتصبح كما كانت بقدر الامكان ، ووجهة نظر كل كاتب مختلف ، اذا ثبت ذلك ، تصلح كهاد ومرشد للشكل المعين الذى أسهم به فى السفر . وهنا يجب أن نقول إن وجهات النظر المختلفة ، وبعضها متناقض مع الآخر ، والتى يتمسك بها الدارسون الذين حاولوا تتبع تطور السفر خلال المراحل المختلفة لا يشجعنا على الاعتقاد بأن عملهم يستند على أسس منهجية سليمة .

وبالرغم من تلك التحفظات ، فإننا نقدم فيما يلى مجمل النتائج التى تم التوصل إليها بوجه عام . فبينما نجد أن بعض النظريات أكثر تعقيداً من الأخرى ، إلا أن هناك سبع مراحل من تطور السفر معروفة على نطاق واسع .

المرحلة الأولى : ـــ

إن الدارسين الذين ينكرون أن وحدة السفر فى شكله الراهن هى الأصل ، يقسمونه إلى جزئين على الأقل ـــ قصة أصلية من النثر عن أيوب ثم حوار شعرى أضيف إليها بعد ذلك . فيقولون إن أصل السفر عبارة عن قصة فولكلورية (شعبية) قديمة عن واحد من الآباء الذى قد دخل التجربة لسوء الحظ ، ولكنه احتفظ بإيمانه وكافأه الله . والمحاولات التى بذلت لاستعادة هذه القصة الأصلية البسيطة قد أدت إلى النتائج المتباعدة بعد ذلك ، فالبعض يحددها بأنها تشمل الأصحاحين الأول والثانى وأصحاح (٤٢ : ٧ ــ ١٧) ، ولكن هذا يخلق كل أنواع المشاكل ، وقد قيل أيضاً إن المقدمة الحالية والخاتمة لا تكونان قصة كاملة وأن أصحاح (٤٢ : ٧ ــ ٩) يشير إلى المناقشة مع الأصحاب الثلاثة الذين يصمتون تماماً فى أصحاح (٢) ولذا فهم يفترضون نوعاً من الحوار فى الأصل ، وبنفس الطريقة يقولون إن نوعاً من الاستجابة مطلوب من الله قبل اصحاح (٤٢ : ٧) ولذا فهم يفترضون أن الحوار الأصلى بالأسلوب الشعبى للمقدمة والخاتمة قد استعيض عنه بالجزء الأكبر من

الشعر الذى يشكل السفر الحالى ولكن مثل هذه النظرية باعترافها بالحاجة إلى نوع من الحوار داخل إطار المقدمة والخاتمة لهو دليل على وحدة السفر كما هو عليه الآن ــ فلماذا لا يكون الحوار الحالى أصلياً .

ولكن الدليل المستمد من (٤٢ : ٧ ــ ٩) قد تم إبرازه بطريقة أخرى ، فحيث أنه يشير بوضوح للحوار الحالى فقد قيل إنه إضافة من الكاتب فيما بعد للربط بين القصة الأصلية والتى تستمر فى (٤٢ : ١٠ ــ ١٧) وبين المادة الشعرية المتأخرة فى الأصحاحات (٣ ــ ٤٢ : ٦)

وقد وجد بعض الدارسين مشاكل فى القصة النثرية (المقدمة والخاتمة) كما هى الآن ، فبغض النظر عن ضم الحوار التالى للقصه الأولى[1] سواء بواسطة كاتب الحوار نفسه أو بواسطة شخص آخر بعد ذلك ، فهناك عدة تناقضات واضحة واعتراضات مزعومة داخل إطار القصة .

وهكذا فقد قيل إن الشيطان الذى كان ظاهراً فى المشاهد الافتتاحية لم يسمع عنه مرة ثانية بعد ذلك ، وقيل أيضاً إنه كانت تلزم مقابلة ثالثة وأخيرة فى المحضر الإلهى لتقويم الأمور ولإثبات أن يهوه كان على حق فى النهاية .

ولكن متى كان لنا الحق أن نخبر الكاتب كيف يختم قصته ؟ !

والدارسون الذين قالوا بأن زوجة أيوب أيضاً لم يُسمع عنها ثانية يبدو أنهم تجاهلوا أهمية وجود أم لأطفال أيوب الآخرين .

وبدلاً من الشخصيات التى صادفناها قبل ذلك فى المقدمة فالخاتمة تقدم لنا لأول مرة أصحاب أيوب وأقاربه (٤٢ : ١١) .

ومن وجهة نظر أخرى فإن دور الشيطان ورد كدور ثانوى أساساً لأن فكرة وجوده قيل إنها أدخلت مؤخراً فى الفكر الإسرائيلى حتى انه لم يكن موجوداً فى أصل القصة . ولكن مشهد المحضر الإلهى قديم جداً فى التقليد العبرى ، والحوار المسترسل الغير رسمى لم يكن يجول بسهولة بخاطر يهود ما

---

(١) لبيان ان كل نظرية تقريباً قد اختبرها واحد أو اكثر نلاحظ اقتراح (Irevin) فى تعليقه على السفر سنة ١٩٦٢ أنه بينما كانت هناك قصة شعبيه قديمة ألهمت كاتب السفر فهى ليست شبيهة بما عندنا الآن من المقدمة والخاتمة وقد كتبت بعد الحوار كإطار له ، وقد تم تقليد الأسلوب الشعبى للقصة ، وهذه النظرية لم تلق قبولاً لدى عدد كبير من الدارسين .

بعد السبى الذين كانوا يؤمنون بوجود الشيطان جنباً إلى جنب مع الفكرة السامية عن الله .

على أى حال من الصعب أن نتصور كيف تكون القصة بدون هذه الرؤية لخلفية القصة ، فمن الجوهرى لفهم السفر أن يعرف القارىء (لأن أيوب لا يعرف) أن متاعب أيوب جاءت بسماح من الله ولكن ليست بسبب أى خطأ من جانبه ولكنها فى الواقع نتيجة لفضيلته وكان القصد منها إثبات وتأكيد بره .

ودون أن ندخل فى تفاصيل كثيرة ، نذكر أن وحدة المقدمة نفسها ووحدة الخاتمة ووحدتهما معا كانت موضع شك من جوانب عديدة . فعدم التناسق المزعوم يمكن تعليله بأنه نتيجة جمع هذه القصة الصغيرة من عدة مصادر متباينة أو كنتيجة للتعديلات المتتالية فى عدة مراحل لاحقة من كتابة السفر .

وهكذا يمضى (فوهور (Fohrer) إلى القول بأنه يجد خمس مراحل من التطور فى المقدمة ثم الخاتمة :

(١) اسطورة قديمة قبل بنى اسرائيل .

(٢) نسخة إسرائيلية للسفر قبل السبى كانت تقليداً لقصص الآباء .

(٣) إدخال تعديل للقصة أثناء السبى لإبراز فكرة أيوب كوسيط بار .

(٤) نسخة بعد السبى خالية من تأثير أدب الحكمة والأدب الفارسى والنواحى الكهنوتية .

(٥) مراجعة نهائية لدمج القصه بالحوار .

أما الآراء التى قيلت لتأكيد صحة السفر فقد أيدها تحليل مفردات السفر بغرض تتبع أصل تلك المفردات بنوع خاص ومضاهاتها بالتقليد والتراث وسخافة هذه الطريقة فى النقد يمكن أن تتضح فى ضوء الحقيقة أنه كلما طبقناها بدقة كانت النتائج أكثر سخافة . فعندما نجد أثناء تتبعنا لمفردات السفر كلمات ترجع للأصل الكهنوتى فمن الخطأ — أو على الأقل من الأقوال التى يعوزها الدليل — أن نؤكد أن الكاتب قد أخذ هذه الألفاظ من أسفار موسى الخمسة لأنها المصدر الإسرائيلى الوحيد المعروف الذى استخدم مثل هذه التعبيرات الكهنوتية . ولكن إذا سلمنا أو على الأقل لم نعترض على وحدة المقدمة

والخاتمة فإن بقية السفر (الحوار) يقال إنه مختلف تماماً عنهما . ولكن الاختلاف البين بين الشعر والنثر ، حسبما نعتقد يعد ، على العكس ، دليلاً قوياً على وحدة السفر ككل .

وباستثناء الكتب القديمة الأخرى ، التى لا شك فى وحدتها ، والتى تستخدم مثل هذا النمط (أ ــ ب ــ أ) فقد أوضحنا من قبل أن إلقاء الأحاديث فى صيغة شعرية سمة مميزة للقصة العبرية حتى فى الاسفار التاريخية والتى توصف عادة بأنها نثر فى مجملها . والأساس الشعرى فى قصص الآباء موجود أساساً فى الحديث الغير مباشر حيث يمتزج الحوار بانسجام مع المادة الوصفية التى تشبه النثر والتى ترد وسط الأحاديث .

وبالإضافة إلى ذلك ، فالاختلاف بين الشعر والنثر يحمل معه اختلافاً فى المفردات وهو ما لا يمكن أن يستخدم كدفاع عن أن السفر كتبه أكثر من شخص . إذن فقد كانت هناك وسيلتان مختلفتان للتعبير (الشعر والنثر) ويمكن لشخص واحد أن يستخدمها فى نفس السفر ، إذ ينتقل من القصة النثرية إلى الأحاديث الشعرية .

والتناقض المزعوم بين المبادىء الأخلاقية فى القصة ، والحوار قد بولغ فيه كثيراً . ففى الواقع ، وقبل أن نمضى قدماً ، يجدر بنا أن نوجه تحذيرا ضد هذا النوع من التعميم ، فكما سوف يتضح من تفاصيل التفسير ، فإن الحوار نفسه ليس متجانسا لا فى الأسلوب ولا فى المعنى . إنه مجموعة من عدة مواد مختلفة وعدة أنماط من الأساليب وثروة من الأفكار تصطرع فيها الآراء . فهذا من طبيعة المناظرة وجزء من فن الكاتب . وقد قيل بصفة عامة إنه فى القصة الأصلية النثرية ، فالله ــ الذى اسمه يهوه ــ إله بسيط قريب الشبه بالإنسان أما فى الأشعار فإن اسمه ايل وإيلوه أو شداى ، وبينما قوته وعدله ليستا موضع نقاش إلا أنه غير مفهوم على الأقل من أيوب ، فهو صامت وغامض .

وفى الجزء النثرى نجد أيوب رجلاً بسيطاً صالحاً ولكن فى القسم الشعرى نراه مفكراً حاد الطباع وثورى تقوده تساؤلاته العميقة إلى أكثر الأسئلة دلالة على التحرر وعدم الخضوع . وفى المقدمة يبدأ الشيطان فى تحريك المتاعب فى وجه أيوب ولكن الشيطان غير مذكور فى القصائد وفى أيوب (١ : ٥) فإن يهوه يُستعطف بتقديم الذبائح ولكن لا يعتبر ذلك فى أى موضع آخر

فإن يهوه يُستعطف بتقديم الذبائح ولكن لا يعتبر ذلك فى أى موضع آخر علاجاً سوى ما ذكر فى (٢٢ : ٢٧) ، وتقديم الذبائح غير مذكور فى قائمة فضائل أيوب فى أصحاح (٣١)

وسعادة أيوب فى النهاية كمكافأة له على البر ، يُقال إنها تتناقض مع النقطة الأساسية فى الحوار الذى فيه ينكر أيوب بإصرار أى صلة بين الاثنين ، وقيل أيضاً إن أسلوب الحوار الناضج المعقد يتناقض مع الأفكار البسيطة للقصص الشعبية .

وينادى هذا التعليق بوحدة السفر وسوف يحاول أن يبين أن لاهوت السفر متطابق من البداية إلى النهاية . ولكن اذا نجح هذا التفسير فى استعراض الوحدة اللاهوتية للسفر فإن هذه السمة لا يمكن أن تجيب على التساؤلات الخاصة بتاريخ السفر الأدبى . فتعاقب الكتاب قد يؤدى إلى خلق كتاب موحد عبر عدة مراحل مختلفة فى النهاية ، بينما قد ينتج كاتب واحد كتاباً غير متجانس .

والقراء الحديثون الذين نالوا قسطاً من التعليم الغربى سوف يطبقون لا شعورياً تلك القوانين الرسمية لاختبار وحدة السفر ، فعلى سبيل المثال ، قد يعتبرون كل العبارات المذكورة عن الله كمجموعة من الافتراضات كل منها صحيح وجميعها غير متناقضة لأنها تعليم قد أعلنه الله . فلو نجح هذا المنهج العقلى لاستطاع أن يجمع كل الأفكار التى فى السفر فى وحدة متناسقة منسجمة لم يكن الكاتب يقصدها . ويفتقد الوحدة التى كان الكاتب فعلاً يعنيها .

فكما أن لله أسماء عديدة فهكذا كل شيء يختص به ليس واحداً . هناك اتفاق واختلاف . هكذا كتب السفر ولكن هذه الملامح لا يمكن أن تؤخذ كدليل على أن السفر خليط من الآراء اللاهوتية المختلفة لعدة كتاب مختلفين . ولكن ، وبنفس الطريقة ، فإن تعليم السفر ليس محصلة لكل العبارات الواردة فيه . إن معنى السفر يوجد فى خاتمته وفى إجابة الأسئلة التى يتعامل معها بما فيها رفض الإجابات الغير مناسبة . هذا المعنى موجود فى النسيج الكلى للسفر وفى وظيفة الأحاديث الفردية داخل هذا النسيج . إن وحدة السفر حقيقية وليست من نسج الخيال ، إنها تبدو فيما يفعله الله مع أيوب لا فيما يقوله له الأصحاب .

المرحلة الثانية

لو سلمنا جدلاً بأن السفر الحالى يبدو كما لو كان عبارة عن قصة أصلية مازالت موجودة فى الأصحاحات ١ ، ٢ وفى (٤٢ : ٧ ــ ١٧) وأن السفر قد أدخلت عليه اضافات بإدخال الحوار الشعرى ، لتبادر أمامنا سؤال هو : كم من المادة الشعرية أضيفت إلى السفر فى هذه المرحلة الثانية ؟

كثير من النقاد يعرفون الحوار كله بين أيوب وأصحابه الثلاثة بأنه وحدة قائمة بذاتها موجودة الآن فى متن الأصحاحات من (٣ ــ ١٣) باستثناء أصحاح (٢٨) الذى يعبر عن مشكلة خاصة (أنظر المرحلة الخامسة) ، وملاحظات الكاتب فى (٣ : ١) و (٣١ : ٤٠ ب) تبين حدود هذا الجزء الإضافى الكبير الذى زيد على القصة الأصلية ، ولذا فإن الطبعة الثانية للسفر كانت تشتمل على الأصحاحات من (١ ــ ٣١) و (٤٢ : ٧ ــ ١٧) وقد سبق أن ذكرنا أن الحوار قد تمم على ثلاث جولات من الأحاديث مع عبارات افتتاحية وختامية بواسطة أيوب . ومع أن هذا الجزء يحتوى على أنواع مختلفة من الشعر مع فوارق فى الأسلوب واللغة والتعليم اللاهوتى إلا أن وحدة هذا الجزء من المادة الشعرية لم يتطرق إليه الشك باستثناء تغييرات طفيفة حدثت فيما بعد (المرحلة السادسة والسابعة) وقبل أن نفصل الأصحاحات من (٣ ــ ٣١) عن الأشعار الأخرى ــ الحكمة (أصحاح ٢٨) وأليهو (٣٢ ــ ٣٧) ، ويهوه (٣٨ ــ ٤١) ــ نتساءل عما اذا كانت الاختلافات داخل نطاق الحوار الرئيسي والتى لا تعد دليلاً على تعدد الكتاب ، أكبر من الاختلافات التى بينه وبين الأشعار الأخرى والتى تعد دليلاً على وجود أكثر من كاتب .

فالاعتقاد بأن أيوب (١ ــ ٣١) و (٤٢ : ٧ ــ ١٧) يكون عملاً متكاملاً يستند أساساً على العبارة الواردة فى (٣١ : ٤٠ ب) بأن أيوب قد أكمل أحاديثه وهذا يقفل الباب فى وجه أى تعليقات سواء من شخصية جديدة تماماً مثل أليهو أو من مناقشة مثيرة (أى ما يبدو أنه موضوع جديد تماماً أى قوة الله فى الطبيعة) بين الله وأيوب . والقصة تتجه فوراً نحو نهايتها البسيطة ، فيهوه يعلن أن أيوب على صواب ، إنه أى (الله) لا يشترك فى الحوار بنفسه بل يصدر حكمه بناء على الحوار الوارد فى الأصحاحات من (٣ ــ ٣١) .

لاحظ أن ما جاء فى (٤٢ : ٧ أ) يجب استبعاده ليستقيم سياق الكلام .

المرحلة الثالثة : ـــ

الدارسون الذين يعتقدون أن الحوار الأصلى قد انتهى فى (٣١ : ٤٠) يفترضون أنه فى نسخة ثالثة للسفر قد أضيفت إليه أحاديث يهوه نفسه حتى يستبعد الإيحاء بأن الله صامت فى السفر كله باستثناء نطقه بالقرار النهائى كمحاولة للرد الشافى على الحوار فى الأصحاحات من (٣ ـــ ٣١) . ولكن هذه المحاولة يقال إنها أفسدت الانتقال الطبيعى من الحوار إلى إعلان القرار النهائى عندما يرد ما جاء فى (٤٢ : ٧ ب) مباشرة بعد ما جاء فى (٣١ : ٤٠) كما فى المرحلة الثانية وليس معنى ذلك أن المادة الجديدة تؤخر نهاية القصة بل أنها تغير طبيعة القصة بأن تأخذ الحوار إلى أرضية جديدة تماماً .

وهنا نواجه سؤالاً من أكثر الاسئلة غموضاً والحاحاً فى دراسة السفر ، فما عمل أحاديث يهوه فى السفر ؟ إنها ليست بقصد تقديم إجابة أفضل على أسئلة أيوب من أحاديث أصحابه ، فكلمات الرب تبدو لأول وهلة ، ليست موجهة للرد على أسئلة أيوب بالمرة . إنها فى الواقع سلسلة من الاسئلة الإضافية .

فهذه القصائد عن الطبيعة قد رفضها البعض لأنها ليست الرد المناسب على تساؤلات أيوب وقيل إنه لا يوجد لها مكان فى السفر كله ، ولكن استبعاد هذه الأحاديث يشوه السفر ، فالقراء الذين يدركون قيمتها الشعرية الفائقة يعترفون بأنها تمثل أعلى قمة فى قمم السفر قاطبة وأن الكاتب نفث فيها أسمى مواهبه فى التأليف ، فهل يمكن أن نفترض أن اللاهوتى الرفيع المقام الذى كتب هذه الأصحاحات كان أيضاً شخصاً فجاً لم يفهم المغزى الحقيقى لقصة أيوب ؟

ولكن إذا كانت أحاديث يهوه فى موضعها السليم بعد الحوار فى الأصحاحات من (٣ ـــ ٣١) وكانت مطلوبة بسبب النهاية الغير منطقية للحوار على المستوى البشرى وإذا كانت هذه الأحاديث فى الواقع هى قمة السفر وتحوى التقرير النهائى للموضوع كله إذن فالربط الحيوى بين الأصحاحات

من (٣٨ ــ ٤١) والأصحاحات من (٣ ــ ٣١) لا يتطلب أن يكون من فعل شخص آخر غير الكاتب الأصلى بل هو جزء من خطة كاتب الحوار الرئيسية .

وأنه لمن المقرر عموماً أن أحاديث يهوه مكتوبة بنفس لغة وأسلوب الحوار بين أيوب وأصحابه مع الاعتراف بالطبع باختلاف موضوع الحديث والنغمة الحادة التى فيه . وقد أشرنا من قبل للتشابه بين تبادل الحديث المزدوج بين الله وأيوب فى هذه المرحلة وبين المقابلة المزدوجة بين الله والشيطان فى البداية .

وحدة هذا الحوار الختامى مع أيوب معترف بها على نطاق واسع ، ولكن بعض الدارسين يعتقدون أن هذا الجزء كان أقصر مما هو الآن . فباستثناء التساؤلات البسيطة الخاصة بأصالة القصيدة التى ذكرت عن النعامة (٣٩ : ١٣ ــ ١٨) والتى حدث أنها توقفت بدءاً من عدد ١٩ ، هناك مشكلتان متميزتان فإن (هولشر (Holscher) يقترح بأنه كان فى الأصل حديث واحد لله واستجابة واحدة من أيوب ، وهناك نظرية أخرى تقبل وجود جولتين من الأحاديث ولكنها تستبعد إحدى أو كلتا القصيدتين الختاميتين المطولتين عن بهيموث (٤٠ : ١٥ ــ ٢٤) ولوياثان (أصحاح ٤١) على اعتبار أن تطور هذا الجزء من السفر فى المرحلة الثالثة كان عملية معقدة بالنظر إلى تاريخه أو أن القصائد الأضافية قد وضعت فى مرحلة تالية (المرحلة الخامسة) .

وهنا نجد آراء النقاد تختلف من شخص لآخر ، فبينما يرى بعضهم أن القصائد عن هذين الوحشين تحوى كثيراً من الزخارف اللفظية المملة وأن ما جاء فى (٤٠ : ٦ ــ ١٤) عبارة ختامية رائعة يتفوه بها الله عندما يأتى وراءها مباشرة ما ورد فى (٤٢ : ١ ــ ٦) يرى الآخرون أنهما (أى هاتين القصيدتين) قد بلغا مبلغاً سامياً فى اكتمال الأسلوب ورونقه ، ويجدر الإشارة إلى أن دورة القصائد المنفردة عن مختلف المخلوقات والتى تكون أحاديث يهوه تتطور من أسئلة مختصرة مكونة من سطر أو سطرين فى مملكة الطبيعة (٣٨ : ١ ــ ٣٨) إلى قصائد مطولة حتى تصل إلى الذروة عن لوياثان تماماً كالمقطوعة الموسيقية التى تصل إلى روعتها عن الذروة ليقف أيوب مشدوها بجمالها وجلالها .

المرحلة الرابعة

بالرغم من المشاكل التى أثيرت من قبل فإن الترابط بين أيوب (١ — ٣١) و (٣٨ — ٤٢) معترف به على نطاق واسع وأبسط دليل على وحدته أنه مكتوب بيد شخص واحد ، ومع ذلك فأحاديث اليهو الموجودة فى الأصحاحات من (٣٢ — ٣٧) شيء مختلف ، فالجميع يعترضون عليها باعتبارها دخيلة على السفر وإضافتها تمثل المرحلة الرابعة والأخيرة فى تكوين السفر كما هو عليه الآن .

فمن المفترض بعد أن وصل السفر للمرحلة الثالثة أن كاتباً متأخراً وله رأى لاهوتى مختلف ويستخدم لغة عبرية مختلفة نوعاً ما كان غير مقتنع بطبيعة المجادلات التى دارت بين أيوب وأصحابه والتى لم تنته نهاية مرضية فقام بإعداد رد أفضل على أيوب من ردود أصحابه الثلاثة أو حتى من رد الرب نفسه وتعتبر هذه المقالة لهذا الكاتب أول تعليق على سفر أيوب الحقيقى نسمع فيها الرأى المستقيم ، ولكى يصل هذا الكاتب لمراجعة شاملة للسفر فإنه قد أنشأ شخصية جديدة تماماً لا صلة لها بالقصة[1] وقد أدين هذا الكاتب الحسن النية لتدخله وبأنه مفكر من الدرجة الثانية وبأنه شاعر أقصر باعاً من سابقيه وأنه قد أتلف السفر بأفكاره اللاهوتية الكئيبة وأسلوبه الفضفاض .

ولكن من ناحية أخرى فقد امتدح بسبب استعراضه الممتاز للحوار السابق ولما ساهم به إيجابياً فى السفر ، والبعض قد وجد فى ملاحظاته ، أكثر مما وجد فى أحاديث يهوه ، لقد وجد فيها قمة السفر والرسالة الرئيسية التى قصد الكاتب — الكاتب الوحيد للسفر كله — أن ينقلها للآخرين . ومن المدهش حقاً أنه اذا كانت أحاديث أليهو متلفة ومفسرة للسفر كله كما قال البعض ، أن تنجح هذه النسخة الأقل شأناً فى أن تحل محل النسخة الأصلية الأعلى شأناً والتى من المفروض أن تكون قد اكتسبت قدراً كافياً من قانونيتها .

إن سبب رفض أحاديث أليهو كأحاديث دخيلة وبلا سند يرجع لأسباب لاهوتية ولغوية تتعلق بالأسلوب والتكوين .

---

(١) كتاب (فريهوف (Freehof) سنة ١٩٥٨ يفارق فيه بين اليهو وبين شاب يهوى المسرح يأتى الى مسرح فارغ فيتظاهر بأنه يشترك فى رواية درامية بعد ذهاب جميع الممثلين .

ومن المدهش أن تعرف مقدار إنقسام الدارسين فى تقييمهم لهذه الآراء المتصارعة . فالآراء مختلفة لدرجة أن الكثير منها يمحو الأخرى ويقضى عليها ، ولا يتسع المجال هنا أن نحدد أسماء الدارسين الذين يقفون مع هذا الجانب أو ذاك .

فبالنسبة لخطة السفر نجد أن اليهو يظهر فجأة ، وبمجرد انتهائه من حديثه لا يسمع عنه مرة ثانية ، وهو يزعم أنه كان موجوداً أثناء الحديث السابق ، ولكن لم يلحظه أحد ولم يطلب أحد سماع رأيه ، وهو يزعم أن عنده حل المشكلة ، ولكن عندما يقول الله كلمته الأخيرة فى (أصحاح ٤٢) فإنه يمتدح أيوب ويذين رأى اصحابه الثلاثة ويتجاهل اليهو . ولذا فيبدو أن اليهو لم يكن طرفاً فى القصة والتى تعتبر كاملة بدونه . وهذه الآراء المستندة على هيكل القصة ليست مقنعة ، فهى تسىء فهم دور اليهو كمحام لا كقاضٍ . إنه واحد من اثنين سجل انطباعاته عما قيل فى الأصحاحات من (٣ ـــ ٣١) . إن اليهو يقدم التقرير البشرى ولكن يهوه يعطى التقييم الإلهى . ولا داعى لأن يعلق الرب على تلخيص اليهو ، فصمته ليس مشكلة ، إن هذا الصمت يشبه غياب أى نوع من تسخيف للشيطان فى النهاية .

وقد قلل بعض الدراسين من أهمية أقوال اليهو من الناحيه اللاهوتية ، ولكن آخرين قدروها حق قدرها كتعليق مطلوب لاكتمال السفر . ومرة أخرى نصادف آراء متباينة لا يجب أن نسمح أن تكون هى القول الفصل فيما يتعلق بصحة السفر من الناحية الأدبية والأسلوب أيضاً صفة يمكن أن تخلق كثيراً من التباين فى الآراء حوله . فشعر أيوب (٣١ ـــ ٣٧) يقال إنه أدنى درجة من باقى السفر[1] وإسهاب الحديث الأول فى (٣٢ : ٧ ـــ ٢٢) مصدر شكوى مشترك ، ولكن قراء آخرين وجدوا فى هذا النص الفضفاض المطول التشخيص النفسى لهذا الشاب الذى أجاد فى الكتابة . إن المؤلف الجيد لا يجعل كل الناس فى قصته يتحدثون بنفس الطريقة تماماً ، ولذا فالأسلوب المختلف لأحاديث اليهو لا تعد دليلاً على وجود كاتب آخر .

وآخر كلمة بشرية عن مشكلة أيوب قصد بها أن تكون ركيكة ضعيفة وهى برغم مزاعمها الكاذبة تقف على النقيض من كلمة الله التى هى القول

---

(١) إن (H . H . Nicholse) قاسية فى حكمها وبنوع خاص فى نقدها على هذا الجزء من السفر

الفصل والتى يحاول كاتبنا أن يدخر لها أفضل مواهبه الفنية .

والملامح اللغوية لهذا الجزء من سفر أيوب (٣٢ — ٣٧) قد اتخذت دليلاً على تجانسه مع باقى السفر كما اتخذت دليلاً ضد ذلك التجانس ، ويمكن أن ندرج العديد من الأسماء البارزة فى هذا الجانب أو ذاك . وهناك تعليقات ضخمة تفرد قوائم بكلمات وتعبيرات تتفق مع باقى السفر (دليل على التجانس والوحدة) ، وقوائم مماثلة تفرد قوائم لا توجد إلا فى هذا الجزء (دليل على عدم التجانس) ، وقيل ايضاً إنه يوجد فى هذا الجزء من سفر أيوب الكثير من المفردات الآرامية أكثر من أى جزء آخر ، وهذا يوحى بتاريخ متأخر لكتابته ، ولكن قد يفسر ذلك بأنه وسيلة أخرى يستخدمها الكاتب لإعطاء اليهو شخصية مختلفة عن الآخرين . وهناك سبب آخر للشك فى أن أحاديث اليهو قد كتبت فى وقت متأخر دونا عن باقى السفر وكرد فعل له ، فعندما ندرس الأصحاحات من (٣ — ٣١) ونحاول تتبع مجرى الحديث نندهش أن نجد أن كل متحدث فى دوره لا يبدو أنه يشير بوضوح إلى ما قاله الآخرون ، ولكن عندما نأتى إلى احاديث اليهو نجد أنها مليئة بالاقتباسات من الأصحاحات (٣ — ٣١) والاشارة إليها وبالإضافه إلى ذلك ، فقد قيل إن اليهو قد اقتبس مادة السفر كقارىء له وليس كمستمع للحوار ، ولكن اعتماد أحاديث أليهو على ما ورد فى الحوار الآخر يمكن أن يكون جزءاً من خطة الكاتب الأصلية ولا يثبت أن شخصاً آخر قد كتبها بعد ذلك (١)

المرحلة الخامسة : —

سواء كتب السفر بواسطة شخص واحد أو عدة اشخاص وسواء تمت كتابة السفر دفعة واحدة أو مر بمرحلة طويلة من التطور ، فالسفر قد اكتمل أساساً عند المرحلة الرابعة .

ويعتقد بعض الدارسين أن تغييرات أخرى أقل شأناً قد حدثت فيه منذ ذلك الحين ، وهذه التغييرات تتعلق بتاريخ النقل والنسخ أكثر منه بتاريخ تكوين

(١) من بين المدافعين عن صحة الأصحاحات (٣٢ — ٣٧) وبالتالى عن وحدة السفر كله نجد . (N . H . Snaith) فى مؤلفه (سفر ايوب : أصله وغرضه) سنة ١٩٦٨ وجوردس Gordis و W . Falbright . والكل مجمع على ان هذه الاصحاحات قد ادخلت فيما بعد بواسطة الكاتب الأصلى ولكنهم مختلفون فى سبب التغيير فى الأسلوب .

السفر مع أنه لا يوجد إتفاق على أن الشخص الذى يقوم بتغيير جوهرى يجب أن يسمى مراجعاً أو محرراً . وأهم رأى بهذا الصدد هو أنه توجد ثلاث قصائد كبيرة عن الحكمة (أصحاح ٢٨) وعن بهيموث (٤٠ : ١٥ ــ ٢٤) وعن لوياثان (٤١ : ١ ــ ٣٤) لم تكن جزءاً من أصل السفر وعلى خلاف أحاديث أليهو التى كتبت أصلاً لإدراجها فى متن السفر ، فتلك القصائد الثلاث قد قيل إنها كانت مستقلة عن السفر فى الأصل ثم أضيفت إليه عنوة دون وجه حق لأنها لا تستحق أن تضاف إليه ، وقد أضيفت بسبب تشابهها الأدبى مع باقى سفر أيوب ، وقد أوضحنا من قبل الرأى القائل بأن القصيدتين الختاميتين الطويلتين عن الطبيعة مكملتين لأحاديث يهوه . وقيل إن أصحاح (٢٨) دخيل لأنه لا يناسب المقام مع أنه منسوب لأيوب الذى يعتبر المتكلم الوحيد من أصحاح (٢٦) حتى نهاية أصحاح (٣١) إلا أنه لا يبدو أنه من ألفاظ أيوب ، فأسلوبه ونغمته الهادئة تتناقض مع حدة أحاديث أيوب الختامية ، ويدل على رضى وقناعة بطرق الله التى لا تستقصى والاكتفاء بمخافة الرب والحيدان عن الشر وتلك هى الحكمة (٢٨ : ٢٨) وتلك أشياء لم يكن أيوب قد توصل إليها بعد فأسلوبه التعليمى والصبر الذى يتحلى به شخصياته تخلق مساحة هادئة وسط خطاب أيوب الختامى العاصف ، وإعجابه ببراعة الإنسان يتناقض مع الفكرة الأقل شأناً عن الجنس البشرى الموجودة فى كل مكان بالسفر ، ومع ذلك فمن ناحية الشكل والأسلوب فلا اختلاف يذكر عن باقى السفر ، وقد رأينا من قبل أن الكاتب قد أدخل كل أنواع الشعر (وليس بالضرورة أن يكون هو كاتب كل الأشعار بنفسه) فى الحوار .

إن أفضل وصف لأصحاح (٢٨) أنه فاصل بين الحوار الرئيسى وكلمة أيوب الختامية ، ولكن ليس كجزء من فكر أيوب ذاته فى هذه المرحلة ، بل هو تعليق من الكاتب والمتكلم هو الشخص الذى يروى القصة ، وليس واحداً من شخصيات القصة .

المرحلة السادسة : ــ

ظل سفر أيوب لعدة مئات من السنين ينسخ باليد وأثناء هذا النسخ يمكن أن يحدث نوعان من التغييرات . فيعتقد كثيرون من الدارسين أنه قد مر بالسفر حدث واحد ضخم على الأقل على أيدى النساخ . فمن الغريب أنه فى الدورة

الثالثة لا يدلى صوفر بأى حديث ، وحديث بلدد قصير نوعاً .

ومن الناحية الأخرى ، فرد أيوب الختامى طويل جداً ،إذ يشمل الأصحاحات (من ٢٦ ـــ ٣١) مع وجود بدايات جديدة تجدها على شكل كلمات افتتاحية للأصحاحات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ . ولقد أشرنا من قبل إلى أن أصحاح (٢٨) قد لا يكون صادراً من فم أيوب نفسه وأحاديث أيوب الثلاثة المطولة فيه تصلح أن تكون مكملة للدورة الثالثة من الحديث فى (أصحاح ٢٦) ولإعطاء شكل كامل للحوار فى (أصحاح ٢٧) ، وبعد استراحة (أصحاح ٢٨) يأخذ أيوب المبادرة مرة أخرى فى الجزء الأوسط من السفر(١) ولكن ليست هذه هى المشكلة الرئيسية فى هذا الجزء من السفر ، فبعض الأجزاء التى يعبر عنها أيوب فى أصحاحى (٢٦ و ٢٧) تبدو مضادة تماماً لما يقوله فى موضع آخر ، فهى تشبه آراء الأصحاب الثلاثة وهى آراء طالما كان أيوب يعارضها تماماً خلال الحوار السابق ، ولا شبهة هناك بأنهم استطاعوا استمالته إلى جانبهم فى الرأى لأن حديثه الختامى يعبر عن رفضه لرأيهم بتحد وإصرار . ولتفسير ذلك اقترح بعض الدارسين بأن الأحاديث فى الدورة الثالثة قد حدث لها نوع من التشويش ، فإما أن حديث صوفر قد فقد أو أن بعضا منه على الأقل قد اختلط مع كلمات أيوب ، وقد بذلت محاولات لاسترجاع هذا الحديث المفقود ولكن صعوبة المهمة تبدو فى العدد الكبير من الحلول المقدمة . فيقدم Snaith ٢٤ خطة للاسترجاع مع حذف عدد أكبر من ذلك لتعقيد الألفاظ ، وقد قيل مراراً إن الفقرة الواردة فى (٢٧ : ١٣ ـــ ٢٢) هى جزء من حديث صوفر المفقود . فإن كان أيوب يقول ذلك فهو لا يعبر بالضرورة عن وجهة نظره هو ، فقد يكون ذلك من باب السخرية من وجهة نظر أصحابه أو بقصد رفض لتلك الوجهة (سوف نتوصل فى التفسير لنتيجة مختلفة) .

وليس هناك سبب لأن تكون الجولة الأخيرة من الأحاديث لها نفس شكل الجولتين السابقتين . فكلمات بلدد الطائشة (اصحاح ٢٥) وصمت صوفر التام بعد نهاية أصحاح (٢٦) عندما يحل دوره فى الكلام قد تكون هى طريقة

---

(١) بناء على هذه النظرية فإن حديث أيوب فى الأصحاحات من (٢٩ ـــ ٣١) يكون موازناً لحديث اليهو فى الاصحاحات من (٣٢ ـــ ٣٧)

الكاتب لإظهار انهيار الحوار[1] وفى ضوء ما جاء فى (٣٢ : ١) فإن هذا الانهيار يبين أن أيوب لم يفحمهم بل إنهم كفوا عن مجادلته لعناده الظاهر .

وقد شك البعض فى أن بعض الفقرات أو الأعداد ليست فى موضعها الأصلى ، وقد حاولت بعض الترجمات الحديثة ردها إلى مواضعها الأصلية ، فعلى سبيل المثال يعتقد البعض إن ما جاء فى (٣١ : ٣٥ ــ ٣٧) نهاية وأفضل لحديث أيوب النهائى مما جاء فى (٣١ : ٣٨ ــ ٤٠ أ)

المرحلة السابعة : ــ

ومن التغييرات الأخرى التى تحدث فى نقل النص ، التغيير فى هجاء الكلمة (سواء بالتحديث أو الإعادة للأصل) ، وتصحيح خطأ متوقع ، وفقد أو إضافه كلمة أو عبارة مألوفة ، وبالاختصار كل الأخطاء الشائعة التى يقع فيها النساخ فى نسخ المخطوطات القديمة ، وتبعاً لذلك لا نجد نسختين متشابهتين تماماً .

ومن الواضح أن التغييرات الكبيرة المشار إليها فى المرحلة السادسة والاختلافات البسيطة فى النص فى المرحلة السابقة يمكن أن يحدثا معاً فى وقت واحد .

وترجمة سفر أيوب إلى لغات أخرى جزء من تاريخ السفر الأدبى ، والطبعات المختلفة للكتاب المقدس وبخاصة الترجمة السبعينية للعهد القديم من الأدلة القيمة على صحة السفر ولكن الترجمة السبعينية أقصر من النص الماسورى وتبدو فى أحيان كثيرة مختلفة عنها .

وبعد مضى كل هذا الزمن فإن تفاصيل تلك العمليات المعقدة من النمو الأدبى للسفر والنقل المتعاقب لنصوصه لن يكون معروفاً تماماً ، والآراء القائلة بعدم وحدة السفر وتجانسه ليست قاطعة ، وبالرغم من الصعوبات العديدة فى النص العبرى فإنه من المحتمل أن يكون من أفضل النصوص فهو فى حالة جيدة . ومن الجائز أن يكون السفر كله نتاج فكر شخص واحد أما المشاكل

---

(١) يرى Davidson فى صمت صوفر إقراراً بالهزيمة

التى لا تنتهى بخصوص النص لا تمنعنا من محاولة فهم السفر ككل ، وعلى الأقل فإن ذلك هو ما سوف يحاول أن يفعله هذا التفسير .

٨ ـــ النص ولغة سفر أيوب

قام (دورم Dhorme) بغربلة النسخ بدقة بغرض نقد النص لدرجة إن ما قام به يصلح كنقطة بداية جيدة لإكمال عمله ، ومنذ عصر (دورم) أجريت عدة دراسات هامة على الترجمة السبعينية لسفر أيوب (اليونانية) وبخاصة تلك التى قام بها (هارى اورلنسكى Orlinsky) وإلى أى مدى قد خالف المترجم اليونانى القواعد اللاهوتية فى ترجمته للنصوص .

ومن أهم الأدلة المتعلقة بسفر أيوب ما قد جاء نتيجة اكتشاف الكهف الحادى عشر لوادى قمران Qumran وهو لنص آرامى لسفر أيوب وقد كان موجوداً منذ عصر المسيح ، ولغة النص توحى بأن الترجمة من الممكن أن تكون أقدم من ذلك بمائتى سنة وبذلك يكون أقدم نص آرامى ، ومن الواضح أن قيمة هذه الوثيقة فى نقد النص لسفر أيوب لا تقدر بمال . وحيث أنها لم تنشر سوى حديثاً ، فإن أثر هذا الاكتشاف بالنسبة لدراسة السفر سوف يظل ملموساً .

وسوف نلاحظ هنا أن النص عموماً يتفق مع النص الماسورى تارة ومع الترجمة السبعينية للعهد القديم أحياناً أخرى ، وذلك يؤكد قيمة تلك الترجمة ليس كشاهد مستقل على النص الماسورى السابق عليها فقط ، بل تقدم قراءات خاصة بها أيضاً ، وبذلك تعكس مرحلة ما قبل المراجعه والتنقيح ، ولا توجد نسخة يمكن أن تكون هى القول الفصل فى ذلك الوقت ، ومن هنا ترجع أهمية اتفاقها مع النص العبرى فى حالتها الراهنة فى الأصحاحات (٢٤ ـــ ٢٧) ، وهذا يعنى أنه اذا كانت التغييرات فى هذا الجزء من السفر ، المذكورة فى المرحلة السادسة فى القسم السابع من المقدمة ، قد حدثت فإنها تكون قد حدثت سنة ٢٠٠ ق . م . ، والكثير من التعديلات تظل هكذا بلا سند من الصحة بناء على هذا الاكتشاف .

واللغة التى دون بها سفر أيوب تمثل الكثير من الخواص التى يتميز بها هذا السفر دونا عن غيره . وهذه المميزات حيرت الدارسين الذين حاولوا تبريرها بطرق عدة . وهناك أربع نظريات رئيسية لتفسير ذلك . فقد قيل إن لغة السفر

إما أن تكون (أ) لهجة عبرية أصلية أو (ب) لغة تتميز بالأدب المصطنع أو (ج) خليط من العبرية ولغة أخرى أو (د) ترجمة عبرية .

(أ) والمشكلة الأولى التى يجب مواجهتها هى عما إذا كانت لغة السفر عينة حقيقية من اللغة العبرية أم لا . فإذا كانت عبرية فإنها تختلف إلى حد كبير عن مستوى اللغة السائد فى معظم أجزاء العهد القديم .

فلغة بلاط الملك داود كانت تمثل لهجة اورشليم أثناء حكم المملكة المتحدة كنموذج للأدب الاسرائيلى حتى وقت السبى ، فباستثناء النسبة الكبيرة من الكلمات الغريبة (يحوى السفر حوالى مائة كلمة غير موجودة بأى مكان آخر فى العهد القديم فإن سفر أيوب مختلف فى لغته عن مفردات العبرية الرسمية من ناحية الكلمات العادية وأيضاً تختلف فى قواعد اللغة وبخاصة فى شكل الكلمات . ولتحديد اطار اللغة التى كتب بها السفر كعينة من اللهجات العبرية فإن ذلك يتصل بتاريخ ومكان السفر ولكن لن نستطيع أن نقول متى وأين استعملت هذه اللهجة حتى نحصل على عينات أكثر من هذه اللهجة .

(ب) لقد أشرنا من قبل للتشابه بين اللغة التى كتبت بها قصة أيوب وبين تلك المستخدمة فى سرد القصص الإسرائيلية القديمة فإما أن للجميع مصدر واحد وإما أن كاتب سفر أيوب تعمد تقليد الأسلوب القديم ، والأسلوب الشعرى للحوار يمثل فى الأغلب لغة أدبية خلاف اللغة الدارجة . وبهذا الصدد فإن الأسلوب الشعرى ليس من نفس النوع المستخدم فى سفر المزامير مع الأخذ فى الاعتبار التنوع المستخدم فى أسلوب سفر المزامير .

وعلى العموم ، فإن معظم الشعر العبرى يقف على قدم المساواة على أساس من التقليد الكنعانى ولا يشذ أسلوب سفر أيوب عن ذلك . بل أنه فى حقيقة الأمر فإن سفر أيوب يستحوذ على النصيب الأكبر من الصلة بينه وبين ما تبقى من ذلك الأدب القديم(١) والأشياء التى لها أصل كنعانى فى سفر أيوب يمكن أن تكون أصيلة فيه سواء كانت قديمة فى الأصل أو من بقايا الأساليب القديمة مع أن بعضها قد يعزى للاتصال الثقافى مع الفينيقيين(٢) . ويلاحظ

(١) L . R . Fisher .. Ras Shamra Parallels

(٢) هناك عدة عصور كان يظهر فيها هذا التأثير عن غيرها من العصور كعصر سليمان وآخاب وايضاً فى وقت انتشار مبدأ العالمية (المصحوبة بدراسة الآثار القديمة) فيما قبل السبى . ولكن حتى مع صطباغ الفكر الهلينى بصبغة فينيقية عند مروره بالموانى الساحلية إلى داخل اسرائيل فإن تحديد تاريخ هلينى لسفر أيوب يعد وقتاً متأخراً اكثر من اللازم .

عند دراسة النص احتفاظه بهجاء بدائى وهذا دليل على أن للسفر تاريخ مبكر . وذلك يؤيد صحة قدم السفر ، ولكن حتى هذه الخاصية الدالة على قدم السفر يمكن أن تضاف إليه للإيهام بأنه قديم الأصل[١] . وهذا هو السبب فى عدم صحة الاستناد إلى هذه الظواهر (ولكن نفس الانطباع يمكن ان نتوصل إليه لو أن نصاً قديماً بالفعل قد حدث فيه تعديل لتحديث جزء منه) .

فمن قبيل المخاطرة أن نستنتج شيئاً عن تاريخ اللغه والأسلوب الذى كتب به السفر من شكل الكلمات أو من هجائها فى النص الحالى لأن الوقائع تحتمل العديد من التأويلات ، ومع ذلك فالبيانات تجعل تحديد وقت السبى لكتابة السفر أمراً غير محتمل الحدوث وتاريخ ما بعد السبى بعيد الاحتمال ما لم تطغى الكلمات الآرامية على الكلمات الكنعانية .

(ج) كثير من الملامح اللغوية التى تميز لغة سفر أيوب عن اللغة العبرية المثلى موجودة أيضاً فى واحدة أو اكثر من اللغات السامية .

وهاك مثل بسيط لذلك موجود فى استخدام الحرفين الأخيرين (in) [٢] للدلالة على جمع المذكر وهو استخدام موجود فى اللغه العربية والآرامية بينما تستخدم اللغه الكنعانية التى هى لغة الفينيقيين الحرفين (Im) [٣] وكلا اللفظين موجودان فى سفر أيوب ، وبينما تعتبر ال (im) استخدام مثالى فى اللغة العبرية إلا أن ال (in) تستخدم أحياناً فى العهد القديم ورودها فى سفر أيوب هذا التنوع لا يمكن أن يعزى فقط لتأثير اللغة الآرامية لأنه موجود أيضاً فى بعض القصائد القديمة واستعمالها فى اللغة الموآبية يوحى بأنها كانت لهجة منبثقة من اللغات الكنعانية الجنوبية التى كان تتكلمها الأسباط الاسرائيلية ، والشعوب الغريبة الصلة بها .

---

(١) يمكن أن نجد شيئاً شبيها بذلك فى شعر سبنسر الذى يعج اسلوبه بالألفاظ القديمة منها الأصيلة وتلك التى تدعى الأصالة وما هى كذلك .

(٢) فى العربية تستخدم (ون) او (ين) للدلالة على الجمع المذكر مثل كاتبون وكاتبين أو دارسون ودارسين .

(٣) وفى اللغه العبرية تستخدم ال (يم) للدلالة على لفظ الجمع مثل إلوهيم (المترجم)

ولذا فبينما يمكن أن تكون تلك النهايات المتنوعة لهجة شرعية داخل نطاق اللغة العبرية كما رأينا سابقاً فإن كثيراً من الدارسين يعتبرونها مع عدة ملامح أخرى مشابهة نتيجة اتصال اللغة العبرية بلغة أخرى ، ومشكلة هذه النظرية أن العديد من اللغات المجاورة تصلح كمصدر لهذا الاحتكاك وأن هناك أكثر من لغة علينا أن نلجأ إليها لتفسر لنا ذلك منها الآرامية والعربية والأدومية والفينيقية (أو صورة من صور الكنعانية) .

والفكرة بأن لسفر أيوب خلفية أدومية قديمة قدم النسخة السبعينية التى تساوى بين أيوب ويوباب ملك أدوم (تك ٣٦ : ٣٣) والنظرية القائلة بأن السفر يعتبر مثالاً لحكمة الأدوميين الشهيرة المفقودة تجد (R . H PFeiffer) كأشد المدافعين عنها ، ولكن كثيرين لم يتقبلوها لأننا لا نعرف شيئاً عن تلك اللغة ولا توجد مؤلفات أدبية من تلك الثقافة . ومنذ استعادة لغة أور فى ألواح (رأس شامرا) وقدر كبير من الأدب الكنعانى بهذه اللغة فإن مشكلة الصلات اللغوية بين تلك اللغة واللغة التى كتب بها سفر أيوب ، كتمييز لها عن الصلات الأدبية ، قد اتخذ مسلكاً آخر . فلاشك أن العديد من المشكلات التى فى السفر قد أزيلت عن طريق الاستدلال من لغة أور[1] . ولكن هذا لا يفسر لماذا نطبق هذا الدليل على سفر أيوب فمع أن للسفر نصيب الأسد من المفردات الكنعانية فذلك قد يرجع إما لتغلغل تلك الخليقة من الأدب الكنعانى فى بعض الفروع التقليدية للأدب الاسرائيلى منذ وقت مبكر أو يرجع لتأثير لاحق بذلك الأدب جاء فى الأغلب عن طريق قنوات فينيقية فى وقت متأخر والسؤال الذى سبق أن أثير فى (ب) عما إذا كان ذلك الإتصال قد أنتج لغة خليط فى مجتمع من المجتمعات ؛ ودون الدخول فى تفاصيل تلك المشكلة المعقدة الخاصة باللغات المتخلطة بما فيها لغات اولئك الذين من أصل أوروبى أو زنجى ، ولغة شبه جزيرة الملايو الذين يتحدثون الانجليزية ، فى المجتمعات التى تتحدث لغتين أو عدة لغات كتمييز لها عن المجتمعات التى تتوسع فيها المفردات عن طريق

(١) وقد استفادت ترجمة اليابا استفادة كبرى من هذا الدليل (A B) بالإضافة الى اوجه التشابه فى النواحى الأدبية واللغوية فى المجلد الأول من « رأس شاميرا وسفر أيوب » فقد اكتشفت عدة قواعد نحوية بواسطة Fr Mitchell Dahord وقد جمعها A . c . MBloomerde فى كتابه « قواعد اللغات السامية وسفر أيوب »

استعارة الكلمات من لغات أخرى . ولذلك فنحن مضطرون للاعتراف بأن كل الاختلافات بين ما ورد فى سفر أيوب وبين العبرية الرسمية لا يمكن تفسيره بأنه يرجع للمفردات الكنعانية ، وعلى الأخص فالتأثير الفينيقى لا يفسر لنا تلك الملامح الغير كنعانية كالكلمات المنتهية بـ (in) (ين) والمفردات الآرامية الواضحة . وسواء كانت أرض (عوص) تقع فى الشمال أو الجنوب (انظر التعليق على أيوب ١ : ١) فإن موطن أيوب يقع فى مكان ما فى شرق اسرائيل ، والاسرائيليون الذين يعيشون فى شمال عبر الأردن يتأثرون بالآرامية أكثر من الذين يقطنون غرب النهر حيث أن جزءاً من هذا الأقليم كان واقعاً تحت سيطرة دمشق ، أما اولئك الذين فى الجنوب فإنهم كانوا يحتكون بالشعوب التى تتحدث لغات قريبة الصلة باللغة العربيه القديمة . ولكن فى هذا الاتجاه فالاتصال كان أقل احتمالاً طالما كانت ممالك عمون وموآب وأدوم (التى كانت تتحدث لغات كنعانية جنوبية قريبة الصلة بالعبرية ويفهمها الاسرائيليون) تتوسط بين اسرائيل وبين تلك الدول العربية القديمة مثل ددان . ولدينا سبب كافى للشك فى أن لغة عبر الأردن كانت معقدة جداً . إن مثل ذلك الاختلاط بين الشعوب قد ينتج لغة خليط ولكن ليس لنا دليل قاطع على ذلك[١]

وقد وصفت اللغة العبرية نفسها بأنها خليط من عدة لغات . وهذا الموضوع محل حوار ساخن حتى أن الصعوبات الخاصة التى نصادفها فى لغة سفر أيوب يصعب أن ننسبها للمشكلة الأكبر[٢] وهناك صعوبة كبرى تتمثل فى الحقيقة القائلة بأنه كلما قارنا سفر أيوب بالثقافة الفينقية ظهر الاحتمال الأقل بأن السفر قد أخذ من ثقافات « بنى المشرق » ال Qedemites الذين ينتسب إليهم أيوب نفسه .

(د) وحيث أنه لا يمكن التوصل لجواب مقنع بشأن لغة السفر ، سواء كان لها وجود حقيقى كلغة حية أو كانت لهجة عبرية أو خليط من العبرية ولغة

---

(١) ان لهجة نقوش Panammuwa و Bar - rakib من (زنكرلى) قد قيل إنها خليط من الأرامية القديمة مع لهجات كنعانية مختلفة ، ولكن ذلك كان موضع خلاف شديد ، ونقوش (Mesha) بالمثل والغير متطابقة فى الهجاء وشكل الكلمات وقد قيل ان ذلك يرجع لاختلاط اللغة الموآبية المحلية بالعبرية . ولكن مثل هذه النصوص قليلة جداً لدرجة يصعب معها التوصل إلى استنتاج سليم .

(٢) اختلاط اللغات (المترجم) .

أخرى ، إتجه بعض الداوسين إلى نظريات تفسر السفر على أنه ترجمة غير كاملة من لغة أخرى على أنها قد تكون العربية والآرامية .

وفكرة أن سفر أيوب قد كتب أولاً بالعربية ، قد عبَّر عنها قديماً (ابن عزرا) ثم (جان جاك روسو) بعد ذلك ، وكان الأخير متميزاً لأنه لم يستطع أن يصدق بأن اليهود قادرون على إنتاج أى شىء بمثل هذه الروعة .

وفى العصور الحديثه هناك كتاب (جلوم) الذى أكد فيه أن اللغة العربية هى أساس السفر ، ومما يؤكد ذلك كثرة وجود كلمات عبرية وعربية لها نفس الأصل .

وصلة السفر باللغة العربية ليست كمشكلة التصنيف اللغوى فى لغة أور التى كثر الجدل حول صلتها باللغة العربية لقربها من اللغات السامية . فعلى مستوى اللغة فإن كثرة مفردات اللغة العربية يفيد الباحث كثيراً ، ومثل هذا الدليل يقدم عوناً كبيراً فى تفسير مفرادات اللغة العبرية[1] ولكن ليس معنى ذلك أن نستنتج أن اللغة العربية هى الأصل تماماً كالنظرية الأدومية ، فنحن لا نعرف شيئاً عن مجتمع ذى ثقافة وأُدب فى الحجاز فى القرن السادس قبل الميلاد[2]

فمن الصعب أن نصدق أن كتاباً إسرائيلياً فى الجوهر ، ووفقاً لتقليد الحكمة الكتابية قد أنتج فى مكان آخر غير الوطن الإسرائيلى وباللغة العبرية ومحاولات (جلوم) لوضع خلفية تاريخية لمكان مختار يظل ضرباً من الخيال . ومن ناحية أخرى فإن (تور سيناء) قد حاول تفسير المفردات الآرامية العديدة فى السفر بأنها نتيجة لترجمة غير مكتملة من أصل آرامى والنظرية تقول بأن اللغة الآرامية قد استخدمت فى وقت من الأوقات كلغة دولية أجنبية وقد تعلمها عدد كبير من اليهود كلغة ثانية معادلة للغتهم الأصلية ولهذا فلم يكن من الصعب على المترجم أن يترك كلمات وتعبيرات فى الأصل الآرامى يستطيع هؤلاء اليهود فهمها بسهولة . وقد طور (تورسينا) نظريته بذكاء ودراية بالغة ، وملاحظاته

---

(١) انظر (J . Barr) عن خطر الاستخدام الغير مدرب أو المدرب أكثر من اللازم للآراء الفقهية للغات السامية المقارنة لحل مشاكل العهد القديم .

(فقه اللغة المقارن ونصوص العهد القديم سنة ١٩٦٨

(٢) جلوم

العديدة على النص تلقى ضوءاً باهراً على القسم الآرامى فى السفر .

وأوجه التشابه بين العبرية والآرامية كلغتين ساميتين وثيقتى الصلة ببعضهما البعض شىء متوقع ، وتأثير الآرامية على العبرية قد أصبح بالغاً فى العصور المتأخرة مع تألق نجم الآرامية ، ولكننا نعتقد أن (تورسينا) قد تطرف فى نظريته باستنتاج أن السفر كله قد كتب فى الأصل بتلك اللغة الآرامية بسبب الجزء الآرامى فى لغة السفر[1]

٩ ــ كاتب السفر وتاريخ كتابته

نحن لا نعرف من كتب سفر أيوب أو متى عاش ، ولا مكان إقامته ، ولو أن السفر قد كتب بواسطة عدة أفراد فنحن لا نعرف شيئاً عنهم وإذا لم يكن الكاتب معلماً محترفاً للحكمة ، فليس عندنا فكرة عن وضعه فى المجتمع ، وحتى مع افتراض أنه عضو بارز من الطبقة المتميزة ثقافياً فى المجتمع فلا يمكن معرفة أية مؤسسات وراء كتابته سواء كانت بلاطاً ملكياً أو محراباً مقدساً يحرص رواده على القراءة واقتناء الكتب أو المجمع المقدس فيما بعد .

وقد افترضت عدة تواريخ لكتابة السفر على فترات تمتد من وقت موسى حتى العصر الهلينى .

والمناقشة السابقة قد أظهرت صعوبة الإجابة على هذا السؤال ويمكن تضييق هوة الخلاف فى الرأى لو استطعنا أن نضع لغة السفر فى الفترة الصحيحة من التطور التاريخى للغة العبرية . فمن ناحية نجد أن ما فى السفر من أشياء قديمة وأوجه الشبه بينه وبين الأدب الكنعانى القديم يوحى بأنه دون فى فترة مبكرة من التاريخ يعتبر عصر سليمان حداً أقصى لها ، ولكن من الناحية الأخرى إذ كانت هذه الملامح تدل على اختلاط لاحق بالفينيقيين فالمفردات الآرامية

---

(١) ويمكن أن نردف بالقول بأن (N . H Snaith) الذى يناقش المشكلة بشىء من العناية والتفصيل يختتم بالقول « فى الواقع فنحن لا نجد مفردات آرامية اصلاقاً » (سفر أيوب (.S B T) ولدراسة شاملة للمشكلة عامة أنظر قائمة الكتب التى كتبها Max Wagner وملخصه عن الدليل بشكل عام لا يؤكد الادعاء بأن سفر أيوب قد يترجم للآرامية ككل كتابات ما بعد السبى وأنه يوضح مع ذلك بأن احاديث اليهو بها ملامح آرامية أكثر من باقى السفر ولكنها لا ترقى لمستوى سفر استير والجامعة ونشيد الأنشاد .

به يمكن أن توحى بتاريخ لاحق يصل لما بعد السبى ودراسة (فريدمان) لهجاء الكلمات قد جعلت أى تاريخ لاحق للقرن السابع ق . م أمراً بعيد الاحتمال فى رأينا .

وهناك طريقة أخرى لحل مشكلة تاريخ السفر هى معرفة موقع الأفكار التى فيه من التطور التاريخى للفكر العبرى .

وهنا يصعب أن نجد مستندات دون افتراضات مسبقة ، فالسفر لا يشير إلى أى حوادث تاريخية كتلك الموجودة دائماً فى فكر أى اسرائيلى ـــ كدعوة ابراهيم والخروج والغزو والسبى .

فالمعيشة فى ظل عهد مع الله الذى قاد شعبه خلال كل ذلك التاريخ الطويل محفورة بعمق فى ذاكرة كل إسرائيلى لدرجة تصبح معها أى خلفية تاريخية ظلالاً لها ، ولا يشير السفر لأى من المؤسسات المعروفة فى إسرائيل كالملك والهيكل والأنبياء فمن المستغرب أن نجد السفر متجرداً تماماً من كل هذه الأشياء .

وقد قيل إن السبب فى ذلك أن أيوب وأصحابه ليسوا إسرائيليين ولذا فكل هذه الخلفية القومية قد تعمد الكاتب اخفاءها ليعطى لكتابه انطباعاً محايداً بل عالمياً فى عالم أممى .

ولكن شخوصه ليست وثنية ويمكن أن نحاول بنفس الدرجة من الإقناع أن نقول بأن الكاتب قد تظاهر باضفاء جو الآباء ـــ أى عالم ما قبل موسى ـــ ونجح فى إخفاء يومه وعصره بتجنب الإشارة إلى تواريخ محددة .

وحيث أن البحث عن مفاتيح فى الحوادث التاريخية الثابتة أو المؤسسات المعروفة قد فشل ، فلا يتبقى أمامنا سوى الأفكار اللاهوتية المجردة فى السفر ـــ آراه بخصوص الله والخطية والأخلاق ... الخ .

لقد استنتج من المرحلة المتقدمة من الفكرة التى يتعرض لها السفر بأن للسفر تاريخ متأخر ، ولقد زُعم على الأخص بأن الطريقة الخاطئة التى يتعامل بها السفر مع مشكلة الألم (انظر القسم العاشر من المقدمة) لا يمكن أن تتم إلا بعد تعامل المفكرين الاسرائيليين مع تلك الكارثة القومية الكبرى ككارثة السبى .

ومن ثم فالسفر قد كتب أثناء أو بعد تلك الفترة . ولكننا لاحظنا من قبل أنه لا يوجد شيء محدد فى السفر يربط ما بين معاناة أيوب وبين معاناة إسرائيل كأمة ، فليست هناك أدنى إشارة لذلك . والأسئلة التى أثارها أيوب لم تدخل عقول الناس أولاً مع انهيار الدولة اليهودية .

وكما رأينا فى القسم الرابع فإنه حتى فى خارج إسرائيل ، فإن النفوس الحساسة المفكرة كانت تبحث عن تفسير للبؤس البشرى منذ فجر الأدب ، ومشكلة البار العديم الحيلة موضوع قديم وملح فى الكتابات التاريخية الإسرائيلية . ومن زاوية أخرى فكثير من الدارسين (أمثال جراى ICC gray) يرجعون تاريخ السفر لما بعد قيام مبدأ الفردية[1] (القرن السابع ق . م) ولكن قبل قبول إسرائيل لعقيدة الحياة بعد الموت (القرن الثانى ق . م) .

ومع أننا لا نستطيع أن نناقش الموضوع كله هنا ، فنحن نعتقد أن استعمال مثل هذه الشعارات لا يمكن الدفاع عنه . إن الاعتقاد بالمسئولية الشخصية أمام الله واستمرار الحياة بعد الموت كان جزءاً من إيمان إسرائيل قديماً وكان مألوفاً تماماً للملوك ، وأول من جعل الديانة شخصية موسى (أو ابراهيم) وليس إرميا . وأهم من كل ذلك فإن إيمان أيوب بإله واحد إيمان راسخ غير متزعزع وهو متطابق مع الإعلان عن إله واحد رحيم صارم خالق ومالك وحافظ لجميع البشر ، وقد نضج هذا الإيمان فى عهد موسى ثم تطور تطوراً بسيطاً منذ ذلك الوقت فصاعداً ، فلو استبعدنا التطور للأفضل من تاريخ ديانة بنى إسرائيل وقبلنا قصة العهد القديم عن موسى كمؤسس ومتمم لعقيدة بنى إسرائيل يستتبع ذلك أن فكرة أيوب عن الله كانت شائعة فى أى عصر أثناء حكم الملوك (من القرن العاشر حتى القرن السابع ق . م) .

والمحاولات الجادة التى بذلت لتحديد زمن كتابة سفر أيوب قد تأسست على ما يعتقد بأنه اقتباسات من الأسفار الكتابية الأخرى كسفر التثنية أو إشعياء ، فمن الثابت أن السفر قد كُتب بعدهما ، وهناك فقرات عديدة فى أسفار أخرى من العهد القديم تشابه فقرات من سفر أيوب ، ولكن باستثناء هذه الأسئلة المثيرة للجدل كتواريخ الأسفار التى قيل إن أيوب قد اقتبس منها ،

---

(١) المقصود (بالفردية) هنا المسئولية الشخصيه أمام الله أى أن كل إنسان مسئول فقط عن خطاياه هو (المترجم)

فإن الفقرات المشابهة لها فى النصوص الأخرى يمكن أن تكون اقتباسات من أيوب مما يجعله أقدم من تلك الأسفار ، أو أن كليهما يمكن أن يكون قد استمد مادته من مصدر مشترك ولذا فإن مثل تلك المناقشات لا تنتهى بنتيجة محددة . وكل ما يمكن قوله هو أن سفر أيوب يمكن أن يكون قد كتب فى أى وقت محصور بين موسى وعزرا ، ورأينا الخاص والذى نقر بأننا لا يمكن أن نثبته ، هو أن مادة السفر قد تكونت أثناء حكم سليمان وأنه استقر على شكله الحالى فى عهد يوشيا وأن السفر اسرائيلى وليس يهودياً ، وقد وصل للمرحلة النهائية فى مقره فى شمال جلعاد وهذا يوحى بتاريخ ٧٥٠ ق . م قبل أن يتم إبادة هذا المجتمع على يد الغزاة الأشوريين .

١٠ ـــ مشكلة الألم فى سفر أيوب

فى قصة سفر أيوب لا يتم التعامل مع مشكلة الشر كشىء معنوى ولكن من خلال معاناة شخص . ويحاول أصحاب أيوب الثلاثة وإليهو بذل جهدهم لتطبيق مبادىء عامة على حالة أيوب ، ولكنهم لا يقدمون له يد المساعدة ، وما يقولونه لا يقبل من الله نفسه أخيراً . وتلك مفاجاة لأن مناقشاتهم لها شكل التعليم السليم . وفى الحقيقة فإن البؤس البشرى أو الشر بكل أشكاله يشكل مشكلة فقط بالنسبة للشخص المؤمن بإله واحد كلى القوة والمحبة ، فبدون هذا الاعتقاد توجد عدة تفسيرات للشر تتضمن أفكاراً أو تحجيماً إما لسلطان الله أو لصلاحه . وقد تم التعبير عن هذه الوجهة بوضوح فلسفى كما يأتى : ـــ

إذا كان الله كلى الصلاح فلا يمكن أن يسمح بوجود العنف والمرض ... الخ .

لذلك فلا بد أن هناك قيداً على قدرته فى السيطرة على مثل هذه الحوادث أى أنه ليس كلى القوة . ومن الناحية الأخرى إن كان الله كلى القوة يكون لديه سيطرة على كل ما يحدث ، ففشله إذن فى كبح جماح الشرور التى تحدث ، لابد أنه يرجع لحقيقة أنه لا يرى فيها أى خطأ أى أنه ليس صالحاً .

وقد أزعج كثيراً من المفكرين عجز الإنسانية فى وجه الكوارث الطبيعية وأقض مضجعهم ذلك الاستغلال العديم الرحمة لأولئك المطحونين والمدوسين

على يد السادة اللاأخلاقيين ذوى السلطة السياسية أو الاقتصادية ، ولذا نراهم قد فقدوا الإيمان فى صلاح الله ، وصاح أحدهم صيحته المشهورة « لو كانت عندى سلطة الله لفعلت أكثر مما يفعله الله حيال هذه الشرور » . إن تبرير معاملات الله مع البشر عمل مشروع للمسيحيين الذين يدافعون عن تلك المعاملات ، ولكن سفر أيوب ليس من هذا القبيل . إنه عن قصة رجل وعن خسارتة الفادحة وعن بحثه ثم اكتشافه ، وهذا البحث يتم وسط أهل الايمان ، فكل الشخصيات المذكورة فى السفر كالأصحاب الثلاثة وأليهو كما أن أيوب نفسه يؤمنون بإله مقتدر عادل فى كل أعماله ، والحلول التى تقع خارج هذا الإعلان الكتابى لا يتعرض لها سفر أيوب إطلاقاً . إن مبدأ تعدد الآلهة والذى يقال فيه إن لكل إله منطقة نفوذ محدودة مازال متواجداً فى صورة أبسط على شكل الاعتقاد بثنائية الكون الذى فيه يصارع الشر (ربما فى شخص الشيطان) الخير . أما الإيمان الطبيعى بعالم مغلق لا يعمل فيه الله شيئاً فقد عبُر عنه فى لاهوت الله مات ، إنه نوع آخر من الاعتقاد بالثنائية فى الكون . وحتى لو قيل عن العالم إنه خليقة الله ، فاستبعاد الله من المشهد هو نوع من الإنكار لإعلانه الإلهى ، وهو شىء يدعو للرثاء حقاً فى مقابل الاعتقاد الكتابى الصريح بأن لله المسكونة وملؤها وهو العامل والمسيّر لكل شىء فى هذا الكون .

وسفر أيوب أيضاً لا يرضى بوضع أى قيود على سلطة الله أو على صلاحه .

وكباقى أسفار الكتاب المقدس فإن السفر أيضاً يأخذ العالم بجدية فهو من صنع الله وهو مالك له ، وهو حسن ، وبينما يُسر الله بجميع خلائقه فالبشر هم أصدقاء له لأن الإنسان فقط دوناً عن سائر الخليقة يشترك مع الله فى صفة الحكمة والتى تعد صورة الله فيه . إن الإنسان يستطيع أن يحدث الله فيجيبه الله ، والوجود البشرى فى هذا العالم كخليقة الله هو المكان الذى يمكن فيه اختبار صلاح الله الذى يبدو جلياً فيه ، ومن هنا يأتى إصرار أيوب على أن للحياة معنى هنا والآن ، مع أن حياة الانسان يجب أن تفهم فى ظل الحقيقة الكاملة التى تحتضن الميلاد والزمن والموت .

ولكن هذا القبول للخليقة بفرح وهذا الإصرار على رؤية جود الله فى أرض الأحياء يبرر تردد أيوب فى تأجيل اكتفاءه وقناعته لما بعد الموت مع أنه يقبل

بثقة أن يحيا مع الله حتى بعد ذلك الحدث ألا وهو الموت .

إن المشكلة الأدبية المركزية بالنسبة لأيوب تنبع من التعليم الكتابى بأن ما يزرعه الإنسان إياه يحصد ــ فى هذه الحياة ، فمكافأة الفضيلة وعقاب الرذيلة لا يمكن أن ينتظر السماء أو جهنم ، ولكن يبدو أن المتاعب والإمتيازات لا توزع على الجنس البشرى بعدل . فالأشرار ينجحون والأبرار يعانون . والشر لا يُعاقب دائماً ــ ولا عادة ــ بمقدار الذنب . والخير لا يُكافأ دائماً أو عادة بحسب الإستحقاق . وقضية أيوب تعجل باختيار الإيمان فى أصعب أشكاله ــ الرجل البار الذى يتحمل أشد الكوارث ، كيف يمكنه هو أو أى واحد آخر أن يستمر فى الإيمان بأن الله حق وعادل فيما يعلمه أحياناً للناس ؟ ! فلا شك أن الله ــ والله وحده ــ هو المسئول عن كل ما جرى لأيوب ، فلا يمكن وضع اللوم على الطبيعة ، أو الشيطان لأن هذه الأشياء جزء من خلائقه .

وتجدر ملاحظة أن الحل الذى اعتبرته الديانات الشرقية مغرياً ألا وهو التعويض عن المظالم التى يتعرض لها الإنسان فى هذه الحياة عن طريق حياة أخرى فى المستقبل عن طريق التناسخ ، لا دخل له بالفكر الكتابى الذى لا يؤمن إلا بوجود إنسانى واحد فقط فى التاريخ لكل واحد . ويجب أن نلاحظ أيضاً أن سفر أيوب لا يلجأ لفكر كان وما زال عظيم الأهمية فى الفكر المسيحى الغربى منذ انتصار أوغسطينوس على بيلاجيوس . فعقيدة الخطية الأصلية والفساد الموروث للجنس البشرى إذا سُمح له بأنكار أى احتمال للصلاح فى السلوك البشرى يجب أن يتعارض مع الافتراض المبدئى لسفر أيوب بأن بطل القصة كان رجلاً « باراً ومستقيماً » (١ : ١) . أما أصحاب أيوب فهم الذين استنتجوا كما يجب أن يستنتجوا لكى يدافعوا عن الاعتقاد بأن كل إنسان يحصد ما يزرعه ، بأن أيوب يكفر عن خطاياه . وعلى هذا الأساس فليس هناك ما يسمى برجل بار وأنه لا أحد يتلقى العقاب الذى يستحقه بل أن الجميع ينالون عقاباً أقل بكثير مما يستحقون . أما إصرار أيوب على كماله إذن فلا يعدو أن يكون من قبيل الرياء فقط مضيفاً خطية أخرى إلى خطاياه ، هكذا قال أصحاب أيوب رافعين راية الاستقامة فى الرأى والعقيدة . فلا عجب إذن أن المعلقين الذين تتحكم تفسيراتهم عقيدة السقوط وفساد كل فرد فى الجنس البشرى قد انضموا لأصحاب أيوب ونادوا بأن غرض الله من تجربة أيوب إرجاعه للتوبة . ولكن مثل هذه التفسيرات تصطدم بكلمة الله ذاتها

التى أكدت بأن أيوب « بار ومستقيم » وأن أيوب ، لا أصحابه ، كان على صواب فيما ذهب إليه فى المناقشة والسجال الذى دار بينهما . أى أن أيوب كان على حق ، ولكنه ليس من البر الذاتى فى شىء أن يصر أيوب على كماله وفى شكواه من أنه لا يستحق هذا الألم ، وفى أن يطلب من الله نفسه تفسيراً لعدالته وسط هذه المعاناة التى لا مبرر لها . إن سفر أيوب يفقد معناه إذا كان بر أيوب مصطنعاً وليس حقيقياً .

واشتمال السفر على أحاديث أيوب الختامية يعتبر مدهشاً أيضاً لسبب آخر فهى تخرس ألسنة أولئك المنافقين الذين ينادون بغموض أعمال الله والذين يقولون بتهكم « ليس من حقنا أن نستفسر عن طرق القدير » وهذا بالضبط ما يفعله أيوب ، والله يقول إنه بار فى ما يفعله ، فالرب يرحب بممارسة الحكم الأخلاق من جانب الإنسان حتى وإن كان ذلك الحكم لقياس عمل من أعمال الله ذاته .

إن الظلم الظاهرى من جانب الله قد يُرى فى ذلك النصيب من الشرور الذى يأتى على الكثيرين من خيار الناس ، والأختبار والتجربة تثبت تعارض التعليم القائل بأن ما يزرعه الإنسان فإياه يحصد ، فداخل الإطار المقبول للاعتقاد الشائع بأن الله ملك وعادل يقدم أيوب والمتحدثون معه معظم الحلول المقدمة فى الكتاب المقدس لهذه المشكلة ، فعندما ينجح الأشرار ويعانى الأبرار فالمطلوب هو شىء أكبر من التعليم البسيط للثواب والعقاب ، والكتاب المقدس بما فيه سفر أيوب يقدم عدة طرق واضحة لالتقاء الألم البشرى مع عدالة الله . ومعظم هذه الحلول نجدها على شفاه أصحاب أيوب ولكن أيوب يجدها غير كافية . ولكن إذا كانت غير كافية ، وإذا كانت لا تنطبق على حالة أيوب بنوع خاص ، فهذا لا يعنى أنها خاطئة . وما يجعل تصارع الأفكار مأساوياً هو أن هذه الآراء سديدة وصحيحة وأن الحجج مقنعة . وقد جعل الكاتب أيوب يصطدم بأناس من لحم ودم . وإلى ذلك الحد ينتهى الجدل بعبارة يقر بها أليهو .

إن عهد يهوه مع بنى إسرائيل قد وضع طريقين أمام الشعب ـــ الحياة عن طريق الطاعة أو الموت عن طريق العصيان .

والارتباط بين هذين الشيئين أو إرجاع النتائج إلى أسبابها معبر عنه فى

البركات واللعنات المذكورة فى ذلك العهد (لاويين ٢٦ ، تثنيه ٢٧ — ٣٠) وبالاختصار فأنت تحصد ما تزرع (غلاطيه ٦ : ٧ ، مزامير ٣٤ : ١١ — ٢٢ ، رسالة بطرس الأولى ٣ : ١٠) هذه هى نقطة البداية فى كثير من التعاليم الكتابية أنها ليست تهديدات وإغراءات ، ووعد ووعيد ، إن القانون الأخلاقى الذى يدير به الله دفة الكون يتطلب أن تؤدى صحة الحق إلى السلامة وخطأ الباطل إلى الكارثة .

ولكن العلاقة بينهما ليست واضحة دائماً والحياة أكثر تعقيداً من هذه المعادلة البسيطة . فالمعاناة البشرية هى أكثر من مجرد نظام للثواب والعقاب ، والأتقياء إذ يطلبون التفكير فى هذا السر تملؤهم الحماسة للدفاع عن شخصية الله ضد التشويه قد توصلوا إلى أن المظاهر الخارجية قد لا تعطى صورة حقيقية لما كان يحدث بين الله والإنسان ، والنجاح المادى للشرير ليس دليلاً على سعادته والسماح به ليس من قبيل السهو والنسيان ، فالأغنياء بؤساء حقاً لأن الثروة غير مضمونة وعابرة ، فإذا كانت قد جمعت بغير حق فإن ضمائرهم دائماً فى خوف من يوم للحساب وعلى النقيض فإن الفرح الداخلى للبار لا يمكن القضاء عليه بمظاهر البؤس الخارجى لأن صلته بالله لا يؤثر عليها أى تغيير نتيجة للظروف (مزمور ٧٣) وقد حُكم على أيوب بمثل هذه التجربة ، أما ثورة أيوب على ذلك فليس لها مبرر ، ولكن الله لم يترك كل فرد بمعزل عن كل شىء حتى يجد سعادته وتحقيق ذاته فقط فى الاتحاد بالله نفسه . لقد خلق الله لكل إنسان عائلة وأصدقاء وممتلكات وعمل يؤديه . ولكن التقوى الكاذبة فقط واحتقار الأشياء باعتبارها شر (هرطقة المانويين) ، واحتقار العواطف والازدراء بها كنوع من الضعف (خطأ الرواقيين) كان يتوقع من أيوب تجلداً لا يلين ، وحصانة لا تتأثر بالخسارة والألم . إن أيوب يحزن على حرمانه من أشياء كثيرة وهو على حق فى ذلك ، ويكتئب وهو محق نتيجة لمرضه . إنه إنسان بشرى . والهدوء الذى لا يعكر صفوه شىء والذى يصنعه البعض كهدف « للحياة المنتصرة » ينفى كل اختباراتنا كما خلقها الله . إن أيوب يحيا حياة كاملة والهدوء الذى يحققه المرنم (مزمور ٧٣ : ٢٣ — ٢٨) والذى يحققه أيوب أيضاً فى النهاية لم يتم التوصل إليه إلا عن طريق وكنتيجة للألم والمعاناة الرهيبة .

ويبحث الناس عن تفسير للألم سبباً ونتيجة فينظرون للخلف بحثاً عن علاقة

بين خطية سابقة ومعاناة حالية . والكتاب المقدس ينظر للأمام فى تفاؤل ويبحث عن تفسيرات ، إنه لا ينظر للأسباب بل للأهداف . إن الغرض من الألم يُرى لا فى السبب بل فى نتيجة الألم . « فالرجل ولد أعمى حتى تظهر أعمال الله فيه » (يوحنا ٩ : ٣) ولكن فى بعض الأحيان لا يخرج الخير من البشر ، وينتظر الناس عبثاً ، ويضيقون بطول أناة الله ، وتخونهم شجاعتهم ويفقدون إيمانهم أحياناً . والكتاب يمتدح طول أناة الله ، فأعمال عدله طوال عصور التاريخ تتطلب أحياناً قروناً عديدة تستغرق فترة وجودنا فى الحياة .

ومن الأسهل علينا أن نرى يد الله فى أعمال فورية ومبهرة ، والخاطىء الذى لا يجد عقاباً فورياً من المحتمل أن يستهين بإمهال الله فى تنفيذ عدله معتبراً ذلك دليلاً على عدم مبالاة الله أو أو على غيابه عن مسرح الحياة . فعلينا أن نصبر كالله نفسه لنرى النتيجة النهائية أو لنستمر فى الحياة بالإيمان دون أن نراه ، ففى وقته سوف نحصد إن كنا لا نكل .

ولذا ففى الكتاب المقدس فقرات تؤجل القرار الأخير فى المظالم الحالية فى عالم الله إلى لحظة الدينونة النهائية أو إلى فترة فيما بعد التاريخ نفسه ، وسفر أيوب يتحرك فى هذا الاتجاه ولكن اهتمامه منصب على هذه الحياة أساساً . فعند وقت معين سوف ينال الأشرار ما يستحقونه من جزاء ويجد الأبرار الإنقاذ والتعويض المناسب . وهذا التعليم الذى عبر عنه صوفر فى سفر أيوب (أصحاح ٢٠) كان بمثابة امتحان لإيمان أيوب ، فهو لا يستطيع أن ينتظر إلى ما لانهاية ليرى تحقيق العدالة ، وهو يعارض صوفر بشدة (أصحاح ٢١) وحتى إذا ما وضعت الأمور فى نصابها فيما بعد فهل ذلك يمكن أن يحقق التوازن فى المعاملة السيئة التى تلقاها الناس قبل هذا التصحيح الأخير ؟ إن الرد الكتابى هو أن الله ــ والله وحده ــ يمكن بحق أن يحول الشر إلى خير حتى أنه ــ بأثر رجعى ــ يُرى أنه فعلاً قد أصبح خيراً دون التقليل من حقيقة الشر المرعبة التى سادت فى الماضى . فإذا كان سفر أيوب لا يستطيع أن يصل إلى هذا البعد المستقبلى فذلك يرجع فى الأغلب إلى ما حققه يسوع المسيح من إنجاز ، لأن فى المسيح صار أعظم الشرور ــ كخيانة وصلب إبن الله ــ أعظم خير لكل الجنس البشرى . ويرى أيوب جزءاً من الحقيقة بتعليمه إنه عندما تنتهى التجربة فإن المتألم سوف يقدر التجربة حق قدرها بطريقة جديدة بسبب ما تعلمه .

فليس الألم عقابياً أو تصحيحاً دائماً ولكنه يمكن أن يكون مهذباً ومعلماً لنا . إنه إنذار وتحذير . وهذه حكمة شائعة (أمثال ٣ : ١١) (عبرانيين ١٢ : ١٢ أ) وهذا ما يؤكده اليفاز (أيوب ٥ : ١٧) وبشكل خاص أليهو . إن الألم علاجى ووقائى .

إن مثل تلك الردود على سؤال أى إنسان (لماذا أتألم ؟) تتعلق بالفرد ، إنها ردود قيمة ونافعة لأنها تأخذ الإنسان مأخذ الجد فى علاقاته الأخلاقية بالله ، ولكن الإنسان ليس منعزلاً عن الآخرين ، فالكتاب المقدس يصور الإنسان ككائن فردى واجتماعى ، وقد أكد كل من إرميا وحزقيال هذه المسئولية الفردية ، ولكن ذلك ليس الحقيقة الوحيدة بل قيل ذلك لتصحيح خطأ أولئك الذين اقتبسوا مثلاً عن المسئولية الجماعية (الآباء أكلوا الحصرم وأسنان أبنائهم ضرست) وذلك لتجنب اللوم ، ولا تكتمل الصورة عند أى من الجانبين . فكل إنسان مسئول مسئولية مباشرة أمام الله ، ولكن الإنسان لا يقف وحيداً . فإنسان واحد يخطىء فيتحمل الجنس البشرى كله عواقب خطيته وينتفع كثيرون بصلاح إنسان واحد بأكثر مما ينتفع هو ، فكل واحد مرتبط بالآخرين ، فالجميع متشابكون فى علاقات بشرية متداخلة . وألم أى أنسان لا يمكن أن يكون خاصاً به وحده تماماً سواء فى الأسباب أو النتائج . والكتاب المقدس يعترف بحقيقة أن نتائج الشر موروثة من أسلافنا ونشارك فيها أبناء جيلنا ونورثها نحن بالتالى لأحفادنا . وهذه الحقيقة الأكيدة تنطبق على جميع المشاكل التى نصادفها فى الحياة . فإذا كان الألم والبلوى عقاب الخطية فلماذا يتألم أيوب بسبب أخطاء شخص آخر غيره ؟ إن أيوب يعرف أن متاعبه سببها فعلة الشر وقوى الطبيعة والمرض وهى أشياء يمكن أن تصيب أى واحد . ونحن نعلم أن وراء تلك الحوادث يوجد حقد الشيطان ، ولكن وراء الكل ، ما تصعب رؤيته ، عدالة الله ومقاصده الصالحة . ومع ذلك وبالرغم من هذه الأفكار المقلقة ، فجانب من الإجابة ، أن يتقبل الشخص بمحض اختياره الألم كضريبة يدفعها لأجل حرية الآخرين . فقد يثوب المرء لرشده عندما يتذكر مناسبات سبب فيها الأذى للآخرين عمداً أو إهمالاً وعندما يميل إنسان للشكوى قائلاً« ولماذا لم يمنع الله فلاناً من إلحاق الأذى بى ؟ »، يمكنه أن يسأل نفسه عما يمكن أن تكون عليه الحياة لو أصاب الشلل ذراعه مثلاً فى كل مرة يرفع فيها هذا الذراع لتسديد ضربة غاضبة أو ليسرق .

إن جانباً من الإجابه على مشكلة الألم أنه من الممكن لشخص ما أن يشارك فى أثقال الآخرين ، والثمن المدفوع هو الألم ، ولكن إذا تم ذلك بدافع المحبة فإن مثل ذلك الألم يصبح أنبل عمل يمكن أن يقوم به إنسان . ونرى ذلك بوضوح فى سفر أيوب . فإن يكون الألم اختيارياً ومن أجل الآخرين فذلك يعد من أعجب وأسمى الحقائق المعلن عنها فى الكتاب المقدس ، فتحمل الخطأ بصبر يمكن أن يلحق الهزيمة بالشر عن طريق المحبة ، فالمتألم يمكن أن يكون مثالاً يحتذى به فى تقوية الآخرين ودعم إيمانهم ، ومصائب الحياة يمكن أن تجعل الإنسان يفيض رقة وعذوبة ، ويمكن كذلك أن تجعله ناقماً ساخطاً ، والمؤمن لا يصلب عوده حتى يدخل البوتقة لتصفيته وتنقيته ، وإلا فإنه يظل معدناً ضعيفاً هشاً .

ويمكن أن يكون الألم نيابة عن الآخرين ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود . وهنا وجب الإقرار بأن هذا الجانب من إعلان العهد القديم الذى نجد التعبير عنه بأكثر وضوح فى (إشعياء ٥٢ : ١١ ـــ ٥٣ : ١٢) لا نجد له أثراً يذكر فى المناقشة الدائرة بين أيوب وأصحابه ، والكتاب المقدس يحاول أن ينبر على حقيقتين على طرفى نقيض تصطدمان ببعضهما فى سفر أيوب . فالألم هو الثقل المشترك لجميع الناس ، وهو أيضاً الثقل الوحيد المفروض على كل إنسان على حدة ، والكتاب يصف الألم بأنه عقابى وتصحيحى ومثالى ونيابى .

فمن ناحية فالألم مصدره الله العادل ومن الناحية الأخرى فيمكن أن يقبله الناس بدافع المحبة . وهذه الحقائق يجب تأكيدها بحساسية فائقة كرعاة للشعب لتصبح حقيقه يضعها كل متألم نصب عينيه .

ومن المدهش أن تتحول هذه الحقائق الثمينة إلى حديث غث مبتذل على السنة أصحاب أيوب بدعوى التقوى الكاذبة ، وعبثهم لا يبطل أقوالهم فالحقائق التى قيلت فى أحاديثهم لا يمكن أن نضرب بها عرض الحائط دون ترك الكون مسرحاً للفوضى ، فهى سليمة تماماً من كل وجه . وتعليم الكتاب المقدس واضح (الله لا يحابى بالوجوه) « وهو يجازى كل واحد بحسب أعماله » وهنا يبدأ العدل ولكن لا تنتهى المحبة هنا ، فتلك الحقائق لا تغطى

كل شيء وهي بالتأكيد لا تنطبق على أيوب ـــ كما يعلم هو وكما يعلم الله وكما نعلم نحن القراء أيضاً . ولكن أصحاب أيوب لا يمكنهم رؤية براءة قلب أيوب كما يراها الله ، ولا يمكنهم أن يروا مقاصد الله الحسنة ولا حتى أيوب يراها . إنهم يجب أن يستفيدوا من التعاليم اللاهوتية إلى أقصى حد كما يجب علينا نحن أيضاً . إن أصحاب أيوب كانوا على دراية جيدة ولكنهم كانوا يرتئون أكثر مما ينبغي . فقصة أيوب كانت حالة خاصة لا تنطبق عليها القواعد العامة . ولا يمكن أن يعالج حالته سوى صوت الله من وسط العاصفة وعندما يحدث ذلك فإن أيوب يحتفظ بالسر .

فبعد التوصل إلى أقصى فهم بشرى للإعلان الإلهى ـــ لأننا يجب أن نتذكر أن الفهم الكتابى لأصحاب أيوب كان ممتازاً ـــ نجد المشكلة العويصة للألم الذى عاناه أيوب دون استحقاق . إن قضية أيوب تفتح عيوننا على آفاق جديدة تماماً ، فهناك مساحة شاسعة من البؤس البشرى لا هو بالعقابى ولا بالعلاجى ولا بالنيابى عن الآخرين . إنه ألم بلا معنى . فالإجابة عن السؤال : « من أخطأ هذا الرجل أم أبواه حتى ولد أعمى » كانت « لا هذا ولا أبواه » (يوحنا ٩ : ٢) ، « لم يخطىء أيوب » (أيوب ١ : ٢٢) . فإدانة البائس كشخص مرفوض من الله يدل على منتهى القسوة البشرية . إن أصحاب أيوب وهم يحاولون قدح زناد فكرهم لمساعدته على الشفاء الروحى قد زادوا من آلامه دون قصد ، فما يحتاجه أيوب هو العطف لا النصيحة ، وعجز أيوب كان مثاراً للإشفاق . فلو أنه أخطأ لأمكنه أن يتوب ولكنه لا يستطيع أن يخترع خطايا وهمية ليتوب عنها ، ولذلك لا يمكنه أن يفعل شيئاً حيال ذلك سوى أن يصرخ إلى الله من الأعماق (مزامير ١٣٠ : ١) ففى ثورة الغضب هذه كان وحيداً حتى اكتشف إن الله لم يتركه نهائياً . ولكنه ـــ كيسوع المسيح ـــ لم يتلق فى البداية ـــ ولكن ليس لمدة طويلة ـــ أى إجابة على صرخته : « إلهى إلهى لماذا تركتنى » ، ولكن طريق الجلجثة يصبح الطريق إلى الله . وقد دفعت مريم ثمناً باهظاً لكى تصبح أما لابن الله ، فقد اجتاز فى نفسها سيف (لوقا ٢ : ٣٥) ، فلم تستطع أن تتجنب ألماً كان أيضاً امتيازها المقدس وفرحها . فالمتألم البرىء هو أقرب البشر إلى الله من دون سائر الخليقة كلها .

وقد يتساءل المرء عما إذا كان هناك طريق إلى النور سوى طريق الألم .

وقناعة أيوب النهائية ورضاؤه يظلان بلا تفسير إذا لم يجد فى وادى ظل الموت مكاناً للنمو الروحى . والكتاب المقدس وبخاصة العهد الجديد يرى وجهان لهذه المناسبة ، فمن وسط آلام الترك من الله تأتى التعزية التى تصل لجميع شركاء طريق الألم (كورنثوس الثانية ١ : ٣ ــ ٧) . فالعار الذى لا يحتمل فى الوقت الحاضر سوف يصبح شرفاً مقدساً لا يدانيه شرف عند تذكر هذا الألم . فموسى فى أرض مديان ، وداود فى مخبأه وإرميا ويوسف فى السجن ، ودانيال فى جب الأسود وبولس فى أكثر من سجن ، وأيوب فى أسواق المدينة ، كل اولئك تبدو شمس حياتهم قد قاربت على الغروب ، فهناك الانتظار الممل لسنين عديدة ، وهناك صمت الله ، ولكن النجاة قد جاءت فى النهاية ومعها الشكر لله من أفواه أناس لم يتسلل اليأس يوماً لقلوبهم .

إن أبطال الإيمان فى (عبرانيين ٢) كانوا ممن تحملوا الألم وقد مات كثيرون منهم دون نجاة « ولكن كل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن ، وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » (عبرانيين ١٢ : ١١) وهذا ليس من ترتيب أحد لنفسه ليحص على فوائد روحية ولكنه من تدبير الله . لا أحد قد اجتاز مرحلة التأديب هذه يتمنى أن يجتازها ثانية ولكن لا أحد قد اختبر ما فعله الرب مع أيوب عاقبه الرب معه (أنظر يعقوب ٥ : ١١) لا يتمنى أن يجتاز من نفس الطريق .

إن جسد يسوع سيظل إلى الأبد يحمل آثار الصليب ، وهذه الآثار ستظل سبب فخر ومجد له . وإذا كانت آلام أيوب صورة مصغرة لآلام الفادى العظيم فتلك الآلام ستظل ماثلة أمام تابعيه حتى اليوم كى يدخلوا فى « شركة آلامه » (فيلبى ٣ : ١٠) ، ولتتمم بفرح ما هو مطلوب « لإكمال نقائص شدائد المسيح » (كولوسى ١ : ٢٤) ، لأن يسوع هو الرائد الأعظم لهذا الطريق « رجل أوجاع ومختبر الحزن » (إشعياء ٥٣ : ٣) . فجثيمانى كان اختباراً بشرياً خاصاً به ولكن آثاره قد امتدت إلى كل الناس فى عمقها وقوتها الشافية . لقد سحقته أثقال همومنا ، وما كان يتوق إليه أيوب بشغف قد تم فعلاً . فالله نفسه قد شاركنا فى وحدتنا القاسية المريرة « إذا كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى » (عبرانيين ٥ : ٧ ــ ٩) ، فكل (معانى) الألم تلتقى فى المسيح ، فقد دخل منطقة ألم مهيأة له وحده . فلا أحد يمكنه أن يتحمل خطية شخص آخر ولكن يسوع حمل خطايا الجميع ، وكبديل

عن جميع الخطاة كانت آلامه عقابية متحملاً عقوبة الموت لأجل الخطية . وكانت أيضاً مشاركة حقيقية كاملة لحالتنا البشرية تدفعها محبة قدمت نفسها بالتمام فى بوتقة الألم .

وكون الرب نفسه قد تحمل كل عواقب الشر الوخيمة دون ذنب اقترفه يعطى جواباً ختامياً على أيوب وعلى كل (أيوب) آخر من بنى البشر . ويعد أيوب من شركاء الرب فى تحمل الألم كالمتألم البرىء .

التحليل

أولاً — إمتحان أيوب (١ : ١ — ٢ : ١٣)

أ — استقامة أيوب (١ : ١ — ٥)

ب — الامتحان الأول (١ : ٦ — ٢٢)

١ — المقابلة الأولى (١ : ٦ — ١٢)

٢ — الكوارث الأولى (١ : ١٣ — ١٩)

٣ — رد الفعل الأولى لأيوب (١ : ٢٠ — ٢٢)

ج — الامتحان الثانى (٢ : ١ — ٢٠)

١ — المقابلة الثانية (٢ : ١ — ٧ أ)

٢ — مرض أيوب (٢ : ٥٧ و ٨)

٣— رد فعل أيوب الثانى (٢ : ٩ و ١٠)

د — وصول أصحاب أيوب (٢ : ١١ — ١٣)

ثانياً — الحوار بين أيوب وأصحابه (٣ : ١ — ٢٧ : ٢٣)

أ — نحيب أيوب (٣ : ١ — ٢٦)

ب — الجولة الأولى من الأحاديث (٤ : ١ — ١٤ : ٢٢)

١ — اليفاز (٤ : ١ — ٥ : ٢٧)

٢ — أيوب (٦ : ١ — ٧ : ٢١)

٣ — بلدد (٨ : ١ — ٢٢)

٤ — أيوب (٩ : ١ — ١٠ : ٢٢)

٥ — صوفر (١١ : ١ — ٢٠)

٦ — أيوب (١٢ : ١ — ١٤ : ٢٢)

ج — الجولة الثانية من الأحاديث (١٥ : ١ — ٢١ : ٣٤)

١ — اليفاز (١٥ : ١ — ٣٥)

٢ — أيوب (١٦ : ١ — ١٧ : ١٦)

٣ — بلدد (١٨ : ١ — ٢١)

٤ — أيوب (١٩ : ١ — ٢٩)

٥ ـ صوفر (٢٠ : ١ ـ ٢٩)
٦ ـ أيوب (٢١ : ١ ـ ٣٤)

د ـ الجولة الثالثة من الأحاديث (٢٢ : ١ ـ ٢٦ : ٤)
١ ـ اليفاز (٢٢ : ١ ـ ٣٠)
٢ ـ أيوب (٢٣ : ١ ـ ٢٤ : ٢٥)
٣ ـ بلدد (٢٥ : ١ ـ ٦)
٤ ـ أيوب (٢٦ : ١ ـ ١٤)

هـ ـ حديث أيوب الختامى (٢٧ : ١ ـ ٢٣)

ثالثاً ـ وقفة تأمل (٢٨ : ١ ـ ٢٨)

رابعاً ـ أيوب وأليهو (٢٩ : ١ ـ ٣٧ : ٢٤)

أ ـ أيوب (٢٩ : ١ ـ ٣١ : ٤٠)
١ ـ حالة أيوب السابقة (٢٩ : ١ ـ ٢٥)
٢ ـ حالة أيوب الراهنة (٣٠ : ١ ـ ٣١)
٣ ـ تحدى أيوب النهائى (٣١ : ١ ـ ٤٠)

ب ـ أليهو (٣٢ : ١ ـ ٣٧ : ٢٤)
١ ـ مقدمة (٣٢ : ١ ـ ٥)
٢ ـ حديث أليهو الأول (٣٢ : ٦ ـ ٣٣ : ٣٣)
٣ ـ حديث أليهو الثانى (٣٤ : ١ ـ ٣٧)
٤ ـ حديث اليهو الثالث (٣٥ : ١ ـ ١٦)
٥ ـ حديث أليهو الرابع (٣٦ : ١ ـ ٣٧ : ٢٤)

خامساً ـ يهوه وأيوب (٣٨ : ١ ـ ٤٢ : ٦)

أ ـ الجولة الأولى (٣٨ : ١ ـ ٤٠ : ٥)
١ ـ يهوه (٣٨ : ١ ـ ٤٠ : ٥)
٢ ـ أيوب (٤٠ : ٣ ـ ٥)

ب ـ الجولة الثانية (٤٠ : ٦ ـ ٤٢ : ٦)

١ ـــ يهوه	(٤٠ : ٦ ـــ ٤١ : ٣٤)
٢ ـــ أيوب	(٤٢ : ١ ـــ ٦)
سادساً ـــ الخاتمة	(٤٢ : ٧ ـــ ١٧)
أ ـــ حكم يهوه	(٤٢ : ٧ ـــ ٩)
ب ـــ استعادة أيوب لكل شيء	(٤٢ : ١٠ ـــ ١٧)

التفسير

١ ــ إمتحان أيوب (١ : ١ ــ ٢ : ١٣)

أ ــ استقامة أيوب (١ : ١ ــ ٥)

بالنسبة للاسرائيلى الساكن غرب وادى نهر الأردن كان شيء عبر النهر يعتبر شرقاً (Qedem) (عدد ٣) على امتداد الطريق من مديان فى الجنوب (قضاة ٦ : ٣) إلى آرام أرض المشرق فى الشمال (تكوين ٢٩ : ١) وقد جاء إلى هذا المكان اللاجيء السياسى سنوحى المصرى حيث أقام هناك فى المنفى وقد أتى أيضاً هنا أولاد إبراهيم من سراريه للبحث عن لقمة العيش (تكوين ٢٥ : ٦) ، لقد كانت هناك قمة الحضارة محاطة بجو من الرومانسية ولكن كانت أجزاء منه متبربرة وقد جاء منها غزاة يهاجمون الساكنين فى أمن من بنى إسرائيل ويقلعون غلة الأرض ويهلكون المواشى والأغنام . (قضاة ٦ : ٣ و ٣٣ ، ٧ : ١٢ ، ٨ : ١٠) . وبدوره كان ذلك الإقليم معرضاً لغارات من عصابات تسكن بعيداً كالسبئيين والكلدانيين (أيوب ١ : ١٥ و ١٧)

و لم يكن ذلك الإقليم مجرد صحراء لأنه فى الأماكن الخصبة كان ينمو الزرع وتوجد المدن فى بعض الأوقات المزدهرة ، وكان يمكن أن ترى الراعى المتنقل جنباً إلى جنب مع الفلاح وأحياناً يقوم شخص واحد بالشيئين معاً أى بالرعى والزراعة . هنا عاش رجل ..... اسمه أيوب .

وبلاد المشرق (Qedem) كلمة لا يمكن أن تطلق على إقليم أو منطقة بعينها بل هى تشمل كل المناطق المتاخمة الإسرائيل شرقاً . هنا كانت تقع الأراضى المجهولة لبنى شعبه (عدد ٢٢ : ٥) ، وأرض عوص (ايوب ١ : ١) ، وطوب (قضاة ١١ : ٣) وشعوب مديان وعماليق وأدوم فى الجنوب ، وموآب وعمون إلى الشرق والآراميين فى الشمال (إشعياء ١١ : ١٤ ، عدد ٢٣ : ٧) . فبالإضافة إلى الشهرة التى اكتسبتها تلك الأرض من بلعام لعراقته (عدد ٢٣ : ٧) فقد كانت تشتهر أيضاً بالحكمة (ملوك الأول ٤ : ٣٠) . ونحن لا نعرف أين كان موطن أيوب فى تلك البقعة الشاسعة من الأرض تجاه أرض إسرائيل ، وتربط بعض الفقرات الكتابية بين عوص وأدوم (إرميا ٢٥ : ٢٠ ، لاويين ٤ : ٢١) ، وهناك فقرات أخرى تربط بين عوص وآرام (تكوين ١٠ : ٢٣ ، ٢٢ : ٢١)

وحيث أنه لم يُذكر عن سبط أيوب أى شيء فنحن لا نعلم إذا كان إسرائيلياً

من عبر الأردن أم لا ، ولكنه كان بلا شك مؤمناً بإله إسرائيل . إن موطناً فى الشمال الشرق لبحر الجليل يتفق مع أسلوب معيشة أيوب جيداً ويقدم تعليلاً لكثير مما ورد بخلفية السفر . ونجد تأييداً لذلك من التقليد المبكر منذ عصر يوسيفوس فصاعداً .

وتبدأ القصة ببساطة : « وكان رجل » ، وحيث أن المثل (صموئيل الثانى ١٢ : ١) والقصة التاريخية (صموئيل الأول ٢٥ : ٢) يبدأن بنفس التركيب فالأسلوب لا يدل إن كان المقصود به حقيقة أو رواية خيالية .

وقد ذكر **أيوب** فى (حزقيال ١٤ : ١٤ و ٢٠) كبطل قديم من أبطال الإيمان ، والاسم مشهود له عدة مرات خلال مدة الألف الثانية قبل الميلاد كاسم كنعانى قديم محفوفاً أحياناً بمظاهر الأبهة الملكية ، وقد وجد أيضاً فى أحد النصوص المصرية لإحدى الحفائر المصرية منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد . وموجود أيضاً فى نصوص ماريا **Marie** والألاخ **Alalakh** .

وبعد ذلك فالكلمة الأورية **(Ugaritic)** :

(Ayab) تتفق مع الاسم الكنعانى الجنوبى (**A ' ya ' ab**) فى رسائل عمارنه (رقم ٢٣٧ و ٢٥٦ القرن الرابع ق . م) . وهذا مؤيد للتفسير القائل بأن اسم أيوب كان يعنى فى الأصل (أين الأب ؟) وليس واضحاً تماماً كيف اشتق اللفظ الأخير من هذه الصيغة الأولى ولكن يبدو أنه لا صلة له بالأصل **(Yb)** الذى يعنى « يظهر العداوة » كما يقول كثير من المعلقين . ومع ذلك يمكن القول إنه بالنسبة للقراء الإسرائيليين المتأخرين الذين نسوا شكل الكلمة القديم فإن الإسم قد يعنى شخص . بعيد » أو « غير مرتبط بعهد » وليس عدواً أو « كاره لله » ولكن شخصية أيوب واختباره لا يوحيان بأن المقصود من الإسم أية معانى من هذا القبيل .

وارتباطه بمثل تلك الشخصيات القديمة الهامة مثل نوح (رجل الطوفان) ودانيال (بطل تلك الحقبة الكنعانية القديمة جداً) فى حزقيال ١٤ : ١٤ و ٢٠ ، ربما يرجع لقصة رجل حقيقى كان اسمه أيوب ، ولا يصح البحث فى أى معنى آخر فى الاشتقاق المقترح للاسم .

كان أيوب (**كاملاً ومستقيماً**) . إن شخصية أيوب كانت جذابة ومسرة

لله نفسه (أيوب ١ : ٨ ، ٢ : ٣) والعبارة الحرفية (كاملاً ومستقيماً) تؤكد استقامته التامة ، لقد كان أميناً تماماً ، والكلمات الآتية توضح وتفسر ذلك . فلصلاح أيوب وجهان كالحكمة فى (أيوب ٢٨ : ٢٨) . فقد كان تقياً متعبداً ، كان يخاف الله كابراهيم (تكوين ٢٢ : ١٢) وكان متمسكاً بقواعد الأخلاق وقد ذكر ذلك بالسلب « **كان يحيد عن الشر** » . كان يرفض ما هو خطأ وليس مجرد أن يتحاشاه ، وإذ تتقدم القصة نكتشف مدى سلوك أيوب الصالح ، وهذا السلوك يصل لذروته فى شهادته الأخيرة (الأصحاحات من ٢٩ — ٣١) حيث يصر على أن أعماله كانت أمام العام والخاص ومشهود لها من الجميع (٢٩) وينكر ارتكاب أى ذنب أو جرم جسيم (٣١) ، وقد كان مسلكه لا غبار عليه أمام الناس (٤ : ٣ — ٦) وبلا لوم أمام الله (٤٢ : ٨) وحقيقة استقامة أيوب شيء جوهرى فى السفر ، وتبدأ القصة بصراع فى الرأى بين يهوه والشيطان على هذه النقطة . فالمشتكى ينكر تقوى أيوب ويهوه يشرع فى إثبات هذه التقوى . ولا يصح تمييع قضية إستقامة أيوب لصالح تعليم فساد الجنس البشرى ، فأيوب لا يعتبر كاملاً أو بلا خطية فكل المتكلمين فى السفر بما فيهم أيوب نفسه مقتنعون بأن جميع الناس خطاة . وأول عمل مدون عن أيوب أنه قدم ذبائح تكفير عن الخطية . ليست تلك هى القضية . فمن الممكن أن يكون البشر الخطاة صالحون حقاً . قد يكون ذلك نادراً ولكنه ممكن للإنسان الذى يحب الله ويطيعه . إنه يحتاج لمجهود ولكن أيوب قد قام بهذا المجهود .

والشيطان متشكك فى إخلاص أيوب ولكن الرب مسرور به . ويضع الشيطان العراقيل أمام تقوى أيوب بالقول بأن سببها المنفعة الشخصية ، وأنها لم تمتحن بعد بإجتياز المصاعب . والرب واثق أن رجلاً فى شخصية أيوب لا يمكن أن ينكسر بسهولة ، وكان الرب على حق ، وبذلك أخرس كل المتشائمين الذين لا يرون إلا فشل الجنس البشرى العديم الشفاء . وكان أيوب على أكبر قدر من الطهارة بأى مقياس بشرى ، إنه ليس كأى واحد ، لقد كان فريداً . والله يفخر به قائلاً « ليس مثله فى الأرض » (١ : ٨ ، ٢ : ٣) ، فهو يمثل حالة المتألم البرىء فى أقصى حالاتها .

لقد كانت حياة أيوب فريدة ولم يتفوق عليه سوى يسوع فى براءته وحزنه ، فيسوع لم يخطىء أبداً بل تحمل عذاباً أكثر من أى إنسان . وفى

كمال طاعته وآلامه تجد أسئلة أيوب وأسئلتنا الجواب النهائى

(٢) (**وولد له سبعة بنين وثلاث بنات**)

كانت لأيوب عائلة مثالية مكونة من سبعة أبناء وثلاث بنات . وكلا الرقمين يعتبران رموزاً للكمال ودليل واضح على الفضل الإلهى .

(٣) **كان أيوب أعظم من كل بنى المشرق** ، والمقصود بذلك (الجاه والغنى) ، فقد كانت ثروته تقاس بعدد مواشيه والأرقام أيضاً تدل على شىء مثالى . وتوجد فى سفر التكوين قوائم مِلكية شبية بها (تكوين ٢٤ : ٣٥) فهى تصف ثروة الآباء ، وهذا يوحى بأن طريقة أيوب فى الحياة كانت تشبه طريقتهم ، ولكن عدد ثيران حمل الأثقال يُظهر أن أيوب لم يكن متجولاً كالبدو الرحل بل كان مزارعاً يملك أراضى زراعية شاسعة (أُنظر ١ : ١٤) بالإضافة إلى الرعى .

وهذا يتفق مع الصورة الأكمل عن أيوب رجل المدينة فى الأصحاحات من (٢٩ — ٣١) .

والقوائم الموجودة فى سفر التكوين غالباً ما تدرج العبيد الذكور والإناث مع الحيوانات ، والاسم المجرد (عبيده (Abuddàh) الموجود هنا فقط وفى (تكوين ٢٦ : ١٤) أو « خدمه » قد تكون طريقة أخرى للإشارة إلى كثرة ممتلكاته ولكن الفعل المشتق من هذا الأصل يمكن أن يعنى (فلاحة الأرض) .

(٤) أما بنو أيوب فكانوا قادرين على الاستمتاع بأجمل الأشياء والمظهر العام لحياتهم السعيدة واضح ولكن التفاصيل يصعب سردها فى الترجمة . وبالرغم من الود الذى يربط أفراد هذه الأسرة الكبيرة فإن الأبناء الأثرياء يعيشون حياة ملوكية فيسكن كل منهم فى مسكن خاص به دون أن يكون بالضرورة متزوجاً (تكوين ٢٥ : ٥ و ٦ ، قضاة ١٠ : ٤ ، صموئيل الثانى ١٣ : ٧ ، ١٤ : ٢٤ و ٣١) ، قارن (أيوب ١ : ١٨) هذا مع افتراض أن الأخوات البنات كن يقمن مع والديهن .

(٥) (**أيام الوليمة**) قد توحى بأنها دورة أسبوعية ويقترح (زوكلر (Zockler) بأن الولائم كانت حفلات أعياد الميلاد (أنظر « يومه » فى أيوب ٣ : ١ وهذا الاقتراح مقبول ولكن يصعب إثباته .

ولا توجد أى إدانة لهذا النوع من الحياة ولا داع لأن نفترض بأنهم أنفقوا كل وقتهم فى اللهو دون تجشم عناء أى عمل ، وليست هناك إشارة لشرب الخمر أو الانغماس فى الملذات أو الكسل . ولا يظهر أيوب أى قلق من هذه الناحية مع أنه يدرك خطر طريق النجاسة الذى يمكن أن ينحدروا إليه . وهذه التجمعات الأسرية البهيجة هى جزء من الجو الصحى العام الذى تبدأ به القصة ، وهى تشرح كيف قتلت كل العائلة فى عاصفة هوجاء دمرت أحد المنازل دون أن يصاب الوالدان بأذى .

واللمسة الختامية لهذا المشهد السعيد نراها فى صورة الوالد التقى الذى يسعى للتأكد من أن كل شيء على ما يرام فنجد أيوب كرأس للعائلة يقوم بعمل الكاهن أمام الله ، فالخطية التى يخشى أن يرتكبها أبناؤه هى التجديف على الله فى قلوبهم وهى نفس الخطية التى يأمل الشيطان أن يقع أيوب فيها (١ : ١١ ، ٢ : ٥) والتى تحرضه زوجته على ارتكابها (٢ : ٩) ، والكلمة المترجمة (العن) هنا وفى (١ : ١١ ، ٢ : ٥ و ٩) (قارن ملوك الأول ٢١ : ١٠ و ١٣) هى كلمة (بارك) حرفياً [١] ويمكن أن يكون ذلك نوعاً من استخدام لفظ مخفف بدلاً من لفظ قاس ـــ ابتدعه الكتبة لتجنب قراءة تعبير قاسى اللفظ . وقد قام (درايفر Driver) و (جراى Gray) بعمل ملاحظات وافية عن استعمال تلك العبارات المتناقضة فى المعنى ، ومع ذلك فالكلمة تعنى فعلاً ذلك المعنى العكسى عندما توضح القرينة ذلك .

وكانت ديانة أيوب باطنية وروحية ولكنها كانت تعترف بالحاجة للطقوس والذبائح ، وعمل أيوب الشفاعى بتقديم محرقات لاستعادة قداسة أبنائه (تقديسهم) يُظهر الاعتقاد بقوة الوسيط والذى سوف يقود فيما بعد لرغبته فى أن يقوم شخص ما بعمل نفس الشيء لأجله هو .

والعبارة « بكّر » اصلاح عبرى شائع يدل على النشاط والشعور بالمسئولية وليس بالضرورة الذهاب لتقديم الذبيحة فى وقتها فقط ، وهكذا كان أيوب يفعل « حرفياً كل أيامه » فقد كانت عادة تلازمه طول حياته .

ب ـــ الامتحان الأول (١ : ٦ ـــ ٢٢)

١ ـــ الاجتماع الأول (١ : ٦ ـــ ١٢)

---

(١) كما فى الترجمة العربية (المترجم)

(٦)فى كل العهد القديم نجد الرب ممثلاً كالخالق والحاكم للكون المأهول بكائنات عديدة ، (جنود) صبأوت وسكان مملكته على الأرض هم كل الجنس البشرى ، ولكن إسرائيل (جنده) بمعنى خاص إذ تستخدم كلمة (Sàbà) إستخداماً شائعاً لتعنى حشد الناس كجيش الرب . و « جند السماء » (ملوك الأول ٢٢ : ١٩) يتكون من كل الكائنات الفائقة الغير بشريه بما فيها النجوم (أيوب ٣٨ : ٧) وهذه المخلوقات تسمى (رسل) أو (ملائكة) (تكوين ٣٢ : ٢ ، مزامير ١٠٣ : ٢٠) أو (عبيد) (أيوب ٤ : ١٨) وهى ككائنات تتصل بالله فيدعو (قديسون) (أيوب ٥ : ١) ، وكمشرفين على مملكة الله فقد أطلق عليهم فيما بعد لقب (ساهرون) (دانيال ٤ : ١٣ و ١٧ و ٢٣) يتجولون فى الأرض كلها للحراسة والحماية والمراقبة (زكريا ١ : ١٠ ، ٦ : ٥) وأحد أسماء الله العظمى (رب الجنود) والتى تعنى أنه هو خالقهم الوحيد الذى لا شريك له . ولهم اسم آخر وهو (أبناء الله) أو ببساطة (آلهة) (مزمور ٩٧ : ٧) أو « أرواح » (زكريا ٦ : ٥) وعندما يجتمعون فى حضرة الله يكونون (مجمع الله) (مزمور ٨٢ : ١) أو (جماعة القديسين) (مزمور ٨٩ : ٥) أو « مؤامرة القديسين » (مزمور ٨٩ : ٧) وحيث أنه فى اسرائيل فقط من دون سائر الشعوب التى حولها يطلق على الرب كل الألقاب الإلهية ، فسلطانه ليس موضع شك . فهو وحده الذى يسود على الاجتماع كالملك فوق عرشه ، وكل جند السماء وقوف حوله ، هذا إذا أتيح لإنسان أن يرى مجده (ملوك الأول ٢٢ : ١٩ ، إشعياء ٦ : ١ ، تكوين ٢٨ : ١٢) وهذا الرب الذى لا مثيل له ليس له أنداد ، والمجتمعون معه هم مجرد ظلال ، وحتى « ملاك الرب » الرفيع الشأن يظل مجرد شخص ينفذ أوامر الرب دون ذكر اسم له ، وبمضى الوقت يتميز (ميخائيل) و (جبرائيل) بشىء فردى ، ولكن دورهما لا يزال صغيراً أمام سلطان الله المطلق الذى يرأسهما وحتى عندما يطلق عليهم لقب (أبناء الله) فليس هناك أدنى تفكير فى مشاركة الله بأى شىء وليست هناك أدنى إشارة فى العهد القديم لوجود نظام للأرواح أو الشياطين ذات مملكة مضادة خارجة عن سلطان الرب . وحتى « كوكب الصبح المنير » (إشعياء ١٤ : ١٢) و « الكروب المنبسط » (حزقيال ٢٨ : ١٤) ، فبالرغم من قوتها المخيفة والويلات العظيمة التى جلباها على العالم بالعصيان على الله فقد طُردا باحتقار

واشمئزاز ، وما الشيطان المرعب إلا واحد من (أبناء الله) المطرودين ، ويزعم معظم المعلقين بأن مكان الأجتماع الملكي فى السماء ولكن ليس هناك ذكر فى سفر أيوب عن مكان هذا الحشد لأن كل ما دوِّن قد يشير إلى أنه قد حدث على جبل ما حيث أقام الرب (تثنيه ٣٣ : ٢ ، قضاة ٥ : ٤ ، إشعياء ١٤ : ١٣) .

وهذه الفكرة أى حضور الله على الجبل سجلت عن سيناء وصهيون وأماكن أخرى (إشعياء ٢ : ٢ ــ ٤) ، وقد رأى إشعياء « رب الجنود » فى الهيكل ومجده ملء كل الأرض وليس السماء (إشعياء ٦ : ١ ــ ٣) ، وعبارة (وسطهم) فسرت على أنها تبين أن الشيطان كان عضوا منتظماً فى هذا الحشد .

ويقول (درايفر Driver وجراى Gray) بأن الشيطان ليس فقط من (أبناء الله) ولكنه متميز ورفيع المقام أيضاً .

ولكن هذا نوع من الشطط ، ففى أماكن كثيرة نستعمل كلمة (وسط) لتشير للأقتحام والتدخل من شخص غريب فلأن الشيطان ليس له الحق أن يكون هناك فقد طُلب منه ذلك . ويصعب فحص دور وشخصيه الشيطان فى سفر أيوب دون التفكير فيما كتب عنه بعد ذلك ــ فهو (المشتكى) فى (زكريا) (وروح الفى) فى مخطوطات البحر الميت (والمجرِّب) فى العهد الجديد ، ناهيك عن الأوهام المتعلقه به فى التقليد المتأخر عن ذلك ، فإن كان هو الذى لا يزال يهيج الناس فقط وليس عدو الله فلا يصح أن نتبع المعلقين الذين يرونه هنا ببساطه واحداً من خدام الله المخلصين . وقاحته تكشف عن فكر ملتوٍ بعيد عن الله ، ولكن عداوته لا ترقى به لمصاف القوة المنافسة لله . فهنا نجد الشر ولكن لا نجد مبدأ الثنائيه[1] .

فقد يكون الشيطان عدو كل خير فى الكون ولكنه مجرد مخلوق صغير جداً بالنسبه لله . أنه يستطيع أن يفعل فقط ما يسمح به الله وفى هذا الأجتماع لا يزيد عن كونه شخصاً مثيراً للمتاعب وليس موظفاً . ولا يصح مقارنته بأحد رجال البوليس السرى فى عهد الملكيه فى ايران (السافاك) الذين كانوا

أى أن للكون قوتين تحكمه قوة الخير وقوة الشر . (المترجم)

يتجسسون على الخائنين لحساب الأمبراطور ، فهذا شرف كبير لا يدعيه ، وهو ليس ممثل الادعاء أمام الله ، فالرب وليس الشيطان هو الذى أقام دعوى أيوب

ودور الشيطان فى السفر صغير ومكانه فى التعليم اللاهوتى للسفر أقل . وفى المناقشات التاليه نرى أن المصائب التى تحوق بالبشر لا ترجع لعدو شيطانى ومن المحال أن نعتقد أن هدف هذا السفر العظيم تعليمنا تفسيراً للشر لم يفكر فيه أيوب أو اصحابه ، وهو أن الألم البشرى سببه الشيطان . فالشيطان لم يظهر مرة أخرى بعد ذلك (أيوب ٢ : ٧)

(٧) هذا الحوار غير رسمى فهو حوار جانبى بالنسبة للقصه . وتحية الرب الأولى تشبه تحيه يعقوب لرجال حاران (تكوين ٢٩ : ٤) ولا تعنى أكثر من بدء الحوار . وهذا السؤال لا يعنى أن الله يجهل الجواب ولكنه مجرد دعوة لبدء العمل ، وإجابة الشيطان ليست مباشرة ، وهى على شكل قالب شعرى :

مـن الجـولان فـى الأرض

ومـن التمشـى فيـهـا

وهذا الرد الذى يُظهر المراوغة بالتلاعب فى لفظ الفعل العبرى (Sût) « يتجول » ، وهذا الفعل ليس هو الفعل المشتق منه كلمة « شيطان » ولكنه يدل على كائن قلق متواجد فى أماكن عديدة ، فهو ملاك شارد (متى ١٣ : ٢٥) . وهناك ترجمة أخرى لتلك الكلمة (متجول) تعنى أنه تجوال غير مخطط .

وقد رفضنا فكرة أن الشيطان واحد من خدام الرب مرسل لنقل معلومات ملتمساً من يبتلعه » (بطرس الأولى ٥ : ٨) .

(٨) سؤال الله التالى على شكل مقطوعة شعرية من أربعة أسطر فهو يتكلم عن أيوب بمحبة واعتزاز . وكلمة عبد تستخدم غالباً فى العهد القديم كلقب من ألقاب الشرف ، وقليلون هم الذين حظوا بشرف أن يطلق عليهم لقب « عبيد الرب » والرب يكرر ما قاله فى عدد (١) بمدح أيوب .

إن الأبرار عملة نادرة وقد يصعب أن نجد عدداً قليلاً منهم (تكوين ١٨ : ٢٢ — ٣٣) ، أو حتى واحداً (إرميا ٥ : ١) فى مدينة ولكن ذلك ممكن ، وعندما يجد الرب رجلاً صالحاً فإنه يسر به (إشعياء ٤٢ : ١)

(٩ و ١٠) إن التشاؤم جوهر كل ما هو شيطانى ، فالشيطان لا يؤمن بوجود أى صلاح حقيقى ، لا فى أيوب وتقواه الأصلية ولا فى الله بكرمه الأصيل ، فالإيمان بصلاح الله هو جوهر المحبة والرجاء والفرح وكل ما هو بهيج ، والمرارة والتشاؤم يعنى عدم الإيمان مع سبق الإصرار ، والذهن الصافى الذى لا يداخله حقد أو ضغينة مصدر رعب للشيطان .

يسأل الشيطان أسئلته الساخره (هل مجاناً يتقى أيوب الله ؟) فهو يعرف الكثير عن الأتقياء ولديه قناعة بأنهم فى طريق التقوى طالما كانت هناك فائده تعود عليهم منها . ولا شك أن ذلك قد يكون صحيحاً فى بعض الأحايين ، ولكن « هموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء » (مرقس ٤ : ١٩) سرعان ما تبعد مثل أولئك الناس عن الله ، والشيطان يعلم مقدار الضرر الذى يلحقه ذلك التعبير والسخرية بأولئك الناس بذكر نقائصهم أمام الله . فالنقطة التى بدأ منها الشيطان حواره نقطة ذكية ، فهو يرى أن تقوى أيوب مصطنعة ولم تثبت بعد بالتجربة ، وأن الله بدوره قد سهل المهمة لأيوب لكى يكون كاملاً إذ ضمن ولاء أيوب باغداق النعم عليه وقد حماه من كل أذى .

وتكرار الضمير الذى يعود على الله فى عدد (١٠) أتهام لله ، والسور المفهوم من كلمة (سيجت) حوله المقصود به الحماية (هوشع ٢ : ٦) ، ولكنه قد يعنى أيضاً إن أختبار أيوب فى الحياة محدود جداً .

« أنتشرت مواشيه فى الأرض » أى أنتشرت فى كل اتجاه ، والفعل المستخدم يصور (الحيوانات) تجرى فى كل اتجاه . وقد يعنى أن الله هو الفاعل لكل الأفعال كما فى الترجمة السبعينية . وتشير (أعمال يديه) إلى الزراعة (تكوين ٥ : ٢٩) فقد نجح أيوب فى الزراعة كما فى تربية الحيوانات .

(١١) هكذا تثار الأسئلة الجوهرية فى السفر فهذا السؤال فيه مساس بأيوب وبالله أيضاً . فكأن الشيطان يقول : هل الله صالح لدرجه أنه يمكن أن يحب الشخص لذاته وليس لهباته ؟ وهل يمكن للإنسان أن يتمسك بالله عندما لا تكون مزايا متعلقة بذلك التمسك ؟ وبذلك يقترح الشيطان أمتحانا لأثبات ذلك . والأسلوب الذى يستخدمه غير مهذب ، فكأنه يأمر الله . فهو يقول حرفياً ولكن الآن ما عليك إلا أن تمد يدك وتتلف كل ممتلكاته ، والعبارة التالية فى الأصل تبدأ بكلمة إذا والمعنى إذا به فى وجهك سيباركك

أى يجدف عليك (أنظر التعليق على ١ : ٥) فالتجديف نتيجة وهى موضوعة فى صيغة استفهام « ألا يجدف عليك ؟» أى أنه من المؤكد أنه يجدف عليك . أو « سوف أكون ملعوناً إذا لم يجدف عليك فى وجهك » .

وفى اللغه العبرية نجد العبارة بمعناها الحرفى تضفى على حديث الشيطان الوقح نوعا من الألفة المازحة كما قال (مفستوفليس) فى إحدى رواياته بأن الشيطان يحتقر كل شيء مهذب ، فهو يرفض استخدام الأسلوب التقليدى المهذب فى البلاط الملكى ، ويستخدم عبارات خشنة غير مهذبته بتجنب أستعمال الضمائر الشخصية عند مخاطبة شخص رفيع المقام بالقول « سيدى » بدلاً من « أنت » ، وهكذا فضمير المخاطب (الكاف) هكذا يتم عن وقاحة ، وهذا دليل آخر على أن الشيطان لا ينتمى لدائرة خدام الله الموقرين .

(١٢) يقبل الرب التحدى ويعطى الشيطان الإذن أن يفعل ما يحلو له بممتلكات أيوب ولكنه لا يجب أن يلمس أيوب نفسه . ويخرج الشيطان متحمساً لإيقاع الأذى بأيوب

٢ ـ الكوارث الأولى (١ : ١٣ ـ ١٩)

(١٣) يتغير المشهد أمام أيوب ، ففى تتابع سريع يأتى أربعه رسل بخبر مؤداه أن عالمه السعيد قد انهار ، فحيث أن أبناءه كانوا يأكلون فى بيت أخيهم الأكبر فإن من المحتمل أن يكون ذلك بداية دورة أسبوعية .

يقول (Delitzsch ديلتزش) إنه من المتوقع أن يكون ذلك اليوم هو اليوم الذى قدم فيه أيوب الذبائح ليضمن رضا الله عنه . ووصول هذا الخبر بمجرد عودته من تقديم الذبيحة وحصوله على سلام مع إلهه قد اصابه ولا شك بذهول تام .

(١٤) (إن رسولاً جاء إلى أيوب وقال البقر كانت تحرث والأتن ترعى بجانبها) . نفس الصيغة تستعمل لتصف كل من الكوارث الأربع كما فى القصص الشعبية . والطامة الكبرى عندما يُخبر أنه لم يبق أحد على قيد الحياة (خروج ١٤ : ٢٨) ، وفى قصص البطولة كان المطلوب من أحد الناجين من كارثة ويسمى (اللاجىء) أو الهارب (تكوين ١٤ : ١٣) ، (حزقيال ٢٤ : ٢٦) أن يحمل الأخبار . وكل نبأ جديد كان بمثابة نازلة تحل بأيوب ،

فقد هلكت حيوانات الحقل (١٣ : ١٥) وقطعان الغنم (١٦) والجمال (١٧) وأخيراً أولاده .

وكما ذكرنا فى المقدمة فالأحاديث التى دارت كانت شعراً ، وكل منها كان يتكون من أربعه سطور باستثناء الأخير ، الذروة ، فكان يتكون من ثمانية . والسطر الأخير من كل حديث يكون مؤثراً بصيغة خاصة . ويوجد تماثل فنى فى الأحداث فعنف البشر يقابله عنف الطبيعة .

وهناك تصاعد نحو الذروة ، فأعز ما يملك أيوب يتم هلاكه آخر الأمر . والتأثير بالغ الأهمية لأن كل شيء يبدو هكذا طبيعياً ؛ فيد الله مختفية ، ويد الشيطان ليست موضع اشتباه [1]إن قطاع الطرق فى الصحارى والبرق والعواصف كلها تشكل جانباً من حياة الإنسان فى الشرق . فمثل تلك الأشياء تحدث لكل واحد وإن لم تكن بنفس الدرجة من الحدة . ولكن إيمان أيوب العميق يرى فى الحال يد الله فى كل حادثة طبيعية ، فلا توجد (مصادفات) فى كون يحكمه ملك واحد . ومن هنا تبدأ مشكلة أيوب فمثل تلك المصائب لا تعد مشكلة فى نظر المؤمن بتعدد الآلهة أو فى نظر المؤمن بوجود إلهين أو الملحد أو المؤمن بالطبيعة أو المؤمن بالقدر أو المادى أو المتشكك ، فقد تكون من المضايقات أو المآسى ولكنها ليست مشكلة . فالألم الناتج عن شر البشر أو بسبب قوى الطبيعة يعد مشكلة فقط للمؤمن بخالق واحد صالح وكلى القوة ، ولذا فهذه المشكلة تنشأ فقط داخل إطار الكتاب المقدس بتعاليمه الأخلاقية المتميزة ونصوصه عن وحدانية الله .

(**١٥**) ذُكر السبئيون فى موضعين أو ثلاثة فى الكتاب المقدس فهناك مملكة سبأ فى جنوب الجزيرة العربية والتى اشتهرت بسبب ملكة سبأ التى زارت سليمان وهؤلاء القوم مشهورون بالتجارة وليس كقطاع طرق إلا بعيداً عن وطنهم ، وفى مواضع أخرى نجد أن (سبا) (Shebba) مرتبطة بددان (Deddan) الأكثر قرباً من اسرائيل ، ولكن ربما كان ذلك لأن قوافلهم كانت تذهب من ذلك الطريق .

فلو أن موطن أيوب كان فى الشمال عبر الأردن (أنظر التعليق ١ : ١)

---

(١) فأيوب لا يعلم شيئاً عما دار فى المجمع الإلهى .

فمعنى ذلك أنه بعيد عن الغارات المعتادة للسبئيين . والثيران والحمير التى استولوا عليها يمكن أت تؤخذ بعيداً فى الصحراء .

(**١٦**) نار الله عادة هى البرق (ملوك الأول ١٨ : ٣٨ ، ملوك الثانى ١ : ١٠ — ١٤ ، أيوب ٢٠ : ٢٦) ما لم يكن هو انفجار بركانى (تكوين ١٩ : ٢٤) ، فلابد أن شيئاً غير عادى قد حدث ليلتهم ٧٠٠٠ رأس من الغنم .

(**١٧**) من المعروف أن الكلدانيين كانوا يعيشون بالقرب من نهر دجلة فى القرن التاسع قبل الميلاد . إنهم من أصل آرامى ، ومن الصعب أن نفسر قطعهم الطريق فى جنوبى عبر الأردن كما أنه من الصعب أن نفسر تواجد السبئيين فى شماله . فمن الممكن أن يكون أيوب على مقربة من الاثنين معاً اذا كان عائشاً شرق الجليل .

(ثلاث فرق) مع أن استراتيجية الهجوم من ثلاث جهات مذكورة فى الكتاب المقدس فإن الظروف مختلفة فى كل مرة . فمع أن (خطة) جدعون كانت مشابهة (قضاة ٧ : ١٦) إلا أن الهدف منه كان طرد الحيوانات فى اتجاه معلوم .

(**١٨**) إن التكرار المستعمل فى التقارير الأربعة يؤيد وجود كلمة (بعد) (ō d)فيكون النص هكذا « بينما هو يتكلم بعد » وليس « وبينما هو يتكلم » (و) (ad) حسب النص الماسورى .

(**١٩**) إن الريح الشديدة لابد أنها كانت نوعاً من دوامات الريح وخاصة أنها لم تأت إلا على منزل واحد . وواضح أن البيت لم يكن مجرد خيمة ولكن حيث أن رسولاً كان عليه نقل الخبر فمن الأكثر احتمالاً أن البيت كان فى الريف وليس فى المدينة . ويذكرنا هذا بما فعله يائير الجلعادى إذ أعطى قطعة أرض إلى أبنائه الثلاثين الذين أقاموا فى ثلاثين مستوطنة سميت (مدن) (قضاة ١٠ : ٤) ، والضحايا يدعون (غلمان) أى أولاد ، وهو نفس التعبير المستخدم فى الإشارة (للخدم) الذين قتلوا فى كوارث سابقة وربما تشمل الضحايا أبناء أيوب ولكن احتمال موتهم يتضح فى الأغلب من سياق الكلام بأن الرسول فقط هو الذى نجا أى أن أولاده أيضاً قتلوا .

٣ ــ رد الفعل الأولى لأيوب (١ : ٢٠ ــ ٢٢)

(٢٠) كان رد فعل أيوب رائعاً . فكانت تصرفاته رزينة ووقورة كما فعل داود (صموئيل الثانى ١٢ : ٢٠) ، وحزقيا (ملوك الثانى ١٩ : ١) ، فمشاهير الناس كانت تلبس رداء فوق الجلباب وكان شق الرداء دليلاً على الحزن فور سماعهم لخبر سىء . وحلق الرأس كان ضمن طقوس الحزن فى بلاد ما بين النهرين وكنعان وهذا التقليد كثيراً ما جاء ذكره فى الكتب القديمة . ولقد كان الناموس يحرم ذلك بسبب ارتباطه بالعادات الوثنية ولكنه مذكور مراراً فى العهد القديم . وحيث أنه لا خطأ فى تصرفه هذا تجدر الاشارة إلى أن أيوب لم يلجأ لوسائل أخرى كان يمارسها جيران اسرائيل عند الحزن كإحداث جرح غائر فى الجسم (وسجد) أن لغة السفر موجزة باستخدام تعبيرات مختصرة غالباً عند ما يكون المعنى واضحاً . والمسجود له واضح أنه قد سجد لله .

(٢١) إن صرخة أيوب هى أنبل تعبير ينم عن قبول الإنسان لإرادة الله بفرح كالخير الأسمى له . هنا إنسان يقف أمام الله مجرداً من كل شىء أعطته له الحياة ومع ذلك لا ينقصه شىء فقد جاء إلى هذا العالم عرياناً من بطن أمه وفى ميلاده الثانى فى العالم الآخر الذى هو الموت سوف يموت بحالة مشابهة من العرى .

والمعنى الحرفى للتعبير « أعود إلى هناك » واضح فاقتراح بعض المعلقين بأن ذلك يشير إلى (أرضنا الأم) كأصل الإنسان ومقره النهائى لا سند له من الكتاب المقدس ، والفكرة العامة كما جاء فى (سفر الجامعة ٥ : ١٥) أو فى (تيموثاوس الأولى ٦ : ٧) أن الإنسان يأتى من أمه ثم يعود للتراب .

ولكن كلمة (Sàmàh) شمه أى « هناك » قد تكون لفظاً مخففاً لكلمة (Sheol) (هاوية) أو « هناك » كما فى (أيوب ٣ : ١٧ و ١٩)

إن أيوب لا يرى سوى يد الله فى هذه الأحداث ، فلم يعن له أبداً أن يسب قطاع الطرق أو يلعن حراس الحدود أو يشتم خدامه الأغبياء الذين ماتوا بسبب إهمالهم وعدم يقظتهم ، فكل الأسباب الثانوية قد اختفت ، فالرب هو الذى أعطى وهو الذى أخذ وعند الرب فقط تفسير ما حدث .

(٢٢) لقد نجح أيوب فى الامتحان الأول ، فلم يتهم الله بالخطأ . إن معنى الكلمة العبرية (Tiplàh) (التى لم ينسبها أيوب لله) قد نوقشت مراراً وتكراراً دون الوصول إلى نتيجة حاسمة . فهى قد لا تشير إلى طريقة أيوب فى الحديث بأنها تنم عن الرعونة أو السخف . يقول موفات إنه لم يسىء لله ولكن النص يعنى صراحة أنه لم يجد خطأ (Tiplàh) فى الله كما كان متوقعاً . وأقرب معنى لأصل الكلمة هو « بلا طعم » كما فى (أيوب ٦ : ٦) ولكن ليس هناك دليل على أن للكلمة علاقة بالبصق كرمز للاشمئزاز والكراهية .

ومع ذلك فالمشكلة محلولة . إن موقف أيوب واضح « فى كل هذا لم يخطىء أيوب أى أنه لم يتهم الله بأى شىء مريع . وافتراء الشيطان قد ثبت بطلانه ، فأيوب لم يعبد الله من أجل الثراء ، فقد كان يعرف أن (حياة الإنسان ليست من أمواله) (لوقا ١٢ : ١٥) وقد عرف معنى أن يكون الانسان مع الله . فإذا كان عرياناً كالطفل الرضيع أو كالجثة فتلك حقيقة نفسه بلا مداراة . لقد بدأ الحياة بنفسه فقط وسوف يخرج من الحياة خالى الوفاض من كل شىء سوى ما آل إليه ، لقد أعطاه الله فرصة حتى يعرف حقيقة الموت ، فكل شىء ملك لله تماماً وهو يقدم كمنحة وليس كحق نطالب به ويؤخذ ثانية دون أن يكون فى الأمر خطأ ما . ليس هناك مجال للحديث عن (حقوق) بشرية . فالرب ملك على كل شىء ويبتهج أيوب بهذه الحقيقة المدهشة ، ولكن إيمان أيوب لا يخفف عنه آلامه بل إنه سبب هذا الألم . لقد أحب أيوب الرب كالأب والصديق ، كما لم يحب أى يونانى واحداً من أفضل آلهته أو أى بابلى أو كنعانى أو مصرى أياً من آلهتهم العديدة[1]

وعلى خلاف ظن الشيطان لم يغير أيوب رأيه فى الله حتى عندما سارت الأمور على غير المتوقع . ولكن إيمان أيوب لا يمكن أن يستمر دون كفاح مرير لأن أيوب لا يرى سوى يد الله فى كل شىء ، فكيف يمكنه أن يهرب من الفكرة المرعبة بأن الله قد فعل به شيئاً رديئاً ؟ ! وهو لا يعرف سبب

---

(١) إنها حقيقة يسهل إثباتها بقراءة أدبهم الدينى فلا نجد الوصية الأولى عند جيران اسرائيل توصى بمحبة الله . ونبحث عبثاً عن تعبيرات تدل على الفرح فى الله ولكن فى العهد القديم وبخاصة سفر المزامير نجد مثل تلك المشاعر بكثرة .

هذا التصرف المتعمد . وأصعب عليك أن تقول « شكراً » للرب إذ يأخذ عندما يعطى . وهكذا وجد أيوب نفسه محاطاً بسحب الشك فيما يختص بعدالة الله وإنصافه ، فكان عليه أن يتألم وينمو روحياً قبل أن يرى لم حدث ذلك . وها هو قد بدأ بداية عظيمة ، فثقته فى صلاح الله تتجاوز تسليم عالى الكاهن بقضاء الله (صموئيل الأول ٣ : ١٨) وتتعدى استسلام داود (صموئيل الثانى ١٦ : ١١) لأن ذينك الرجلين استحقا القضاء الإلهى العادل على أعمالهما الخاطئة . أما أيوب فكان غير مقتنع بأنه يدفع أجر خطاياه ، لأنه لم يخطىء ، أو على الأقل لم يخطىء بما يساوى تلك العقوبات الكبيرة الباهظة .

ترى ماذا يعمل الله معه حتى يرى أيوب أن كل الأشياء تعمل معاً للخير (روميه ٨ : ٢٨) ؟

إن الإجابة على هذا السؤال ستعرف فقط عندما نصل لنهاية القصة .

ج ــ الإمتحان الثانى (٢ : ١ ــ ١٠)

وتصل الأحداث إلى جولة ثانية تستخدم فيها نفس الألفاظ مع تنوعات بسيطة . قارن (١ : ٦ ــ ١٢) بما جاء فى (٢ : ١ ــ ٤) .

١ ــ الإجتماع الثانى (٢ : ١ ــ ٧ أ)

(**٣**) بعد تكرار ما قاله عن أيوب فى الإجتماع الأول يضيف الرب هذه المرة أن أيوب ما زال متمسكاً بكماله وقد هيجتنى عليه لأبتلعه بلا سبب .

فى ترجمة موفات تستخدم كلمة (ولاء) بدلاً من (كمال) . لقد فشلت جهود الشيطان للتقليل من شأن أيوب فى نظر الله .

ولو وضعنا (مع أن) للربط بين العبارتين فسيعطى توضيحاً أفضل للمعنى فيصبح « متمسك بكماله مع أنك قد هيجتنى عليه لأبتلعه » . والعبارة الثانية فى عدد (٣ ب) يمكن أن تكون نتيجة للعبارة الأولى فتكون كالآتى : « وهكذا (أنت ترى) أنك هيجتنى عليه لأبتلعه ــ بلا سبب » والكلمة الأخيرة فى العبرية (Hinnam) تعنى (ظلماً) فى (أيوب ٢٢ : ٦) . ومن ثم تعنى « بلا سبب » ، ولكن كان هناك سبب ، فالرب كان عنده سبب قوى لإيقاع الأذى بأيوب ليثبت افتراء الشيطان .

والكلمة مترجمة (بلا مقابل) فى أيوب (١ : ٩) حيث تعنى بصورة أكثر حرفية (مجاناً) أى دون مغنم شخصى ، ولكن فى (أمثال ١ : ١٧) فالكلمة تعنى (باطلاً) أو (عبثاً) وهى تناسب هذا المقام فتجربة الشيطان كانت عبثاً لا طائل تحته .

(٤) لم يفت اليأس فى عضد المفترى ، ورده المرير جاهز « جلد بجلد » . إننا نجد لغزاً هنا ، فلا أحد يعرف معنى هذا المثل المخفى ، إذ أخذ المعلقون يخمنون المعنى المطلوب وأفضل مفتاح له العبارة التالية حيث أنها بلا شك تفسير أو تطبيق للمثل ، فهى توحى بأن ما يشار إليه هنا هو جلد أيوب ولكن حرف الجر المترجم (بـ) أيضاً يثير المشاكل ويجب اعطاءه نفس المعنى فى العبارتين المتوازيتين ، فإذا أعطى الإنسان كل ممتلكاته فى مقابل حياته ، فالإشارة إذن إلى التجارة عن طريق المقايضة أو المبادلة .

فهل (الفراء فى مقابل الفراء) مثل من سوق تباع فيه جلود الحيوانات ؟

فالجلد إذن يعنى (جلد الحيوان) ولكن مبادلة جلد بآخر ليس من المحتمل أن يكون عملاً تجارياً . ولم يُطلب من أيوب أن يتخلى عن ممتلكاته لكى يضمن حياته مقابل ذلك .

وهناك اقتراح آخر يقول بأن يوجد جلد ثان تحت الجلد الخارجى ، والشيطان قد اتهم الرب بأنه سيج حول أيوب ، ولذا فهو يقترح هنا بأن ثروة أيوب كانت كالدرع أو ثوب من الجلد فوق جلده البشرى ، وبذلك فهو يريد أن يقول بأن أيوب لم يصب بأذى نتيجة هذه الكوارث المرعبة لأن كل ما كان يهمه هو ذاته .

(٥) إن الجولة الأولى لم تكن امتحاناً حقيقياً لأن العدو لم يكن قد سُمح له بأن يصيب أيوب نفسه (١ : ١٢) والآن فإن الشيطان يتجاسر ويطلب من الرب أن يمس جلده الداخلى لأن الخارجى قد أصابه خدش فقط بفقدان الثروة والعائلة . فلو أن جسم أيوب (عظمه ولحمه) قد مسهما الله فستظهر شخصيته على حقيقتها بالتجديف على الله نفسه . لقد غير الشيطان من موقفه ، فهو لم يطلب الكثير فى أول مرة فقال إنه يكفى أن يمس ماله ليجعل أيوب يجدف على الله (١ : ١١) . ولم يرض الشيطان بالهزيمة الأولى ولكن إيمان أيوب قد ثبت أنه أصلب مما توقع الشيطان . وجدير بالملاحظة هنا أنه بالرغم

من أن كوارث أيوب الأولى كانت بسبب قوى الطبيعة والأشرار من الناس والمحرض هو الشيطان فمن وجهة نظر الله فهو الذى مد يده على أيوب (عدد ٣) وفى المرة الثانية أيضاً كان بتعين على الله أن (يبسط يده) (عدد ٥) يمس أيوب بالأذى .

(٦) ومرة ثانية يقوم الشيطان بدور فعال فيُعطى السلطة أن يفعل بأيوب ما يشاء باستثناء قتله (ها هو فى يدك) لأن هذا بالطبع سوف لا يعطى أيوب الفرصة لإثبات أصالة معدنه .

٢ ــ مرض أيوب (٢ : ٧ ب و ٨)

(٧ ب) أن استمرارية القصة عند هذه النقطة مقارنة بالتوقف ما بين (١ : ١٢) و (١ : ١٣) التى توحى بمرور فترة من الزمن يبين الخفة التى بدأ بها الشيطان تجربته البشعة . لقد ضرب أيوب بمرض مريع يغطى جسده كله . وقد أثيرت عدة نقاط حول طبيعة هذا المرض .

والكلمة (Shîn) كلمة عامة ، والتقليد يحبذ القول بأن مرضه كان إما مرض البرص (لاويين ١٣) أو مرض الفيل . والقصة البسيطة لا تنغمس فى أوهام مبالغ فيها كباقى القصص والأساطير ، وعدم وجود تفاصيل دقيقة يحرمنا من التشخيص الطبى لمرضه ، وبمراجعة الأعراض التى يصفها أيوب فى الحوار يجب تذكر الأسلوب الشعرى المكتوب به الحوار . والمعطيات الموجزة تشير إلى دمامل أو تقرحات أو أحد الأمراض الجلدية العديدة .

قارن الإشارة للجلد فى عدد (٤) ولاحظ أن (عظمه ولحمه) تشير ببساطة للجسم المادى حتى أن العبارة التى تقول إن عظامه تؤلمه وهى حرفياً « الليل ينخر فى عظامى » (أيوب ٣٠ : ١٧) قد لا تزيد عن كونها وصفاً لألم حاد دفين .

ويهتم العبرانى بالعظام باعتبارها أعضاء حيوية أكثر من إهتمامنا الآن . فبعض أنواع الالتهابات الجلدية المنتشرة فى كل مكان والمسببة للعدوى واسوداد الجلد وسقوطه (أيوب ٣٠ : ٢٨و ٣٠) واستمرار تقيح الجلد (٧ : ٥) يظهر شدة القرح الردىء المنوه عنه فى (٢ : ٧) أما الأعراض الأخرى فقد تكون مضاعفات لهذا المرض الخطير ، من فقدان الشهية للطعام والهزال والحمى

(٣٠ : ٣٠) ونوبات الاكتئاب (٧ : ١٦ ، ٣٠ : ١٥) والبكاء (١٦ : ١٦) والأرق (٧ : ٤) والأحلام المزعجة بالليل (الكوابيس) (٧ : ١٤) . كل تلك وآلام أخرى عامة مصاحبة ذات أعراض مثل الرائحة الغير مستحبة من الفم (١٩ : ١٧ ، قارن ١٧ : ١) وانعدام الرؤية المستقبلية أو اسوداد الأمور فى عينيه (١٦ : ١٦) وتلف الأسنان (١٩ : ٢٠) ، والشحوب (٢ : ١٢) . كل هذه الأشياء مظاهر غير مباشرة للحالة التى وصل إليها وكلها توضح الصورة البشعة لرجل تعرض لتشويه مذل (إشعياء ٥٢ : ١٤) وآلام لا تحتمل وكلها تذكير كئيب للإنسان لكى يذكر أنه مكون من تراب الأرض .

(٨) جلس اليائس التعيس (وسط الرماد) (قارن صموئيل الثانى ١٢ : ١٦) والإشارة هنا ربما لكومة القاذورات خارج المدينة وقد ترمز إلى أنه قد أصبح منبوذاً كالأبرص فى الحجر الصحى الممنوع من مخالطة الناس طبقاً لقوانين الصحة العامة فى اسرائيل . وفى هذه الحالة فقد لا يقترب منه أصدقاؤه . وفى الأغلب فإن تضحيته بنفسه هكذا قد تكون طريقته الخاصة الأليمة لتقبل حالته الجديدة كشيء من سقط المتاع يلقى به مع النفايات فى هذا المكان المخصص لمثل هذه الأشياء « ليحتك بها » لقد حك نفسه بشقفة وفى الأغلب فإن ذلك بسبب الحكة التى أصابته وليس ليشق جسده فى حزن على طريقة إيل (El) فى الأساطير الأورية ، والذى ضرب نفسه بعصى وأحجار عند موت البعل . وتضيف الترجمة السبعينية أن أيوب استعمل شقفة لإخراج الصديد .

٣ ــ رد فعل ايوب الثانى (٢ : ٩ و ١٠)

(٩) عند هذه النقطة يحدث اختلاف عما حدث فى الجولة الأولى ، فهناك تفوه أيوب فى الحال بكلمات البركة ولكن فى هذه المرة تتدخل زوجته فى أحداث القصة لأول مرة . ولا نجد تفاصيل عن شخصيتها ، ولذا فقد اضطر المعلقون للتخمين عن أى نوع من النساء كانت . أما صمت الكتاب المقدس عنها يقابله الإفاضة فى الحديث عنها من جانب التقليد[1] وقد تحدث عما

---

(١) فى احدى الترجمات الموجودة ل Pope ص ٢٢ يقول عن زوجة أيوب إن دوافعها لأن يموت أيوب كان لإنهاء آلامه الغير محتملة بسرعة .

قامت به نحو أيوب وقد كان المسيحيون على العموم أقسى عليها من اليهود والمسلمين . فقالوا عنها إنها حليف الشيطان وأسماها أوغسطينوس « الوجه الكئيب للشيطان » وأطلق عليها كريستوم لفظ (سوط الشيطان) وقال كالفن عنها إنها (حزب الشيطان) .

وعلى هذا الأساس فقد حضت زوجها أن يلعن نفسه وبذلك تدفعه لعمل ما تنبأ به الشيطان بالضبط عن أيوب ، ولكن هذا التوافق اللفظى من المحتمل أن يكون نوعاً من سخرية الكاتب . فتجربة الشيطان لم تصل إلى آذان أيوب حتى يعرف مصدرها الشرير ولكنها جاءته على استحياء كطلب من زوجته المحبة . إنها تشهد لإيمانه القوى مستخدمة نفس كلمات الله (٢ : ٣ ب) وسؤالها يمكن أن يكون تعبيراً أو تعنيفاً « ألا زلت تصر على التمسك بكمالك ؟ ما الفائدة التى حصلت عليها من وراء ذلك ؟ » . فإن كان الأمر كذلك تكون قد فقدت إيمانها بالفعل وتريد أن تضم إليها أيوب . وعلى أحسن الفروض فاقتراحها يعبر عن رغبة مخلصة لخروج أيوب من بؤسه بأسرع ما يمكن ، فهى لا ترى إمكانية أن يسترد صحته أو يستعيد ثروته . وكذلك الأصدقاء ، ولذا فهم ينصحونه بالتوبة كالطريق الوحيد لاستعادة ثروته وهى ترى أن الموت هو الخيار الوحيد المطروح أمام أيوب . فهو يجب أن يصلى لله (حرفياً : يبارك الله) لكى يسمح له أن يموت أو حتى يجدف على الله لكى يموت وهى طريقة غير مباشرة للانتحار[1]

(١٠) مهما كان ما تهدف إليه بكلماتها ، فأيوب يرفضه بغضب ، ولكنه لا يدعوها شريرة بل جاهلة أى تعوزها الحكمة والتمييز . فهى تظن أن الله قد عامل أيوب معاملة سيئة ويستحق السب ، ولا يرى أيوب خطأ فيما حدث له .

عند هذه النقطه تدخل تجربة أيوب منعطفاً جديداً ، أصعب من كل ما مر به .

---

(١) نحن لا نستطيع بالضبط أن نعرف مقصدها فضلاً عن دوافعها فإذا كانت تلك المرأة المشتتة الفكر لم تعد تستطيع احتمال منظر زوجها المتألم ولمحبتها لزوجها تفضل له الموت ليستريح من شقائه فقد نلتمس لها بعض العذر فى ذلك . والعبارة التالية (سب الله ومت) قد تعنى « سب الله قبل أن تموت » أى بينما هناك وقت لتفعل ذلك فهى تريد سب الله قبل موت زوجها .

فكلمات زوجته وأصدقائه بدلاً من أن تقدم له يد المساعدة فإنها تسبب له ألماً أكثر ، وضغوطاً قاسية أكثر مما حدث له بالفعل .

إنه لم يجدف على الله إطلاقاً ولكن كل علاقاته الإنسانية قد قطعت . أما موقفه فقد ظل راسخاً كما كان (١ : ٢١) ، فمن حق الله أن يهب العطايا ثم يستردها مرة أخرى (الجولة الأولى) ، ومن حقه أيضاً أن يرسل الخير أو الشر (الجولة الثانية)[١] .

(نقبل) كلمة إيجابية توحى بالتعاون مع العناية الإلهية وليس مجرد الخضوع . إن مثل ذلك الإيمان الإيجابى هو الحجر السحرى الذى يحول كل شيء إلى ذهب ، لأنه عند تقبل الشر كما الخير من (عند الله) فكل اختبار من اختبارات الحياة يضحى فرصة للبركة ولكن الثمن باهظ ، فمن الأسهل أن يضعف إيمانك بالله من أن يرتفع لتلك المكانة الرفيعة . وسوف نلاحظ كفاح أيوب إذ يتعرض إيمانه كل يوم للتجارب لنرى مأساته بسبب أشياء وليست بسبب الله .

(لم يخطىء أيوب) مرة ثانية لم تتحقق تنبؤات الشيطان . قال بعض المعلمين اليهود الذين يحللون كل كلمة : إن أيوب (لم يخطىء بشفتيه) أى أن حديثه كان بلا لوم ولكن أفكاره بدأت تنحرف . وقال (راشى Rashi) بناء على ما جاء بالتلمود « ولكنه أخطأ فى قلبه » ، وهذه نقطة خلاف ظاهرى ومتحيز لأصحاب أيوب بادانته بعدم الإخلاص ، وهو معارض للنص الكتابى ، لأن الله قال مرتين « لم تقولوا فيَّ الصواب كعبدى أيوب » (أنظر ٤٢ : ٧ و ٨) فلو كان أيوب قد أخطأ فى قلبه لقال الرب ذلك ولو كان أيوب يبطن غير ما يظهر لكان قد أخطأ بشفتيه . إن ديانة أيوب كانت أكثر من مجرد سلوك ظاهرى ، فقد كان يعلم أن التجديف على الله بالفكر كان خطيئة شنيعة (١ : ٥) ولو لم تكن كلمات أيوب أمينة ومن القلب لكان ذلك دليلاً على أن الشيطان قد أضله ، ولا يمكن كذلك أن نستنتج أن أيوب قد ضعف فيما بعد وتفوه بكلام خاطىء ، ومع ذلك وبالرغم من بعض العبارات العنيفة التى قالها أثناء الحوار والتى تبدو أنها تصدمنا لأنها لا تتسم بالتقوى ،

---

(١) الكلمة العبرية المستخدمة تشير إلى أى شيء (رديء) ولا توحى بإى شرفى الله الذى يرسل مثل تلك الكوارث قارن إشعياء ٤٥ : ٧ ، عاموس ٣ : ٦) .

وتجاوزه لحدود الحديث الدينى المنمق التقليدى قد جلب عليه استهجان بعض الوقورين الحريصين إلا أن كل النقد الذى أتاه من الله هو أنه قد (أظلم القضاء بكلام بلا معرفة) (٣٨ : ٢)

د . وصول أصحاب أيوب (٢ : ١١ ـــ ١٣)

(١١) إن أساس الصداقة غير معروف ، فأيوب كواحد من القادة فى بلده كان بلا شك شخصية مرموقة دولياً وقد أتى أصحابه من ثلاث دول مختلفة . ولكن هذا لا يبرر التقليد القائل أنهم كانوا ملوكاً . فتيمان مكان مرتبط بأدوم (أرميا ٤٩ : ٧ و ٢٠ ، حزقيال ٢٥ : ١٣ ، عاموس ١ : ١٢ ، عوبدياً ٨ و ٩) وأليفاز اسم أدومى (تكوين ٣٦ : ١١ و ١٥) ، وكان لأليفاز ابن يدعى تيمان (تكوين ٣٦ : ١١ ، ٣٦ : ٤٢) وتيمان مع ذلك كان مرتبطاً بتيما فى بلاد العرب والاسم (بلدد) لم يعرف مصدره اللغوى بعد ، ناهيك عن معناه[١] إلا أن موطنه يقع فى الجزء الأوسط من نهر الفرات المذكور فى النصوص البابلية والمرتبط فى سفر التكوين (٢٥ : ٢) بإبن ابراهيم . واسم صوفر[٢] غير معروف إلا فى سفر أيوب فقد يدل هذا الإسم على إسم أرض أو قبيلة لنعمان ، والمدينة اليهودية المذكورة فى (يشوع ١٥ : ٤١) يصعب أن تكون هى المدينة التى ينتسب إليها .

لا يمكن تحديد مواطن الأربعة أشخاص المتكلمين فى السفر بما فيهم أيوب ، ولكن هذا لا يعنى أنها أماكن خيالية ، ونفس الشىء ينطبق على أليهو (أيوب ٣٢ : ٢) ، ولا يوجد ما يدل على شخصياتهم أو مواقفهم الدينية ، مما ترمز إليه أسماؤهم . وواضح أنهم عاشوا فى أقاليم مجاورة ، وحقيقة أنهم تقابلوا على موعد يبين أنهم كانوا يعرفون بعضهم من قبل ، وكانوا يشعرون أنه من الأفضل لهم أن يجتمعوا معاً ، فليس عناك من سبب للشك فى أنهم كانوا أصدقاء حميمين وأن دوافعهم فى المجىء (ليرثوا له ويعزوه) كانت بداقع الإخلاص له ،

---

(١) مع أن كلا مقطعيه معروف فى الاسماء الأمورية إلا أن الأسم نفسه غير معروف والمقطع الأول فى الأغلب مستعار من الآكادية

(٢) نظراً للقراءات المختلفه لقصة بلعام (عدد ٢٢ ـــ ٢٤) فإن اسم والد بالاق قد يكون صوفر ، وقد جاءت كلمة (طائر) كسوء فهم فيما بعد فقيل (بالاق بن صفور)

وسلوكهم فيما بعد يظهر تعاطفهم مع أيوب فى محنته . ويجب أن نفترض أن الكلمات التى تفوهوا بها بعد ذلك بالرغم من أنه تنقصها الدقة والكياسة إلا أنها كانت مخلصة كذلك .

(١٢) (لم يعرفوه) حيث أنهم كانوا على بعد من أيوب فهذا لا يعنى أنهم ظنوه شخصا آخر ، لقد رأوا كيف كان أيوب مختلفاً عما كان عليه آخر مرة (قارن إشعياء ٥٢ : ١٤ ، ٥٣ : ٣) .

والعلامات التقليدية للحزن كتمزيق الجبة وذر التراب فى الهواء ليسقط على رؤوسهم مع البكاء لا يعنى أنهم لم يكونوا حزانى فى قلوبهم حقاً لأنهم إنما يتبعون تقليداً معيناً فى التعبير عن حزنهم .

(١٣) (وقعدوا معه على الأرض سبعة أيام وسبع ليال ولم يكلمه أحد بكلمة لأنهم رأوا أن كآبته كانت عظيمة جداً)

ونفس الشيء ينطبق على جلوسهم معه (على الأرض) وما كان ذلك ممكناً لو أن أيوب كان منبوذاً بمعنى الكلمة ، فلو كان أيوب أبرص لكان هذا العمل من جانبهم لا يماثله إلا عطف يسوع على الأبرص كما جاء فى (مرقس ١ : ٤١)

(سبعة أيام) هى فترة الحداد على الموتى ، ولكن لا يمكن أن نستنتج من ذلك أن الثلاثة أصحاب اعتبروا أيوب فى عداد الموتى ، فحزقيال جلس متحيراً سبعة أيام عند مقابلته للمسبيين (حزقيال ٣ : ١٥) ، وهنا نجد سبباً مشابهاً فقد رأوا أن « كآبته كانت عظيمة جداً » .

وكان انتباههم مركزاً لا على الشر كشيء مجرد ولا على المشكلة الأخلاقية للألم بلا سبب ، بل على الوجود المادى للإنسان فى مقابل الألم الجسدى ، ولذا فلم يكن هناك ما يقال . لقد ارتعب هؤلاء الحكماء وصمتوا . لقد كانوا أصدقاء حقيقيين لم يقدموا لأيوب الجالس وسط الرماد سوى عطفهم الصامت .

ثانياً ـــ الحوار بين أيوب وأصحابه (٣ : ١ ـــ ٢٧ : ٢٣)

بحسب النص العبرى MT (الماسورى) يوجد ما لا يقل عن سبعة عشر حديثاً فى هذا القسم ، تسعة منها لأيوب وثلاثة لأليفاز وثلاثة لبلدد واثنان لصوفر . ويمكن أن يزداد العدد باستعادة حديث مفقود لصوفر فى الجولة الثالثة (انظر المرحلة السادسة فى القسم الثانى من المقدمة) ونحن لم ندرج الأصحاحات (٢٨) أو (٢٩ ـــ ٣١) فى حساب السفر ولكن الأصحاح (٢٧) مقدم كحديث مستقل منهياً الحوار مع الأصدقاء ، وبذلك تكون جملة أحاديث أيوب عشرة .

ومن الصعب أن نعرف بما نسمى هذا الجزء ، فالحوار يجعله كما لو أن بعض الدارسين يناقشون مشكلة ، وبعض المعلقين كجونز يتكلمون عن إسهام كل واحد كما لو كان الاهتمام الرئيسى للسفر منصب على أفكار أو حلول مقترحة لمشكلة الألم من الناحية الأكاديمية .

أما أن نسميه (مناظرة) فيعنى شيئاً جدلياً ، ولكن هذا يحمل انطباعاً خاطئاً بأنه نوع من الرياضة الذهنية . والأحاديث المدونة هنا ليست مناقشات فلسفية ، فمزبلة أيوب ليست مدرسة للحكمة المرتجلة ثم أن الأحاديث مطولة جداً فلا يصح أن نسميها مناقشة أو حوار ، ولا يوجد ترابط كاف بينها حتى يمكن تتبع الجدل تتبعاً منطقياً .

وفى الأحاديث كما فى الشكل الشعرى لها فالتقسيم المصطنع واضح جداً ... فكل حديث عبارة عن وحدة قائمة بذاتها ، وهذا يجعل فى الإمكان تقديم مجموعة كاملة من الأفكار ، وهذا شبيه بطريقة المسابقة الأدبية ، وهى نوع من المناظرة تقدم فيه الجائزة للشخص الذى يوفى الموضوع حقه بإلقاء أفضل الأحاديث . ويمكن الحكم على الأحاديث بمهارتها وتلقائيتها وليس بفاعليتها فى دحض الخصم وإفحامه . ويفترض وجود جمهور ، فالمتحدثون لا يحاولون إقناع بعضهم البعض ، حتى ولو كانوا يخاطبون بعضهم . ولهذا السبب يصعب غالبا وجود صلة بين حديث والحديث التالى . ولهذا أيضاً يصعب تتبع التقدم فى اكتشاف الحقيقة بتقدم الحوار ويصعب أن ننسب ونحدد موقفاً معيناً لكل من المتكلمين الأربعة بالرغم من المحاولات العديدة التى جرت لذلك[١] ولا

---

(١) أن محاولات إيجاد نمط دينى متميز لكل واحد من أصدقاء أيوب ولو رسم نمط كاريكاتيرى لكل واحد لم يأت بنتائج منطقية ، فوجهات نظرهم تتلاقى وتتقاطع فى عدة نقاط . إنهم بشر لدرجة يصعب معها أن يكونوا نسخاً متكررة .

فائدة من استخدام المنطق التقليدى لاختبار صحة العبارات التى تفوهوا بها ، فالمناقشات التى تدور عفو الخاطر أصدق فى التعبير عن الحياة ، بالرغم من الشكل المصطنع للأحاديث والذى أشرنا إليه سالفاً ، من البحث المضنى فى موضوع تندمج فيه الشخصيات التى لا تزيد عن كونها دمى فى يد المؤلف يحركها كيفما شاء . والأحاديث فى الأغلب مثيرة للمشاعر وأحياناً تعتمد على الشخصيات ، ولا نستطيع أن نجد فى معظم الأحيان فى حديث واحد إجابة مباشرة على الحديث السابق عليه مباشرة لنجعل من الحديث الواحد مفتاحاً للآخر .

والمعلقون مختلفون فى كيفية إدارة الحوار — فهل كان أيوب يتكلم أولاً فيرد عليه أصحابه بالدور (١) أم أن كل حديث من أحاديث أيوب كان رداً فورياً على ما قاله واحد منهم .

وجوهر الحوار لا يخضع لمثل هذا التحليل الدقيق ، مع أنه يجدر دائماً البحث عن ارتباطات بين الأحاديث المتعاقبة كما لو كان كل شخص يستجيب بطريقة ماجزئياً أو بطريق غير مباشر لما قيل فى التو واللحظة (٢) أن أحاديث أيوب تختلف عن أحاديث أصحابه من ناحية واحدة هامة وهى أنها تؤكد الانطباع بأن صراع الكلمات الدائر على أشده لا يوجد بين أصحابه لقاء فكرى . فهم يتحدثون مع أيوب عن الله ، وأيوب بدوره يتكلم عن الله وأحياناً يخاطبهم . هذا إذا أردنا أن نبحث عما يشبه المناظرة . ولكن الكثير من أقوال أيوب فى اتجاه مختلف تماماً ، فأيوب لا يجادل من أجل وجهة نظر معينة ، إنه يحاول أن يفهم إختباره ومن ثم فهو غالباً ما يتحدث إلى نفسه فى حالة صراع عقلى وهو أيضاً يحاول أن يستعيد صداقته المفقودة مع الله ، ولذا فهو يتوسل إلى الله مراراً وتكراراً ، وصلواته قد تصطدم أصدقاءه المتدينين ولكنه على الأقل يستمر فى الحديث مع الله الذى يرى أنه غير مبال به . إن أصدقاءه يتكلمون عن الله ، وهو يكلم الله ، وهذا ما يجعله أكثرهم صدقاً فى السفر .

---

(١) قول اليهو فى (٣٢ : ٢ — ٥) يفترض أن الأصحاب حاولوا دحض أقوال أيوب .

(٢) قد نذهب بعيداً اذا قسمنا كل حديث إلى جزئين . الجزء الأول بمثابة استجابة لما قيل فى الحال والثانى تطوير لمادة جديدة يستجيب لها الشخص الذى يليه . واحاديث أيوب مع ذلك والتى تعد أطول وأكثر من الآخرين ، تخضع أحياناً لمثل هذا التحليل .

والتركيز على هذا الجانب من أحاديث أيوب ضرورى لفهم السفر ككل ، وتأييد الله النهائى لموقف أيوب لا يعنى أن كل حديث لاهوتى ينادى به صحيح ، وأن ما ينادى به أصحابه خطأ . فالأمر ليس بهذه البساطة . ومن الصعب أن نجد فى السفر موقفاً ليس صحيحاً إلى حد ما اذا نظرنا إليه بمعزل عن المواقف الأخرى . فالسفر لا يقف موقفاً جدلياً ضد أى نظرية ، وبعض صلوات أيوب عنيفة ولابد أنها كانت تبدو خطرة من وجهة نظر أصحابه المحترمين ، ومحاولاته الجريئة للوصول إلى فكر الله تتركنا لاهثى الأنفاس . ولابد أنها أقلقت أصدقاءه الحذرين ، فهو حاد الطبع وهم هادئون . وهو ملىء بالحماس وأمين وصادق مع نفسه ، وهو يخبر الله عن شعوره بالضبط وعما يفكر فيه ، ويصعب أن تجد صلوات أفضل من ذلك .

وهناك جانب آخر من أحاديث أيوب وهى أنها لا تحتمل تأكيداً أكثر من ذلك . فالدارسون الذين يعلقون على السفر بالقول إن ثورات أيوب العنيفة فى الحوار تختلف عن هدوئه فى استهلال السفر يفوتهم حقيقة أن أيوب ما بكى أبداً على خسارته فى الأصحاح الأول ولا على مرضه فى الأصحاح الثانى ، فهو منطقى تماماً مع نفسه ، لأن اهتمامه منذ البداية حتى النهاية لم يكن منصباً على ثروته أو صحته بل على الله وعلى حياته مع الله . فهو فى عذاب شديد لأنه يبدو كما لو كان قد افتقد الله . هذا الضمير الحى لا يستبعد خصوصيات حياته البشرية ـــ كعمله وعائلته وجسده من المشهد كشىء لا علاقة له بالله .

فلا شىء يمكن أن يكون غريباً عن فكره وعن الديانة الإسرائيلية عموماً أكثر من عزل العلاقة بالله كالشىء الوحيد ذى القيمة عن حياته جاعلاً الله غير مبال بالفقر أو الحزن أو الألم . على النقيض من ذلك ، فالعلاقة بالله تُعرف من خلال تلك الأمور العادية . فبدون تلك الأشياء فإن أيوب لا يخسر إنسانيته فقط بل يخسر الله أيضاً .

ونجد أمامنا الإجابة جاهزة ليس عندما يقابل الله (وحده) أيوب (وحيداً) ولكن عندما يوجد الله فى عالمه (أحاديث يهوه) وعندما يجد أيوب نفسه مرة أخرى محاطاً بالعائلة والأصدقاء وحتى الحيوانات .

أ ـــ رثاء أيوب (٣ : ١ ـــ ٢٦)

فى الحديث الأول نرى منظراً للبؤس البشرى بحدة تفوق الوصف ، ويصاب أيوب بذهول لأنه لا يمكن أن ينكر أن الرب هو الذى فعل كل هذا به ، وما يدعو للرثاء أكثر من سؤاله الذى وجهه (لماذا) ، والذى لا تستطيع إجابة زملائه أن تقنعه بأى شيء ، حاجته الملحة ليجد صديقه المفقود ثانية . وفى ظل هذه الأحوال ، فلا يمكن توجيه اللوم للأصدقاء ، على الرغم من أن جهودهم المخلصة تزيد من متاعب أيوب أكثر مما تشيع فى روحه الهدوء (١٦ : ٢) ، لأن الرب وحده فقط ، فى النهاية ، يمكن أن يريح فكر أيوب الداخلى ، ليس لأنه يجيب على الأسئلة أفضل من أصحابه فهو لا يبدو أنه يجيب على كل تساؤلاته ولكن بعد أن تكلم ، فقد تخلى أيوب عن أسئلته طارحاً إياها خلفه .

(١) إن أيوب هو الذى تخلى عن صمته الطويل (٢ : ١٣) ، لقد مضى عليه وقت أخذ يفكر فيه فيما كسر قلبه . كان مرتعباً ومطحوناً تحت ثقل حزنه ، وكان حزنه عميقاً لأن الحياة قد أعطتة الكثير . إنه لا يفلسف حالة الإنسان فى هذا العالم ، مع أن المقارنة سهلة وما يقوله يمكن أن يطبقه أى متألم على حالته . وحالته الراهنة تهدد بأن يكف عن إيمانه بصلاح الله الذى جعله إنساناً ، أفضل خليقة الله وفى استطاعته أن يفعل الكثير ، وأيوب نفسه ، أفضل الكل والذى يعتز به الله (أيوب لا يعرف ذلك) وهو مكافح ونبيل وغيور ومثال الكمال فى هذا العالم ، نراه الآن جالساً فى التراب بلا ماضٍ أو مستقبل مع حاضر مليء بالآلام . أما إذا فكر فى المستقبل فكل ما فيه موت يرحب به كوسيلة للنجاة من حاضر يائس مكروه ، ولكنه الملاذ الوحيد من حياة ملؤها العبث ، مثل هذا الفكر قد يجعل المرأة أو الطفل يبكيان ، أما الرجل فيسب « فتح أيوب فاه وسب » [(١)] من المهم أن تلاحظ أن أيوب لم يسب الله ، وفى البدء لعن الرب الأحوال البائسة التى نجمت عن بخطية والدينا الأولين والله لم يلعن الإنسان ، وأيوب لا يسب نفسه لقد (سب يومه) أى يوم ميلاده كما لعن الله الأرض ، ومع ذلك فهو لا يسأل الله وطبعاً

---

(١) إن كان كلام أيوب الأول يتميز بالأنفعال فهذا يعنى أنه لا يمكن القاء اللوم على أصحابه وحدهم عندما استثاروه ليغضب .

لا يوجه اللوم إليه ، وهو لا يتساءل لماذا يرسل الله العاصفة ، ولماذا يسمح بالجريمة وبضياع إنجازات الإنسان . وهو غير حريص على معرفة سبب معاناة الأبرار أى أنه لا يطلب من الله تفسيراً مقنعاً لذلك ، وحتى لو جاء أصدقاؤه بإجابات لا يمكن دحضها على تلك الأسئلة ، فالحقائق التى أزعجته سوف تبقى .. فما أشقى الوجود البشرى ، ما أشقاه حتى أنه من الأفضل أن ينهى الإنسان حياته بسرعة ، وكان من الأفضل لو لم يوجد إطلاقاً . هكذا يسترسل أيوب فى شكواه . فهو يسب يومه (٣ — ١٠) ، ويحن للموت (١١ — ١٩) ويندب الحياة (٢٠ — ٢٣) وينهى حديثه بأنين (٢٤ — ٢٦) .

ولا يمكن أن نؤكد بأن العواطف المتأججة الموجودة فى هذا الحديث تعنى أن أيوب قد استسلم تحت ضغط المشكلات ، وليس هناك إشارة لأن يكون الشيطان قد نجح فى النهاية فى تحقيق هدفه . إن الإتيكيت البورجوازى الذى سيطر على أخلاق المسيحية الغربية وبخاصة تقليد (البيوريتان) لا يصلح لأن يكون هادياً لنا للحكم على صواب حديث أيوب فضبط النفس شيء يختلف تماماً عن عدم إظهار المرء لعواطفه ، وأيوب ليس رواقياً مجاهداً ليكون صافى الذهن دون مشاعر ، فالكتاب المقدس لا يعرف شيئاً عن تلك الفلسفة التى تجرد الإنسان من إنسانيته ولكننا نتبع تقليداً من التقوى الباهتة بلبلت أفكار المسيحيين بأخلاقيات الرواقيين التى وإن كانت نبيلة إلا أنها وثنية (١) ثم أضيفت إلى ذلك إنحرافات أخرى قادت إليها أنواع مختلفة من المذاهب الغنوسية والمانوية(٢) حتى عُرِّف الكمال المسيحى بأنه انتصار العقل على العاطفة (٣) والتى تتخفى أحياناً تحت ألفاظ بولس « الروح » و «الجسد » والعلاج الذى

---

(١) إن تاريخ تفسير ثمار الروح والتى تترجم عادة « التعفف » (غلاطيه ٥ : ٢٣) مفيد لنا بهذا الخصوص . فمن ضبط النفس الذى يحرر طاقات الرياضى فينجز أعظم الإنجازات الرياضية (كورنثوس الأولى ٩ : ٢٥) إلى مجرد الكبت السلبى للرغبة وبخاصة أدانه إشباع الحاجات الجسمية حتى أن الزهد الكامل مثلاً يعتبر فى حد ذاته فضيلة كبرى .

(٢) الغنوسية مذهب ينادى بأن المادة فى حد ذاتها شر والمانوية مذهب يقول بأن العالم تسيطر عليه قوتان قوة النور أو الصلاح الممثلة فى الله وقوة الظلام وتمثل الشر أو الفوضى (المترجم)

(٣) وسوف أشير فقط إلى نظرية (وليم لو) فى « دعوته الجادة لحياة مقدسة » فى هذه الفقره : « أن ديانة الإنجيل ما هى إلا تنقية وإعلاء أفضل ملكاتنا كما أنها تتطلب فقط استخدام العقل واستعمال هذا العالم بحسب ما تمليه علينا عقولنا ، وأن تتحكم فى طباعنا ما يمجد الكائنات العاقلة » إن المعلقين الذين دربوا على ذلك النوع من التقوى لابد أن يستنتجوا أن أيوب كان خاطئاً كبيراً لأنه كان حاد المزاج .

يوصف للمتأملين هو الاستسلام المطلق لإرادة الله دون نقاش وكبح جماح كل المشاعر أو على الأقل تلك المشاعر المتعلقة بالحزن واستنكار الأغلبية المستضعفة التى لا تستطيع السير بهدوء فى أتون التجربة هدوءاً لا يعكر صفوه نيران الغضب الجامح . فلا عجب إذن أن نرى ذلك التقليد لا يتخذ أيوب كمثال يحتذى به وقد أعتبر إشارة يعقوب لصبر [1] أيوب شيئاً يصعب تصديقه ، واعتبر حزنه الطاغى [2] وثورة غضبه أفعالاً جسدية لا روحية .

ولكن أيوب رجل حزين مذلول ويشعر بالألم . جلده يلتهب وأعصابه تحترق ؛ إن إنساناً من الحجر أو النحاس (أيوب ٦ : ١٢) كان يمكنه أن يظل بلا حراك ولكن كإنسان حقيقى فكله اضطراب وانزعاج . وامتحان الرب له لم يكن ليعرف إذا كان أيوب يمكنه أن يجلس هكذا جامداً كقطعة من الخشب .

(٢) (وأخذ أيوب يتكلم فقال) :

إن بكاء أيوب يشبه مزامير الحزن الكتابية الأخرى التى وردت فى (إرميا ٢٠ : ١٤ ـــ ١٨) ومراثى إرميا (٣ : ١ ـــ ١٨) وكلها تصب فى بحر آلام يسوع الرهيبة (متى ٢٧ : ٤٦) كالصرخات الحقيقية للبشرية الضالة محاولة أن تجد إلهها الذى فقدته . فليس هناك مجال إذن لاستنكار ما قاله أيوب ، فالنقد الشكلى أيضاً يساعدنا على فهم الغرض التقليدى لهذا النوع من الحديث . فإذا كان على شكل لعنة كئيبة بأسلوب مبالغ فيه إلا أن المقصود منه هو البكاء على بؤس إنسان واستثارة العطف الإلهى والبشرى ، والشعر يعبر عن الصرخات العنيفة . ونجد التعبيرات فيها توتر وقواعد النحو صعبة

---

(١) يعقوب (٥ : ١١) والكلمة حقاً تشير إلى فضيلة الاحتمال والمثابرة الدؤوبة

(٢) أن المثال الذى قدمه يسوع لنا فى مر ١٤ : ٣٤ لابد أن يسكت للأبد كل نقد موجه لأيوب لأجل دموعه . فالكلمة اتخذ جسداً بشرياً حتى يستطيع أن يبكى . والتمسك بفضيلة عدم الانفعال أو البكاء عند شعوب كثيرة خصوصاً بالنسبة للرجال يرجع إلى تأثير شيشرون وآخرين على الرجال فى عصر النهضة .

أنظر مثلاً مثال De Montaine عن الحزن . وما زالت وسائل الإعلام تمجد أصحاب الوظائف العامة الذين يتماسكون ولا يبكون . ويبدو أن أصحاب أيوب كانت لديهم قدرة بسيطة على البكاء مع الباكين رو ١٢ : ١٥ وعندما نتضايق من الذين يبكون فى الأحزان تظهرنا بنفس مظهر غير القادرين على المشاركة .

لدرجة عدم الترابط ، وقد ضيع المترجمون تأثير هذه الصيغ بمحاولة جعلها سهلة مستساغة . تلك الملامح التى تبدى كصعوبات أمام الباحث ، تحتفظ بالمؤثرات المقصودة للكاتب ولا يصح أن يوجه لها اللوم على أنها السبب فى ضعف النص .

فى السطور الأولى من القصيدة نواجه صعوبات جمة كالتى ذكرناها . فالعبارات المتوازية شعرياً ليست متقابلة ، فكلمة يوم غير معرَّفه فى الأصل ولكن أضاف إليها المترجمون أداة التعريف لتتقابل مع (الليل) وهى معرَّفة ، والأفعال متغيرة الصيغ ، ومعظم المشاكل التى من هذا النوع يمكن حلها دون تعديل النص ، ولكن المناقشات الفنية المطلوبة لتأييد النتيجة ليس لها مكان فى تعليق مختصر من هذا النوع .

وكلمة (الليل الذى قال) أصعب شىء فى القصيدة . فمن غير المحتمل أن نشبه الليل بشخص يتكلم ويشهد لما حدث فيه أو يقدم تقريراً لما حدث فيه لله . ويحل (هارشر (Harsher) هذا الإشكال بأن يغير (قال) إلى (عندما) ولكن ليس لذلك سند من النص . ويمكن إدخال تحسين على التوازن الشعرى للنص بحذف هذه الكلمة المتعبة تماماً . فيكون « اليوم (الذى) ولدت فيه والليل (الذى) حبل فيه برجل » وبذا يحدث تناسب أكثر وتصبح السطور تقريباً متساوية فى الطول . ولكن من الخطأ فى منهج النقد أن نسمح بالتحيز فيما يختص بالمرادفات الشعرية المتوازية لنجعل السطرين متشابهين بقدر الإمكان . وعلينا كذلك أن نفكر فى عدم الترتيب المنطقى بوضع الميلاد قبل الحمل . فحيث أن جنس المولود يعرف فقط عند الميلاد فكلمة (رجل) التى تجعل السطر الثانى أطول من الأول يمكن أن تستخدم فى كلا السطرين .

وبالمقارنة مع (إرميا ٢٠ : ١٥) فكلمة (قال) توحى بإعلان خبر الميلاد للأب ، وإرميا يسب الرجل الذى فعل ذلك . ومن غير المحتمل أن يذاع خبر الحمل كخبر مستقل عن الميلاد . ومن المؤكد أن ميلاد طفل ذكر قد أثلج صدر والد إرميا ولكن أيوب يرى أن ميلاده كان خبر شؤم .

(٤) وما زالت الموازنة بين النهار والليل مستمرة ولكن بتوسع أكثر عند كل مرحلة . (فذلك اليوم) ملعون فى عددى (٤ ، ٥) (وذلك الليل) ملعون فى الأعداد من (٦ ـــ ١٠) ولا يصح تحميل الكلمات أكثر مما يجب

فنقول ليل الحمل ونهار الميلاد ، فالليل والنهار معاً يكونان فترة أربع وعشرين ساعة ولا يوجد لهما كلمة خاصة فى العبرية ، فأيوب يتكلم عن بدء حياته بعبارات عامة . ولعنة اليوم تتكون من ثلاث شطرات مزدوجة ولا فائدة من تفتيتها إلى وحدات أصغر كما فعل كثيرون من المعلقين . والستة أسطر فى الواقع تقدم نموذجاً متكاملاً جيد التكوين ، حيث أن السطر الأول يقدم فكرة عامة مجملة والأخير يلخصها . والفكرة العامة واضحة . فحيث أن الله قد أوجد الأوقات والفصول ، فإن أيوب يتمنى لو لم يكن الله قد فكر فى ذلك اليوم بعينه أو ليت ذلك اليوم ما رأى النور بطريقة من الطرق .

(٥) يملكه الظلام

إن ذلك اليوم ينتمى للظلام ، ولذا فدع الظلام يطالب به باستخلاصه من الأيدى الغريبة وباستعادة ملكيته لأنهما من الأقرباء . والأصل العبرى (g'L) موجود أيضاً فى (أيوب ١٩ : ٢٥) ولبيى وهى بمعنى فادى . أما كلمة (يدنسه الظلام) الموجودة فى الـ (A . V) مبنية على معنى متأخر (يدنس) وهذه الترجمة قد تم احياؤها فى الـ (NEB) بمعنى (بقعة) ، واختيار أيهما ظل مثار أخذ ورد من المعلقين . أما (جونسون) فقد اقترح شيئاً آخر مترجماً كلمة (يغطى) مع المعنى المقترح لكلمة (يحمى) بدلاً من (يدنس)[1]

أما السطر الأخير من عدد (٥) فقد أثار مشكلة أخطر لأنه ليس معروفاً إن كانت كلمة (Kmryry) تعنى (مر) أو (أسود) المترجمة فى العربية كاسفات

(٦) ويعرب أيوب عن رغبة مماثلة بخصوص الليل فهو أيضاً يطلب ليخمده الظلام وليمحى من التقويم أما طبعة الـ (NEB) فقد أفسدت التدفق الشعرى للقصيدة بترجمة الأمنيات كما لو كانت أوامر ، أما ترجمة (R . S . V) فهى الأقرب إلى الحرفية فأفضل منها . أما القول يفرح بين أيام السنة أو فى ترجمة أخرى يدخل بين أيام السنة فيجب استبعادهما . وقد لفت (Dahood) النظر لاستعمال نفس التوازن فى (تكوين ٤٩ : ٦) وأورد دليلاً على أن كلمة (يُرى) أفضل من يدخل أو يفرح .

---

(١) المعنى الأولى للكلمة العبرية (G ')(يفتدى) SVT (١٩٥٣)

إن معنى الكلمة العبرية (Galmud) وبالعربية جلمود المترجمة (عاقر) يبدو أنها بمعنى (حجرى) وهى مستخدمة حرفياً فى أيوب (١٥ : ٣٤) والرحم الحجرى صورة للمرأة العاقر التى لا تستقبل البذور بنفس الطريقة التى تستقبله بها الأرض الجيدة[١]

فإن كان الأمر كذلك فأيوب يكرر نفس الفكرة فى عدد (٣) .

ولكن الليل الذى يقال إنه عاقر (حجرى) والسطر التالى له فيه مقابلة بين ذلك الليل وبين الهتاف حيث يريد أن يقول إن ذلك الليل العاقر يعنى صمت عدم الإنتاج والفاعلية ، ولكن يجب أن نذكر أن السب ليس مقصوداً به الليل بل حوادث الميلاد التى حدثت فيه .

(٨) منذ أن اقترح (جنكل Gunkel) أولاً فى سنة ١٨٩٥ باستبدال كلمة يوم بكلمة يم YM أى بحر ، والأدلة المؤيدة لذلك تتجمع لدى الدارسين حتى أن الـ (NEB) تترجم العبارة هكذا « هؤلاء الذين يربط سحرهم حتى وحش البحر » ، وهذا نوع من المبالغة فى احياء الأفكار الكنعانية القديمة التى أصبحت نوعاً من الخيال يتحلى به الأدب الاسرائيلى . فلا شك أن (لوياثان) هو التنين فى الأساطير القديمة والوزن يؤيد القراءة الجديدة[٢] .

وصعوبة الجزء الثانى من عدد (٨) تظل قائمة مع ذلك . ولكن الوزن يساعد إلى حد ما إذ يوحى باستخدام قوات الظلمة للسيطرة على الظواهر السماوية حتى أن التنين القديم سوف يجلب كسوفاً للشمس ومعنى الكلمة المترجمة مدربون أو (مستعدون) ليس واضحاً ، ونفس الشيء ينطبق على إيقاظ أو استئناس فى ترجمة أخرى . فى هذه العبارة هناك صلة بين القوى المدمرة التى سيسطر الله عليها فى الخليقة ورغبة أيوب فى أن تسود الفوضى يوم ميلاده كما كان الحال قبل الخليقة . ولا حاجة بنا أن نذهب أبعد من ذلك .

(٩) كما تمنى أيوب لو لم تشرق الشمس يوم مولده ، وكما تمنى لو لم

---

(١) فى عدد (١٠) سوف يثار السؤال عما إذا كان الرحم مُغلقاً ضد المنى أو مغلقاً ليتوقف الطفل عن الخروج .

(٢) يسجل (رادلى) قائمة بالمؤيدين لكل من الرأيين «ودورم» و «داويفر وجراى» يؤيدون كلمة (يوم) و (فريدمان) يقدم دراسة تؤيد كلمة (يم) « بحر »

تغرب فى ليلة الحبل به فالآن هو يقول : « لتظلم نجوم عشائه »[1]

والعدد كله يصف المراحل الثلاث لطلوع النهار لأن لكل مرحلة كلمة خاصة فى العبرية ، فهو يبدأ باظلام نور نجوم الليل (٩ أ) وكلمة نور (٩ ب) تشير بنوع خاص هنا للشمس والذى يبشر طلوعها ببدء الصباح ، وقد توقع عدم إشراقها بامتناع ضوء ما قبل الفجر (٩ جـ) وما يسميه (هدب الصبح) هو ضياء الشمس المختبئة .

هذه الصورة الخيالية تضاهى حب (هومر) الشهير لصخب يوم جديد إلا أنه بالنسبة لأيوب فجمال الشروق الهادىء يسخر من القبح الذى يبدو ظاهراً بعد شروقها .

(١٠) هذا العدد يكمل سب أيوب ليوم ميلاده لأن الليل لم يحجز بذرة الحياة أو أن النهار لم يحبس الجنين ولكن فى العهد القديم نجد أن الله وحده هو الذى يغلق أو يفتح رحم المرأة والله هو الفاعل المستتر هنا . واستخدام (أبواب البطن أو المصاريع) (كما فى ٣٨ : ٨) يشير بصورة خيالية إلى الشفرتين أكثر منه إلى الرحم ، دون أن يحدد ما اذا كان سيفتح للحمل أو الولادة والترجمة « رحم أمى » (RSV) أو العبارة « الرحم الذى حملنى » (NEB) مطولة عن النص العبرى الذى يقول ببساطة « بطن أمى » كما جاء فى الترجمة العربية . وبالإشارة إلى « مصاريع البطن » فإن أيوب يعبر هنا عن رغبته أن تظل أمه عذراء (٤ : ١٢) وإجابة ذلك السؤال قد تكون موجودة فى عدد (١٠ ب) والذى لا يتوازن فى الترجمات المعاصرة مع عدد (١٠ أ) « لم يستر الشقاوة عن عينى » يحمل فكرة مختلفة تماماً كما لو كان أيوب الآن يتحدث عن شقاء الحياة عموماً ، ولكن المتاعب التى ترى بالعين المجردة ظاهرية جداً لدرجة أنها لا تصلح أن تصف لنا شكوى أيوب من تركته المثقلة بالهموم . والكلمة تصف المشقة والألم الذى يصادفهما الإنسان ، ولذا فالإشارة للإجهاد المؤلم لحظة ميلاد الطفل يناسب المقام جيداً هنا .

وبدلاً من أن نقرأ الكلمة (Me - eynay) يمكن قراءتها (Me - Ayim) وبذلك

---

(١) (عشائه) وردت (فجره) فى الإنجليزية (المترجم)

يمكن حفظ الوزن لأن هذه الكلمة تعنى البطن الخارجى فى مقابل (Betan) البطن الداخلى (١) وبذلك يصبح كل شىء فى موضعه الطبيعى ، وأن انطباق النفى على شطرى البيت معروف منذ زمن . إن أيوب يتمنى لو ظل فى أمان خلف أبواب الجسم المغلقة فذلك كان يمنع الشقاوة (٢) فلو كانت الإشارة الأولى المقصود بها الميلاد وليس الحمل فإن عدد (١٠) ينهى الحديث عن (ذلك اليوم) مكملاً عددى (٤ و ٥) بينما الأعداد من (٦ — ٩) تتكلم عن (ذلك الليل) . ولكن باستخدام أى تعبير فإن أيوب يتمنى لو لم يولد .

(١١) عند هذه النقطة من حديث أيوب نراه يتحول من السب إلى التساؤل . فهناك تطور فى الفكرة ، فهو يتمنى لو لم يكن قد حبل به وفى حالة الحبل به أن يموت فى الرحم وإذا لم يحدث ذلك فقد تمنى ألا يولد وإذا ولد أن يموت فى الحال . وحيث أنه قد وصل لسن التضوج فهو يرجو أن يموت فوراً(٣) والترجمة الحرفية (من الرحم) فى بعض الترجمات حل محلها (عند الميلاد) فى ترجمات أخرى و حرف الجر (من) (Min) يدل على المكان وكثير من الترجمات بما فيها السبعينية تؤيد ذلك . لدينا إذن فكرة الموت سواء قبل أو بعد الميلاد . ولكن التوازن موجود وذلك بالمقابلة بين (من الرحم) و (من البطن) وبين (أمت) (وأسلم الروح) ، ووحدة البيت تُرى عندما نجد أن (لِمَ لِمَ) فى السطر الأول متكررة فى السطر الثانى . وأن كلمة (أخرج) متكررة أيضاً فى كلا السطرين والإيجاز هنا نتيجة لهذه الحيلة الشعرية ، والترجمة الكاملة إلى الإنجليزية تصبح هكذا :

لم لم أخرج من الرحم وأموت
لم لم أخرج من البطن واسلم الروح

---

(١) الكلمة مرادف لكلمة (رحم) فى (راعوث ١ : ١١) ولها نفس الوزن الشعرى مع كلمة (Beten) (بطن) فى (تكوين ٢٥ : ٢٣)

(٢) يقول (موفات) « يغلق الرحم علىَّ » ويقول (دورم) « يغلق أبواب الرحم الذى أرقد فيه » وهاتان العبارتان لا تحملان فكرة (عدم فتح الرحم) والتعبير المستخدم فى (تكوين ٢٠ : ١٨) يغلق الرحم لمنع الحمل مستخدم أيضاً فى (إشعياء ٦٦ : ٩) لمنع ميلاد الطفل . ونحن نقول بأن الدراسة المتأنية للترجمة السبعينية سوف تؤيد النتيجة التى توصلنا إليها .

(٣) نفس الفكرة تتردد فى (أيوب ١٠ : ١٨)

(**١٢**) (تكوين ٥٠ : ٢٣) يوحى بأن عدد (١٢ أ) يعنى قبول الأب للمولود الجديد ، ولكن الإشارة إلى (ركبتى الأم) كما فى (إشعياء ٦٦ : ١٢) يجعل عدد ١٢ كله وصفاً للخطوات الأولى فى الرضاعة والتربية .

(**١٣**) لو مات أيوب بأى وسيلة لكان أفضل حالاً ليس لأن الموت يقدم تعويضاً أو افراحاً بل بكل بساطة لأنه ينهى شقاء الحياة . فالموت موضوع هام فى سفر أيوب ، وكما سبق أن رأينا ، فى القسم العاشر من المقدمة أن تعليم الثواب والعقاب فى العالم الآخر ليس موجوداً فى سفر أيوب كجواب على المشكلة الأدبية المتعلقة بالخلل فى توزيع الأنصبة فى العالم الحاضر . فأيوب لا يأمل أن يعوض الموت ما تعرض له من المظالم نتيجة لآلامه القاسية التى عاناها بلا ذنب ارتكبه ، بل يكفى أن الموت ينهى هذه الآلام .

فمن التعاليم اللاهوتية لهذا السفر أن الدينونة لا تؤجل إلى ما بعد الموت ، إنها بمعنى سلبى تلغى متاعب واضطرابات هذه الحياة (عدد ١٣) وتصبح مظالم هذه الحياة غير ذات موضوع (١٤ — ١٩) وبرغم الغموض الذى يكتنف الأحوال المعيشية لسكان هادس (Sheol) نجد الاعتقاد باستمرارية الوجود الشخصى والهوية بعد الموت ، والسفر لا يعرف شيئاً عن فرح السماء أو عذاب جهنم فيما جاء بعد ذلك من تعاليم أخروية ولكن لا نجد فى السفر مطلقاً ما يشير إلى أن الموت معناه الفناء أو النهاية لكل شيء . بل إن أيوب فى الواقع يقدم قائمة طويلة بسكان هادس Sheol تتراوح ما بين اولئك الذين وصلوا لأعلى المناصب (ملوك وآخرون عدد ١٤) إلى اولئك الذين لم ينجزوا شيئاً على الاطلاق كالأجنة التى لم تر النور (عدد ١٦) [1] وهو يحسدهم جميعاً لأنه لا يحدث شيء فى القبر .

(**١٤**) إن المظالم الاجتماعية يتم إزالتها فى القبر ، وهذا ملخص لعدد (١٩) الذى يقول إن الصغير كما الكبير والعبد كسيده ، كلهم متساوون الآن .

هناك قائمتان تمثلان النقيضين فى تقابل جميل . ويبدو أن هناك أربع طبقات

---

(١) هذا سبب من الأسباب الجيدة لترك عدد (١٦) كما هو بدلاً من نقله كما جرت العادة فى الترجمات الحديثه (JB - NEB - NAB)

فى كل قائمة : الملوك والمشيرون ، البناؤون والأمراء (أو الأغنياء) فى عددى ١٤ و ١٥ ، والأشرار والمتعبون والمجرمون ومن يُستغلون فى عددى ١٧ و ١٨ هذا التقسيم يوضح أن عدد ١٦ فى موضعه الصحيح فى الوسط بينما عدد ١٩ يلخص كل شىء بوضع الطبقتين معاً .

وعدد (١٤ ب) لم يتضح معناه من قبل بالرغم من المحاولات العديدة لذلك . فالملوك لا يبنون آثاراً لأنفسهم ومع أن كلمة (Bnh) تعنى أحياناً (يعيد البناء) و (يبنى) إلا أن هذه الآثار لا تستحق الذكرى كالمنشآت الأصلية . إن الآثار لا تعنى فقط شيئاً قديماً كالهرم ، ولذا فالإشارة للمقابر مع أنها تناسب القرينة العامة للموت إلا أنها بعيدة الاحتمال هنا .

وكما أن الرؤساء (عدد ١٥) لا يستطيعون أن يأخذوا ثروتهم إلى الهاوية فهكذا مبانى الملوك والتى أضحت أطلالاً الآن تسخر من مجدهم الدنيوى الزائل حيث أن الموت قد سوى بينهم وبين العبيد[١] .

(**١٥**) إن اعتبارات مماثلة توحى بأن بيوت الرؤساء[٢] المكتنزة بالذهب والفضة ليست مقابرهم التى دفنت فيها تلك الكنوز ، ولكن المقصود بأن بيوتهم المليئة بالثراء تصبح عديمة الفائدة لهم فى الهاوية .

(**١٧**) إن هادس أو الهاوية مكان الراحة عدد (١٣) ، فحتى الأشرار يجدون الراحة قبل تلقيهم العقاب الذى يستحقونه ، ومن غير المحتمل أنه يقصد هنا أنهم ممنوعون من الحاق الأذى بالآخرين ، ونفس الكلمة مستخدمة فى نهاية عدد (٢٦) لتصف متاعب أيوب الحالية . إنها توحى بأن (الأشرار) يعيشون فى حالة من الاضطراب العاطفى الذى ينتهى لحسن حظهم بالموت وبذلك نقترب من الفكرة المريرة بأن الصلاح أو الشر لا يختلف كثيراً فى النهاية .

(**١٨**) حيث أنها راحة وليست حرية ، فالأسرى يجدون فى الهاوية أنهم

---

(١) تجدر الإشارة هنا كيف تختلف هذه الفكرة الأسرائيلية عن الموت تماماً عن الاعتقاد المصرى بأن الفرعون فقط أو على الأكثر النبلاء لهم الحق فى الحياة فى العالم الآخر وهى تحمل الانطباع بأن الناس متساوون فى هذه الحياة .

(٢) (الأمراء) فى اللغة الأنجليزية (المترجم)

ليسوا اناساً فى السجن بل أسرى مسخرين باجبارهم على العمل . ولذا فمن المحتمل أن المشار إليهم فى هذا العدد طبقة واحدة وليسوا طبقتين .

(١٩) كما قلنا من قبل فهذا العدد يلخص القائمة كلها . فالصفتان (صغير) و (كبير) يمكن أن يشيرا إلى الحجم والعمر والمركز والثروة . (أنظر التعليق على ١ : ٣ حيث تعنى (كبير) (غنى) فى الـ NEB ، أما (عال ودون) فتشيران إلى المستوى الاجتماعى . وفى الـ RSV (الكبير والصغير) أقل تحديداً ولكنها تحتفظ بنمط قلب الترتيب أو الترتيب المعكوس فى عبارات متوازية مما يجعل من الأعداد (١٤ — ١٩) وحدة واحدة : —

أ اصحاب الامتيازات (من ١٤ — ١٥)
ب المطحونون (من ١٧ — ١٨)
بَ الصغير العبد
أَ الكبير السيد

والترجمة العادية لعدد (١٩ ب) التى تبرزها الكلمات « والعبد حر من سيده » ليست مقنعة تماماً ، حيث أن اتجاه الفقرة كلها اختفاء جميع الفوارق الطبقية فى الهاوية ، وليس أن (العبد) يصبح انساناً محرراً هناك ، فالمعنى الدقيق لكلمة (Hopsi) يشكل مشكلة نوقشت بتوسع فى التعليقات الكبرى . فيبدو أن الكلمات « عبد » ، و« حر » و « سيد » (الا تعنى بالضرورة صاحب عبد بل مواطن يملك أرضاً) ، تمثل ثلاث طبقات فى المجتمع سوف تختفى جميعها بعد الموت .

(٢٠) لقد وجد أيوب أن الحياة غير محتملة (من ٣ — ١٠) والموت مرغوب فيه (من ١١ — ١٩) ، والآن فهو يغوص أكثر فى المشكلة بالتساؤل عما إذا كان ذلك يجب أن يحدث على الاطلاق . « فالنور والحياة » متشابهتان حيث أن مملكة الموت مكان مظلم ، فلماذا تصبح نتيجة هبة الحياة وهى عطية الله الصالحة أن يرغب اولئك الذين حصلوا عليها فى التخلص منها ؟[1]

---

(١) مع أن الترجمات تتفق على جعل (الشقى ومرى النفس المفعول المباشر للفعل (تعطى) فذلك يصبح ذا معنى فقط عندما يكون المعنى (لماذا يستمر الله فى إعطاء النور والحياة لمثل هؤلاء الأشخاص بدلاً من أن يدعهم يموتون كما يفضلون ؟ ولكن التساؤل كان يمكن أن يكون أكثر أهمية بالقول :

« لماذا تعطى الحياة بالمرة من حيث أنه لا ينجم عنها سوى الضنى (أنظر التعليق على (شقاوة) — نفس الكلمة فى عدد (١٠) وزوال الأوهام (المرارة تصف شخصاً ليس لديه ما يحيا لأجله وبخاصة الأرملة المهجورة) وحرف الجر بذلك يشير لنتيجة الهبة وليس لمتلقى الهبة » .

(٢١) إنهم ينتظرون الموت ، ومع ذلك ليس المقصود هنا محاولة الانتحار كوسيلة لذلك . فالموت أيضاً يجب أن يكون هبة الله وبالنسبة لأيوب الآن فالموت قد أصبح الشيء الوحيد الممكن الدال على صلاح الله .

(٢٢) الكلمات المستخدمة هنا لتصف فرح الموتى (عندما يجدون قبراً) كلمات قوية .

(٢٣) هذا العدد يكرر فكرة عدد (٢٠) مكملاً اتجاه القصيدة . وعدم اكتمال النص العبرى نجد له علاجاً فى RSV التى تكرر القول « لِمَ يعطى نور » من عدد (٢٠) ، ولكن الصلة واضحة . والكلمات تقطر بالمرارة أكثر لأننا نجد هنا صدى ساخراً لما قاله الشيطان فى (١ : ١٠) ، فالشيطان رأى سور الله كحماية أما أيوب فيراه هنا كحاجز ، فهو يشعر أنه فى فخ .

(٢٤) إن الأعداد الثلاثة الأخيرة من حديث أيوب غير مفهومة فى الأصل العبرى حتى أن المترجمين حاولوا بكل الوسائل التوصل إلى ترجمة معقولة . فالكلمتان (أنينى) (وزفرتى) ليستا قويتين كما يجب ، والأخيرة تصف زئير الأسود ، وقراءة الكلمة (Km - Ym) بدلاً من (K - Mym) بدون تغيير فى النص تقدم تشبيهاً قوياً إذ تصبح « تنسكب زفراتى كالبحر » ، والإشارة الواضحة (لخبزى) فى السطر السابق قد أعيت جميع المعلقين إلا أن كلمة (جسمى)[1] (٦ : ٧) تقدم حلاً . فالتنهد (الانين) صوت أضعف من أن يعبر عن حزن أيوب العميق ، وهذا يعطى انطباعاً بأن الأنين يصدر من كل جسمه .

(٢٥) (لأنى ارتعاباً ارتعبت فأتانى والذى فزعت منه جاء علَّى)

لم يكن أيوب مكتفياً بما كان عليه فى أيام رخائه ، فقد اتخذ الحيطة لئلا يغضب عليه الله (١ : ٥) ، ومع ذلك جاءته الكارثة .

ومقارنة ما جاء فى الـ RSV (الخوف) بما جاء فى الـ NEB وفى العربية (ارتعبت) يوضح صعوبة أزمنة الفعل ، ولكن ما ورد فى الـ AV أفضل إذ تقول بأن نفس الشيء الذى كان يخشى منه وهو فقدان عطايا الله قد حدث له وهو لا يعرف سبب ذلك .

---

(٢) فى العربية (نفسى) المترجم

(٢٦) (لم اطمئن ولم اسكن ولم استرح وقد جاء الرجز)

بالعدد الأخير أربع عبارات قاطعة وكل منها يقطع كالسكين : ـــ

لم اطمئن
ولم اسكن
ولم استرح
وقد جاء الرجز (وهو القلقلة) وما زال يأتى .

ب ـــ الجولة الأولى من الأحاديث (٤ : ١ ـــ ١٤ : ٢٢)

١ ـــ اليفاز (٤ : ١ ـــ ٥ : ٢٧)

(١) فأجاب اليفاز التيمانى وقال

إن الصمت الدال على عطف أصدقاء أيوب معه يقطعه حديث العطف أيضاً . وكلمات أيوب اليائسة ـــ مع أنها ليست موجهة للأصدقاء إلا أنها ـــ تتطلب بعض التعليقات . فيجرؤ اليفاز على تقديم رد ذكى فى طبيعته ولا يمكن الاعتراض عليه . ومع ذلك فهو لا يتهم أيوب علانية بأى خطأ ، ولكنه يذكره برقة بعدم الموافقة ، هذا إن لم يعتبر الكلام توبيخاً لأيوب باستخدام نفس كلماته .

(٢) لقد ابتدأ بأدب[1] . ويجب أن نلفت الانتباه إلى ظاهرة فى تركيب حديث اليفاز والذى سوف نقابله عدة مرات فى السفر . ففى مجمل حديثه المكون من قطعة واحدة ، لا يجب أن نبحث عن مقدمة الموضوع فى البداية ثم تطوره خلال خط فكرى مستقيم مع تقديم البرهان فى النهاية لكى يتبعه ـــ إذا كان ذلك ضرورياً ـــ التطبيق العملى على حالة أيوب فلا يوجد مثل هذا المنطق المنظم . ولكننا بدلاً من ذلك نجد تركيباً مقلوباً متماثلاً مع القاعة الجدلية فى المنتصف والتطور النظرى قبل وبعد ذلك .

والدرس الذى نخرج به من هذا التعليم نراه على شكل قائمتين متوازيتين

---

(١) إن المشكله تتعلق بالمقدمة فى (إن) الشرطية والغير موجودة فى العبرية . والسؤال والتوازن يوحى بأن اليفاز متردد فى الكلام ليس بسبب رد فعل أيوب مع أنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الكلام ـــ ولكن لأن ذلك يتوافق مع طبيعته الرقيقة . ونحن نقترح بأن عبارته كالآتى : ـــ هل يجب على المرء أن يتجاسر بالحديث معك بينما أنت فى هذه الحالة ؟ ولكن لا أحد يستطيع الامتناع عن الكلام (بسبب الظروف)

برغم أن فاصلاً يفصل بينهما إلا أنهما تكونان مجمل نصائح اليفاز :

أ ـــ حديث افتتاحى (٤ : ٢)
ب ـــ نصيحة (٤ : ٣ ـــ ٦)
ج ـــ معاملات الله مع البشر (٤ : ٧ ـــ ١١)
د ـــ إعلان الحق (٤ : ١٢ ـــ ٢١)
جَ ـــ معاملات الله مع البشر (٥ : ١ ـــ ١٦)
بَ ـــ نصيحة (٥ : ١٧ ـــ ٢٦)
أَ ـــ حديث ختامى (٥ : ٢٧)

والأجزاء المرتبة بهذه الطريقة ليست جميعها ذات حجم واحد ولا حتى الثنائيات المتقابلة ، والشكل المادى أيضاً ليس ذا طبيعة أدبية . وقد جمع الكاتب قصائد صغيرة مألوفة وهكذا فإن (٥ : ٩ ـــ ١٦) احتفاء بعظمة الله وترديد لأعماله فى ترنيمة عقائدية يمكن أن تستخدم فى طقوس العبادة ، والعهد القديم يقدم لنا عدة نماذج مماثلة .

وليس هناك ما يدعو للتساؤل عما إذا كان الكاتب قد استعار أو أجرى تعديلاً أو قلد مثل هذه الترنيمة . ويكفى أن نلاحظ خواصها المميزة وتجانسها مع بقية الحديث .

(**٣** و **٤**)ها أنت قد أرشدت كثيرين وشددت أيادى مرتخية . قد أقام كلامك العاثر « وثبت الركب المرتعشة » . يبدأ اليفاز بعبارة مديح لسمعة أيوب وخاصة مقدرته على مساعدة الآخرين فى ضيقاتهم[1] . (أرشدت) هو التعبير الفنى الدال على (التعليم المستخدم فى دوائر الحكمة للتدريب على الحياة من خلال النظام .

(**٥**) هنا نجد التلميح بأن أيوب غير قادر أن يطبق على نفسه ما نادى به للآخرين . والكلمات (ضجرت) و (ارتعت) فسرهما (موفات) تفسيراً مرتبط بالحالة الجسدية بالقول (ارتخيت) و (أنهرت) ولكننا لا نقدر أن نلتمس العذر للاكتئاب النفسى . ويستخدم (Pope) كلمة (مرتعب) ليصف الصدمة التى أصابت أيوب وحيث أن الكاتب لم يخبرنا بأى نغمة كان

---

(١) أنظر حديث أيوب نفسه فى أصحاح (٢٩) عن ذلك

يتكلم اليفاز فى تقديم هذه الملاحظات ، فالمعلقون قالوا إنها كانت نغمة السخرية والنفاق . وإنى أفضل الشك فى ذلك لصالح اليفاز وأجد فى كلماته تذكيراً رقيقاً بأن حياة أيوب التقية فى الماضى قد أعطته قوة لمواجهة الكارثة الحالية وأن كلماته لا تحمل سخرية أو تعييراً

(٦) إن (خوف الله) أفضل تعبير عن التقوى الكاملة ويستخدم موفات كلمة (الديانة) ويقول بأنها طابع يميز أيوب (١ : ١و ٨و ٩ .. الخ)[١] .

والنتيجة الحتمية لتلك التقوى (كمال طرقك)[٢] ، والكلمة لها نفس اشتقاق الكلمة التى تصف أيوب فى (١ : ١) ، (٢ : ٩) وهى صفة تلازم شخصية الرجل التقى . ولابد أنها تمد أيوب بأساس متين « للثقة » و « الرجاء » . إن اليفاز بعيد كل البعد عن اتهام أيوب بالخطية ، فهو يذكره بإيمانه ويحاول أن ينعش روحه بتذكيره بأن حياته كلها مبنية على الاعتقاد بأن الله يساعد الصالحين ويعرقل طرق الأشرار . فهذا هو التعليم الذى يؤكده كل الأصحاب بطريقة أو بأخرى ، وهو أيضاً اعتقاد أيوب . إنهم لا يستطيعون أن يقولوا شيئاً آخر وإلا فكأنهم يقولون إن الجهد الأخلاقى عبث وإن الله غير عادل . ولكنهم جميعاً على شفا هوة عميقة . فالأصحاب لابد أن يستنتجوا من آلام أيوب أنه قد أخطأ وأيوب لابد أن يستنتج أن الله غير عادل من حيث أنه برىء .

(٧) إن سؤال اليفاز الذى يوحى بقاعدة شاملة يُبدىء المشكلة . وباستخدام كلمات مثل (هلك) و (أبيد) يوحى بأن أيوب كرجل بار يمكنه أن يثق فى نجاة سريعة . إن اليفاز ليس ساذجاً لدرجة التظاهر بأن الأبرار لا يواجهون مشاكل أبداً . وكما سوف يقول فى نهاية حديثه (٥ : ١٧ — ٢٦) بأن الرب يخلص الأبرار من متاعبهم .

(٨) ولكن اليفاز يذهب إلى أبعد من ذلك ، فكونك تلجأ لمبدأ عام

---

(١) فى اللغة العبرية حرفياً (خوفك) ولكن المقصود هو (خوفك من الله) بينما يعكس ذلك صعوبة نحوية بوجود أثنين من ضمائر الملكية لاسم واحد ، ولكن يجب التنبير على أن كثرة استخدام مثل هذه التعبيرات الموجزة فى سفر أيوب يجعل لاسلوب السفر طابعاً مميزاً من تركيز المعنى بالرغم من أن ذلك يربك المترجمين .

(٢) يستخدم العهد القديم عادة كلمة (طرق) لوصف العادات الأخلاقية .

واضح لكل ذى إدراك سليم شيء و كونك تطبق ذلك المبدأ على حياة أيوب بنوع خاص شيء آخر .

فاليفاز يقول إنه لم يجد استثناء من القاعدة التى تقول « إنك تحصد ما تزرع » ، كالمرنم الذى يقول بكل قناعة « كنت فتى وقد شخت و لم أر صديقاً تخلى عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً » (مزمور ٣٧ : ٢٥) واليفاز الآن يستحق أن يقال له « وانت لم تر بعد كثيراً »[١] فالتعليم ليس مبنياً على حوادث ملموسة . وقضيه أيوب لا ينطبق عليها هذا القول ، ويجب أن يجتاز إيمانه الآن عاصفة من الحقائق المتناقضة[٢]

(٩ ــ ١١)يستخدم اليفاز أحياناً البلاغة لتدعيم الحجة التى ينقصها الدليل ، فهو يوضح قوله باستخدام الصور الجميلة ، فالحيوانات الكاسرة قد ترعب الدنيا لفترة من الزمن ولكن (نسمة الله) تبيدها بسهولة .

(١٢) كيف يعرف أليفاز ذلك ؟ لقد لجأ إلى الاختبار وكأنه يشك فى متانة موقفه فيتجه إلى معرفته بالأسرار الالهية ، ومنها فهم مصير الأشرار نتيجة لرؤيا فى حلم . وبخلاف الأنبياء القدامى الذين سمعوا كلمة الرب بكل حواسهم المتيقظة فإن اختبار اليفاز يشبه اختبار بلعام (عدد ٢٤ : ١٥) ولقد نجح الكاتب فى خلق جو من الغموض والضباب حول ذلك الاختبار .

(١٣ و ١٤)ليس هناك ما يدعو لأن ندعو اليفاز منصوفاً وليس هناك حاجة للتساؤل عن اخلاصه بحجة أن ادعاءاته كاذبة .

---

(١) حيث أن مزمور ٣٤ يعبر عن نفس تلك الحقيقة بفرح ومقتبس منه للتدليل فى رسالة بطرس الأولى (٣ : ١٠ ــ ١٢) ، وهذا التعليم يحتل مكانه كوعد إنجيلى ، وهو وعد شائع فى العهد القديم (أمثال ٢٢ : ٨ ، إشعياء ٣ : ١٠ ، هوشع ٨ : ٧ ، ١٠ : ١٣) وقد كرره يسوع بصراحة حين قال « بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (مرقس ٤ : ٢٤ ، غلاطيه ٦ : ٧) ، وبولس يؤكد ذلك بالقول « شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح » « لأن ليس عند الله محاباة » (روميه ٢ : ٩ ــ ١١)

(٢) يوضح بولس ما يسعى أيوب لفهمه ، فتلك العقيدة أو ذلك المبدأ العام لن يثبت أمام اختبارات الحياة مالم نؤمن بتحقيقه فى النهاية على الرجاء لأن الحصاد هو انقضاء العالم » (متى ١٣ : ٣٩) وسوف لا يتحقق اعتقاد اليفاز إلا « فى اليوم الذى يدين فيه الله سرائر الناس حسب انجيلى بيسوع المسيح » (روميه ٢ : ١٦)

(السبات) نفس ما حدث لآدم (تكوين ٢ : ٢١) ، وابراهيم (تكوين ١٥ : ١٢) وشاول (صموئيل الأول ٢٦ : ١٢) وكل تلك الحوادث مصدرها الله وقد سُمعت الكلمات ليس فى غيبوبة مفتعلة بل فى حلم . والكلمة المترجمة (أفكار) لم ترد إلا فى هذا الموضع وفى (أيوب ٢٠ : ٢) وتعنى تهيج الأفكار فى وجود القوى الخارقة للطبيعة والموصوفة وصفاً عادياً فى عدد (١٤)

(١٥) إن وصف رؤيا الحلم يأتى نتيجة الاستحضار وليس التصوير ، فيقول إن تلك الروح لها (شبه) معين فى عدد (١٦) ولكنه يستعصى على الوصف . « والروح » كائن متميز يتكلم ومع هذا ومع غموض اللغة العبرية التى تعنى فيها الكلمة ايضاً معنى (الريح) ليس من الواضح أن كانت تلك (نسمة هواء) باردة ، حسب رأى (رادلى) ، اقشعر « لها » (شعر جسده) أم هو طيف عاقل وروح الله نفسه هو الذى اقشعر له شعر جسده[1]

(١٦) يستمر الإحساس المخيف بوصف شكل مرئى لا يمكن تمييزه ، « وصوت » مسموع كان « صمتاً » ، ومن الأفضل الاحتفاظ بذلك الجو الحالم الذى يضفى على ذلك الخبر نغمة صدق بدلاً من محاولة جعله فى صورة أوضح أكثر تفصيلاً بلا خيال بالحديث عن شكل غير واضح المعالم وعن صمت يعقبه كلام . « الذين يحلمون يدركون سماعهم لحديث يعرفون أنه بلا صوت) .

(١٧) بعد هذه الرؤيا نتوقع أن نستمع لاعلان وليس إلى قضايا مسلم بها . فالترجمة الحرفية للعبرية والمستخدمة تبين التساؤل :

هل الإنسان الفانى أكثر عدلاً من الله ؟ وهل الإنسان أظهر من صانعه ؟!! واضح أن هذا مستحيل ، لدرجة أن وضع السؤال بهذه الطريقة غير اللائقة

---

(١) من إحدى الصعوبات النحوية فى اللغة العبرية فيما يختص بهذا العدد أن كلمة (ريح) المؤنثة يبدو أن لها فعل مذكر ، وباستخدامه والضمير الذى يعود عليه فى عدد ١٦ فإن ال الترجمة قد طمست الحقيقة الهامة عما ورد العبرية من استخدام كلمة تعتبر وقفاً على الروح بصيغة المذكر وكذلك كلمة منظرها والأفضل منظره كمذكر وهذا يثبت فى رأيى أن الضمير يعود على روح الله وليس على الريح .

تجعل من أليفاز شخصاً مدعياً متعجرفاً وغير عادل فى نفس الوقت لأن أيوب لم يستفسر عن طرق الله ، ناهيك عن المطالبة بأن يكون أفضل من الله وكل ما فعله أن قال إنه يشعر بأنه بائس وأنه يتمنى الموت لنفسه ، ولكن اليفاز يستنتج من ذلك أن أيوب ينقد الله . إن المأخذ الوحيد على أيوب هو الضعف (٤ : ٥) ، هذا وقد جعلت ال Rsv السؤال فى صورة مخففه بأن وضعته على شكل مشكلة لاهوتية عامة « هل يمكن أن يقف الإنسان طاهراً أمام خالقه[1] ؟ » ، فهو بهذا الشكل يعبر عن حقيقه عامة والإجابه المتوقعه بالنفى ، أما السؤال عن « كيف يكون الانسان مستقيما أمام الله » فلم تتطرق إليه أى ترجمة .

(١٨) ليس واضحا إلى أى حد يمتد حلم الرؤيا ، فقد تكون نهايته حتى آخر عدد (١٧) ، فتكون الاعداد من (١٨ — ٢١) هى تفسير أليفاز . والمترجمون عامة يستمدون فى وضع الأقواس الدالة على استمرار حديث أليفاز حتى نهاية الاصحاح . إن أليفاز يتبع منهجا دينياً سوف يؤدى به إلى ارتكاب خطأ فاحش ، ولهذا السبب يستحيل على أيوب ان يناقض أقواله ، فعليه أن يوفق على المقدمة ولكنه يعترض على الاستنتاج . إن الفارق بين الله وخليقته فارق عظيم وغير محدود .

إن اعتقاد الكاتب بالإله الواحد يختلف اختلافا جذريا عن الاعتقاد بتعدد الآلهة والذى مازال يستخدم بعض مفرداته .

فخدام الله (حزقيا : عبيده) أسمى من البشير بكثير والملائكة (حزقيا : « رسل ») والقديسون (٥ : ١ وفى الـ A . V حزقيا « قدوسون ») وعلى النقيض من البشر الضعاف « الساكنين فى بيوت من طين » (عدد ١٩)[2] فتلك الارواح الفائقه تبدو قريبه جدا من الله ومع هذا فهى أدنى منه بكثير لدرجه أنه لا يأتمنهم على أسراره .

وحقيقه أن الفعل فى عدد (١٨ أ) يعنى (يؤمن) لا يعنى أن الملائكة

---

(١) الـ (NEB) جعلته « ابر .. أطهر »

(٢) ان كان ذلك يرمز للجسم البشرى المكون من تراب (تكوين ٢ : ٧) فهى صورة لا مثيل لها فى العهد القديم الذى لا يتحدث أبدا عن الجسم كمسكن للانسان (قارن كورنثوس الثانيه ٥ : ١) و « اساسهم فى التراب » تشير الى تواضع تلك المساكن المصنوعة من الطين .

(ساقطون) ولذا فهم كاذبون ولكن ذلك يعنى أن تلك الكائنات الفائقة لا يمكن الاعتماد عليها ، والله نفسه هو الذى يجرى اعماله دون مساعدة من أحد ، ومعنى الكلمة المترجمة (حماقة) فى عدد (١٨ ب) [1] والتى وردت هنا فقط قد خضعت كثير من التخمين والتعديل .

(١٩ — ٢١) ونفس الشيء ينطبق على الاشارة الواضحة (اللعث) تلك الكلمة التى اثارت عدة اقتراحات مدهشه ، فكثير من الدارسين قد استبعد السطر كله ، وأحدث محاولة للتغلغل فى فهم سر عدد (١٩ ب) كانت على يد (Blommerde) الذى توصل إلى انه يعنى « فهل بعدئذ .. يكونون أنقياء أمام خالقهم » وقد اتخذ من (ايوب ١٥ : ١٥) ، (٢٥ : ٥) سنداً لرأيه ، وحيث ان هذا الاقتراح يتضمن الكثير من الصعوبات فيجب تركه لاختبار الزمن .

والفكرة العامه مع ذلك واضحة ، فاليفاز يستخدم عدة تشبيهات يحبها معلمو الحكمة لاثبات ضعف الانسان ، فالاشاره الى العث باقيه ، حيث ان هناك دليل على ان حرف الجر المترجم (أمام) يمكن احيانا ان يعنى (مثل) ، ملحوظه الثانيه عن شخص (يحطم) بين الصباح مساء تنطبق على حشرة قصيرة العمر .

وتشبيه أليفاز الأخير لوجود الانسان المتقلقل هو تشبيه الانسان بخيمه يمسك بها حبل واحد ، والانطباع مخيب للآمال فى النهاية .

« فهم يحطمون بدون منتبه إليهم » (٢٠ ب) ، [2] « يموتون .. بلا حكمة » (٢١ ب)

وآخر عبارة دونت عن أصحاب أيوب قولهم بأن الانسان « رمة » (٢٥ : ٦) وأيوب على استعداد للموافقه على ذلك لأنه قال عن الله لانه ليس

---

(١) تعنى (خطأ) بالانجليزيه المترجم

(٢) إن تمجيد أليفاز لله والذى كان يقصد ان تقول من ورائه شيئا قد قاد الى نتيجه مرعبه ، فان كان الله لا يأتيه بالملائكه فما بال البشر ؟

هو إنساناً مثلى » (٩ : ٣٢) ، ولكن الاستنتاجات تختلف ، والهوة بين أيوب وأصحابه تتسع ، وموقف أيوب يصبح أكثر جرأة وأكثر إيماناً من إشارات اليفاز العديمة المعنى . فالله فى قوته الهائلة يختلف عن البشر فى ضعفهم ، ولذلك تبدو معاملته لهم غير عادلة . والله عظيم جداً حتى أنه ليس ضرورياً الحط من قدر الإنسان لتجنب الله مقارنته بالإنسان . والله ليس مضطراً للإحتفاظ بسر وجوده بإخفاء أسراره عن البشر . والأصحاب على حق حين يلفتون نظر أيوب إلى أن الله سر لا يدرك كنهه ... ولكنهم يتخذون خطوة خطرة برفض أيوب أن يقتفى أثرهم فيها .. إنهم يستنتجون من عدم مقدرة البشر على فهم الله الكلى القوة أن عدالته كذلك يستعصى فهمها على البشر .

فأيوب يعرف جيداً أنه مجرد مخلوق ولكن مخلوقاً خلقه مثل هذا الاله لا يمكن أن يصبح مجرد مخلوق ، فهو لا يمكن أن يصمت عندما تذكره بأنه ليس من حق الإنسان الصغير أن يستجوب طرق القدير . قد تكون أسئلته بلا إجابة ، ولكنه سوف يستمر فى التساؤل ويصر على حقه فى أن يسأل ، وأسئلته تنبع من معرفته عن الله ، وإجابته على السؤال الوارد فى (٤ : ١٧) يمكن أن تكون كالآتى : ــ

من الضرورى على الإنسان أن يكون مستقيماً مع الله ومن الضرورى كذلك أن يكون الإنسان على اتفاق مع الله فيما هو صواب ، ومن الضرورى كذلك أن يتلقى الإنسان من الله تأكيداً أن ما يفعله الله صواب ، صواب بالمقاييس البشرية ، ومن الجوهرى بالنسبة للإنسان أن يتلقى من الله تأكيداً بأن الإنسان على صواب ، على صواب بالمقاييس الإلهية » (أنظر أيوب ٢٧ : ٢ ــ ٦)

(٥ : ١ و ٢)بناء على ذلك فكلمة اليفاز التالية ضربة قاصمة لايوب ، فهو يقول إنه من العبث أن تدعو الله فى الصلاة لأنه لا يجيب لك . هذه ليست عبارة عامة لأن اليفاز نفسه كان يزعم منذ قليل بأنه تلقى رؤيا خاصة . إن المقصود بهذا الكلام هو أيوب نفسه . فاليفاز يبدو أنه قد استنتج أن أيوب قد صار غبياً بغيظه وغيرته (عدد ٢) ، لقد رفض تأديب القدير (٥ : ١٧) ، ولسوف يصف اليفاز لأيوب فيما بعد الحالة الفعلية التى يمكن لأيوب أن يصلى بها ، ثم أن أيوب غير لائق أيضاً لخدمة الوساطة التى يقوم بها

القديسون . وفكرة الوساطة التى قد تساعد الإنسان ليكون على صلة بالله أو لبدء المفاوضات بينهما فكرة ذات أهمية بالغة فى السفر . فأيوب نفسه يرى الحاجة لوسيط ذى رؤيا واضحة . والفكرة ليست جديدة ، فقد كانت المرائى فى البلاد الشرقية ، والتى نوقشت فى الجزء الرابع من المقدمة ، ترفع للإله الشخص للإنسان المتألم ، وهو عادة إله صغير ، لكى يعرض حالة ذلك الإنسان فى مجمع الآلهة . ورفض اليفاز لهذا الطريق إلى الله ، فى عدد (١ ب) يعتبر دفاعاً اسرائيلياً قوياً ضد تعدد الآلهة ، ولكن نتيجة لهذا الاتجاه تم استبعاد أى اتصال ممكن بين الله وخلائقه ، ومحاولة سد هذا الفراغ بخلق أساطير جديدة عن الملائكة فى الفكر اليهودى المتأخر ، وحيث أن الاعتقاد بالملائكة ليس موضع شك فلم تشكل تلك الأساطير أى تهديد ضد الاعتقاد بوحدانية الله[1]

وأيوب يبحث فقط عن حاجته التى يشعر بها ، ويصعب عليه أن يتوصل إلى الحل الذى لا يصدق أحد أن يحدث فى الوقت المعين ألا وهو تجسد الله نفسه فى الإنسان يسوع المسيح « الوسيط الوحيد بين الله والناس »[2] (تيموثاوس الأولى ٢ : ٥) .

(٣) هناك توازن فى الصورة بين مصائب (الغبى) (التعبير الغنى يبين أن أمامنا هنا شيئاً مماثلاً لتعليم الحكمة) فى الاعداد من (٣ — ٧) ومزايا « تأديب القدير » (٥ : ١٧) والذى يتلقاه نقيضه « الرجل الحكيم » كما هو موضح فى الأعداد من (١٧ — ٢٦) (فالغبى) قد يزدهر للحظه ولكن فجأة ينقلب الحال وعدد (٣ ب) يوحى بأن لعنة رجل صالح

---

(١) إنه سؤال طريف فى تاريخ الفكر : عن مدى الاعتراف بالملائكة كشخصيات متميزة مما يظهر انبثاق الموضوع من الخرافات السائدة عن الآلهة القديمة المهجورة والأسماء القديمة لرؤساء الملائكة بصفة خاصة مشكوك فيها .

(٢) لتقرير الاختلاف الكبير بين العقيدتين اليهودية والمسيحية نسجل هنا ما يأتى ليس من قبيل النقد : « لا يوجد وسيط بين الله والإنسان ، لا الله الإنسان ولا ملاك ولا شفيع ولا وسيط » (ملتون ستينبرج أساس اليهودية سنة ١٩٤٧) ، وبالاجمال لا يوجد خلاص كفارى ، فعلى كل إنسان أن يفدى نفسه ، وهذه العبارات المتطرفة مخالفة لتعاليم العهد القديم بأن الرب هو فادى اسرائيل وأن الأنبياء العظام كانوا وسطاء بين الله وشعبه .

كأليفاز [1] يمكن أن تؤكد سقوط الغبى ؟ أما حكاية لعن (مربضه) أى مسكنه فقد أوقعت المعلقين فى حيرة ، فهى تعقد صورة قضاء الله أو أن النمو الطبيعى للمشاكل بسبب الخطية يحتاج لصلاة حتى يظهر ، ولكن الجمع بين ارادة الله والأمور الطبيعية والوساطة البشرية متواجد فى كل أجزاء الكتاب المقدس ، وهناك اهتمام خاص بالكلمة المترجمة (مربض) . إنه اصطلاح رعوى يصف أراضى المرعى ، وبعض استخداماته فى اللغة العربية يفيد تنقلات البدو الرحل للرعى أو إقامة معسكرات . فالكلمة اصلاً كانت تعنى (إقامة الخيمة) فى العصر البرونزى الوسيط ويشهد بذلك (Mari) ولكن فى معناها الأشمل فهى تضم كل المنطقة التى يحق للراعى أن يرعى غنمه فيها ، ومن ثم تعنى كل المنطقة الخاضعة لنفوذه[2] أو ميراثه . هذا المعنى الأكثر شمولاً يناسب كل المصائب المعروفة فى الأعداد من (٤ ــ ٧) ، وبالأضافة إلى ذلك فالشخص الذى يوضح وجهة نظر اليفاز ليس راعياً ولكنه فلاح .

(٤) سوف نرى فيما بعد احتجاج أيوب على التعليم بأن خطايا الرجل تحل بأطفاله (٢١ : ١٩) بدلاً من (الباب) من المحتمل أن تقرأ الكلمة (عاصفة) ونرى فى هذا العدد اشارة قاسية لأيوب (١ : ١٩) . (ولا منقذ) اشاره متكررة تعنى أن الحدث صادر من الله لا يستطيع أحد أن يمنعه .

(٥) معنى هذا العدد أقل وضوحاً فهو يمكن أن يعنى أن عائلة الغنى تفتقر (مزمور ٣٧ : ٢٥) فمعظم المترجمين يلمحون إلى أن معناه تدمير محاصيله على يد قطاع الطرق واللصوص .

(٦ و ٧) (إن البلية لا تخرج من التراب والشقاوة لا تنبت من الأرض ولكن الإنسان مولود للمشقة كما أن الجوارح لارتفاع الجناح)[3] هذه

---

(١) نرى هنا أن غروره وخيلاءه ، ناهيك عن عدم شفقته تفسد خدمته ونصائحه ، فالاصرار والتأكيد على عدالة مكافآت الله للاتقياء يصعّب من وجود مكان للرحمة تجاه الأشرار ، وهنا نجد العهد القديم يتجه نحو خلق مشكلة (بالنسبه لله) لن يحلها سوى بر المسيح .

(٢) هذه النقلة الساميّة حدثت فى العبرية فى العصر البرونزى المتأخر فهذا معنى الكلمة فى خر ١٥ : ١٣ حيث نجد المماثل فى عدد ١٧ الذى يصف أرض الموعد باعتباره ميراث الله . وبتأثير اللاهوت اليهودى المتأخر فقط صار جبل ميراث الله هو جبل أورشليم المقدس . والكلمة Náweh تكتسب المعنى الخاص للقبر . أما فى العبرية فقد تحولت هذه الكلمة إلى كلمة عامة تعنى مسكن . لذلك يمكن استبدالها بكلمة ميراث أو منطقة خاصة ، بالمعنى العام .

(٣) فى الانجليزية « كما يطير الشرر لأعلى » (المترجم)

الأعداد تريد أن تقول بأن متاعب الإنسان تأتيه من داخله ولا يمكن تلافيها .

وفى (تكوين ٣ : ١٧ ــ ١٩) نجد أن متاعب الإنسان صادرة بأمر إلهى قد جاءت من صراعه مع بيئة معادية شديدة المراس . ولكن يبدو أن اليفاز يتكر ذلك مشيراً إلى مصدر آخر .

وفى القصيدة التالية (الأعداد من ٩ ــ ١٦) نراه ينسب مثل هذه التجارب لله ولذا فمع عدم ذكر أى مصدر إلهى فى الأعداد من (٣ ــ ٧) إلا أنه من الجائز أنه يلمح إلى أن الرب هو السبب الخفى لمتاعب الغبى مع أنها شائعة لدرجة أنها قد تبدو طبيعية (عدد ٧) .

والإيمان بالقضاء والقدر يبدو واضحاً فى عدد (٧) والذى قد ازعج المعلقين والبعض منهم الذين لم يستطيعوا اعادة كتابته ليناسب سياق الكلام بصورة أفضل قد استبعده ببساطة . فإذا كان التشبيه المألوف (كما يطير الشرر لأعلى) (فى العبرية حرفياً « أبناء رشيف Resheph) يصف شيئاً دائم الحدوث دونما تدخل من أحد ، إذن فاليفاز قد كف عن محاولته إيجاد تفسير أخلاقى وبذلك يقدم تعزية متعبة لأى متألم . ولا يمكن أن نأمل فى فهم أفضل حتى نكتشف من هم ابناء (رشيف) ، وحيث أن (رشيف) هذا هو إله كنعانى لا نعرف عنه قدراً كبيراً من المعلومات ، فأمامنا إذن عدة صور تشبيهية من الأساطير القديمة بدلاً من الصورة المألوفة « للشرر »أو « الطيور » ولتقرير ذلك يجب توجيه الانتباه إلى أن الفعل يصف الارتفاع كالطول وليس كالمسافة فوق الأرض ، ولذا فغرور الانسان يكون فى الفكر ، هذا مع أن الكلمة الأخيرة توحى بطيران الطيور[1]

(٨) حتى هذه اللحظة يبدو تعليم اليفاز مثيراً للكآبة ولكنه يحاول الآن أن يعزف نغمة أكثر إشراقاً ، فالإيمان بالله ينقذ الإنسان من التشاؤم . والترجمات الانجليزية حسب الـ RSV والـ NEB تستخدم التعبير (أما من جانبى) ولكنها لا تعبر عن الانتقال فى الحديث كما فى العبرية (Ulâm) والعربية التى تعنى (لكن) والتى تعطى لكلمات اليفاز بعداً جديداً ، والدعوة للصلاة مصاغة بعبارة قانونية . فطلب الله فعل متعمد وليس مجرد تفويض « أمره »

---

(١) « الآلهة والآلهات ذوات الأجنحة فى الواح أور » ل C . F . Fensham سنة ١٩٦٦

إلى الله بل تسليم قضيته برمتها له (حرفياً : أقدم) .

وهذه النصيحة بلا معنى لأن أيوب لا يرغب فى شىء أكثر من ذلك .

(٩ ــ ١٦) تعد هذه الترنيمة من أجمل الأمثلة من هذا النوع فى الكتاب المقدس ، وإحدى أوضح الفقرات فى سفر أيوب حتى أنها لا تحتاج لتعليق . ويوجد مثيل لعدة سطور منها فى أجزاء أخرى من العهد القديم . والقصيدة تعدد مآثر الله بذكر اعماله فى عبارات وصفية ، واستخدام الفعل فى المضارع يوحى بأن تلك صفات الله وأعماله المستمرة ، ولا يوجد فاصل بين الخليقة أو الفداء .. ولله قوة مطلقة على الطبيعة (بدءاً من عدد ٩) وهو المتسلط على شئون البشر (من ١١ ــ ١٥) والمهيمن على المطر عدد (١٠) وهو مثال ملائم لأعمال الله التى لا تعدو ولا تحصى ، وقد تستعصى على الفهم لأن المطر يمكن أن يستخدم فى تدمير الإنسان أو إعالته . ففى مثل الطوفان استخدم المطر فى القتل والانقاذ معاً ، وهذا الاستخدام المزدوج سوف يتضح بصورة أشد فى أحاديث يهوه ، ولذا فهو يعد نموذجاً ملائماً لأعمال الله النافعة والمدمرة فى آن واحد ، وكلها توحى بالثقة فى عدالته .

وتغيير النغمة فى الأعداد من (١١ ــ ١٥) يجعل ترتيب الثلاثة سطور المزدوجة الأخيرة والتى تقول كيف أن الله يحبط أعمال المحتالين والحكماء (١٢ ــ ١٤) داخل السطرين اللذين يصفان تشجيع المتواضعين والخائفين (١١) وإنقاذ البائسين (١٥)[(١)]

(**١٥**) فى الـ (RSV) نجد لفظ (اليتيم) وفى الـ (NEB) نجد كلمة (المعدم) .. الخ وهذه كلها مبنية على تعديلات ليس لها سند من النص ، أما الـ (MT) فهى حرفياً (المنجى من السيف من فمهم) .

ولقد حاول معظم الدارسين جعل ذلك أكثر وضوحاً ، والنقص الواضح كلمة على وزن (البائس) فى السطر التالى ، ولذا فقد اكتسبت كلمة

---

(١) يبدو النمط أكثر تعقيداً من ذلك . فكل وجه مكون من ٣ أعداد ، وعدد (١٤) يلخص عددى (١٢ و ١٣) وعدد (١٦) يلخص عددى (١١ و ١٥)

(اليتيم) قبولاً عاماً ، ولكن البدائل الكثيرة المقترحة تظهرأن المشكلة أبعد من أن يصلوا فيها إلى قرار . ونحن نقترح أن أفضل مفتاح لذلك نجده فى العبارة المترجمة (يد القوى) فبالرغم من أن الصفة فى صيغة المذكر وهى إشارة ليد الله القوية (وليس الأشرار) وهذا يناسب التأكيد على الخلاص ، فقد ضل الدارسون الطريق فى بحثهم عن كلمات متوازنة . فالكلمة المتوازنة مع (البائس) (١٥ ب) نجدها فى كلمة (الذليل) (١٦ أ) ، بينما عدد (١٥ أ) ، (١٦ ب) يتوازنا باستخدام الكلمة الشائعة (فم) .

وعلى أى حال فالتأكيد واضح الآن : فالمظالم ترفع والظلم يخرس .

(**١٧ — ٢٦**) القصيدة الخامسة من قصائد اليفاز تتغنى بسعادة الرجل الذى يتلقى متاعب الحياة بالأسلوب المناسب (١٧) عندما تأتى الكارثة على الرجل التقى فهو يعرف أن ذلك ضمن خطة تدريب الله له ولذا فهو يفرح فى الشدة . هذه فكرة جديدة تصلح لوصف الحالة التى لم تكن متضمنة فى التصنيف المبسط للأعداد من (١١ — ١٦) حيث أن الأشرار يخزون والأخيار يتلقون المعونة والمدد . ولا تنطبق حالة أى منهم على أيوب . فهو رجل صالح لا يجد الغنم بل الغرم ، والتعليم القائل بأن مثل تلك التجارب هى (للتأديب) كان منهاجاً دائماً (Musâr) فى مدارس الحكمة [(١)]

لقد بدأ اليفاز حديثه بمخاطبة أيوب شخصياً ، وفى الجزء الأوسط نراه يحاضر والآن بالتجائه لضمير المخاطب نراه يقترب من الوعظ . فكلماته جيدة ، ولا شك أن أيوب قد قال نفس الشىء للنفوس الحزينة عدة مرات (٤ : ٣و ٤) ، فالمتاعب هى اختبارات ، والشخص الذى يدرك ذلك يستجيب لها ، أما المتمردون فقط فيسببون لأنفسهم متاعب أكثر برفض التجارب (٥ : ٢) ، فجميل أن يحتوى سفر أيوب على هذه القصيدة فهى شهادة جميلة لعناية الله الأبوية ولصرامته وعطفه أيضاً . فقسوته الظاهرة والتى تبدو فى ارسال المرض (عدد ١٨) والانتكاسات (١٩) والمجاعة والحرب (٢٠) والنار والطوفان (٢١) والأوبئة والوحوش (٢٢) ، فلا يوجد أدنى شك أن كل

---

(١) أنظر مزمور (٤٩ : ١٢) ، (أمثال ٣ : ١١) ، عبرانيين (١٢ : ٥) وهو أيضاً أفضل اقتراح يقدمه اليهو (أيوب ٣٦ : ١٠) وأكثر الاقتراحات التى قدمها أصحاب أيوب قرباً من الحل ، ولكنه ليس الحل السليم لتعارضه التام مع أحاديث يهوه .

تلك الأشياء الطبيعية تأتى فوراً من يده العالية ، ويقابل تلك الأشياء صلاحه فى إرسال العلاج لكل تلك الكوارث . وعلى الأقل فهذا ما تؤول إليه الأشياء للرجل المؤمن الذى لا يرفض (تأديب القدير)[١]

(٢٣ ــ ٢٦) إن أفضل تصوير لحياة الرجل العاقل ، ليس أنه هو الرجل الخالى من المتاعب بل الأحرى هو الرجل الذى تتحول المصاعب التى تواجهه إلى بركات[٢] وهنا نجد قائمة تعدد أعمال الله فى الأعداد من (٢٣ ــ ٢٦) توازن المشاكل المذكورة فى الأعداد من (١٨ ــ ٢٢) ولكن فى تتابع عكسى .

(٢٣) إن الله سوف يسيطر على الوحوش فى عدد (٢٢) ، والمقابلة الشعرية توحى بأن (حجارة الحقل) هى وحوش غير مستأنسة[٣] ويقول Pope إنها أطياف الحقل أو جنيات الحقل .

(٢٤) وبيته وحصيده يحفظان من النار والطوفان المذكور فى عدد (٢١) ، والترجمة الحرفية للكلمة (حتمية) يعطى الانطباع الخاطىء عن راعى غنم بسيط وأنه ليس من أهل المدينة كما فى أصحاح (٢٩) ، وهذه الكلمة القديمة كمثيلتها فى الوزن (مربض) (نفس الكلمة Nàweh المستخدمة فى أيوب ٥ : ٣ ، أنظر التعليق عليها) بدأت تستخدم بعد ذلك فى الحضر والمدن ، وبالمقارنة مع (حزقيال ١٤ : ٢١) نجد أن الشر الذى يهدد به فى عدد (٢١) والموصوف حرفياً بأنه (اللسان) و (الخراب) هو الوباء . والمعنى المقصود إذن بإنه لا عائلته (الخيمة) ولا أرضه ككل[٤]

---

(١) الفعل المترجم (يحتقر) يعنى (يرفض) لأن تقييم النتائج لا يجد التقدير الكافى بسبب نقص الحكمة وليس بسبب عدم احترام الله .

(٢) إن كلمة (طوبى) تعنى « بالسعادة الرجل » وهى تعبير فنى آخر من مدارس الحكمة يشبه تطوبيات يسوع .

(٣) استخدام الكلمتين العبريتين Abne و Eber وهكذا نرى فى (تكوين ٤٩ : ٢٤ أن كلمة (صخر) تصبح « راعى اسرائيل » وفى (إشعياء ١٤ : ١٩ نجد أن « أبناء (وليس أحجار الجب) دخلاء على هادس ، وفى حزقيال ٢٨ : ١٤ نجد أن أبناء (وليس حجارة) النار هم سكان جبل الله المقدس المشرقين بالبهاء .

(٤) كان أيوب فلاحاً وراعياً فى نفس الوقت كما نرى فى الأصحاح الأول ، ولذا فالخيمة والمربض تشمل كل أوجه حياته المنزلية والاقتصادية .

سوف تصاب بأذى عندما يحين موعد الحصاد السنوى .

ونظراً لما حدث لعائلة أيوب وممتلكاته فإن حديث أليفاز المغرض يثير غضب أيوب بحق ، إنه لنقد زائف ذلك الذى يهمل هذا الالتواء المرير فى الحديث ويرى فقط التعارض الرسمى بين هذه الصورة وبين المعلومات الموجودة عن أيوب فى الأصحاح الأول ولحل هذه المشكلة تنسب الفقرتين لمصدرين مختلفين لا لكاتب واحد . إن معرفة القارىء بالموقف فقط هى التى تجعل سرد اليفاز لحقائق الحكمة المعروفة والتى سمعها كل واحد من قبل شيئاً مريعاً .

(٢٥) وبنفس الطريقة فالوعد بكثرة (الذرية) لا يمكن أن يواسى شخصاً فقد كل أطفاله و القضية فى (أيوب ١ : ١٩) ليست هى نفس القضية فى (٥ : ٢٠ — ٢٢) .

(٢٦) وأخيراً نجد الوعد لأيوب بالحياة فى صحة جيدة لسن متقدم ، وهى نهاية مناسبة لمن أحب الله وخافه . وهذا ما وعد به الله نفسه لأولئك الذين يطيعونه فى بركات العهد الذى أعلنه لموسى (لاويين ٢٦ : ٣ — ١٣) ، (تثنيه ٢٨ : ١ — ١٤) . ومقارنة أليفاز بين موت أيوب فى شيخوخة وحصاد القمح فى اكتمال نضجه قد أضاف جمالاً لحقيقة تعليمه .

(٢٧) إنه يتحدث بالنيابة عن كل طلاب الحكمة حيث أنه يستخدم ضمير الجمع ، فهو واثق أن ما يقوله صحيح (كذا هو) ، وما على أيوب إلا أن يصغى ويجرب ذلك بنفسه (٢٧ ب) فمن الصعب أن نجد شيئاً خاطئاً فى تعليم أليفاز . حسناً يقول (ديلتش Delitgsch) : « إن مهارة الشاعر يمكن إثباتها بالصعوبة التى يجدها المفسر فى معرفة ما هو خطأ فى حديث أليفاز »

أين الخطأ ؟ ولماذا يقول الرب لأليفاز فى النهاية (٤٢ : ٧) — ويحدده بالذات من وسط الآخرين — « قد احتمى غضبى عليك لأنكم لم تقولوا فىَ الصواب » .

إن غلطة أليفاز ليست أن تعليمه غير سليم بل هى عدم أهليته كناصح ، فالحقيقة قد لا تصلح كدواء لشخص غارق حتى أذنيه فى أعماق الألم ليس لأن أيوب وقتها لم يكن مهيأً ذهنياً لسماع أى شىء أو أنه يجب أن يعامل معاملة شخص مريض مرضاً نفسياً ، فحزنه صحى ولا غبار عليه .

والحقيقة أن الله قد جربه بالفقر والمرض ، وليس من الصواب فى شيء أن تحاول استمالته بالوعد بالصحة بينما هو يحك نفسه على كومة من الرماد ، أو أن تعده بالثروة بينما قطاع الطرق قد قضوا على كل حيواناته ، أو أن تغرقه بالأحلام عن نسل كثير بينما يرقد أولاده تحت الجدران المتهدمة .

لقد بذل أليفاز كل جهده لتقديم التعليم القديم ، ولكن كاتب سفر أيوب على وشك أن يخطو خطوات جبارة نحو فهم أشمل وأعمق لله . إن أليفاز يحاول الدفاع عن صلاح الله بسرد قواعد معينة يرتبط بها الله ، ولكن أن تجعل الله يلتزم بشيء يخالف إرادته فهذا تهديد لسلطانه وبخاصة أن ذلك الذى يعتقد أنه يعرف كل شيء عن صلاح الله ما هو إلا بشر . وأيوب يعتقد أن الله كحاكم قد يعطى أو يمنع هباته حسب مشيئته (١ : ٢١ ب) ، يرسل الخير أو الشر (٢ : ١٠ ب) فهو ليس مسئولاً أمام أى إنسان بسبب هذه الأعمال .

وأليفاز يعتقد أنه يعرف كيف يساير إلهاً يمكن التنبؤ بما سوف يعمله (أى يمكن التأثير عليه إلى حد ما) ، وأيوب الذى لا يدَّعى ذلك يواجه مشكلة فى كيفية مسايرة الله الذى لا سلطان له عليه البتة .

وحديث أليفاز والذى لا يثير شجار أيوب من حيث هو حقائق عامة عن قوة وعدالة الله يخطىء الهدف لأنه ببساطة لا يناسب حالة أيوب . لقد تعلم أيوب منذ زمن طويل أن حياته بما فيها من خيرات هى عطية وليست مكافأة ، ولذا فلا وجه للشكوى لو أخذت منه تلك العطية . ولم يقدم أيوب التماساً بعودة تلك البركات . وحتى فى النهاية ، فعودة تلك البركات لم تكن استجابة لصلاة رفعها أيوب ومن ثم فهو لا يريد من أليفاز تلك الكلمات المهدئة والتى تعده بأن كل شيء سوف يعود لما كان عليه إذا فعل كذا وكذا ، وكما لو كان ما ورد فى (أيوب ١ : ١ ــ ٥) يحدد ذلك الشيء المعتاد بالنسبة لأيوب . والتأكيدات التى تفوه بها أيوب بصورة رائعة فى (١ : ٢١) و (٢ : ١٠) تقوده للقيام بعمل جديد . فعليه أن يسعى إلى تطبيع علاقته مع الله فى ضوء الواقع الحالى (٦ : ٣) ومرثاته فى أصحاح (٣) يبرز مدخله إلى ذلك . ولكن أن يجد عزاء فى فكرة أن مصائبه سوف لا يطول بها الزمن وأن كل شيء سوف يعود لما كان عليه (٥ : ١٧ ــ ٢٦) فذلك

سوف يثنيه عن المضى قدماً فى أداء هذا العمل الضرورى والفورى . وما لم ندرك ذلك فسوف لا نقدر شدة الزفرات والعبرات التى يفيض بها حديث أيوب التالى . إن القارىء يعرف ــ وأيوب يعتقد ــ أن ما حدث ليس عقوبة على خطية سابقة . فلو كان فى تعليم أليفاز عن « تأديب القدير » (٥ : ١٧) ذرة من الحقيقة فليس بالجانب السلبى يمتنع المرء عن ارتكاب الخطية . لقد مضى على أيوب وقت طويل منذ أن حصل على الكمال فى تلك المرحلة من بناء الشخصية (١ : ١و ٨ ، ٢ : ٣) . والقارىء يعلم ما لا يعرفه أيوب أى أن رأس الحكمة محبة الله لذاته وحده . ولذا فبدلاً من أن تصبح كلمات أليفاز عزاء وسلوى أضحت فخاً ، والعنف الذى يبديه أيوب فى رفضه لها يبين إدراكه للخطورة . إن أيوب يُمتحن[1] ومن الضرورى ألا يعرف سبب ذلك . ولكن عليه أن يعرف السبب وعليه أن يمتحن ويرفض كل الإجابات المقدمة من الناس . وفى النهاية سوف يجد الأقتناع بما يخبره به الله نفسه [2] ، واستعادة أيوب فى النهاية للظروف السعيدة التى وصفها أليفاز فى (٥ : ١٧ ــ ٢٦) بما فيها الموت الهادىء فى سنى متقدمة محاطاً بالذرية حتى الجيل الرابع (٤٢ : ١١ ــ ١٧) ليس مناقضاً لما توصلنا إليه بأن اليفاز كان على خطأ لسببين : ــ

أولهما : أن استعادة أيوب لكل ما فقده قد حدث بعد أن سوى أيوب كل أموره مع الله وليس كوسيلة لكى يعيد الله صداقته

وثانيها : أن طريق عودة أيوب للحالة السعيدة يختلف تماماً عن الطريق الذى وصفه أليفاز فى حديثه الأول لقد لجأ أليفاز للخبرة كما لجأ للإعلان ولكن التاريخ وبخاصة تاريخ أيوب لا يؤيد نظريته بأنك تحصد ما تزرع (٤ : ٨) فالصلاح قد لا يفيد وتأتى النتائج بعكس ما تزرع .

ويقدم سفر دانيال نموذجاً ملهماً للولاء لله ، إنه لا يقدم دائماً نموذج النجاة لأن الله لا يتعامل دائماً مع الأسود كما يقول أليفاز (أيوب ٤ : ٩ ــ ١١)

---

(١) أصحاح (٢٢) من سفر التكوين تصغير لسفر أيوب ، فقد مر ابراهيم بتجربة قاسية كأيوب غيرت مجرى حياته . لقد سمت علاقته مع الله من خلال الألم . والدرس هو هو ، فالم إبراهيم كألم أيوب لم يكن عقابياً (كعقاب الخطاة) ولا تصحيحا للمسار (كما للقديسين)

(٢) لا يشارك كثيرون من النقاد أيوب فى اقتناعة بأحاديث يهوه لأنه من غير متوقع أن تصدر من الله .

« فإما أن الوقت والفرصة تتاح للكل بدون تمييز » ــ فهذا هو الشعار المحزن لسفر الجامعة مع أنه واقعى ــ أو قد يحدث ما هو أردأ ، فالأبرار دائماً يواجهون المتاعب[1] وأحاديث أيوب تواجة تلك الحقائق بأكثر شجاعة من أقوال أصحابه ، ويحث أيوب يجد تحقيقاً كاملاً فى حياة يسوع ــ أفضل البشر ، وأكثر الناس تحملاً لقسوة البشر وأكثر من تحمل قسوة ترك الله له على الصليب . وما اجتاز فيه يسوع من آلام هو البرهان الحقيقى على عبثية أن تكون صالحاً ما لم ... (وما لم) هذه التى نجدها فى الإنجيل لم يستطع أن يجدها أيوب فى خطاب أليفاز .. (ما لم) نكتشف حقيقة الله نفسه التى نراها فى محبة يسوع المتألمة وما لم نر صورة الله التى تتصور فى أبنائه الآخرين المتألمين : مثل أيوب عبد الله الذى يسر به ، وما لم نر تزكية الصلاح ، فى امتحانه النهائى بالموت عندما يثبت انتصار القيامة عدم إمكان القضاء على الحياة الصالحة . فعند الصليب تتعانق أحلك أسرار آلامنا البشرية بالله وتتحول من هوان أدبى إلى « مجد » وعندما يقدم الذبيح ــ عن رضى ــ نفسه كحامل للخطية تصبح آلامه غزواً للشر فى عرينه وإظهاراً وبرهاناً على أن الله محبة .

ولكن أصحاب أيوب لا يعرفون شيئاً عن هذا الإنجيل وأيوب نفسه لا يزال يتخبط بحثاً عنه فى متاهات الظلام . وفى نفس الوقت فإن أمثال أليفاز القديمة عن الزرع والحصاد لا تنطبق على أيوب . لقد كان واضحاً من المشاهد الافتتاحية أن أيوب سوف يمتحن ولكن الموضوع قد أصبح الآن أكثر خطورة . فالرب والشيطان يناقشان شخصية أيوب ، وأيوب وأصحابه يتناقشون فى شخصية الرب ، وحديث أليفاز يبرز لعقل أيوب تلك الفكرة المرعبة بأن الله ليس غير مبالٍ فقط بل هو إله شرير . وتحليل أليفاز يجبر أيوب على أن يواجه ذلك وجهاً لوجه ويزيد من عذابه لأقصى درجة . وفقد الثقة فى صلاح الله تعاسة وألم أكثر من كل متاعبه الأخرى . فقد يضيع كل شىء آخر بلا خسارة إذا كان الله باقياً له ، أما الخنجر المصوب نحو إيمانه ، وليست الندوب والبثور المؤلمة فى جلده ، فهذا هو الألم الدفين الذى يطغى على فكره . فكل ما يهم أيوب صداقته لله (٢٩ : ٤)

---

(١) يوجد وصف مؤلم لعدم مقدرة الأتقياء الدفاع عن أنفسهم فى (حكمة سليمان) فى الأصحاحات من (١ ــ ٣)

٢ ــ أيوب (٦ : ١ ــ ٧ : ٢١)

إن المناقشة التى دارت بين أيوب وأصحابه ــ بالرغم من شكلها الشعرى الغنى ــ إلا أن تركيبها الفضفاض يحتوى على جانب آخر هو الحوار الحى . وتوجد نماذج قليلة للمناظرة التقليدية وقليل من الردود المباشرة عما قيل من قبل . هذا الترابط لا يضفى فقط جو الواقعية على التكوين الشعرى الفنى ولكنه يخدم أيضاً الفكرة الدرامية (الغرض من القصة) والتأثير العاطفى للأحاديث أكثر أهمية من جانبها العقلى المقنع ، والفجوة التى بين أيوب وزملائه أكبر مما تبدو لأن اتفاقهم العقائدى السابق كان شاملاً[1] .

إنهم متفقون تماماً على الحقيقة السامية عن سيادة الله ، فلا جدال فى هذه الحقيقة فى كل أنحاء السفر . ومع ذلك فتفكير أيوب فى مستوى يختلف عن مستوى تفكيرهم حتى وإن اتفق معهم فى التعبير التقليدى عند الحديث عن طبيعة الله أو فى معاملاته مع البشر أو بأكثر تحديد فى معاملاته مع أيوب .

ولنكن كرماء مع أليفاز ونفترض أن توبيخه كان رقيقاً وليس ساخراً . إلا أن أيوب قد صدمه هذا التوبيخ فرد عليه بثورة غضب هائلة ، ودافع عن نفسه بقوة محتجاً على إيماءات صديقه التى توحى بحتمية وجود خطأ ما فى حياة أيوب يحتاج لتقويم . وأيوب يصر على أن كلماته القاسية لها ما يبررها (٦ : ٢ ــ ٧) ولا زال يتمنى الموت (٦ : ٨ ــ ١٠) ، وقد تبخرت آماله بأن أصحابه يمكن أن يبعثوا فيه الرجاء ، تاركين إياه ربما أكثر يأساً (٦ : ١١ ــ ٢٣) .

وهو يتحداهم أن يكونوا موضوعيين فى اتهاماتهم (٦ : ٢٤ ــ ٣٠) ثم يعود إلى موضوع شقاوة الإنسان ، والأمل فى الإنقاذ يتطلب قوة أكبر مما لدى أي إنسان يمسك به . والطريق الوحيد للنجاة أمامه هو الموت وبأسرع ما يمكن (٧ : ١ ــ ١٠) وحيث أن هذا الطريق وهو العلاج لحالته يوجد بين يدى الله فقط ، فليجأ أيوب إليه بعاطفة أقوى (٧ : ١١ ــ ٢١)

---

(١) هذا الاعتبار وحده يمنعنا من أن ننسب أجزاء من أحاديث أيوب فى الجولة الثالثة لبلدد أو صوفر لمجرد أنها تبدو غير متفقة مع موقفه وتبدو أكثر شبهاً بما يقوله الآخرون ــ أنظر المرحلة السادسة من القسم السابع من المقدمة .

وفى كلماته الختامية ينظر إلى هاوية الشك التى تمثل العذاب الأكبر للشخص الذى يحب الله ـــ فعليه أن يتمتع بقدر وافر من الفهم لطرق الله ليحفظ عقله من التفكير بأن الله غير عادل .

(٢ و ٣) لم يحرك توبيخ أليفاز لأيوب ساكناً ، كان أليفاز قد حذر أيوب من النتائج الخطيرة للطبع الحاد (الغيظ Kàas (٥ : ٢) ، وأيوب لا يصرح فقط بالقول « قد لغا كلامى » أى أصبح مندفعاً متسرعاً ، ولكنه يصر بأن لسلوكه ما يبرره بسبب الثقل الغير محدود لغيظه ، ويستخدم الصورة المألوفة « لرمل البحر » الدالة على ما لا يقاس[١] .

(٤) إن أيوب مرتعب والكلمة المستخدمة فى الجزء الأخير من عدد (٤) والتى تختلف عن الفعل فى (٧ : ١٤) تصف سلاح الله المصطف فى المعركة ضده .

وهذا التصوير لله كراكب العجلة الحربية والممسك بالرمح ترجع لحروب العصر البرونزى الوسيط .

فأمامنا إذن صورة أدبية ، فعداوة الله الظاهرة تسمم روحه ، كسيل منهمر من السهام . يقول (دورم) إن أطراف السهام كانت مسممة حسب العادة قديماً ولكن (طور سينا) رفض الفكرة على أساس أنها كانت عادة غير معروفة فى بلدان الكتاب المقدس ، ولذا فالفكرة هنا مجرد مقارنة بين رؤوس السهام وبين حمات العقارب ، أما (بوب) فقد قبل الإشارة إلى السهام المسممة كحقيقة فريدة ومنذ ذلك الحين قدم (داهود) عدة أمثلة كتابية أخرى .

(٥ و ٦) هذه الأسئلة صور بلاغية ، وهذا يحدث غالباً فى الحوار فى أدب الحكمة للإشارة لشىء غير معقول ، ولكن يوجد دائماً معنى مستتر كما فى سلسلة الأسئلة المحيرة فى (عاموس ٣ : ٣ ـــ ٨) ومقارنة السلوك البشرى بسلوك الحيوانات يتكرر كثيراً فى تلك الأمثال . فمربى الحيوانات يعرف كيف يفسر صيحات الحيوانات ، وأيوب أيضاً له الحق فى أن (ينهق) كحمار برى جائع (الفرا) وأن (يخور) كثور يتضور جوعاً .

---

(١) وهذا يعنى أن الكلمتين المتقابلتين فى عدد (٢) هما ـــ الغيظ والمصيبة

والأسئلة فى عدد (٦) تسخر من حديث أليفاز معتبرة إياه حديثاً بلا معنى كطعام بلا طعم يكون مثيراً للغثيان إذا لم يملح . وكشأن كثير من الأمثال القديمة يمكن تذكر المضمون حتى بعد نسيان ما يستشهد به . وحتى قديماً كان الدارسون لا يعرفون أية أطعمة كان يشير إليها أيوب . فالإشارة « لزلال البيض » (AV) مصدرها معلمو اليهود وللآن لها كثير من المؤيدين . والإشارة « لمرق البقلة » ترجع للترجمات القديمة ولكن تحديد نوع الخضار المقصود هنا لم يصل إليه أحد . لأن كلمة (مرق) قد وردت مرة أخرى فقط فى (صموئيل الأول ٢١ : ١٣) ويبدو أنها تشير لمخاط من الفم أو الأنف لرجل أبله ، وقد اقترح (طور سينا) بأن الكلمة تعنى « لعاب الأحلام »

وهذا لا يحمل الكثير من المعنى اللهم إلا فى توقع تفسير الحلم الذى يشير إليه أيوب فى الجزء الأخير من هذا الحديث ، ولكن سياق الكلام هنا يعنى شيئاً يؤكل كطعام مألوف بالرغم من عدم دلالة الإسم . فيقترح (بوب) نوعاً من الجبن الناعم أما (ميلارد) فيقول إن الكلمة العبرية(Hlmwt) تعادل الكلمة (Hilimitu) فى ألواح (آلالاك Alalakh) [1] وهذا يؤيد القول بأن الكلمة تشير لطعام يؤكل دون تحديد نوع معين[2]

(٧) التأثير العام للأعداد من (٥ — ٧) واضح بالرغم من صعوبة إيجاد علاقة بينهما وبين الأعداد من (٢ — ٤) وحيث أن أيوب أكثر اهتماماً بالله من اهتمامه بصديقه أليفاز فليس من المؤكد أن تلك التعليقات هجوم على حديث صديقه الأخير كما هو معروف مع أن تلك هى مهمة الأعداد من (١٤ — ٣٠) وموضوع « الطعم » يعاود الظهور فى النهاية .

(٨ و ٩) عند هذه النقطة يبدو بوضوح أن أيوب يصلى ، لقد تشجع بأن يسلم مشاكله لله (٥ : ٨) ، إن لأيوب (رجاء) واحد فقط سبق التعبير عنه فى أصحاح (٣) وهو أن يموت ، فلو كان الله رحيماً به حقاً (لسمعه) فى الحال (عدد ٩ أ) وهذا أمر ميسور جداً بالنسبة له ، لأنه

---

(١) أى طعام بلا طعم ؟ (أيوب ٦ : ٦) سنة ١٩٦٩

(٢) الكلمة فى العبرية واضحة جداً فمرق البقول سنة ١٩٦٩ ، UF هو الماء الذى تغلى فيه البقول وهو بلا دسم بل أنه غير مستساغ (المحرر)

يتم بلا أى يسلم مشاكله لله (٥ : ٨) ، إن لأيوب (رجاء) واحد فقط سبق التعبير عنه فى أصحاح (٣) وهو أن يموت ، فلو كان الله رحيماً به حقاً (لسمعه) فى الحال (عدد ٩ أ) وهذا أمر ميسور جداً بالنسبة له ، لأنه يتم بلا أى مجهود تماماً كما يقص النساج أحد الخيوط . فمن المسلم به أن أمر الحياة والموت فى يد الله تماماً حتى أن فكرة الانتحار كعلاج لشرور الحياة ليس لها مكان فى سفر أيوب على نقيض المتشائمين القدامى ثم الرواقيين فيما بعد . وكون أيوب يتحدث عن الله بضمير الغائب لا يصح أن يعطينا انطباعاً خاطئاً ، فهو فى الحقيقة يصلى ولا يتحدث لأليفاز ، ومثل هذا التقليد شائع الاستعمال عند توجيه الخطاب لشخص أسمى مرتبة .

(١٠) هذا النص صعب ولا يوجد له حل وحسناً فعلت ال (Rsv) إذ احتفظت بالترجمة الحرفية ، فأيوب لم يُتهم بإنكاره (لكلام القدوس) ما لم يكن قد أحس من حديث أليفاز تلميحاً بأنه قد (ارتكب خطأً ما . فإن كان الأمر كذلك ، فهو مصر حتى النهاية أنه لا يشعر أنه ارتكب أى خطأ ، وهذا السطر تمهيد للتحدى فى عدد (٢٤) ، وعلى ذلك فلابد أن يحرر الله أيوب من عذابه كمكافأة له على أمانته . ولسوء الحظ فإن معنى أصل الكلمة (SId) فى (ابتهاجى) غير معروف .

(١١) أى اقتراح بأن فى كلمات التحدى المنسوبة لأيوب (أفرح فى الألم المضنى)[1] شيء من عدم اللياقة مردود عليه بفقدان الأمل فى كلماته التالية . فهو يقول ببساطة أنه ليست لديه القوة لأن يصبر حتى يستعيد كل شيء حسب قول أليفاز (٥ : ١٧ — ٢٧)

(١٢ و ١٣) ليس لدى أيوب عزيمة خرافية فهو إنسان من (لحم) وأعصاب وليس من (حجارة) أو (نحاس) ، وقد استنفذ كل قواه و لم تعد لديه طاقة على الاحتمال .

(١٤) يقول (Rowley) « راولى » « إن اللغة العبرية لهذا العدد صعبة جداً » ويقول (Pope) بوب إن الصعوبات التى وجدها المعلقون تفوق الخيال . فلو كان أيوب يصلى حتى هذه اللحظة أو على الأقل يناجى نفسه

---

(١) حسب ترجمة (Pope) لعدد (١٠ ب)

فهو يهاجم أصحابه هجوماً مباشراً (ضمير المخاطب فى عدد (٢١) ضمير جمع إشارة لأصحابة كلهم) فبشكواه أنهم فشلوا فى تقديم الشفقة للصديق (هذه هى الكلمة العبرية المألوفة لعهد الولاء) قد أبطل ادعاءهم بأنهم متدينون حقاً . ويبدو أيوب هنا قاسياً بالنسبة لأليفاز العطوف والذى يبدو أنه قد بذل كل ما فى وسعه . ولكن كلمات أليفاز تحز فى نفس أيوب لأن ديانة أيوب كما وصفت فى أصحاح (٢٩) كان جوهرها خدمة المحتاجين من مواطنيه ، وخيبة أمله لفشل أليفاز أعظم لأن شخصية أليفاز الذى كان يبدو واثقاً من نفسه كانت تعد بالكثير . وهو يوضح فكرته بتشبيه على شاكلة تشبيهات هوميروس فى أشعاره .

(١٥) يقول عن أصحابه (يدعوهم إخوته) أنهم قد برهنوا على زيفهم كمجرى النهر ، ففى الأراضى المقدسة يمكن لمطر مفاجىء أن يملأ أحد القنوات الجافة بمياه الفيضان المتدفقة ولكنها تختفى بسرعة فى الصخور المسامية ، ويستخدم إرميا نفس الصورة الجريئة عن الله (إرميا ١٥ : ١٨)

(١٦) قد يكون هذا العدد إيضاحاً للصورة السابقة أو مثل مشابه آخر . والإشارة للكتل الجليدية السوداء على السطح يشير للسيول الموسمية المتكونة من ذوبان ثلوج الشتاء . وهو أمر يختلف عن الفيضان السريع للموسم المطير . وهذه العبارة تؤيد قولنا بأن وطن أيوب كان يقع شرق لبنان بالقرب من أدوم حيث لا يمكن رؤية مياه الثلوج .

(١٧) يعنى هذا العدد فى الأغلب القنوات المائية ، وليس الجليد والثلج فقط ، فهى تختفى إذا حمى الجو ، وحيث أن الماء كان بارداً جداً فإن اختفاءه يصبح شيئاً ملحوظاً

(١٨) والمسافرون الذين يعتمدون على إمدادات ماء الشرب عند مناطق إقامة معسكراتهم ينتقلون من مكان إلى آخر على أمل وجود ينابيع دائمة من الماء ، ولكن إذا اعتمدوا على الوديان فإن قوافل الطرق تذهب هنا وهناك وتصعد إلى « أماكن التيه فتهلك » ، أما التفسير السابق « للطرق » بأنها قنوات مائية تجرى فى الطرق الصحراوية فتتبدد فى رمال الصحراء فهو غير صحيح . فالقنوات لا تصعد لأعلى اللهم إلا إذا كان المقصود هو البخر .

(١٩) إن تجار الصحراء من تيماء وسبأ يرعون فى كل مكان عسى أن

يجدوا الماء ولكن هيهات ، كما كان أيوب يأمل فى الحصول على التعزية من أصحابه .

(٢٠) لقد (خزوا) كأيوب لأن آمالهم قد بنيت على وهم وسراب .

(٢١) واضح أن ذلك السطر هو ختام حديثه حيث أن عدد (٢٢) يشكل بداية جديدة . فهو كلام مهم لأنه بمثابة الطعنة الأخيرة فى قتال أيوب المرير ولكن مما يؤسف له أن اللغة العبرية لهذا العدد تبرز الكثير من الصعوبات . فأن يتهم أيوب أصحابه بأنهم (فزعون) فهذه فكرة جديدة وغير ملائمة بالمرة ، فحتى الآن لم يبد على الأصحاب أى خوف فلكى تكتمل الصورة التى بدأها كان عليه أن يقارن يأسه بيأس أصحاب قوافل الصحراء الظمأنيين ولا يشير لرد فعل أصحابه تجاه آلامه . ولترجمة (بالنسبة لى)[1] وجب تغيير الكلمة العبرية (ليس) وهكذا فعلت الترجمة السبعينية ، وكلمة (هكذا) بالمثل تأتى من سياق القطعة فى العبريه . ويمكن معرفة الصعوبات التى فى النص من حديث (دورم (Dhorme) التفصيلى ص ٨٩ ، وأفضل ما يمكن عمله لحل هذه المشكله هو تفهم المعنى العام . فأيوب يائس لان استجابة اصحابه (انه يخاطبهم بلغة الجمع مع ان المتكلم هو أليفاز حتى الآن) كانت فاترة (أعداد ٥ — ٧) وجافه (اعداد ١٥ — ٢٠)

يقول (راولى (Rowley بخلاف المعلقين الذين يتخلصون من الشكوى الغامضة لايوب بأن اصحابه (فزعون) فيستبعدون عدد (٢١ ب) كلية ، إن ايوب على حق فى اتهامه لهم بالجبن فاستجاباتهم المحافظة الحذرة تكشف عن عدم رغبتهم التورط مع صديق سابق يشكون فى انه تحت غضب الله .

وهنا نجد درساً رعوياً عميقا ، فالخوف غالبا ما يمنع الناصح من اظهار التعاطف مع من يقدم له النصيحة .

ولكن يبدو أيوب ، فى الظاهر ، عنيفاً بلا سبب معقول . لقد بدأ أليفاز حالاً وهو يبذل كل ما فى وسعه . ودعنا نجعل الشك لصالحه . فليس هناك عمل رعوى أكثر تثبيطاً للهمم من محاولة قول الحقيقة لشخص يكاد الحزن أن يطيح بصوابه . فكيف ينفذ صبر أيوب قبل الأوان ؟ ولكن المشكلة ليست

(١) هذا العدد فى ترجمات أخرى ورد كالآتى : « وهكذا صرتم بالنسبة لى ترون بليتى وتخافون » المترجم

فى إنصاف أيوب لرفاقه أمَ لا ، فهذا يرجع لحقيقة مشاعره الداخلية ، ولكن الحقيقة الواضحة هى أن الله فقط هو الذى من حقه إصدار الحكم الصحيح وذكاء أيوب حاد لدرجة أنه يتوقع نهاية الاتجاه الفكرى لأليفاز فسينتهى إلى اتهام صريح له بارتكاب الخطية . ومن ثم فهو يبدأ أولاً بحقه فى الاعتراض ثم الانكار مما يؤدى به إلى حديثه العظيم فى تبرير وتزكية نفسه فى أصحاح (٣١) .

(٢٢ و ٢٣) واتهامه المضاد لا يتبع قواعد المنطق المألوفة ، فهو يسرد قائمة ببعض الاتهامات المحددة قبل تقرير اتهام عام . فأول كل شىء هو ينكر أنه تفوه بتلك الأربعة المخجلة ، وتلك الأقوال ترد فى زوجين متشابهين . فهو لم يطلب (عطية) أو (رشوة) ولم يعتمد على أى منقذ ، ولكن أليفاز لم يزعم شيئاً من هذا القبيل ، فلم الحاجة للتنصل من هذه الأمور ؟ هذا مثل للعديد من الحالات المماثلة حيث لا نجد الترابط بين الأحاديث المتتالية جيداً وهى ليست جرائم ولو أن اختيار كلمة (رشوة) يوحى بذلك . ولكن إعطاء شىء من الثروة أو المال (الكلمة تعنى (ينتج) يمكن أن يكون إحساناً صادقاً ، أما المهانة الحقيقية هى أن يمد شخص كان ثرياً فى الماضى يده طلباً للمساعدة . وافتداء الأسرى من أيدى (العتاة) كان التزاماً إجتماعياً من حق أيوب على أصحابه ، إذن فما الفضل فى عدم تقديم مثل هذا الالتماس المشروع ؟

هل يريد أيوب أن يقول إنه ليس مديناً لهم بشىء ولذا يستطيع أن يعبر عن رأيه بحرية ؟ هل نحن أمام كبرياء رجل له طريقه الخاص دائماً وحتى وقت شدته لا يريد أن يستفيد من الصداقة حتى ولو بتقديم التماس يشتم منه رائحة التوسل ؟ إن أيوب يدافع عن استقامته حتى من قبل أن يُتهم بارتكاب أخطاء بوقت طويل وذلك بالمبادرة بالدفاع عن ذلك الخطأ البسيط .

(٢٤ و ٢٥) إن الاستنتاج بأن أيوب لابد أنه قد أخطأ ، كامن فى حديث أليفاز الأول وسوف يظهر علناً . وعدد (٢٥ أ) يجب ترجمته هكذا « ما أشد تأثير الكلام المستقيم » وفى عدد (٢٤) يحتج أيوب بعدم إدراكه لأى خطية ارتكبها عن عمد (فى أى شىء ضللت)(١) وفى عدد (٢٥ ب)

---

(١) يقول (Jacbo Milgrom) فى الـ (JQR) (المجلد الثامن والخمسين سنة ١٩٦٧)عن إقتناع بأننا نصل هنا إلى قمة دفاع أيوب عن نفسه ونجد هنا مفتاح السفر كله ألا وهو أن الإنسان مسئول عن الأخطاء التى يرتكبها عن وعى .

لا يطالب فقط باتهام محدد بل ببرهان على هذه التهمة ، وتلك الفكرة سوف تكتمل فى الأعداد (٢٨ ــ ٣٠) .

(٢٦) يقول أيوب إن كلماته (كلام شخص يائس) وقد برر كلماته فى عدد (٣) ، وقد عوملت أقواله معاملة شيء تذروه الرياح (حرفياً : للريح) .

(٢٧ و ٢٨) (لو كان الأمر مجرد إلقاء التهم جزافاً فيمكن لأيوب أيضاً أن يتهمهم بالكثير منها ، والآن فيبدو أنه يرد الصاع صاعين ويتهمهم بعدة إتهامات : فيقول وأنتم تقامرون على اليتيم ، وتحفرون حفرة لصاحبكم[١] إنه أتهام قاس ، فليس هناك دليل على أن أصحابه قد قامروا على اليتامى كما إنه لا يوجد دليل على أن أيوب قد أخذ رشوة ، وربما هذا ما يرمى إليه أيوب . ولكن الشيء المؤكد أن العلاقة بينهم وبين أيوب قد تصدعت لأنهم سبق وكالوا له الاتهامات[٢]

(٢٨ ــ ٣٠) هنا بداية حديث جديد كما هو موضح فى البداية (والآن ...) ، فهو يحثهم على تغيير آرائهم[٣] وهو يستخدم قسماً شرعياً جاداً [٤] ويصر على أنه قادر على تمييز صحة موقفه من عدم صحة موقفهم ، وهذا يبين أن الإشارة إلى (لسانى) و(حنكى) صورة للقدرة على التمييز . أما ال NEB فتأخذ هاتين الكلمتين بأكثر حرفية كإشارة إلى صحة حديث أيوب .

(٧ : ١) بقية حديث أيوب أقرب شيء لمناجاة النفس والذى يتحول إلى احتجاج موجه لله نفسه . وموضوع الاحتجاج مرة أخرى هو الجهاد[٥] الذى للإنسان على الأرض ، والكلمة قد تعنى الخدمة العسكرية الإلزامية ، (حالة الحرب فى الـ (Rv) ، ولذا فالأجير قد يعنى أحد الجنود المرتزقة ،

---

(١) وردت فى ترجمة أخرى (تساومون على الصديق) (المترجم)

(٢) الأفعال فى صيغة الجمع تثبت أنه يخاطب كل أصحابه وليس أليفاز وحده ، وأنه لا يقتبس اتهاماً قد يرموه به .

(٣) عدد ٢٩ فى ال (Neb) يقول « اعيدوا التفكير » وهو أفضل بكثير من (أرجعوا) فى الـ RSv

(٤) لم تستطع الترجمات إبراز أهمية إستخدام الـ (Im) لتأييد الأفكار فى عددى ٢٨ و ٣٠

(٥) فى الإنجليزية (الخدمة الشاقة) المترجم

والمعنى العام ممكن أيضاً ، فالخدمة الشاقة هي أيضاً قوة العمل فى السخرة . ومدة حياة الإنسان حرفياً أيام (أنظر ١ : ٥) هى فترة العمل الشاق . وفى كلتا الحالتين فالشيء المؤلم هو أن هذا المجهود الشاق ليس من اختيار الإنسان ولا لصالحه كذلك . والأصحاح الأول يبين أن أيوب لم يكن يهمه العمل الشاق ولكنه كان يبغض المذلة التى وجد نفسه فيها بسبب محنته الحالية .

(٢ و ٣) إن الإسرائيلى وقد أجبره الفقر على أن يصبح أجيراً قد فقد احترامه لذاته كما لو كان قد أصبح عبداً ، ولكن أيوب لم يرض حتى بالراحة بعد التعب أو الأجرة فى يوم عمله ، والأفكار فى عدد (٣) فى وضع مقلوب بالنسبة للأفكار فى عدد (٢) فبدلاً من الأجر هناك (الفراغ)[١] وبدلاً من الراحة[٢] « ليالى الشقاء » ، فأيوب يشبه الجامعة (جامعة ١ : ١) فى تأييده للرأى القائل بأن الوجود البشرى عبث وشقاء لا مخرج منه ، ولكن أيوب يختلف عن الجامعة فى عدم حدة كلماته وسعيه الدءوب نحو الحصول على إجابات لأسئلته .

(٤) لا مندوحة عن الإقرار بأن أيوب يشكو فى لحظة من « أشهر السوء وليالى الشقاء » الطويلة (عدد ٣) وفى اللحظة التالية يشكو من « سرعة » الحياة (عدد ٦) فمثل تلك الأفكار المتصارعة لابد أن تثور فى عقل ذلك الذى يقول (أشبع قلقاً) ، ولكن المعنى الإجمالى للعدد واضح ، وحتى وإن كانت التفاصيل تصدم الدارس بالعديد من المشكلات التى لا حل لها .

فأيوب يرجو أن يجد الراحة فى النوم ولكن الليل هو أردأ وقت بسبب الكآبة التى ترافقه وتذكره بصدمة الحرمان المفاجيء من كل شيء ، فمن ناحية هناك الأرق ولكن النوم من الناحية الأخرى أردأ من ذلك (الأعداد من ١٣ ــ ١٥) .

(٥) إن العذاب العقلى لا ينفصل عن الألم الجسدى وتزداد حدته مع ذكر التفاصيل المهينة لمرضه « لبس لحمي الدود مع التراب جلدى كرش وساخ . أى أن جلده اكتسى بالقذارة ، فتغطى بالجرب مع الدمامل والقروح .

---

(١) وردت فى الإنجليزية « أشهر فراغ » المترجم

(٢) وردت بمعنى (الظل) المترجم

(٦) هناك صورة أخرى لقصر الحياة فى (١٤ : ١) ، والمقارنة « بالوشيعة » وهو مكوك النساج كان موضع عدة أسئلة لأن معنى الكلمة ليس واضحاً . فقد أقترحت عدة بدائل لها . والوزن الشعرى يميل لتفسير الكلمات (بغير رجاء) فى عدد (٦ ب) كجزء آخر من الإيضاح المأخوذ من النسيج « حيث أن ما جاء فى الـ (NEb) يقول « أيامى تنتهى كما ينتهى الخيط » وهو اقتراح قديم قدم ابن عزرا .

(٧) إن بكاء أيوب الذى بدأه باحتجاج على أصحابه قد فتح المجال لخطاب مباشر موجه إلى الله . فأيوب لا يطلب عطية ولا يتبع الطريقة التى نصحه بها أصحابه . بل إن أيوب لا يعرف فى الواقع ما يطلبه من الله ، وهذا يشكل جانباً كبيراً من عذابه .

فإن كل ما يطلبه أن يبالى به الله وإلا فاءنه كما أتى إلى الحياة يخرج منها دون أن يشعر به أحد (أعداد من ٧ ــ ١٠) ، وهكذا يتجه أيوب بكل حواسه إلى الله ، ومن ثم جاءت طلبته المؤثرة « اذكر أن حياتى إنما هى ريح » ، ولكن من ناحية أخرى تبين (الأعداد من ١١ ــ ١٩) أن كل ما يطلبه من الله أن يتركه وشأنه ، وهكذا أصبح الله مصدر رعب لأيوب ، واشتياقه الشديد لا يزال للموت « عينى لا تعود ترى خيراً » فخيط حياته قد انتهى (عدد ٦ ب) لأنه قد جاء الوقت الذى فيه يقطع الله هذا الخيط (٦ : ٩)

(٨ ــ ١٠) إن الصعوبات التى فى عدد (٨) والغير موجودة فى الطبعة السبعينية والتى أهملها كثير من المعلقين يمكن أن تُحل جزئياً . فحاجة أيوب الماسة هى الرغبة فى رؤية الله ، ويعبر عن ذلك بوضوح فى (١٩ : ٢٧) ويتم إشباع هذه الرغبة نهائياً فى (٤٢ : ٥) ولكن الله يجب أن ينظر أولاً إلى أيوب . وبالمثل وبقلب التتابع فى (٥ : ١) فالله يجب أن يدعو أولاً قبل أن يجيب أيوب (أنظر ١٤ : ١٥ . إن أهمية هذا العدد للسفر كله لا تحتاج لتأكيد) وحيث أن عددى (٩ و ١٠) ينبران على أن الموت هو النهاية التى لا رجوع منها ، فعدد (٨) يريد أن يوحى بأن الله نفسه ومعارف أيوب وأصحابه قد يجدون أنه قد فات أوان النظر أيوب وأصحابه قد يجدون أنه قد فات أوان النظر إلى أيوب[1]

---

(١) اعادة ترقيم عدد (٨) له ما يبرره بطول الشطر الأول وعدم اكتمال الثانى ودون الدخول فى تفاصيل مطولة يمكن أن نقترح التعديل التالى « عيناك سوف تبحثان عنى هنا وهناك ولكننى لن أكون هناك »

(١١ و ١٢) يقول بعض الأشخاص إنهم يجب أن يقبلوا الحقيقة المحزنة بأن الموت هو نهاية كل شيء من الوجهة الفلسفية وأن عليهم أن يستغلوا هذه الحياة العابرة والعابثة أيما استغلال ، ولكن أيوب لم يفعل هكذا .

لقد سبق أن اختبر بعمق أن الحياة يمكن أن تكون ذات معنى فى العلاقة السليمة مع الله ، علاقة لا تعنى صلة سرية وروحية بين الإنسان والله بل تشمل وجود الإنسان كله فى كل ما يتعلق به من روابط أسرية ، وعمل وصحة جسدية كذلك . والله وحده يمكن أن يهب تلك العلاقة ويبقى عليها ، ولقد كان أليفاز مخطئاً فى اقتراحه (٥ : ٨) بأن الإنسان يمكن أن يضمن تلك العلاقة ببره أو بإيمانه .

ولكن لماذا يتخلى الله — وليس غيره — عن علاقته مع أيوب ؟

لقد تحول وجود أيوب إلى كابوس مخيف يحاول فيه الله ، كالموت فى الأساطير القديمة ، أن يخنقه ويحتج أيوب على ذلك بقوله : لماذا ؟ إنه يسأل الله : لماذا ؟ ومجرد هذا السؤال يدل على قربه من الله . وأيوب الآن لا يحاول « تزيين » « إنسان القلب الخفى فى العديمة الفساد » زينة الروح الوديع الهادىء الذى هو قدام الله كثير الثمن » (بطرس الأولى ٣ : ٤) ، ولكن هذا لا يعنى أن حالته المزاجية المغايرة لذلك لا تؤهله أن يدعى التقوى .

« فالاطار التقوى الهادىء للسير مع الله » ليس هو النموذج المثالى للديانة الكتابية ، فقد صلت (حنه) وكأنها امرأة سكرى (صموئيل الأول ١ : ١٣) ، « وقدم يسوع بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات وسمع له » (عبرانيين ٥ : ٧) . وهكذا يشق أيوب طريقه نحو الله بصلوات من دموع وتأوهات ، فالديانة التى تمحو البكاء من قاموس الصلاة لهى ديانة ضيقة الأفق ، ومجردة من الإنسانية .

ولذا نرى أيوب فى عذابه يسترسل فى حديثه ، ولا يلقى عليه قيداً بل ينطلق بقوة ليقول :

أنا أيضاً لا أمنع فمى !
أتكلم بضيق روحى !
أشكو بمرارة نفسى !

أبحر أنا أم تنين !

حتى جعلت عليَّ حارساً ؟ (١)

واليم أو البحر كإله ووحش البحر (التنين) معه كانا من ألد أعداء الله فى القصص القديمة وتلك الأسماء تستند إلى خلفية كنعانية وليست من بلاد ما بين النهرين . وأيوب لا يعرف ما الذى كان عليه أن يفعله لتجنب كل تلك العداوة التى لقيها من الله . وأنه لمن السخف القول إن أيوب كان يتحدى الله ، كالفوضى القديمة السائدة قبل الخلق .

(١٣ و ١٤) فحتى النوم لا يريحه من رعبه لأن الله — وليس غيره — يأتيه بأحلام مزعجة .

(١٥) (الخنق) المشار إليه هنا هو فى الأغلب كابوس يصيبه أثناء الأحلام وليس شعور بالاختناق مرتبط بمرض جسدى . والترجمة فى الـ (Rsv) مع أنها حرفية فهى غير مترابطة ، فهى تزعم بأن أيوب كما فى عدد (١٦) يفضل الموت على الاستمرار فى الألم ، وال (NEb) تتحرر من الألفاظ وتبرز هذه الفكرة بوضوح أكثر .

والمطلوب ترجمة تلتزم بالنص الأصلى وتناسب القرينة وتقدم معنى واضحاً ، ويمكن عمل ذلك إذ نعرف أن كلمة (نفسى) فى الـ (Av) وهى (أنا) فى ال (Rsv) يجب أن تحتفظ بالمعنى الحرفى « حلقى » أو « رقبتى » (والخنق) يجب أن يشير إلى (خانق) وهذا هو الموت أو (Mat) وهو إله كنعانى آخر كتلك المذكورة فى عدد (١٢) (وعظامى) يمكن أن تؤخذ حرفياً أيضاً دون تغييرها إلى (آلامى) كما فى الـ (NEb) .

وخلفية الصورة يسهل تصورها لأن موضوع الموت (Mat) كأسد والبعل المدمر كثور موضوع بارز فى الأساطير الكنعانية ، ونجدو[illegible] فى الأيقونات

---

(١) لمناقشة اقتراح (Dohood) أنظر تعليق Pope الأسطورية [illegible] هامة لفهم الفكرة فى عدد (١٥)

الشرقية القديمة ـــ على العاج والأختام والعملات المالية[1] .

وفى علم اللاهوت الإسرائيلى فإن يهوه يقوم بكل وظائف الآهة القديمة بما فيها سيطرته على العالم السفلى ، فلا عجب إذن أن يوصف دائماً بأنه يقضى على الموت كأسد يفترس فريسته (هوشع ٥ : ١٤) ولذا فالمعنى الحرفى لعدد (١٥) هكذا يعطى صورة واضحة المعالم .

واختار الخانق رقبتى
والموت عظامى

أى أن الموت الخانق قد اختار عظام رقبتى . هكذا كان حلم أيوب .

(**١٦**) كل جزء من هذا العدد أطول من أن يكون شطراً شعرياً منفرداً وبخاصة أن لكل شطر فعلان . والسطور الأربعة القصيرة تمثل تغييراً مفاجئاً فى الإيقاع . والكلمة (حياتى) ليست موجودة فى العبرية ، وعدد ١٦ أ تعبير عن حقيقة وليس عن رغبة كما فى الترجمات المختلفة ، فحيث أن حياته هشة وقصيرة (نفخة) وحيث ان الله يرعبه (أعداد من ١٣ ـــ ١٥) فرغبته الوحيدة من الله أن يتركه وشأنه (١٦ ب) حتى يبلع ريقه (١٩)

(**١٧ ـــ ١٩**) إن أسلوب عدد (١٧) كثير الشبه بلغة المزمور الثامن لدرجة يصعب معها أن تكون مجرد صدفة والعلماء الدارسون منقسمون فيما بينهم : إيهما قد أتى أولاً ؟ فعدد كبير منهم يعتقد أن أيوب يقلد المزمور ولكن بطريقة عكسية ، فبدلاً من الابتهاج بأن الإنسان هو تاج الخليقة يكتشف أيوب أن اهتمام الله بالبشر هو السبب الحقيقى لبؤسهم ، وكل ما يتمناه أن يكف الله عنه (١٩) لحظة ، وبدلاً من شعور أيوب بأنه منفصل عن الله فإنه

---

(١) إن أرتباط إله العاصفة ، تحت أى مسمى ، بالعجل أكيد وقد ظل سائداً فى العقائد السنكرستية فى العصور الهلينية . وسواء أتخذ البعل لقب « من إيل باغتصابه لدوره القيادى فهذا موضع جدل ولا يعرف أحد إن كان حقاً يتخذ شكل الثور فى أى من القصص . ولكن إستعادتنا لتلك الصور فى شعر أيوب لا يعتمد على تلك الأشياء بالرغم من شكوكنا فى أن يكون ذلك مصدرها . وعلى أى حال فأن يستخدم اسرائيلى صورة من عقيدة دينية تعد من وجهة نظره قد انتهت منذ ألف سنة يعد شيئاً ضار كإشارة ملتون لآلهة اليونان وروما .

مدرك تماماً بأنه موضوع تحت مراقبته المستمرة . وفى مواضع أخرى فى العهد القديم فإن الشخص المؤمن يجد الأمان على أساس أن الله هو حافظه (مزمور ١٢١ : ٤) أما بالنسبة لأيوب فمراقبة الله المستمرة له [١] نتيجتها أنه يعامل كما لو كان حجر عثرة وحملاً (٢٠) .

٢٠ و ٢١ فى نهاية حديثه يعود أيوب للسؤال المتكرر (لماذا ؟) وما يتساءل عنه ليس واضحاً تمام الوضوح مع أن عدد (٢١ ب) هو المقابل والمكمل لعدد (٨) موحداً الفقرة كلها . وبالمثل فإن أسئلة الأعداد (١٢ و ١٧ و ١٩) يمكن تلخيصها فيما ورد فى عدد (٢٠ أ) « ماذا أفعل لك ؟ »

أما أضافة كلمة (إن)[٢] قبل (أخطأت) ليس له سند من النص العبرى ، فقد أضيفت بناء على تفسير يجعل حديث أيوب فيه شيء من عدم اللياقة موحيا بأن خطية البشر ليست بذات موضوع بالنسبة لله[٣] فمثل تلك الفكرة غير واردة بالنسبة لشخص كأيوب ، وهو لا يعلم لم يضربه الله « كهدف » فى الـ NEB وكعلاقة فى الـRsv « عاثوراً » حسب النص لقد سبق أن طلب أيوب من أصحابه أن يخبروه أية خطية فعل (أنظراً التعليق على ٦ : ٢٤) ، والآن فهو يتوسل أن يساعده الله حتى يفهم ذلك . إن أيوب يعلم أنه خاطىء ، والكلمة الأولى فى عدد (٢٠ أ) تقرر ذلك بصراحة تامة[٤] وهو يعلم أيضاً أن علاج الله للخطية هو المغفرة ولكنه لا يستطيع أن يفهم لماذا لا تغفر خطيته حيث أنه قد سبق وأظهر توبته وقدم الذبائح لذلك (أنظر التعليق على ١ : ١٣) ، وهو لا يعرف خطية أخرى تستحق التوبة ، وبالتأكيد لا توجد معصية كبيرة تبرر ذلك الهجوم العنيف الذى يشنه الله عليه الآن . والقارىء يعلم أن موقف أيوب هذا صحيح تماماً ولذا فإن آلامه أكبر بكثير من أى خطية يحتمل ارتكابها ، حتى أنه يحتاج لتفسير بخلاف مواقف الخطأ والعقاب وأفكار أيوب أصبحت من العنف بمكان حتى أنها تشبه

---

(١) فى ١٣ : ٢٧ ، ١٤ : ١٦ يعود لفكره أن الله يراقب كل خطواته .

(٢) فى ترجمات أخرى (إن اخطأت) المترجم

(٣) لازالة الصعوبة يسقط (Pope) الكلمة (اخطأت) تماماً من النص .

(٤) فى عدد (٢١ أ) يتكلم بصراحة مماثلة عن « ذنبى » (وإثمى) . إن حقيقة خطيته لا مجال لدحضها إن أضافة (إن) لكلمة اخطأت يضع أيوب فى موقف البر الذاتى وهو موقف لا يصح أن ينسب لأيوب خاصة وأن كلمة (إن) غير موجودة فى النص الأصلى

غربال الامتحان الذى سمح به الله للشيطان لكى يضع أيوب فيه ليهزه[1] ، ويتوسل أيوب إلى الله حتى يجعل عذابه محتملاً بفهم دلالته وإلا فليشفق عليه بإماتته . إن ألم أيوب صحيح كألم كل الذين تألموا فى صراعهم مع الله حتى وإن جمعوا نتيجة لذلك بقية حياتهم (تكوين ٣٢ : ٣١) .

فإن كان أيوب يبدو متحدياً فهذا دليل على جرأة الثقة ، فهو يصدق كل ما يعرفه عن الله ، ولكن طرق الله التى لا تفسير لها قد حيرت عقله حتى وصل إلى حافة الانهيار . إن أيوب على صواب ولكنه لا يعلم أن الله يراقبه بعطف صامت وباعجاب حتى نهاية الامتحان وعندئذ يجىء الوقت لإعلان موافقته على صحة موقف أيوب علناً (٤٢ : ٨) .

---

(١) من الجائز أن يسوع حين ذكر ما قاله فى (لوقا ٢٢ : ٣١) كان يدور فى خلده حالة أيوب وما جاء فى (عاموس ٩ : ٩) معاً .

٣ ــ بلدد (٨ : ١ ــ ٢٢)

إن الخلاف بين أيوب وأصحابه يتسع فى حديث بلدد الأول ، فهو لا يبدأ بلباقة كما فعل أليفاز ولكنه يتهم أيوب صراحة بأنه رجل أقوال فقط ، كلماته قوية ولكنها فارغة (عدد ٢ ب) وترجمة (موفات) تقول (كلماتك شديدة وعاصفة) وهى ترجمة جيدة .

وبلدد موضوعى وتحليلى فى حديثه عن الله والإنسان وكنتيجة لذلك فهو مفكر مرتب الأفكار ولكنه سطحى ، وهو غيور على الأخلاق وفى تعليمه البسيط يمكن تفسير كل شىء فى ضوء نوعين فقط من البشر ــ الكاملون (عدد ٢٠ أ وما قيل عن أيوب فى ١ : ١) والفجار (عدد ١٣ ب) وحيث أن النوعين لا يختلفان فى المظهر الخارجى فإن الله يميز بينهما بالإغداق على النوع الأول ، والقضاء على الثانى ، والقول بأن ذلك يحدث كيفما أتفق يعنى الشك فى عدالة الله . وهذا ما يفكر فيه أيوب طبقاً لقول بلدد ولذا فهو يتساءل :

هل إيل يعوج العدالة ؟
أم هل شداى يعوج الحق ؟

هذا الشطر المزدوج يوضح الطريقة الشعرية لوضع سطرين من الكلمات المتقابلة تكونان عبارة واحدة ، وهذه الكلمات ليست مترادفة حيث أن إسم الله « إيل شداى » وما يفعله هو « القضاء العادل » ، والفعل واحد فى كلا السطرين ولذا يمكن تكوين جملة واحدة من كلا الشطرين وهى « هل إيل شداى يعوج القضاء العادل ؟ »

(٤ ــ ٧) لم يقل أيوب ذلك فهو يؤمن بعدالة الله ولكنه لا يستطيع أن يراها ، ويرى بلدد الشوحى الايحاءات الخطيرة لأسئلة أيوب التى لا توجد إجابة عليها ، ولأن أعمال الله على قدر سلوك الإنسان ، فبلدد يحاول أن يرجع بالذاكرة إلى الوراء . فلابد أن أبناء أيوب قد أخطأوا وهذا الأمر له عظيم الأثر على أيوب لأنه كان مهتماً بها جداً وبتقديم الذبائح يكون قد أخذ الحيطة فى حالة ارتكابهم للخطايا حتى الخفية منها (١ : ٥) ، وبلدد لا يعترف بامكانية المغفرة ، فلا شىء يمكن أن يوقف عواقب الخطية . والبديل الوحيد

هو أن يكون (زكياً ومستقيماً) (عدد ٦ أ) ، والكلمة الثانية (مستقيماً) قيلت عن أيوب فى مقدمة السفر ، وعلى هذا الأساس يمكن لأيوب أن (يبكر إلى الله) فيكافئه الله ، إن الله سوف يُغنى أيوب (البديل المحتمل لكلمة (يتنبه) فى الـ (Rsv) ويعيد إليه مسكنه الملائم[1] . وهكذا تتحول حياته من بداية بسيطة إلى نهاية رائعة (عدد ٧) اعتبر بعض الشراح تلك النصيحة « بالتضرع إلى القدير » (٥ ب) والتى تعنى حرفياً (التماس المعروف من الله) جملة غير متناسقة مع الكلام . ولا نتوقع أن نجد هنا تعليماً مؤيداً لتعليم النعمة من جانب بلدد ، فمعروف الله هنا مكافأة على البر وليس غفراناً للتائب . وبلدد هنا يبدو أشد قسوة من أليفاز .

(٨ — ١٠) كما يحدث دائماً نجد أنه كلما ضعفت القضية التى تدافع عنها صغتها فى عبارات توحى بالثقة ، فبلدد يلجأ لحكمة الأقدمين كما لو كان ما يقوله معلومة عامة وهناك لمسة تقريع مرحة فى هذه الفقرة ، فيحاول كاتب — سفر أيوب أن يشير لأحد أغراض كتابه وهو أن يضع علامة استفهام حول التقاليد وأن يهز ثقة أولئك الذين يتمسكون بها دون تفكير . وبلدد وأيوب يبدآن من نقطة واحدة : (أيامنا على الأرض ظل) (عدد ٩ ب ، ٧ : ٧ و ١٦) ولكنهما يسيران فى إتجاهين متضادين ، وكلاهما يقول : « لا نعلم » ، والخبرة القصيرة لأحدهما تحتاج للنمو من خلال تجارب الماضى المتراكمة أو من الأفضل أن تنمو عن طريق حكمة العصر الذهبى للأولين و « بحوث »[2] الآباء[3] منبع المعرفة السليمة .

(١١ — ١٩) من أحد فنون الكاتب ألا يجعل من بلدد رجلاً ضعيفاً ،

---

(١) إن الترجمة المتعارف عليها للمقطع الأخير من الآية ٦ هى المسكن الملائم أو « مسكن برك » كما جاءت فى العربية . لكن هذه الترجمات لا تعبر عن معنى Naweh التى جاء ذكرها فى شرح ٥ : ٣ كما لا تعبر عن المعانى القانونية المرتبطة بكلمة Sedeg المترجمة حق فى عدد ٣ . كما أن الفعل Sillem المستعمل هنا يعنى غالباً « سليم أو صحيح » حرفياً ولا يدل على « رد أو دفع » مع أن هذا المعنى يلائم وجهة نظر بلدد الذى يتمسك بالحرفية الجامدة .

(٢) أما البحوث التى قام بها الآباء أو البحوث التى تتم الآن كما كتبوه ووجدوه . وعلى أى الحالتين فهناك اشارة (بالنظر لعدد ٩) أن طول عمر الأقدمين أعطاهم استبصاراً لا نتمتع نحن به .

(٣) المعنى الحرفى « لآبائهم » أثار مناقشات طويلة وقاد إلى حلول كثيرة فرأى Albright أن المعنى هو « أرواحهم » لكن بغض النظر عن عدم احتمال تشجيع بلدد لتحضير الأرواح لاكتساب المعرفة عن الماضى لكن القرائن الآن تؤيد القراءة التقليدية المعروفة التى تتفق مع الوزن .

فقضيته معروضة عرضاً جيداً ويستخدم فيها أفضل الأشعار ، والصورة المصاحبة لهلاك الأشرار مرسومة ببراعة ، وهى صورة مشابهة لصورة أليفاز الجميلة عن الرجل الصالح فى (٥ : ١٧ ــ ٢٦)

وهذه الفقرة تستهل بسؤال بلاغى : « هل ينمو البردى فى غير الغمقة[١] ؟ » فبمجرد زوال الرطوبة فإنه « ييبس قبل كل العشب » (١٢ ب). حتى وإن كان فى كامل نضارته ، والقصيدة مملوءة بالعديد من التشبيهات المتماثلة هنا وهناك فى كل إجزاء القصيدة ، ومن إحدى فنون الكاتب أن يجعلها كذلك لا أن يجمعها فى مكان واحد .

وهكذا فإن عدد (١٦) يستمر فى وصف النجاح الظاهرى للفجار (١٣)[٢]

أولاً : فهو يمتلىء بالعصارة فى ضوء الشمس ، كما قال (ديلتش (Delitgsch) ، وجذوره تمتد فى كل أنحاء حديقته (١٦) ولكن مثل هذا النجاح ليس أفضل من « بيت العنكبوت » (١٤ أ) ، ولكن مجتمعه (مكانه) (١٨) سوف ينكره ما لم تكن الكلمات (ما رأيتك) تمثل رفض الله (أنظر متى ٧ : ٢٣) ، ويبدو هنا أن الكلمة (مكان) ترتبط بما ورد فى (٧ : ١٠) وفى ذلك إشارة ماكرة أن طريق أيوب يشبه طريق الأشرار .

ومما يؤسف له أن قمة هذه القصيدة فى عدد (١٩) مغلف بغموض فى النص لم يستطع أحد حتى الآن اكتشافه ، فكل كلمة تقريباً لها أكثر من معنى . ونتجة لذلك فالترجمات تقدم للقارىء عدة بدائل للاختيار ، وتنطوى كلمة (فرح) على قدر من التهكم ولكن باجراء عدة تعديلات بسيطة يمكن الحصول على نتائج مختلفة كما فى الـ NEB « وحياته تيبس » .

(٢٠ ــ ٢٢)يجمل بلدد تحليله لاختلاف مصير الأشرار عن مصير الأبرار على نمط تعليم الحكمة ، فالتشبيه بالعشب اليابس والشجرة الناضرة صورة شائعة الاستعمال ، فالذين يثقون بالرب كشجرة مغروسة عند مجارى المياه

(١) الغمقة هى مستنقع أو أجمة (المترجم)

(٢) هذه الكلمة مهمة فى السفر حيث أستعملت ٨ مرات ولها مدلولات عديدة ، ولكن هنا تبدو عامة حيث أنها لا ترتبط بخطايا محددة .

(مزمور ۱ : ۳) ، والشخص الذى يثق فى نفسه ويتكل على قوته فقط يشبه العرعر فى البادية (إرميا ١٧ : ٦) وفرح « الكامل » (عدد ٢٠) يزداد بصنيع الله معه بإذلال أعدائه (٢٢) .

تلك هى حكمة بلدد فهى مفيدة كمرشد عام فى الحياة ولكنها بالية وقاسية حينما يكون رجال الله هم الذين تنتابهم المشاكل ، لقد تخطى أيوب منذ زمن بعيد تقسيم بلدد المبسط للناس إلى صنفين : أخيار وأشرار . فهو يعلم أن كل الناس خطاة بما فيهم هو ، وهو يرجو البركة من الله عن طريق المغفرة (٧ : ٢١) ، لقد سبق له أن تمتع بتلك العلاقة مع الله وكعبد الله (١ : ٨) حقق هذا النوع من الكمال (١ : ١ ، ٨ : ٢٠) والذى لا يمكن إنجازه سوى عن طريق الإيمان .

وتأكيد بلدد بأن (الله لا يرفض الكامل) (٢٠ أ) يجعله فى طليعة الذين استهزأوا بيسوع لنفس الحجة (قد اتكل على الله فلينقذه) (متى ٢٧ : ٤٣) إلا أن أيوب كانت له جلجثته المصغرة ولكل شخص أيضاً كذلك ولكن عندما نعلم تخلى الله عن يسوع لحظة فإن حالتنا لابد أنها أحسن حالاً من حالة أيوب .

٤ ــ أيوب (٩ : ١ ــ ١٠ : ٢٢)

(٩) « فأجاب أيوب وقال »

هذا الحديث لأيوب يذخر بالصعوبات التى تواجه القارىء كل صفحة ، فهناك المشاكل الناشئة من غموض فى النص وفى معنى الكلمات النادرة وأحياناً العادية ، وحتى لو لم نتبع مسلك أولئك الشراح الذين يختارون الطريق السهل بتعديل أو استئصال الفقرة المتعبة فلا يكفى أن نتعامل مع كل فقرة على حدة ، فتجميع كل النتائج ممكن أن يغير فى الناتج الكلى ، وفى الواقع فإن قراراتنا تتأثر بانطباعنا السابق عن الاتجاه الرئيسى فى الحديث فنحن نحتاج طبقاً لذلك أن نصل إلى استنتاجنا بالتساؤل عن اتجاه أيوب الفكرى عند هذه النقطة . وأهم من ذلك ، وإن كان يحتوى قدراً من الصعوبة ، أن نفحص مزاجه ، وحيث أننا لا نستطيع أن نستمع لنغمة صوته ولم يمدنا الكاتب بأى تعليق على نوعية مزاجه وقتئذ ، فلا يبق لنا سوى التخمين . ومثل هذا التخمين قد يكون خطيراً حيث أنه قد يقودنا إلى طريق خاطىء .

وهكذا وجد عدد كبير من المعلقين فى هذا الحديث كثيراً من السخرية والتهكم خاصة عندما يرد أيوب أو يكرر أشياء قالها من قبل أليفاز أو بلدد [(١)]

والقرار الذى نتخذه فيما يختص بوجهة نظر أيوب وموقفه عموماً هام جداً لأن التفسير يعتمد عليه طول الخط ، وقد اعتبر بعض الدارسين أيوب على خلاف كبير مع أصحابه فى عدة نقاط . وهكذا نجد أن القصيدة التى قالها أيوب عن قوة الله فى الخليقة (٩ : ٥ ــ ١٠) مشابهة جداً لفقرة من نفس النوع استخدمها أليفاز فى (٥ : ٩) حتى أن بعضها قد استبعد على اعتبار أنه شىء لا يمكن أن ينطق به أيوب . فشعورنا بأن حديث أيوب هذا يحوى سخرية مريرة[(٢)] كفيل بأن ينتزع منه الجدية ، ولقد قلنا من قبل بأن أيوب

---

(١) لوحظ أن هذا الحديث لأيوب يحوى ردوداً على حديث أليفاز الأول أكثر مما يحويه من ردود على الحديث السابق مباشرة لبلدد فى (اصحاح ٨) ، وفى الواقع فحيث أن اصحاحى (٩ ، ١٠) لهما ارتباط أكثر بما ورد فى (٤ ــ ٥) عما ورد فى (٦ ــ ٧) فأمامنا إذن استجابة متأخرة ، وهذا الجدل المتحرر من القيود يجب أن يمنعنا من تحريك النص لتقريب الأشياء المترابطة من بعضها البعض أو استبعاد أشياء لأنها لا تناسب أو تغيير اشياء لأنها لا تتوافق منطقياً .

(٢) أن جوردس Gordis يقول عن هذا الحديث « أنه يصل الآن إلى قمة مرارته » .

وأصحابه متفقون أساساً فيما يتعلق بطبيعة الله فليس ذلك موضع جدل ، ولكن خلافهم يتعلق بمعاملات الله مع أيوب وأسبابها واتجاهاتها كما بدأت القصة بخلاف بين الله والشيطان حول شخصية أيوب . ولكن إيمان أيوب أقوى من إيمانهم وأكثر جرأة وإبداعاً وبالتالى أكثر انضباطاً وألماً . إن أيوب سوف يكتشف طريقه نحو الله بينما يقف الآخرون موقف المتفرج والمتحدث فقط ؛ ثم إن أيوب يقبل قولهم ثم يمضى إلى أبعد من ذلك بكثير . فهو يرد على حديث بلدد بالكلام عن عظمة الله بطريقة تجعل حديث بلدد التمطى عن اللاهوت صغيراً وتافهاً . واتفاقه مع بلدد فى (٩ : ٢ أ) حقيقى وتساؤله فى (٩ : ٢ ب) ليس من قبيل السخرية بل نقطة البداية لبحث جد خطير وعاجل .

(٢) هذا الأسلوب جدلى ، فكيف يكسب الأنسان صراعاً قانونياً مع الله ؟ لقد سأل أليفاز نفس السؤال تقريباً (٤ : ١٧) أما إجابته بالنفى فسببها الفرق الكبير بين الله القدير والإنسان الفانى ، وأيوب يدرك جيداً تلك الصعوبة ولكن ذلك لا يثبط من عزيمته .

(٣) هنا كلمة (يحاج) هى الكلمة المستخدمة فى التعامل مع قضية أمام المحاكم ، وليس واضحاً من هو ممثل الاتهام ومن هو ممثل الدفاع : من الذى يكيل الاتهامات ومن هو الغير قادر على الدفاع . توحى ال R . v بأن الله يتهم الإنسان بينما توحى ال Rsv أن أيوب هو الذى يود أن يبدأ الإتهامات ضد الله . ويميل لهذا التفسير الذين يريدون أن يظهروا أيوب بمظهر المتطرف الذى يجرؤ على اتهام الله ، ولكن برغم بطولة هذا الموقف فمثل هذه المغامرة لن تجدى شيئاً لأن « الله لا يجيبه عن واحد من ألف » وهذا يعنى أن الله يستنكف أن يقدم لأى إنسان تقريراً عن طرقه(١) وهناك سببان لذلك :

أولاً : فقوة الله الغير محدودة تترك الإنسان المحدود أبعد كثيراً من أن يكون نداً لله ، والأسلوب المصاغ به أصحاح (٩) يبين أن أيوب يدرك إدراكاً جيداً ذلك الفرق الهائل .

---

(١) تقدم ال NEB ترجمة بديلة بالقول « اذا سُر الله أن يجادل معه فالإنسان لا يستطيع أن يجيب عن سؤال من الف » ، وهذا يشبه ما حدث فى آخر السفر ولكن بدلاً من أن يصاب أيوب بخيبة امل لعدم مقدرته على الإجابة على أسئلة الله فإنه يجد المصالحة من خلالها .

وثانياً : لأن أفكار الإنسان عن العدالة تختلف عن أفكار الله حتى أن أى إنسان لا يتوقع أن يعترف الله ببره ، وما على الإنسان إلا أن يخطو خطوة أخرى ليقول إنه طبقاً للمقاييس البشرية فإن الله غير عادل ، والشخص الذى يخطو تلك الخطوة يكون قد سقط فى هاوية لا قرار لها . ولذا فمن الأهمية بمكان أن يكتشف أن كان فكر أيوب قد تطرق إلى هذا الاتجاه أم لا . ونحن لا نعتقد بأن مفتاح هذا الحديث موجود فى الاستنتاج « بأن موضوع هذا الأصحاح كله هو استحالة الحصول على العدالة من الله » ، فلو كان أيوب قد توصل إلى هذا الاستنتاج لكان أبطل كل محاولة للمعرفة ، ولكان بذلك قد جدف على الله فى قلبه (أنظر ١ : ٥)

إن الأسلوب الوقور ـــ لا السخرية ـــ الذى يتحدث به أيوب عن حكمة وقوة الله يبين كيف أن فكره خاضع تماماً لقوة وعدالة الله حتى وإن كان هذا الفكر غير قادر على استيعاب تلك الحقائق . إن إيمانه سليم حتى وإن كان قد اندفع نحو الظلام أو كما يقول هو بطريقة مأساوية « نحو الهاوية » (٣١)[١]

إنه لا يستطيع أن يرى الله وهذه مشكلته (١١) وسؤاله (كيف) يتردد مراراً وتكراراً كيف يضمن تزكيته أمام الله ؟

إنه لا يشك أنه أهل للتزكية ولكنه يعلم أنه لا يستطيع أن يضمن ذلك ، ولا يستطيع أن يستدعى الله باستخدام الوصفات البسيطة لأصحابه إن إله أيوب أعظم من ذلك بكثير .

ويعطى أيوب بسؤاله البعد الصحيح باستحضار قوة الله العظيمة فى الخلق (أعداد من ٣ ـــ ١٢) وسلطانه الذى لا ينافسه فيه أحد فى دينونة العالم (من ١٣ ـــ ٢٤) وإذ يشعر بالخذلان لإحساسه المتكرر بضعفه فهو يعبر عن حنينه لمُصالح (٣٣) بينه وبين الله وبهذه الفكرة يتجدد إيمانه ، فهو يدعو ذلك الإله المحتجب وإن كان هناك أى تحد فى موقف أيوب فإن ذلك يرى فى ذلك الإصرار وتلك المثابرة التى تندفع بها صلاته نحو قلب الله (١٠ : ١ ـــ ١٧) والشفقة التى لم يجدها من أصحابه البشريين (٦ : ١٤) ما

---

(١) « فى النفع تنغمسنى » فى اللغة العربية ولكن فى الانجليزية « تدفعنى نحو الهاوية » المترجم

زال يأمل فى الحصول عليها من الرب حتى وإن كان كل ما يستطيع أن يطلبه من الله أن يتركه وشأنه (يكف عنه) (١٠ : ١٨ — ٢٢) .

(**٥ — ١٠**) إن حديث أيوب لا يسهل تقسيمه إلى قصائد ولكن فى هذه السطور التى أمامنا نجد شعراً غنائياً على مستوى رفيع على نفس نمط الأشعار الغنائية العظيمة التى تتغنى بأعمال الله فى سفر المزامير (مثل مزمور ١٤٧) وعاموس (٤ : ١٣) وإشعياء (٤٠ : ٢١ — ٣١) وأماكن أخرى عديدة . وسفر التكوين الأصحاح الأول قريب من ذلك ، مع أن أيوب (أصحاح ٩) ممتلىء بعدة قصص متميزة عن الخليقة .

وقصيدة أليفاز المشابهة والتى تستهل بالعبارة الواردة فى نهاية قصيدة أيوب (٥ : ٩ ، ٩ : ١٠) خير شاهد على ذلك [١]

وقصيدة أيوب تهزنا من الأعماق ، فهى تتحدث عن البراكين والزلازل والكسوف الكلى للشمس وعجائب أخرى فى السماء يجلبها الله ، ومثل تلك الأعمال أكثر من أن تعد و « أعجب » من أن تفحص (عدد ١٠) والأبراج المشار إليها فى (عدد ٩) نوقشت كثيراً وتم التوصل لنتائج متباينة ، ويمكن الحصول على التفاصيل من التعليقات الفنية والمراجع العلمية . أما حقيقة أن معنى (مخادع الجنوب) لا زالت تحيرنا فهذا لا يقلل من أهمية النقطة التى يثيرها أيوب .

(**١١**) فلا غرو أن يندهش أيوب لذلك ، فبالرغم من كثرة الأدلة على وجود الله وعمله فى الكون ، إلا أن أيوب لا يستطيع أن (يراه) .

(**١٢**) كما ورد هذا السؤال مرات أخرى فإنه لا يعنى « ماذا تفعل ؟ » بقدر ما هو « لماذا تفعل ؟ » وهذا يوضح أن أيوب يعرف بوضوح تام ما الذى يفعله الله وعدد (٢٤ ب) سوف يوجز ذلك مع التأكيد بأن الله هو علة كل حادثة .

(**١٤**) يريد أيوب أن يصبح قادراً على التكلم مع الله ، ولكن ليفعل ذلك يجب أن يكون عنده فكرة عن الهدف من أعمال الله ، وبعد ذلك فى (١٠ — ٩ — ١٣) سوف يصر على وجود هدف من الخليقة .

---

(١) الكلمة المشتركة فى القصيدتين هى « الفاعل » لعظائم لا تحصى المترجم .

(١٥) هذا العدد يمثل عدة صعوبات ، ومن المهم التوصل إلى حل لها إذا أمكن ، لأنها تبدو مركز هذا الحوار . فمقارنة ترجمات الكتاب المقدس تكشف عدة نتائج مختلفة لأن المترجمين يتخذون قرارات حاسمة عن موقف أيوب من هذه النقطة .

فمع أن الترجمة العربية تستخدم كلمة (إن) وذلك يجعل ادعاء أيوب البر ادعاء افتراضياً « حتى وإن تبررت » « وهذا ما لا أدعيه » لا أجاوب « لأنه كما يبين النقاش السابق فذلك مضيعة للجهد » « وكل ما أستطيع أن أعمله » أن « أسترحم دياني » ، ولكن المترجمين يفضلون إيجاد تأكيد لبرارته كحقيقة ثابتة .

كما في عدد (٣) ليس واضحاً من الذى يستجيب ، ففى العربية هو ديانى أى « قاضىّ » والتى تعد ترجمة حرفية ، وقد استبدلت فى الترجمات الأخرى بكلمات مثل « خصمى » وكلها تشير لله .

ولكن ذلك يعد استسلاماً مفاجئاً لنصيحة بلدد بأن « يتضرع إلى القدير »[1] وهذا التناقض فى موقف أيوب يمكن استبعاده اذا نقلنا النفى فى (لا أجاوب) فى الجزء الأول من عدد (١٥) إلى الجزء الثانى منه . فهو يرفض اقتراح بلدد لا أجاوب عن أى اتهامات لأنى أعلم أنها بلا سند » ولا أسترحم ديانى « لأنى مصر على التبرير وليس على الرحمة » وهذا ما نجد تدعيماً له فى الأعداد من ٢٠ حتى آخر الأصحاح .

(١٦) بغض النظر عما يمكن أن نلجأ إليه فى تفسير عدد (١٥) إلا أن العبارة المنسوبة لأيوب هنا يصعب تصديقها ، فأن يقول أيوب إنه حتى لو استجاب الله لدعواته فهو لا يؤمن بأنه سمع صوته ، فذلك نوع من الشك الغير موجود فى أى موضع آخر . بل أن العكس هو ما يريده بالضبط ، وما يصر عليه حتى النهاية (من لى بمن يسمعنى) (٣١ : ٣٥)[2] وعندما يجيب الله نفسه على أيوب ، وليس شخصاً آخر ، فعندئذ فقط فأنه يقتنع بأن صلاته قد سمعت .

---

(١) نفس الفعل قد استخدم فى (٨ : ٥) وذلك ليس من قبيل المصادفة

(٢) وبناء على ذلك يبذل اليهو محاولة مستميتة ليتحدث مع أيوب « لأجل الله » (٣٦ : ٢)

والترجمة فى الطبعة الإنجليزية (ومثلها الطبعة الأمريكية) تدل على نوع من عدم الثقة أكثر مما هو عدم رغبة فى أن يؤمن حتى لو سمع صوت الله مباشرة . فحتى لو استجاب الله وسمع لأيوب « لما آمنت بأنه سمع حجتى » والدليل على ذلك مستمد من العدد التالى . فالله قد « سحق أيوب » لا لسبب يذكر « يكثر جروحى بلا سبب » (١٧ ب) ، فهو غير عادل إن لم يكن قاسياً . ونظرا لرغبة أيوب وأصراره على مقابلة الله شخصياً فنحن نعتقد أن مثل تلك التفسيرات خاطئة . فليس الشك فى عدالة الله هو الذى سبب قلق أيوب بل النتائج المخيفة لمقابلة الله هى التى تملؤه بالرعب (عدد ٣٤) ، وليس أن أيوب يشعر بالوحشة لأن الله بعيد عنه بل أنه يتلوى من الألم تحت يد الله (١٧) ، وعندئذ فقط أى عندما يخبره الله عن سبب ما هو فيه من محنة فإنه سوف يجد الراحة بل يبتهج فى « عذاب لا يشفق » (٦ : ١٠) . ويحل (داهود (Dohood) المشكلة فى عدد (١٦ ب) بنقل النفى حتى آخر السطر السابق وقراءته كإسم ، وبذلك تتحول العبارة من عدم ثقة إلى إيمان واثق لدرجة التحدى ، وهذا يشبه ما ورد فى (١٣ : ١٥) (فى الـ AV وليس فى الطبعات الحديثة) ، وهذا الاقتراح وجيه برغم أن القواعد النحوية لا تستند إلى أساس متين . والمشكلة تتعلق بوضوح بالكلمة (لما) الدالة على النفى ، ولكنها يمكن أن تقرأ لتدل على التأكيد دون تغيير فى النص[1] .

(٢٠ و ٢١) لو عرفنا حقيقة مشاعر أيوب لوجدناها تنطوى على شيئين متناقضين ، فهو يعتقد أنه على صواب ولكنه لا يعرف كيف يثبت ذلك ، فحتى الآن ، لم يوجه إليه اتهام ، لا من الله ولا من الناس .

فالاتهام الوحيد الذى سيوجه إليه سوف يأتيه من الله نفسه .

ولكن إذا دخل فى مواجهة مع الله فهو يخشى ألا يتمكن من الدفاع عن نفسه بنجاح .

يقول (راولى Rowley) إن أيوب خائف من أن تعقد الرهبة لسانه بسبب حضور الله) . ومثل هذا التفسير أفضل بكثير مما ورد فى الـ NEB « مع أنى

---

(١) فتصبح قراءة العدد هكذا « لو دعوت فاستجاب لى لآمنت بأنه سمع صوتى » المترجم

بلا لوم فهو يعوج كلماتى » والتى تعد أردأ مما ورد فى الترجمة العربية « يستذنبنى » ، فالله لم يفعل شيئاً كهذا بالتأكيد مع أيوب وليس لدى أيوب سبب يجعله يتوقع أن يفعل الله معه هكذا ، بينما يستطيع هو أن يصلح ذات البين فى علاقته مع الله وإذ نرى أيوب يصارع شكوكه المتعلقة بصلاح الله فلا يصح أن نذهب بعيداً لندفع أيوب بأنه متشائم يعلم أنه عندما يقابل الله فسوف يستخدم الله قوته التى لا تقاوم فى إزاحة ثوب البراءة جانباً عن جسد أيوب ، فليس هناك اتهام لله أشد تطرفاً من ذلك . إن تلك مشاعر عدو لله ، أما فى ضوء ما يتفوه به أيوب دائماً عن أمانة الله فمن المستحيل أن نصدق أنه يتهم الله بذلك هنا ، وأيوب أبعد ما يكون عن الكبرياء بل هو خاضع مستسلم لحد أنه يقول « رذلت حياتى » (٢١ ب) والتركيز هنا ليس على الشك فى صلاح الله وجوده بل على وضع الإنسان أمام الله ، وما ينطوى عليه من حقيقتين .

أولاهما — أنه لا يمكن لإنسان أن يدعى براً ذاتياً ، فأيوب يصر على براءته دون ادعاء البر الذاتى ، ولا يمكنه دون خداع النفس أن يتظاهر بفساد مصطنع لأجل إثبات نظرية لاهوتية .

وثانيهما — إن أى كمال يصل إليه إنسان لا يجعله ذى حظوة عند الله ، وهذه الفكرة تحمل معنى عدد (٢١) حيث ترتفع نبرة الحديث فتكشف عن انفعال حاد ، كالآتى :

كامل أنا
لا أبالى بنفسى

رزلت حياتى
هى واحدة

(٢٢) إن أيوب غير متناقض مع نفسه ، فهو لا يتهم الله بعدم التفرقة بين الرجل الصالح والشرير ، فقد تبنى منذ البداية موقفاً مفاده أن الرجل الصالح يأخذ الخير والشر من يد الله برضا (٢ : ١٠) لقد كان مصراً على هذه النقطة ، ولذا فهو يعترف هنا بشىء آخر على خلاف ما قاله أليفاز وبلدد فيما يختص بنصيب الأخيار والأشرار : « هو يفنيهما » أى كلا من الأبرار والأشرار .

والوجه الآخر من العملة موجود فى تعليم يسوع « فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » (متى ٥ : ٤٥) وظلم فريق يقابله ظلم الفريق الآخر ، فإذا وجه الاتهام لله بالظلم فيجب أن يكون ذلك بالنسبة للجانبين .

(**٢٤**) يلقى أيوب الضوء على الجانب الذى اختبره منذ فترة وجيزة ، فآلام البشر ترجع فى الأغلب للجريمة (٢٤ أ) والفساد (٢٤ ب) . ولكن بغض النظر عن الوسائل البشرية فليس عند أيوب شك أن الله هو الفاعل وحده ، فهو الذى يأمر العالم بهذه الطريقة (٢٤ ج)

(**٢٥ ــ ٣١**) إن قصر الحياة البشرية وسخافتها قد ألهم الكتاب بالعديد من الأعمال الأدبية ، وتشبيه الحياة بالحلم والعشب موجود فى (مزمور ٩٠ : ٥) ، ويعقوب يستخدم تشبيه البخار (يعقوب ٤ : ١٤) وقد سبق أن قارن أيوب سرعة الحياة بالوشيعة (٧ : ٦) ويستخدم هنا ثلاثة تشبيهات : العداء وسفن البردى والنسر المنقض على فريسته . وهناك فقرة شهيرة فى (التاريخ الجامعى) (لبيد Bede) يستخدم فيه صورة الطائر الذى يطير « كطائر طار بسرعة فى البهو آتيا من باب وخارجاً من باب آخر »

وفى سفر (حكمة سليمان) (٢ : ١) حتى آخر الأصحاح نجد مثل هذه التأملات عن قصر الحياة والذين يتخذونها حجة على السير فى طريق الشهوات ولكن السفر يرفض ذلك « كتعليل غير سليم » وتصارع الرغبات فى فكر أيوب يتضح عند هذه النقطة ، ولكن من توافه الأمور أن نعلق على هذا التناقض ، فهو تارة يصبو أن تنتهى حياته بسرعة وتارة أخرى يشكو من أن الحياة قصيرة جداً حتى أنها « تفر ولا ترى خيراً » ، لقد تزعزع إيمان أيوب باستقرار الحياة .

وهو يخاف أن « ينسى كربته » و « يطلق وجهه » لأنه لا يوجد ضمان ألا تعاوده الأوجاع والآلام (٢٨) وطالما أنه لا يعرف موقفه من الله . وسوف يظل بائساً طالما أن الله يعامله كشخص (مذنب) ، ويبدو أن ذلك معنى (٢٨ ب) و (٢٩ أ) . وليس معنى هذا الجزء أن الله يرى أنه شرير لمحاولته أن يبتهج ، وخلافاً لرأى أصحابه الذين يصرون على إسداء النصح له بأن العلاج الدينى هو الطريق لإصلاح علاقته مع الله ، فأيوب يرى برغم

تقواه الظاهرة للعيان ، أن تطهير النفس مستحيل بل هو فى الحقيقة محض افتراء . بينما غسل اليدين (٣٠) يمكن أن يكون طقسياً ، فلا شك أن أيوب يقصد به هنا أنه يمثل التطهير الأدبى الكامل ولكن بلا فائدة . ويقول أيوب وهو مرتعب إن الله سوف يغمسه فى (النقع) أى فى الوحل ، ويرى بعض المعلقين فى هذه العبارة المقززة تشاؤم أيوب فى أقسى صورة . وحيث أن الله هو الفاعل لكل شيء ، فهو الذى يلطخ البشر ، ولكن الكلمات الآتية تصحح هذا الانطباع المتحيز .

(**٣٢ ــ ٣٥**) المرثاة فى الأعداد من (٢٥ ــ ٣١) كانت موجهه لله . والتأمل التالى يستعيد موضوع الأعداد من (١٤ ــ ٢١) ، وهو صعوبة المحادثات بين أيوب والله . فلا يستطيع أيوب أن يبدأ أو يدير الحوار أو المفاوضات الضرورية بينه وبين الله .

والترجمة المألوفة لعدد (٣٢ أ) (ليس هو إنساناً) تتفق مع عبارات أخرى شبيهة فى العهد القديم مثل ما ورد فى سفر العدد (٢٣ : ١٩) . وهناك مشكلة خطيرة وهى عدم وجود فاعل للجملة فى اللغة العبرية والأكثر احتمالاً أن العبارة (إنساناً مثلى) المستخدمة كما فى (نحميا ٦ : ١١) هى الفاعل ، وإن النفى ينسحب على كلا السطرين فى الأسلوب الشعرى :

إنساناً مثلى لا يستطيع أن يجاوبه
لا يمكن أن نأتى جميعاً إلى المحاكمة

وهذا يعبر مرة أخرى عن فكرة عددى ٣ ، ١٤ تلك هى المشكلة الملحة ، مشكلة السفر الحقيقية : إنها ليست مشكلة الألم حتى تحل عقلياً بتقديم إجابة مقنعة تفسر سبب حدوثه ، ولكن التوصل إلى علاقة سليمة مع الله وهى التى تجعل التواجد فى الألم مقدساً ومقبولاً (٤ : ١٧ ، ٩ : ٢) ، إن سؤال أيوب هو : كيف ؟

إنه يرى الحاجة (لُمصالِح) وسواء كان يدلى بذلك عن اشتياق حسب بعض الهوامش فى الترجمات « لو كان هناك واحد يحكم بيننا » أو عن أسف بأنه لا يوجد (RSV) والكلمة العبرية (Màkih) لا تعنى قاضياً يقرر فقط من هو على صواب ، لكنه وسيط يفض النزاع بالمصالحة ، مفاوض يقرب الطرفين كل منهما للآخر بأن « يضع يده على كلينا » كصديق مشترك . هذا التفسير

أقرب إلى الصواب من فكرة أن أيوب يفكر فى قوة ما أعظم من الله تستطيع أن « تفرض سلطتها على كلينا » لإضافة إلى العجز البشرى فإن أيوب لا يستطيع أن (يتكلم دون خوف منه) (٣٥ أ) ، كما يريد بسبب عداوة الله المستمرة الظاهرة . ويعترف أيوب مرة أخرى بأن المبادرة تقع مسئوليتها على الله وحده « ليرفع عصاه عنى » (٣٤ أ) .

ولسوء الحظ فإن عدد (٣٥ ب) غير مفهوم فلربما يجب أن يرتبط بعدد (١٠ : ١ أ) (أنظر ٩ : ٢١ ولكن الكلمات العبرية المترجمة « كرهت » مختلفة) .

(١٠ : ١ – ٧) مع أنه لا توجد نقلة مفاجئة فى هذه النقطة إلا أن أيوب يعود لتوجيه خطابه إلى الله ويستمر فى الصلاة حتى نهاية الحديث . وكثير من الأفكار الواردة هنا قد سبق التعبير عنها ولكن بترديدها مرة أخرى تبرز فكرة جديدة تعطيه أملاً متجدداً . فأيوب رجل مريض وهو لا يستطيع أن يعتقد أن الله قصد أن تكون نهايته هكذا . فلابد أنه يدبر له شيئاً أفضل ، مع أنه فى الوقت الحاضر لا يستطيع أن يرى فى الأفق سوى كآبة الموت (عدد ٢٢)

كتب بولس لأهل كورنثوس بأنه عندما كان فى آسيا « إننا .. من جهة ضيقتنا التى أصابتنا فى آسيا أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً » (أنظر ٢ كو ١ : ٨)

وهكذا فالرسول لم يستطع أن يبدو كغيره من الكارزين الذين يبدون مبتهجين مرنمين ترانيم الفرح دائماً والذين يعدون المؤمنين بالفرح والسلام دائماً وبذا يدفعون المؤمنين بالسلام الخائرين والبائسين إلى كآبة أشد لأن هؤلاء الكارزين لا يعترفون بالفشل واليأس . إن بولس أكثر أمانة وإنسانية وأكثر إلماماً بالعقيدة الدينية أيضاً ، فقد ربط بين هذا الألم وآلام سيده لقد كان يحمل إمانة يسوع فى جسده (كورنثوس) الثانية ٤ : ١٠) .

إن إنجيل المسيح لم يضمن لأى إنسان شقاء أقل من شقاء أيوب[1] ، ولكنه أتى بشىء آخر هو المشاركة فى آلام المسيح (فيلبى ٣ : ١٠) والتى

---

(١) أنظر بحوث كيركجارد عن (إنجيل الآلام) من أجل دراسة مستفيضة لهذا الموضوع .

بدونها لا يصبح الإنسان مسيحياً حقيقياً ، لأن ابن الله لم يجعل آلام الحياة بعيدة عنه بل احتضنها وعاشها وجعل منها شيئاً مجيداً كوسيلة لخلاص الإنسان . وكل رائد متميز فى العهد القديم قد تشبه بالمسيح ليصبح « رجل أحزان » (أشعياء ٥٣ : ٣) وقائمة طويلة مثل إبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وراعوث وحنة وداود وهوشع وإرميا ــ ولا شك أن أيوب ضمن هذه القائمة ، وهناك شىء ما سوف يكتشفه أيوب عن الله كمخلص له أفضل بكثير من مجرد حمايته من الضرر أو النجاة من المتاعب ، بل الأهم أن يكون الله معه فى وسط متاعبه ..وهذا ما يصبو إليه فى صلاته . وأنها لحقيقة بالغة الأهمية يغفلها كثير من الشراح ولكنها توضح فكر أيوب ، أنه ما من طلبة قدمها أيوب وطلب فيها بوضوح شفاءه من مرضه ، كما لو أن كل شىء سيكون على ما يرام عندما يعود لحالته الطبيعية .

وهذا لا يجيب على السؤال الأكثر الحاحاً من أى شىء آخر وهو : لماذا ؟

فى الفقرة الحالية يركز أيوب سؤاله على التناقض بين العناية التى بها خلق الله الجسم البشرى ، والإهمال الظاهر الآن فى جسده البالى .

وفى العهد القديم نجد التأكيد مراراً وتكراراً بأن الله يعتنى بخليقته برقة وبخاصة المنبوذين والبؤساء . ومن أكثر الفقرات إثارة للشفقة فى الكتاب المقدس ترانيم الحزن التى يخبر فيها المتعبد الرب بتعاسته ، ومثل تلك القصيدة تسمى (شكوى) ، وهى استعطاف حزين لاستدرار شفقة الله ، والعبارة الثانية « مرارة نفسى » تصف حالة البؤس ولا تنم عن حدة الطبع .

(٢) فى هذه الأسئلة يبدو أن أيوب يسلم بما استنتجه أصحابه . وكلمة (يستذنب) توحى بأن الله قد عامله كما لو كان شريراً . وطلبته بأن يعرف لماذا يخاصمه الله (لماذا تخاصمنى) تعبر عن حيرة أيوب الحقيقية وحزنه وليس عن الغرور أو التحدى .

(٣) يتوقف الكثير على تفسير كلمة (حسن) هنا . فليس معناها دائماً كلمة (صواب) بمعنى (عدل) . فلة أراد أيوب أن يستفسر عن صحة أعمال الله لاختار كلمة أوضح ، أما اختيار كلمة (مزية) فى الـ Neb بدلاً من (حسن) توحى بأن الله قد يحصل على بعض الفائدة بإيقاع الظلم بالبشر كما لو كان الله يتلذذ بتعذيب الإنسان العاجز . وواضح من عدد (٩) أنه

يردد صدى ما جاء فى سفر التكوين (١ ــ ٣) ، ونحن نقترح أن كلمة Tobأو ToB مشتقة من نفس المصدر . لقد سر الله أن كل شيء عمله كان (حسناً) ، ولذا فهو فوق المساءلة أن كان (يرذل عمل يديه.)[١] ونفس هذا الوضع المقلوب يرى فى تفضيله الواضح (مشورة الأشرار) وهى فكرة يتوسع فيها أيوب فى أصحاح (٢١)

(٤ ــ ٧) إن تسلسل الأفكار فى القصيدة كلها مرتب فى نمط معقد من الاستبطان الذى يخلق الانطباع المبدئ بأن الأفكار ليست مترابطة . وهكذا فاختلال الوزن فى عدد (٧) قد أصاب الدارسين بحيرة كبيرة ودفع البعض لتفسير النص حسب استحسانهم . ولكن ليس هناك ما يدعو لذلك عندما نعرف أن عدد (٧ أ) يتمشى مع عدد (٢ أ) حيث استخدام أصل واحد لها يبين أنهما كالآتى : ـــ

لا تستذنبنى
عندما تعلم أنى لست شريراً

والتحليل الدقيق لهذين السطرين يظهر أن عددى (٤ ، ٥) اللذان يحويان لب الموضوع محاطان كمحتويات الشطيرة بين الأعداد (٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧) والتى تكون الفكرة الرئيسية الأخرى .

والتفسير المحتمل لمعالجة الله التى تبدو مقلوبة للأمور ومعاملته لرجل صالح كأيوب كما لو كان « مذنباً » (عدد ٦) بينما يبدو فى الظاهر « مشرقاً » (مبتسماً » فى الـ NEB على مشورة الأشرار ، هو أن الله يرى الأشياء بطريقة تختلف عن البشر أو أن حياة الأنسان القصيرة (٩ : ٢٥ ، ١٠ : ٢٠) تجعله يرى الموضوع من زاوية مختلفة تماماً عن الله الذى سنوه لن تفنى .

نرى هنا أيوب يضع يده على حقيقة تسبب ألماً للخطة ؛ وبعد ذلك سوف يصل إلى اقتناع كامل ويقول « كرهت نفسى » بروح مختلفة تماماً[٢]

---

(١) نفس الكلمة استخدمها أيوب للتعبير عن شعوره بحقيقة نفسه فى ٩ : ٢١

(٢) إن اللعب بالكلمات الأساسية والذى يجعل من السفر كله إطاراً لفظياً معقداً ، غير واضح المعالم لقراء السفر . وهكذا فكلمة « رجل » فى عدد (٥ ب) مستخدمة بمعنى آخر فى ٣٨ : ٣ و ٤٠ : ٧ بتعطى انطباعاً مختلفاً . والكلمة « رذل » فى (٩ : ٢١) و (١٠ : ٣) قد استخدمت مرة أخرى فى (٤٢ : ٦) بمعنى احتقر .

. إذا كانت بعض صيحات أيوب الثائرة قد جعلتنا نخشى أنه فى خطر الانزلاق إلى عدم الإيمان فهذه القصيدة الجميلة عن الخليقة توضح أن أيوب مؤمن تماماً بمقاصد الله الحسنة (أنظر التعليق على ١٠ : ٣) فى خلقه للإنسان . وهو يستخدم ثلاث أو أربع صور جميلة مستمدة من التكنولوجيا ليحكى قصة بداءة الإنسان ، ولربما كانت وراء هذه الإشارات عدة قصص مطولة عن الخليقة ، فاستخدام (تكوين ٢) فى عدد (٩) واضح ، ومهارة النساج أساس المقارنة فى عدد (١١) (أنظر مزمور ١٣٩ : ١٣) ، والذى يعبر عن إعجاب مماثل بتلك المعجزة .

وأكثر الصور وضوحاً تخثر الجسم كالجبن

(١٠) وهى صورة فريدة فى العهد القديم[1] ولا شيء أكثر مهانة من ذلك وقد عبر الكتّاب المتأخرون عن تأفقهم من تكوين الإنسان من قطرة لها رائحة غير مقبولة (٣ : ١ (Pirge Aboth) ، والطريقة المستخدمة فى عدد (٨) أقلها وضوحاً ، فالتشكيل والنحت أو القطع كلها متضمنة فى هذا العدد ولكن صنع الفخار (٩) أو الضفر والطى (عدد ١١) تكرار للإيضاحات الأخرى . كل تلك الحرف والمهارات تشترك فى فكرة التصميم والابتكار والتركيب الدقيق المقصود به تقديم النفع للناس ، وإعجاب أيوب الواضح بذلك يحمل معه الثقة بأن الله بالمثل كان له غرض ذكى وصالح ، فعمل الله فى خلق الجنس البشرى كان التزاماً ومسئولية ، ومن غير المعقول أن يلغى عمله و « يعيدنى إلى التراب » من جديد (٩ ب) ، لقد خبأ الله فى قلبه وعداً بعهد[2] (محبة ثابتة) يضمن الحياة لخلائقه . « والحياة والرحمة » (١٢ أ) هما بلا شك نوع من أنواع البلاغة للتعبير عن فكرة واحدة باستخدام كلمتين يربطهما حرف عطف ، والتأكيد أن الحياة هى من الله عن طريق الخلق أمر فى غاية الأهمية فى نظر أيوب ، فهنا نجد تعبيراً عن الإيمان المناضل لأن فكرة الموت لا تزال قوية وتسيطر على نهاية هذا الحديث ، وسوف تأتى إلى تعبير

---

(١) تحدث الكتّاب المتأخرون بعد ذلك عن تجلط المنى أو الدم حتى يصبح جنيناً .

(٢)إستخدام الكلمة العظيمة (Hesed) والتى لا تترجم هنا يعطى أهمية عظمى للاهوت هذا السفر . فأن تدعو الخليقة بأنها عمل من أعمال ال (Hesed) يمهد الأرضية لحل مشاكل أيوب والتى تبدو بادى ذى بدء انها تتطلب عهد الفداء بالاستخدام الرائع لشعر « الطبيعة » فى أحاديث الرب فى النهاية .

أكثر وضوحاً فى توقعه للقيامة بعد الموت فى أحاديثه اللاحقة وخاصة فى أصحاحى (١٤ ، ١٩) .

١٤ ـــ ١٧ يبدو أن هناك انتقال مفاجىء من الهدوء الموجود فى عدد (١٣) إلى ثورة فى القسم التالى . ولكن فى الترجمة العربية لا نجد فقرة جديدة فرجاء أيوب الذى مما ليثق فى أمانة الله يبدو أنه ينزوى منهوك القوى ، فيتراجع إلى شكوكه السابقة كما نرى بعودته للاستعمال المتكرر لكلمة (إن) الدالة على عدم اليقين والكثيرة الورود فى الأجزاء الأولى من هذا الحديث .

ويبدو أنه يريد أن يقول إن الله يستوى عنده أن يكون أيوب صالحاً أو شريراً ، والجزء الأول من عدد (١٥) يدل على أنه إذا كان أيوب على خطأ فسوف يشعر بالخزى ولكن إذا كان على صواب فلن يفتخر[١] وبقية عدد (١٥) غير واضح حتى أن الـ NEB تضعه فى الهامش وفى الـ MT نجد الأفعال فى صيغة الأمر (أشبعنى ذلاً وانظر إلى مذلتى) ، كما لو كان يستعطف الله مرة أخرى ، والمترجمون حولوا الحديث إلى وصف لحالة أيوب وحزنه وسبب مذلته ، ولكن السبب الحقيقى موجود بدءاً من عدد (١٦) فبالرغم من صعوبة استخراج الصورة البلاغية فى عدد (١٦)[٢] .

(**١٨ ـــ ٢٢**) يعدد أيوب الآن التفاصيل بصورة قاطعة وحاسمة أكثر من حديث معزيه الغير مترابط ، فأيوب يعرف عن الله أمرين بالغى الأهمية ولكنهما يصطدمان ببعضهما ، فالله قوى وهو أيضاً صالح . وفى الخليقة أولاً ثم فى بلايا أيوب الحالية تظهر قوة الله ، ولا جدال أن الله هو مصدرها ، ولا يستفسر أيوب عن حق الله فى أن يعمل ذلك ولكنه لا يستطيع معرفه اسباب عمل الله لذلك ، فلماذا يخلق ليدمر ؟

---

(١) حيث أن رفع الرأس تعبير يستخدم للدلالة على القبول أو البراءة فهو يقول إنه حتى لو كان يعرف أنه على صواب فالله لا يعترف بذلك وليس لدى أيوب وسيلة تجعل الله يفعل ذلك .

(٢) (ارتفع) حرفياً (انمو) ونفس الفعل فى (٨ : ١١) كأسد تطاردنى وبعضهم يغير ذلك إلى « اذا تكبرت » كما فى الـ (NEB) أو ما يشبه ذلك ولكن « جوردس » يجعل الله فاعلاً « أنك تفتخر » . وفى الـ NEB يمثل الأسد صورة الكبرياء (إلى فخور كالأسد) والبعض يعتبر الأسد (أيوب) هو الفريسة (٤ : ٨ ـــ ١١) وآخرون كرمز لضراوة الله (هوشع ٥ : ١٤) وشدته (أنظر التعليق على أيوب ٧ : ١٥) ، وفى العربية تبقى على الغموض فى الأصل فى هذا الصدد .

إن مهارة الله الفائقه فى صنع الجسم البشرى دليل عظيم على اهتمامه بالحياة ولكن الحياة بالنسبه لايوب أصبحت حملاً ورعباً (١٠ : ١ أ) ، إن المتألم المتحير يعود لموقفه الأول ، رثاء النفس الوارد فى اصحاح (٣) والذى يستعيده فى السطور الختاميه من هذا الحديث . ولقد سبق ان عبرّ عن تلك الامنيات ، فهو يتمنى لو لم يولد (١٨ أ) أو لو كان قد مات فى الرحم (١٨ ب) أو لو لم يكن قد حُبل به (١٩ أ) . انه هنا يبدو انه يفكر فى أصوله بالنظر الى الخلف ثم يراجعها بالنظر الى الأمام .

فحيث انه قد ولد فهو يتمنى لو مات فى الحال (١٩ ب) أو على الاقل أن تكون حياته قصيرة .

فى رثاء النفس الأول عبر أيوب عن حسده للأموات لانهم يستريحون . وهنا مع ذلك يسر قليلاً من منظر الموت لأنه يردد عدة عبارات تأتى أحداها تلو الاخرى تنم عن كآبة الموت وهى أربع كلمات مختلفه « للظلام » مبينه وحشه الهاوية ، وتفضيله أن يتبلج قليلاً أى يستريح قليلاً (٢٠ ب) فى هذه الحياة يشير الى ما مر به من ظروف حسنة كالإقامة فى كنف الله ورعايته ووفاء الإنسان .

٥ ــ صوفر (١١ : ١ ــ ٢٠)

(١ ــ ٢) يعتبر النعمانى أقل أصدقاء أيوب إرتباطاً به ، فلا يوجد فى حديثه أى نغمة تعاطف . صحيح أنه كان فى « كثرة كلام أيوب » جوانب من نفاذ الصبر والمبالغة فى القول ، سوف يندم عليها أيوب فيما بعد (٤٢ : ٦) ولكن ذلك اعتذار يقدم لله وليس للبشر . فليس على أيوب التزام بالتمسك الدقيق بأعراف الحديث التقوى لمجرد إرضاء الناس كصوفر ، وعدم رضاء صوفر الجامد يبين بعده عن مشاعر أيوب من خلجات وأحاسيس ، وتوبيخه العنيف يظهر مدى عدم إحساسه . بآلام أيوب . فحزن أيوب وثورته شيء طبيعي ، إذ نحن نرى فيها العنصر الإنسانى الذى يربطنا به ، وصوفر يدد كلمات أيوب ويعتبرها صلفاً وهذراً

(٢) وهذا ظلم ، فحكمة صوفر من التجاء إلى نظريات جامدة قد تكون صحيحة من الناحية اللاهوتية المألوفة ولا اعتراض عليها ولكنها سطحية مقارنة بإخلاص أيوب المصحوب بثورة تزلزل الأركان . وصوفر أيضاً مبالغ فهو يتهم أيوب بأنه ثرثار (من عدد ٢ ــ الخ) وأنه بار فى عينى نفسه (٤ ــ ٦) ومتحيز (٧ ــ ١٢) وأنه متصلف عنيد (١٣ ــ ٢٠) .

(٣) إن كلمة (صلف) تشير إلى كبرياء موآب كما وردت فى (إشعياء ١٦ : ٦ وإرميا ٤٨ : ٣٠) والتى وُصفت بأنها كاذبة ، وهذا يشير بنوع خاص إلى ادعاء أيوب بالبراءة ولكن بتسمية أيوب بأنه (ثرثار)

(٢) فإن صوفر يوحى بأنه اذا كان سلوك أيوب السابق لم يكن عليه غبار فأحاديثه الحالية تستوجب التعنيف ، فهو يتهم أيوب بالسخرية أى الاستهزاء . لقد تكلم أيوب مع أصحابه ومع الله بالتناوب ولا يمكن أن نقول من المقصود بالسخرية ، ولقد سبق أن اختلفنا مع الشراح الذين اعتبروا كلمات أيوب ساخرة وهى لا تستحق أن توصف بأنها مستهزئة . لقد تحدى أيوب الله ولكنه لم يسخر منه ، ولقد عبر عن يأسه من أصحابه (٦ : ١٤ و ٢١) ولكنه لم يسخر منهم .

(٤) إن صوفر عنيف اللفظ ، « فهو يلقى جانباً بكل الايماءات والايحاءات ويرمى بالسهم مباشرة من حيث يشير الآخرون فقط أو يلمحون »

(برادلى) فحين يتهم صوفر أيوب بأنه يدّعى أنه (زكى وبار) فإنه لا يأتى بنص كلمات أيوب لأن أيوب لم ينسب لنفسه تلك الصفات ، وحتى لا نتلاعب بالألفاظ انصافاً لصوفر يمكن أن نسلم بأن إصرار أيوب أنه على صواب (أو على الأقل لا يعرف أين أخطأ) معادل لهذا الإدعاء . وكلمة (تعليم) أستخدمت فى (تثنية ٣٢ : ٢ ، إشعياء ٢٩ : ٢٤) وفى سفر الأمثال اطلقت على كلام الحكماء ، والكلمة (زكى) مع أنها نادرة فانها تشير فى أماكن أخرى (للأيدى) (والقلب) لتعنى الطهارة الأخلاقية .

(٥) (ولكن ياليت الله يتكلم ويفتح شفتيه معك) يستمر صوفر فى التعبير عن أمنية يشاركه فيها أيوب . فالله وحده يمكن أن يحسم الموضوع لو « تكلم » ، ولكن صوفر يعتقد مسبقاً أنه يعلم ما سيقوله الله ، وهذا ينطبق أيضاً على شكواه بأن أيوب مغرور .

(٦) إن المطلوب كلمة من الله لأن « فهمه » المضاعف (هذه الكلمة النادرة مترجمة (نجاح ، فى ٥ : ١٢) [1] يمكن أن يعلن (خفيات الحكمة) أى اسرار الحكمة ، ولسوء الحظ فمحاولات الدارسين العديدة لإزالة صعوبة الكلمة المترجمة (مضاعفة) (حرفياً « مزدوجة » باعتبار أنها ربما توحى بمستويين من المعنى فى التعليم بالأمثال) لم تؤد إلى أى اتفاق فى الرأى . الغالب ، ولكن صوفر لم يقدم سبباً لاستنتاجه القاسى بأن أيوب رغم تحمله لأقصى ما يتحمله بشر لم ينل العقوبة كاملة (إن الله يغرمك بأقل من اثمك) .

(٧ — ١٢) هذه القصيدة تفسر العبارة الواردة فى عدد (٦ أ) والعبارة المألوفة فى الـ Av « أتستطيع أن تجد الله بالبحث ؟ » قد استخدمت لاهوتياً مراراً كثيرة لإعلان أن « بحث الإنسان عن الله » عبث ، والترجمات الحديثة على صواب حين تؤكد أن (عمق) (فى ال NEB « سر ») الله تتوازن مع الكلمة (نهاية) واستخدام كلمة كمال القدير أفضل فهى تدل على أن كماله أبعد من حدود الفكر البشرى .

---

(١) فى اللغة العربية وردت (قصد) « المبطل أفكار المحتالين فلا تجرى أيديهم قصداً » (٥ : ١٢) (المترجم)

إنه يتجاوز الحدود الأربعة للكون ـــ السماء ، العالم السفلى ، الأرض والبحر (٨ ــ الخ) [1] ليس ثمة خطأ فى ذلك ولا فى الاستنتاج بأن قوة الله لا تقاوم وأن قراراته لا رجعة فيها ، ولكن ليس هناك ما يدعو لطرد البشر ودفعهم بأنهم (بلا قيمة) [2]ونعت أيوب بلفظ (حمار) (١٢) ولسوء الحظ فإن صعوبات اللغة تقلل من قدرتنا على معرفة ما فى كلمات صوفر الختامية من مهانة وإذلال لأيوب ، والعبارة التى فى عدد (١١ ب) « وهو لا ينتبه » وتحولت إلى سؤال فى معظم الترجمات[3] ، وهذا يحولها إلى تأكيد بأن الله يمكنه أن يلحظ الإثم دون ما خطأ ، أما (جلوم) فيترجم العبارة هكذا « مع أنه لا ينتبه إليه » موحياً بأن الإثم لا يستحق انتباه الله ، ولكن ارتباط هذا الفعل بالإدراك والتمييز يوحى بأن أسباب أحكام الله لا يمكن أن تفهم خارج حدود عالمه .

ويجب الأقرار بأن المشاكل التى يثيرها عدد (١٢) تظل بلا حلول .

(**١٣ ـــ ٢٠**) بعد أن انتهت محاضرة صوفر نراه الآن يعظ . وعلاجه بسيط : النصيحة المعتادة .

« إن جعلت فكرك مستقيماً وصليت » وهكذا ، ليس هذا رياء أو نفاق ، لنفترض أن صوفر يحاول أن يقدم المساعدة بطريقته الخاطئة . فالأنبياء يقولون نفس الشيء ولكن بطريقة فعالة (أنظر إشعياء ١ : ١٥) ، ولكن هذا حديث زلق وليس له أساس لأنه يفترض أن مشكلة أيوب تكمن فى خطيئته ، فصوفر يقع فى الخطأ المشترك للمبشرين بتطبيق نفس درجات الذنب والعفو على كل مشكلة بشرية ، ولكن هذا ما لا يحتاجه أيوب .

والصورة التى يرسمها صوفر عن الحياة الهادئة للشخص المغفور الذنب (الأعداد من ١٦ ـــ ١٩) تشبه صورة اليفاز فى (٥ : ١٧ ـــ ٢٦) وعدد (١٩ ب) يشير بأن الناس تندفع وتركض نحو هذا الرجل الذى تعد ثروته دليلاً على صداقته مع الله ، إما لتحديد الصداقة معه (أمثال ١٩ : ٦) أو

---

(١) هيئه الكون هنا تشبه ما جاء فى سفر التكوين (١) أنظر (حجى ٢ : ٦) ولكن مع اختلاف الألفاظ .

(٢) هكذا وردت فى الأنجليزية ولكن فى الطبعة العربية « أناس السوء » المترجم

(٣) كما فى العربية أيضاً « فهل لا ينتبه » المترجم

لطلب الصلوات الشفاعية .

ومن المفارقات العجيبة أن أيوب فى النهاية سوف يسدى ذلك المعروف لأصحابه (٤٢ : ١٠) ، وفى نفس الوقت فإن تذكر هذه الكلمات كفيل بتقديم ذكريات أليمة لأيوب ، إنها تصفه كما كان قبل أن يتدخل الشيطان بحقده لإثارة الرب ليضع أيوب فى بوتقة الاختبار ، ولكن بدلاً من أن يرى فى هذا الامتحان دليلاً على علاقة ممتازة مع الله يرى صوفر أيوب الآن فى المكان المخصص « للأشرار » (٢٠) ولكن بسبب عناده فأيوب فى خطر أن يفقد بصره وبذلك تسد أمامه كل سبل الهروب[١]

أتم الأصدقاء الآن جولتهم الأولى واستعرضوا كل الأحداث ولا يزال أيوب عند موقفه الأول (١ : ٢١ ، ٢ : ١٠) خاضعاً لقوة الله القاهرة ولكنه قوى فى الإيمان إذ يشق طريقه للوصول إلى تأكيد جديد عن صلاح الله ، ثم أنه ليس من السهل التعامل معه كما أنه نافذ للصبر . وليس أمام الأصدقاء إلا الاستنتاج بأنه على خطأ . لقد فضح الله خطيئته السرية وأسوأ خطأ يرتكبه هو الأستمرار فى إخفاء خطيته . وواجبهم مساعدته فى الرجوع إلى الله عن طريق التوبة والاعتراف (٥ : ١٧ ، ٨ : ٢٠ ، ١١ : ١٤)

وحتى هذه اللحظة نرى أيوب رافضاً لخدمتهم الحسنة القصد بعناد ، فهو مصر على أمانته وغير مقر بخطأ ما ورافض لتحقيق عدالة الله بالاعتراف بخطايا وهمية والأصدقاء لا يرون فى موقفه سوى الكبرياء والرياء . إنهم لا يستطيعون رؤية عذاب أيوب إذ يحاول عبثاً أن يكتشف وجه الله البشوش من وراء الظروف الحالكة العابسة .

---

(١) فى الطبعة العربية « مناصه يبيد »

٦ ــ أيوب (١٢ : ١ ــ ١٤ : ٢٢)

(١) فأجاب أيوب وقال

إن رد أيوب الذى لا يفوقه فى الطول سوى حديثه الختامى فى الأصحاحات (٢٩ ــ ٣١) يتمركز عند نقطة ذات دلالة فى الحوار . فهو يضع حداً للجولة الأولى ويقود إلى الجولة الثانية . ويمكن ملاحظة تغير المزاج عند هذه النقطة ، ومن ثم فعواطف أيوب السريعة التغير والتى تتراوح ما بين الثورة واليأس قد عكست على أقواله عاصفة أثرت أحياناً على ترابط كلماته وعند وصوله إلى قدر أكبر من ضبط النفس ينعكس ذلك فى لهجة أخف حدة وفكرة أوضح فى حديثه التالى . وأقسام الأصحاح تحدد الأقسام الرئيسية الثلاثة فى الحديث . ففى أصحاح (١٢) يواجه أيوب ما قاله الأصدقاء بتفسيره الخاص لأعمال الله .

(٢) حتى هذه النقطة كنا نختلف مع الشراح الذين يجدون فى عبارات أيوب نوعاً من السخرية ، ولكننا هنا نفاجأ بسخرية واضحة . ولكن لا تثريب على أيوب بالرد على السخرية بمثلها لأنه يقول : « رجلاً سخرة لصاحبه صرت » (عدد ٤) ، ومعنى تعبيره « أنكم أنتم (الـ) شعب (أداة التعريف ليست موجودة فى العبرية وهذا يصعِّب التفسير) ويجعله غير واضح حيث أن كلمة (شعب) كلمة شائعة ، وبعضهم قد استبدلها بكلمة أخرى ظن أنها أكثر ملاءمة ، والبعض الآخر وجد فيها معنى يتضمن الاستعلاء (الأعيان) كما قال (بوب Pope) ، أو « الشعب السائر فى الطريق الصحيح » .. الخ [(١)]

وقد اقترحت عدة بدائل لتعطى معانى مثل «الكامل » و « القوى » .. الخ ومع ذلك فلا نجد حلاً للمشكلة . وحيث أن الله وحده عنده الحكمة ، وما كل الحكمة البشرية إلا قدر بسيط من تلك الحكمة التى يعطيها لأفراد قلائل متميزين ، فأصحاب أيوب يدعون احتكارهم للحكمة (٢ ب) أى أنهم يعتقدون أنهم مثل الله ، وهو موقف شبيه بموقف الأشرار الموصوف فى عدد(٦)

---

(١) أيوب ١٢ : ٢ هى الحالة الوحيدة فى السفر الدالة على تميز الشعب الاسرائيلى يعترف بها K.B . ولكن بعد ذلك تبنى هذه الفكرة فوهررFohrer

(٣) يرد أيوب عنه الاتهام وتلويث السمعة بأنه (حمار) (١١ : ٢) بترديد القول بأنه ذكى مثل أصحابه ، والضمائر فى الجمع فهو يكلمهم جميعاً . وفى واقع الأمر فإن ما قالوه معلومات عامة وليس هناك ما يدعو للاختلاف معهم وما يقوله عن الله يبدو أنه يعبر عن هذا الاعتقاد المشترك . ولكن عند الفحص الدقيق يمكن أن نرى أن أيوب يقدم تأكيداً من عنده لذلك الإيمان .

(٤ ــ ٦) ليس واضحاً كيف تصلح هذه السطور كحلقة انتقالية من المقدمة التى تعد توبيخاً ، إلى القصيدة الرئيسية فى الأعداد من (٧ ــ ٢٥)

ولكن الفكرة تبدو كالآتى : فحكمة الأصدقاء لم توضح لنا تفسيراً للتناقض بين حالة أيوب فهو الصديق الكامل وموضع السخرية وبين موقف المخربين الآمنين[1] . والفرق شاسع لأن أيوب قد دعا الله بينما المخربون « يأتون بإلههم فى يدهم » . وتفسير العبارة الأولى باعتبارها إشارة لعلاقة أيوب الطيبة مع الله فى الماضى تبدو سليمة تماماً ولكن (راولى) يعتقد أن « هذه الكلمات تمثل حالة أيوب التى تعبر عنها كلمات السخرية من جانب أصدقائه الذين يعتقدون بأن الله قد استجاب أيوب بالكوارث التى ألمت به » ، وصلاة أيوب تتناقض مع أولئك (الذين يغيظون الله) ولكن المقصود (بإلههم فى يدهم) غير واضح[2] وقد يكون ذلك حجة على المخربين الذين ينسبون راحتهم وأمنهم لآلهتهم التى صنعوها أو للوثنية التى تعد فيها قوة الإنسان هى إلهه .

وعددى (٤ ، ٦) يشيران لتناقض فى نظريات الأصدقاء ، فالمجرمون آمنون بينما الرجل البار فى ذل وهوان .

أما عدد (٥) الاعتراضى فيثير صعوبة كبيرة ، فطبقاً للـ (NEB) فإن حالة (الاطمئنان) و (الراحة) هى حالة المخربين فى عدد (٦) والذين ينظرون باحتقار إلى (من زلت قدمه) والمفروض أنه (أيوب) ، ومن سوء حظ أيوب أنهم يعيشون حياة أفضل من الحياة التى يحياها أيوب (أنظر مزمور ٧٣) ، ومن ناحية أخرى ، فبعضهم يعتقد أن أيوب ينتقد أصدقاءه مكملاً

---

(١) (المخربين) فى العربية يقابلها كلمة (اللصوص) فى النص باللغة الانجليزية المترجم

(٢) الـ NEB تنقل هذا السطر إلى الهامش بترجمة مختلفة تماماً .

الفكرة التى فى عدد (٤ أ) قائلاً إنه من السهل عليهم تبنى موقف متعال عليه لأنهم لا يواجهون أية ضغوط أو مشقة . ولاحظ أن وصف أيوب لحالة الأمان والطمأنينة (لخيام المخربين) يناقض وعد صوفر فى (٧ : ١١ — ١٩) بأنه إذا صلى أيوب لله فعندئذ فقط يكون آمناً ، فيرد عليه أيوب باستخدام نفس الكلمة .

(٧ و ٨) يوجد تغيير هنا من ضمير الجمع الى المفرد كما لو كان أيوب يوجه انتباهه لواحد من أصدقائه ، ولكن هناك احتمال آخر بأن أيوب يقتبس شيئاً قاله له واحد منهم استعداداً لرده الذى يشغل بقية الأصحاح .

فتقديم اقتباسات مؤكدة دون أن تصحبها عبارة « أنت قلت » حيلة ذكية ، وتأثيرها على التفسير بعيد الأثر لأن الكلمات المقتبسة لا تعبر بالضرورة عن رأى قائلها بالمرة .

وعدد (١٢) فيما بعد يعتبره الكثيرون اعتقاد آخر للأصدقاء مخالف لرأى أيوب ولكن مردود عليه فيما يلى ، فحتى الآن لم يشر أحد من الأصدقاء على أيوب بتعلم الحكمة من الحيوانات والمخلوقات الأخرى (لكن أنظر ٥ : ٢٣) . والاقتراح يتوقع نهاية السفر ، حيث يستطيع أيوب أن يجد الإجابة على أسئلته بإرشاد الله .

واحتمال الاقتباسات المجهولة لا يمكن التغاضى عنه ولكننا نميل للاعتقاد بأن الأعداد من ٦ فصاعداً وحدة واحدة . وما يقصده أيوب بأن كل أعمال الله سواء بالنسبة للحيوانات (٧ — ١٠) أو البشر (١٤ — ٢٥) واحدة ، ويركز أيوب على الأعمال المدمرة التى تظهر فيها قوة الله التى لا تقاوم . وتبدو هذه الأعمال أنها لا تميز بين صالح وطالح حتى أننا يصعب أن نجد فيها أى نمط أخلاقى .

(٩ و ١٠) لا جدال فى أن (يد الرب صنعت هذا) فيما يختص (بنفس كل حى) (١٠ أ) ولكن عندما تطبق نفس الحقيقة على « روح كل البشر » (١٠ ب) تصبح النتائج محيرة . يقال دائماً إن عدد (٩) هو المكان الوحيد فى الجزء الشعرى الذى ترد فيه كلمة يهوه (الرب) عن الله . ولهذا السبب فقد شك فى صحته كثيرون أما استبعاده لصالح نظرية تقول إن هذه الكلمة تميز الأصل النثرى من الإضافات الشعرية فهو نوع من اللف والدوران بين

المقدمة والنتيجة . أما اذا نظرنا إليها من زاوية أخرى فالكلمة قد اكتسبت أهمية فائقة لأن ندرتها تجعلها ظاهرة ، وعند هذه النقطة الجوهرية لا يزال أيوب يصر على ما قاله أولاً فى (١ : ٢١) حيث أستخدم الاسم المقدس .

(**١١ و ١٢**) حيث أن هذه الأسطر تفترض استمرارية الحديث بين عددى (١٠ ، ١٣) فالـ NEB تضعها بين قوسين [١] وهناك معنى لذلك لأن السؤال يبدو كضحكة استهزاء مفاجئة على أقوال أصحابه والرأى الخاص بالحكمة التى هى من نصيب (الشيب) يبدو أن أيوب لا يتمسك به ، والمثل المقتبس فى عدد (١١) يمكن أن يكون دليلاً على امتحان « الأقوال » كاستطعام الطعام . (قد سبق استخدام تشبيه تذوق الأقوال فى ٦ : ٦) ولكن يمكن أن يكون أيضاً شكوى أن أصدقاءه يستمتعون فقط بتذوق كلماته الجميلة ، كما فى رده ضد هجوم بلدد (٨ : ٢) .

(**١٣**) إن الوصف المطول لأعمال الله فى الأعداد من (١٤ ـــ ٢٥) يوحى بأن الله ليس عنده تمييز بين الأخيار والأشرار بينما معظم الأمثلة تبين أن الله يمحق أعمال البشر ، فالفكرة الرئيسية هى أن (المضِل والمُضَل) أمامه سواء بسواء (١٦ ب) ، ولئلا يفهم من ذلك أن الله متقلب الأهواء أو أنه قوة عمياء لا تميز فأيوب يصر على أن قوة الله ممتزجة بحكمته[٢]

« المشورة والفطنة » إذن هناك غرض ذكى ، وأعماله تتم بقصد حتى وإن كان الإنسان لا يكاد يرى معناها أو مبرراتها الأخلاقية .

(**١٤ و ١٥**) لا حد فاصل بين الطبيعة والتاريخ ، فكما تمر أحداث الخليقة فى سفر التكوين دون فاصل حتى قصة ابراهيم هكذا فإن الإدراك بوحدة العالم الواحد الذى يعيش فيه البشر بما فيه من أرض وسماء وماء كالبيئة

---

(١) من المؤسف أن الـ NEB قد نقلت أيضاً الأعداد من (١١ ـــ الخ) إلى مكان آخر بين عدد (٩ و ١٠) وهذا يقطع استمرارية الحديث بين هذه الأعداد ، وعدد (١٠ ب) هو النص المشروح فى الأعداد من (١٤ ـــ ٢٥) ولكن عددى (١٢ و ١٣) أيضاً أيضاً بينهما ارتباط مشترك . فقدته الـ NEB بوضع عدد (١٠) بينهما ، وأنماط الأفعال فى الواقع معقد ومتشابك ويمكن أن يكون ذات فائدة لو ترك الترتيب العبرى كما هو . ولذا فإن عدد (٩) له ارتباطات أخرى مع عدد (١٣) حيث أن حكمة الله يجب تأكيدها تماماً كقوته .

(٢) نفس الفكرة متكررة فى عدد (١٦ أ)

الطبيعية لهم ، موجود تحت سلطان الله المطلق على كل شيء . والحادثة الماثلة فى الأذهان هنا هى حادثة الطوفان . فعلى سبيل المثال ، نجد الفعل المستخدم « يغلق على » هو نفس الفعل المستخدم فى (تكوين ٧ : ١٦) ولكن الكلمة « يقلب » خاصة بتدمير مدينتى سدوم وعموره .

(**١٧ ــ ٢٥**) باستثناء (٢٢) الذى يبدو كطور من أطوار الخليقة الأصلية فإن باقى القصيدة يتكلم بإسهاب عن موكب التاريخ البشرى . فاستعراض المشيرين والقضاة والملوك والكهنة والأقوياء والأمناء والشيوخ والشرفاء والأشداء والرؤساء يتم فى سلسلة من الكوارث . وليس هناك ما يدعو للبحث عن أحداث تاريخية معينة لأن الأمثلة عديدة ، وتلك الويلات لا توصف بأنها أحكام على الأشرار حتى يمكن الدفاع عن عدالة الله ، ولكن التأكيد منصب على أن كل هؤلاء العظماء ليسوا إلا نماذج صغيرة بين أصابع الله ، وفضلاً عن ذلك فإن القوى المدمرة فى التاريخ ليست مجرد كوارث طبيعية كالفيضانات (١٥ ب) . لقد حلل أيوب انهيار المجتمعات وأرجع سببه إلى عمل الله الداخلى فى عقول البشر « ينزع عقول رؤساء شعب الأرض » (٢٤ أ) ويحرم القادة من قدرتهم على الكلام (٢٠) والتمييز . فى حين يشار إلى عمل عادى من أعمال التحرير (١٨) أو التوسع (٢٣) فلا ينسب لأى سبب دينى أو أخلاقى ، ويعقب ذلك المقارنة بأعمال الأسر (١٩) أو الإبادة (٢٣)

إن ما يصنعه أيوب حقائق عادية والقصيدة تقدم وصفاً لصفات الله التى تعتبر ألقاباً فعلية له ، ويمكن أن تعتبر رداً على عقيدة اليفاز ، فهى تقليد لنفس الترنيمة فى (٥ : ١٨ : الخ) ولكنه تقليد بقصد السخرية ، فالجانب الإيجابى الموصوف هناك (الشفاء بعد السحق والتحرير بعد الأسر) إما أنه قد حذف أو قلب وضعه . فالسقوط هنا يأتى بعد الوصول إلى قمة السلطة وينتهى مصير الناس « فى الظلام »

(**٢٥**) نرى هنا أيوب مراقباً أكثر أمانة ومفكراً أكثر عمقاً من أصحابه ، وأن العقل ليندهش من عمق فكرته عن الله ، والفكرة اللاهوتية السطحية لإليفاز وبلدد وصوفر يسهل التفكير فيها والإيمان بها ولكن إيماناً كإيمان أيوب يدفع بالنفس البشرية لجهد متصل لتحقيقه .

(١٣ : ١ ــ ٣) لا يكفى أن تتكلم عن الله فأيوب يستطيع أن يفعل ذلك كأى شخص آخر . وعدد (٢ ب) يكرر ما قيل فى (١٢ : ٣ ب) ولكن لا يجب حذفه لهذا السبب فهو مطلوب لتكملة الوزن الشعرى وهو يؤكد على أهمية ذلك . وعندما يقول أيوب لأصحابه (الضمائر فى الجمع) (ما تعرفونه عرفته) فهو لا يزعم فقط أنه ند لهم من الناحية الذهنية ، ولكنه يسلم أيضاً بأنهم يشتركون جميعاً فى إيمان لاهوتى واحد . ولكن أيوب لا يكتفى بذلك ، فهو يحاول أن يكتشف كيف يمكن لتلك الحقائق أن تنطبق عليه ، وهذا يتطلب تعاملاً مباشراً مع الله . وبينما (أحاكم إلى الله) لها إشارة مبدئية[1] لتسوية نزاع شرعى فاستخدام نفس الأصل فى (إشعياء ١ : ١٨) حيث « هلم نتحاجج » عرض مقدم من الله يتضمن الرغبة لا لكسب قضية بل لمصالحة الطرف المساء إليه بتصفية الخلاف وسوء الفهم .

إن أيوب على استعداد للاعتراف بأى خطايا يثبت أنها ضده (١٣ : ٢٣) ، ولكن حتى هذه اللحظة لم تسعفه ذاكرته ولا أصدقاؤه بذلك إن تزكيته الخاصة سوف تمضى جنباً إلى جنب مع تزكية الله له ولكن ما يحتاجه فعلاً هو فهم طرق الله من خلال الحوار المنطقى ، وحتى الآن قد فشل أصحابه فى تقديم التفسير المطلوب (٤ ــ ١٢) ولهذا فلا بد أن يأتى هذا التفسير من الله .

(٤) قبل التحدث مع الله ثانية يسدد أيوب بعض الضربات القوية لأصدقائه ويكيل لهم التوبيخ .

والتشابه فيما بين (عددى ٤ ، ١٢) يجعلهما بمثابة حدود الكلام . وكما يحدث غالباً فى أدب الحكمة ، فالكثير من الخيال المتناقض يوجد معاً ، فالحكماء لم يكن يهمهم خلط الاستعارات معاً وكل ما عمله الأصدقاء هو تلفيق الكذب كواجهة مبيضة سواء كانت شقوقاً ، غطاها اللون الأبيض ، أو ندوباً غطيت بضمادات عديمة الجدوى (كأطباء بطالين) والترجمة السبعينية تتكلم عن صيغة واحدة هى الشفاء ولتجميل اللفظ تستخدم كلمتين يونانيتين مختلفتين ، ولذا فالعدد كله يستمد الصورة من العلم الطبى . وعلى أى حال فأيوب يصمهم بوضوح بالعجز والقصور داعياً إياهم كذابين ويتهمهم بالخديعة والغش وهم يغطون جهلهم بتشخيص مرض وهمى فى

---

(١) فى الانجليزية « أعرض قضيتى » المترجم

أيوب . (خطيته الدفينة المريعة) ثم يصفون له علاجاً لا قيمة له (التوبة وما شابه ذلك) .

(٥) إن كان ذلك كل ما عندهم تكون الحكمة فى الصمت (قارن أمثال ١٧ : ٢٨) .

(٦) بالرغم من توبيخ أيوب لأصحابه فإنه يظهر هنا اهتماماً رعوياً بسلامة أصدقائه الروحية . لقد قلبت الموائد عليهم ، فهو يحاججهم أولاً (نفس الأصل كما فى عدد ٣ ـــ ومما يؤسف له أن الترجمات لا تحتفظ بمهارة وتجانس الكلمات العبرية التى تبدو فى أحسن وضع لها فى بناء هذا الأصحاح الرائع) ، فباد عائهم أنهم (عن الله يخاصمون) (٨) ظلماً وبهتاناً (ويتكلمون بغش لأجله) .

(٧) وأنهم « يحاربون » (٨ و ١٠) فإنهم فى خطر عظيم . (٨) حرفياً (أترفعون وجهه)[1] أى تحابون فى القضاء وهو شيء يمقته الله حتى لو كان محاباة لله نفسه .

(١٠) إن كلمة يوبخ ترجمة أخرى لنفس الأصل المترجم « قضية » فى عدد (٣) و « يحاجج » فى عدد (٦)

(١١) إن أيوب مرتعب (٩ : ٣٤) ويستحسن أن يخامر الأصدقاء نفس الشعور ، وربما كان من الأفضل ترجمة السؤال هكذا « ألا يجب .. ؟ » بدلاً من (هلا)[2] . إن الأساس الذى يستند عليه أيوب لمهاجمة أصحابه يجب أن يحظى بالتقدير لأن الشراح أساءوا تفسير موقفه . فهم يقولون عادة إن أيوب يشك فى عدالة الله ، ولكن التحذير الذى يقدمه لأصدقائه مبنى على اليقين بأنهم لا يستطيعون خداع الله (٩) أو يهربون بفعل أشياء فى الخفاء

---

(١) إن إدخال نفس الكلمات فى بداية عدد (٨) ونهاية عدد (١٠) يظهر أنها تفسير لعدد (٧) .
(٢) إن أيوب بذلك يخجل جميع اللاهوتيين الذين يحاولون التأثير على الناس دون معرفة خوف الرب (كورنثوس الثانية ٥ : ١١) ، وكتابات كيركجارد فى هذا الصدد مناسبة وبخاصة (الخوف والرعب) ومفهوم الخشية (والفصل الأخير من عنوانه الخوف كاختبار منقذ بالإيمان) ويحتوى على العبارة القائلة : « من تعلم بحق أن يكون فى خوف قد تعلم أهم شيء » ، والكلمات الآتية من مقال هجوم على المسيحية (ارتعبوا لأنه ليس من السهل بأى وجه من الوجوه أن تخدعوا الله تصلح كتعليق على أيوب (١٣ : ١١) . « وانه يقول أن اولئك الذين يحبهم الله ويحبونه يجب أن يقاسوا بمرارة فى هذا العالم حتى أن كل واحد يمكن أن يرى أنهم منسيين من الله أما المخادعون فى الجانب الآخر فيصلون لمراكز مرموقة حتى أن كل واحد يمكن أن يرى أن الله معهم ، وهم أنفسهم مقتنعون بذلك » .

(١٠) ، إن الله سوف يتعامل بعدل صارم ، تتهاوى حصونهم كأنها من طين (١٢) (NEB)

(**١٣ ــ ١٩**) إن أيوب الآن متيقظ تماماً ومقدام ، فعاصفة الكلمات الحادة قد صفت الجو وهو الآن قادر على الإفصاح عن فكره . إنه مستعد للتكلم مهما تكن النتائج (١٣) وهو مستعد أن (يزكى طريقه قدامه)[1] وهو متأكد من برارته (١٨ ب) والعبارة الأخيرة من عدد ١٨ عبارة قوية باستخدام كلمة (أعلم) والاستخدام الواضح للضمير (أنا) ، وعدد (١٦ ب) الذى يجعله واثقاً من (الخلاص) يمكن أن يتم عن قاعدة عامة ، فالله يرفض (الفاجر) ولكن أيوب يعلم أنه ليس كذلك ، ولكن بما أن الفعل هو « المجيء قدام الله » وليس استقبال الله له فأيوب قد يعنى أن (الفاجر) لا يمكن أن يجرؤ على أن يفعل ما يفعله هو الآن ألا وهو الإتيان إلى الله بكل التأكيدات الرسمية لبرارته . وعدد (١٧) فى ضمير الجمع موجه لأصدقائه كشهود على كلماته المتوعدة وهو لا يتوقع أى اعتراض منهم (١٩) ، وهو يعرف المخاطر ، فهذا على ما يبدو معنى عدد (١٤) ولكن الأسلوب غامض جداً . كلمة زائفة أسمعها ثم بعد ذلك (أصمت وأسلم الروح) (١٩) .

(**١٥**) هذا الملخص لفحوى احتجاج أيوب يجعلنا نعيد النظر فى الترجمة الشهيرة لعدد (١٥ أ) « هوذا يقتلنى . لا أنتظر شيئاً » وفى الـ SAV « مع أنه يقتلنى فإنى سأثق فيه » وقد تم التغاضى عن تلك الترجمة على نطاق واسع فى الترجمات الحديثة . وهكذا فإن الـ RSV تحول إصرار أيوب للدفاع عن نفسه إلى مجرد تحدٍ عابث يعرف هو جيداً مدى خطورته « هوذا يقتلنى . ليس عندى رجاء »[2] أو « لا أنتظر شيئاً » .

وتوجد عدة صعوبات فى النص أدت لقلب المعنى [3] والصعوبات هى :

(١) اولاً ــ فيما يختص بكلمة (Hèn) فهل تعني « هوذا » أو (إذا) أو (بالرغم) والأسباب التى قدمها (دورم (Dhorme) وآخرون للاحتفاظ بـ (إذا) تبين أن هذه الكلمة لا يمكن أن تحدد معنى باقى الكلام .

---

(١) « ادافع عن نفسى أمامه » فى اللغة الانجليزية (المترجم)

(٢) مثل هذا التعبير اليائس عن يد الله لتقتله يرقى إلى عمل ما اقترحته عليه زوجته فى (٢ : ٩)

(٣) متخلص (جلووم Gaillaume من الاعتراضات واحداً وراء الآخر ويحتفظ بما جاء فى ال Rv « هوذا يقتلنى ومع ذلك سوف انتظر » .

(٢) ثانياً ــ أما الـ MT فلديها احتمالان : فكلمة (Ketib) ليس ما كتب وسار على نفس المنهج RSV ، وكلمة (Gere) « إليه » (ما يُقرأ) كما فى A .V

إن غموضاً هذا طبيعته لا يمكن أن يستخدم لحل المشكلة ولكن يجب حلها بالقرينة وسياق الكلام .

(٣) ثالثاً ــ الفعل المترجم (يثق) . Av و (ينتظر) الـ RV . (ويتردد) الـ NEB (ويرتعب) والقرار هنا يتأثر بانطباع القارىء عن طبيعة القرينة المجاورة . وهكذا فإن (رادلى) يعتبر ما جاء فى الـ AV ليس له ارتباط لأن سياق الحديث عن التحدى لا الثقة ، ولكننا قلنا من قبل أن هذا الحديث يعبر عن أقوى إيمان لأيوب ببرارته وبعدالة الله فى آن واحد . وعدد (١٥ ب) يسير فى نفس الاتجاه . فهو يتوقع أن يتزكى وهذا هو (الرجاء) .

إن المعنى الإيجابى مطلوب تماماً ، وكما يقول (دورم) فإن التشاؤم الموجود فى الـ RSV وما شابه ذلك لا يساير المعنى وغير ذى موضوع سواء كانت تلك الثقة معبر عنها بكلمة (رجاء) أو (ثقة) أو (انتظار)[1]

أما ما جاء فى الـ MT من كلمات مثل « ليس » فيمكن التعامل معها الآن . (فكالفن) وافق على (Ketib) (ليس) ولكنه جعلها للتأكيد بتحويل السؤال إلى سؤال بلاغى استنكارى ويؤيد ذلك ورود الاصطلاح فى مواضع أخرى (Qere Lw) مع إضافة ضمير المفعول به (الهاء) . ويقول (دورم) إن الترجمة السبعينية أشارت إلى كلمة (Lû) ولكن (داهود) قد علل وجود الفاعل الله القوى فى اليونان بأنها ترجمة لكلمة (Lè) [2] وهذا محتمل ، ولكننا نفضل اقتراحه الأول ثم يأتى بعده (Mejia) الذى يقول بأن الـ (L) هى الهجاء الطبيعى للـ (Lâ) الدالة على التأكيد (فترجمتها بالتأكيد) ونستنتج من ذلك أن الـ AV هى الترجمة التى يجب الاحتفاظ بها .

---

(١) (ينتظر) فى رجاء مفضله لأن ذلك بالضبط ما يقوله أيوب أنه يفعله فى الهاوية مستخدماً نفس الكلمة (١٤ : ١٤) والدالة على موضع آخر للإيمان والثقة » .

(٢) مزمور ١ (AB) ص١٤٤

(٢٠ ــ ٢٨) إن إرادة أيوب فى السير مع الله قوية ونحن نجد صدى لها فى ما تبقى من هذا الأصحاح . عندما يتكلم أيوب مع الرب ليس واضحاً ما هما (الأمران) اللذان يريدهما أيوب (٢٠ أ) وتزداد الصعوبة عندما نعرف أن العبرية تقول كالعربية « لا تفعل بى أمرين » ويعقب ذلك عدة توسلات ، فأيوب يريد الراحة (٢١) ويريد إيضاحاً على شكل قائمة محددة للاتهام (٢٣ ــ ٢٥) ، وليس هناك دليل على صحة الترجمة القائلة (سوف أختفى نفسى) (٢٠) فأيوب ما اختفى أبداً من الله وليست لديه النية لذلك . بل على العكس فحجب وجه الله عنه يرعبه ، وكلماته تشبه كلمات قايين فى (تكوين ٤ : ١٤) لوصف استبعاده من الشركة مع الله وهذا ما يعتقد أيوب أنه قد حدث له (٢٤ ــ واضح أنه من فعل الله) ولا يستطيع أن يفهم أو يتحمل ذلك ما أقل ما يستحقه أيوب من تعنيف أليفاز له بأنه قد احتقر (تأديب القدير) (٥ : ١٧) ، وما أقل ما يحتاجه من نصيحة بلدد (٨ : ٥) ، وصوفر (١١ : ١٣) بالبحث عن الله .

(٢٢) حيث أن الاستخدام النادر للرابط (أو) موجود هنا فلربما دل ذلك على الأمرين اللذين طلبهما فى عدد (٢٠) . إنه مستعد للمبادرة بالصلاة ولكنه يرى ذلك كاستجابة الإنسان لدعوة الله السابقة .

(٢٣) لا يتظاهر أيوب إطلاقاً بأنه بلا خطية ، ولكنه يقول بصراحة إنه خاطىء منذ (صباه) (٢٦) ولكنه يجب أن يعلم أية خطية معينة هى التى استوجبت عداوة الله له (٢٤) ويذكر ثلاثة أنواع من الخطية ــ الخطأ والفشل والعصيان ــ فهو يكشف نفسه بكل وضوح .

(٢٤ و ٢٥) الكلمة (لماذا) تشمل كل الأسئلة التالية ونفس الشىء فى أصحاح (٣) وبذلك نضمن ترابط الفقرة كلها . ولكن الـ RSV تقسمها لأجزاء بلا داع فتجعل عدد (٢٥) تساؤل عن المستقبل ، والأعداد من ٢٦ ــ الخ عبارات تنم عن الحاضر . وكلها تصف أشياء يعملها الله مع أيوب ، ولكن أيوب يريد أن يعرف لماذا ؟

(٢٥) إذا كان أيوب يشير لنفسه (كورقة مندفعة) (وقشاً يابساً) فهذا اعتراف صريح مرة أخرى بضعفه وعجزه أمام قوة الله التى لا تقاوم .

(٢٦) بذلت محاولات عديدة لتفسير (الأمور المرة) والحل موجود فى

عملية الكتابة وفى الايقاع فى السطر التالى . واقترح بأن الله كطبيب يكتب العلاج كدواء مر أو كقاض يحكم بعقاب مرير (NEB) أو يسجل جرائم أيوب المريرة . ولو حصرنا تصورنا فى ما يعمله أيوب لوجدنا أنه كان يشكو من أن « سهام القدير فىَّ وحمتها شاربة روحى » (٦ : ٤) أى أنها سممت روحه . والسم ممكن أن يعنى المرارة ، وأن نفسه مرة (١٠ : ١ نفس الأصل) ، « ونعمى » قد غيرت اسمها إلى مرة (نفس الأصل) لأن الرب قد أمرَّها بالحزن والفقر (راعوث ١ : ٢٠) ، وأيوب يمر بنفس الاختبار ، والكتابة كمرسوم يعين عليه « أموراً مرة » .

(**٢٧**) الصورة ليست واضحة . فاذا كانت (رجليه فى المقطرة) فكيف يلاحظ جميع مسالكه ؟ ربما السطر الأول ليس له علاقة بالسطور الأخرى ولكن يمكن أن يكون كلاماً عاماً ، « والمسالك » تعنى « السلوك » وليست التحركات[1] ، وليس هناك ما يدعو لأن تكون التشبيهات متطابقة ، ولكن اذا كانت الكلمة العبرية (Sad) هى كتلة خشبية المقصود بها إعاقة تحركات السجين ، إذن فالتجسس على حريته المحدودة أيضاً يكون ضرباً من الإذلال المضاعف والكلمة المترجمة « باطن القدم » (أقواس فى الـ NEB هى حرفياً (أصول) كما جاء فى العربية وهذا التعبير الغريب نال حقه من البحث .

فبما أن الكلمة العبرية (Regel) هى مقدم الساق بما فيها القدم فأصولها قد تعنى المفصل بين الساق والقدم وبذلك يكون عدد (٢٧ أ) و (٢٧ ج) متوازنين فى البناء الشعرى .

يقول (دورم) إن (الأصول) أو باطن القدم هو المكان الذى تضغط به القدم على الأرض ، ويجعل الترجمة هكذا « فحصت آثار قدمى » ، وبذلك فإنه يجعل العدد (٢٧ ج) متوازناً مع العدد (٢٧ ب) .

(**٢٨**) إذا كان هذا العدد فعلاً فى هذا المكان فأيوب إذن لم يعد يتحدث لله عن نفسه بل ينتقل لموضوع آخر ، فالترجمة العبرية تقول « وهو .. » والتى

---

(١) الترجمة السبعينية تؤيد ذلك ولكن الـ NEB تغير النص بدون داع بنقل هذا السطر إلى الهامش .

تترجمها الـ RSV « الإنسان »[1] ليس لها دلالة واضحة هنا ما لم يكن أيوب قد بدأ فعلاً القصيدة التى فى أصحاح (١٤) ويعتقد كثير من الدارسين ذلك وقد أدمجوا العدد فى اصحاح (١٤) فى عدة مواضع .

(١٤ : ١ ــ ٢٢)

إن تصريحات أيوب يبدو أنها تتأرجح بين الأمل واليأس فلا يوجد مزاج موحد لكل أقواله ولا اتجاه ثابت لها ، ومع ذلك فقد لاحظنا فى الحديث الحالى تغييراً إلى موقف أكثر هدوءاً ووضوحاً وثقة . أنظر ، بنوع خاص إلى التعليق على ما جاء فى (١٣ : ١٥) ، ومع ذلك فكثير من الدارسين يجدون فى أصحاح (١٤) ردة إلى نغمة اليأس السابقة بالرغم من موجة الإيمان التى نلحظها فى الوسط (أعداد من ١٤ ــ ١٧) . ويفتتح الأصحاح بتأمل آخر عن بؤس الحياة البشرية وقصرها (أعداد من ١ ــ ٦) ، ونجد أمثلة أخرى لقوة الله المدمرة قد أضيفت إلى الملاحظات عن هذا الموضوع الذى سبق عرضه فى أصحاح (١٢) كقطع الأشجار وجفاف البحيرات (أعداد من ٧ ــ ١٣) ونحت التربة (أعداد من ١٨ ــ ٢٢) وهذه من أجمل القصائد فى السفر .

(١٨ ــ ٢٢) وهذه من أجمل القصائد فى السفر . وفى الأمثلة الأولى قد تكون هناك عودة الحياة من جديد ، ولكن فى الأمثلة الأخيرة نجد تلفاً وفساداً لا يمكن إصلاحه ، والماء عنصر مشترك فى كل الحالات ، ولكننا سبق أن رأينا أن الله يستخدمه للنفع أو للدمار . والسؤال هو : أى الحالتين المتضادتين تنطبق على الإنسان : الشجرة التى تتجدد أو الجبل الذى يفنى ؟ والسؤال هو : « إن مات رجل أفيحيا ؟ والرد المألوف هو بالتأكيد « لا » .

ولكن من المعترف به أنه فى القسم الأوسط (١٤ ــ ١٧) يعبر أيوب تعبيراً واضحاً عن اعتقادة بأنه حتى بعد أن يرقد فى الهاوية فإن الله سوف يدعوه للحياة مرة أخرى ، ولكن هذا الرجاء فى القيامة الشخصية لا يوافق عليه كثرة من الدارسين باعتباره ضرباً من الخيال من جانب أيوب ، كفكرة مستحيلة بالنسبة لشخص يعيش فى ذلك العصر وكفكرة مرفوضة فى حديثه

---

(١) فى العربية (أنا) كأنه يتكلم عن نفسه وليس كلاماً عاماً عن الإنسان (المترجم)

الختامى .

وبتلك النتيجة فإن الدارسين متأثرون ليس فقط بفكرتهم المسبقة باعتبار أن فكرة القيامة قد برزت متأخرة فى الفكر الإسرائيلى[1] بل أيضاً بتوقعهم أن يستخدم أيوب المنطق الغربى فى تكوين حديثه بحيث يقارع الحجة بالحجة خطوة خطوة حتى يتم التوصل للنتيجة النهائية . وبهذا التحليل فالكلمة الأخيرة كانت لليأس وهى القول الفصل ، ولكننا نقول إن هذه طريقة خاطئة . فقناعات الكاتب الحقيقية قد تكون وسط القصيدة مسبوقة ومردفة بالآراء المضادة التى يرفضها ، وعلى ذلك فالأعداد من (١٤ — ١٧) تكون إذن جوهر الحديث وتؤكد الإيمان السابق المعبر عنه فى أصحاح (١٣) وبخاصة فى عدد (١٥) .

(١ — ٦) يركز أيوب مرة أخرى على شقاء وقصر فترة الوجوه البشرى . فحياة الإنسان منعزلة وفقيرة ورديئة وفظة وقصيرة وقد سبق أن لاحظنا صراعاً فى فكر أيوب فيما يتعلق بذلك . فأثقال الحياة لا تطاق حتى أن الموت السريع هو الشىء المرغوب ومع ذلك فأيوب لا تسره سرعة الحياة فهو يعتبر أن قصر مدتها يمثل قمة المهزلة . وهذا التناقض يجمع بين عبارات كهذه « قليل الأيام » و « شبعان تعباً » جنباً إلى جنب .

يقدم أيوب بعض التشبيهات الألية لهذه الحياة[2] العابرة ، فالإنسان (كالزهرة) (والظل) و (الأجير) (عدد ٦ ، ٧ : ١)

(٣) التركيب المقلوب لهذه القصيدة الصغيرة يأتى بهذا العدد جنباً إلى جنب مع عدد (٥) كما أن عددى (٢ ، ٦) يتقابلان . إن أيوب يصلى ، والبكاء أمام الله يمنع الحزن المشروع من التحول إلى مرارة ، وهو متحير أكثر منه حزين . وسلطة الله فى تحديد فترة حياة كل إنسان لا نقاش فيها (٥) ولكن عجز الإنسان الكلى عند هذه النقطة يظهر كم يكون عجزه عندما يأتى

---

(١) نحن نعتقد أن هذا الرأى الذى يقول به علماء العهد القديم خاطىء . وعلى النقيض فالايمان باستمرارية الحياة البشرية مع الله بعد الموت كان على ما نعتقد جزءاً من العقيدة الاسرائيلية منذ البداية . ولا يمكننا اثبات ذلك هنا . ولكن يمكن أن نأخذ فكرة عن الاتجاه الجديد من كتاب نيكولاس Nicholas Tromp « التصورات الأولية عن الموت والعالم الآخر فى العهد القديم » سنة ١٩٦٩ .

(٢) أنظر التعليق على (٩ : ٢٥) ، (١٣ : ٢٨) .

به الله إلى المحاكمة .

(٤) بدلاً من حذف هذا العدد كما فعل البعض فإننا نصر على أن وضعه فى أوج هذه القصيدة يجعله بالغ الأهمية ، ومع ذلك فهناك عدة مشاكل . فتقديم فكرة (الطاهر) و (النجس) فى فقرة تلقى الضوء على ضعف الإنسان لا يصح أن تعتبر صعوبة فى سفر يعج بالمفردات الكثيرة ، فالفكرة نفسها وردت من قبل فى (٨ : ٦ ، ٩ : ٣٠ ، ١١ : ٤) فى مناسبات مختلفة ولا داع لشرحها بالإشارة إلى المرأة (عدد ١) أو ميلاد طفل[1] ، ويستبدل رادلى السؤال « من يُخرج ... » بأمنية . صحيح أن كلمة (Mi - Yitten) هى الطريقة المعتادة للتعبير عن رغبة ملحة فى العبرية ، ولكن هذا السفر ملىء بالأسئلة والكلمات التالية ، بالرغم من صعوبتها ، تبدو أنها الإجابة . فهذه الإجابة (لا أحد) ليست كافية مقابل إصرار أيوب على قوة الله الغير محدودة . فمن الواضح أن الله يستطيع ذلك ، والترجمات القديمة التى اضافت القول (لا أحد سوى الله وحده) قد تكون قد تأثرت بمثل تلك الاعتبارات اللاهوتية ، ولكن (بلومرد Blommerede) وهو يأخذ ورقة من كتاب داهود Dahood وجد إشارة إلى الله فى ذلك النفى المحير [2] الذى يقرأه باستخدام (Lè) فتصبح « القوى » ، أنها ملحوظة جديرة بالانتباه هنا ، ولكننا سوف نقتصر على التنبيه بأن كلمة (أحد) قد تكون اسم الله هنا وهى إشارة إلى عظمة الله الفريدة الجديرة بالاعتقاد بأنه هو وحده يستطيع أن يجرى المستحيل .

إن الجمال الفنى الشعرى للكاتب يصل للذروة فى هذه المرثاة ، فالقصيدة لها قسمان فى كل منهما نرى مقارنة الإنسان المحتومة نحو القبر بالاشياء الطبيعية .

أولاً ــ الشجرة (٧ ــ ١٠) فهى ظاهريا ميتة (٨) ولكن لها مقدرة مذهلة على الانتعاش عند مجرد (رائحة المياة) (٩) ، ليس هكذا (الرجل)

---

(١) رادلى ص ١٢٧ يشير إلى مزمور ٥١ : ٥

(٢) فى العبرية العادية يتوقع الإنسان استعمال أداة النفى (en) الدالة على نفى الحاضر المسند بدلاً من (لا)

والمثل يريد إن يقول أن شخصاً قد يقطع شجرة عامداً متعمداً لإحيائها من جديد ، فهل لهذا السبب قطع الله حياة أيوب من الأصول ؟ وحيث أن (الأرض) (والتراب) (٨) يمكن استخدامهما للدلالة على العالم السفلى وكذلك على التربة ، فطريقة دفن الإنسان لابد أنها كانت ماثلة فى ذهن أيوب .

(١١ و ١٢) إن الانسان الميت أكثر شبهاً ببحيرة قد جفت منه بجذر نبات قد يبس والصورة أكثر شبهاً بالجبل الساقط (١٨ — ٢٢) إلى الأبد . كما أنه باستعمال التشبيه المماثل لفقدان الأمل فى (٦ : ١٤ — ٢١) فليس هناك أمل فى عودة المياه فى السنة التالية ، ورجاء القيامة فى الكتاب المقدس لا يأتى من الأعتقاد بخصوبة الأرض ولا من دورة الطبيعة . واستخدام الجمع فى (١٢ ب ، ج) (لا يستيقظون) و (لا ينتبهون) (عليها تعليق فى الترجمات المختلفة) قد تعنى أن الكلمات الثلاث المختلفة والمترجمة (الإنسان) و (الرجل) فى عددى (١٠ و ١٢) المقصود منها اسم جماعى . والانتقال الذكى للصورة الجديدة من النوم ثم اليقظة كناية عن الموت والقيامة تبين أن كاتبنا لا يهتم كثيراً بقاعدة أن الاستعارات يجب أن تكون ملائمة ومطابقة لواقع الحال . وفى هذا الصدد فهو يماثل شكسبير .

(١٣ — ١٧) هذه الأعداد تضىء بنور وهاج وسط ما حولها من فقرات ، والسؤال الذى تجيب عنه القصيدة لا يرد أول مرة فى (١٤ أ) ولكنه متضمن فى الحوار[1] والأهمية القصوى للقصيدة يمكن أن تظهر عن طريق أقوال لفظية عديدة ، وهذه تبين أن النسيج الذى كان يشكل متن الحوار السابق نراه هنا مجمعاً فى عقدة واحدة . ومعظم الكلمات الهامة فى هذه الأعداد الخمسة لها وظائف هامة فى أماكن أخرى . واستخدامها فى مواضع أخرى يجب أن يدرس جيداً حتى يتضح معناها هنا . لقد سبق أن لفتنا الأنظار لكلمة (انتظر) فى (١٣ : ١٥ ، ١٤ : ١٤) فما قاله أيوب هناك موجود هنا . فحتى لو (قتله) الله (قبل تزكيته) فإنه سوف ينتظر على رجاء . إن استعداده للموت فى إيمان يحول أفكاره عن الهاوية إلى شىء يختلف عما عبر عنه فى (أصحاح ٣ وفى ٧ : ٦ — ١٠ وفى ١٠ : ٢٠ — ٢٢) ،

---

(١) الـ NEB تفسد وزن الشعر بنقل هذا السطر الى عدد (١٢) فيصبح عدد (١٢ ب) هو اجابة السؤال السلبية .

إنه يراها الآن كمخبأ مؤقت (١٣) مجيباً على ما ورد فى (١٣ : ٢٠) ، إنها فترة أخرى من (الجهاد) المتصل (١٤ ، ٧ : ١) (نفس الكلمة) ، وحتى لو صمت الله فإنه يُسمع (١٥ أ) مجيباً الصلاة فى (١٣ : ٢٢) (مستخدماً بالضبط نفس الكلمات) . إن أساس توقع أيوب هو الاعتقاد بأن الله (يشتاق لعمل يديه) (١٥ ب) بسبب ما قيل من قبل فى (١٠ : ٨ ـــ ١٣) ودقة الله التى بدت قاسية فى (١٣ : ٢٧) تبدو رحيمة ، إذ أن يمين الله تراقب أيوب فى الهاوية (١٦) ، وأفضل ما فى الأمر أن خطايا أيوب المتعبة سوف يتم التخلص منها مرة وإلى الأبد (١٧) .

والصورة فى العدد الأخير غير واضحة ولكن (بوب) كتب مذكرة مطولة (ص ١٠٩) يربط فيها بين (عدد ١٧ أ) وبين الوسائل القديمة فى الحساب . وحتى لو كان عند الله قائمة مطولة بخطايا أيوب (يمكن قراءتها كجمع أو كاسم جماعى) فى الـ RSV (معصية) فحنان الله يجعل من الصعب الاعتقاد بأن تلك الخطايا سوف تظهر فيما بعد لإيقاع الأذى بأيوب . وفكرة أن الخطايا (مختومة) لإخفائها بدلاً من الاحتفاظ بها ليوم الحساب نجد تأييداً لها فى بقية عدد (١٧) ، إن الله سوف يضع معصية أيوب فى صرة . هذا هو أيوب الذى حاول أصحابه إلصاق التهم به (نفس الأصل ـــ « ملفقو كذب » كما فى ١٣ : ٤ .

وكل آمال أيوب تتركز فى الاعتقاد بأن الله سوف (يذكره) (١٣) . إن فكر الله يدعو الناس إلى الوجود الحقيقى ثم يذكرهم أى يأخذهم من استمرارية الوجود ، فأيوب كمخلوق ليس له وجود حقيقى سوى فى إرادة خالقه لا إشارة هنا لتعليم خلود النفس كصفة لصيقة بالنفس وأصيلة فيها ، فحياة أى شخص من فعل الله وعطية من عطاياه[1]

(**١٨ ـــ ٢٢**) هنا القصيدة النهائية للحديث الذى يعود لنغمة اليأس كما قلنا من قبل إنه مضاد للايمان المعبر عنه فى الأعداد من (١٣ ـــ ١٧) ، ومع

---

(١) هل الهاوية مكان يجد فيه أيوب مأوى حتى يعبر غضب الله والذى لم يكن متاحاً له فى هذه الحياة ؟ أم هل هى مكان يتحمل فيه غضب الله لفترة من الوقت ؟ هناك شك أن تكون مثل هذه الأفكار مرتبطة بالهاوية فى العهد القديم . أما فيما يتعلق بالاشارة إلى الخليقة (عدد ١٥ فإننا نقترح أن عمل الله فى (تحويل وجهه) فى العبرية حرفياً (انفه) تكرار لما جاء فى (تكوين ٢ : ٧) عندما ينفخ الله نسمة حياة ثانية على أيوب (حزقيال ٣٧) .

ذلك فكثير من المعلقين يرون عكس ذلك تماماً . فالحياة من جديد بعد الموت أمل بعيد المنال ، والإنسان ليس كالشجرة فى الأعداد من (٧ — ٩) بل هو كالجبل فى الأعداد من (١٨ — ٢٢) .

والمقارنة مختارة بعناية لأنه من ناحية المظهر فالشجرة فانية بينما (الصخر) اسم من اسماء الله الذى لا يعتريه تغيير .

(والآكام الدهرية) رمز مفضل لخلود الله (تكوين ٤٩ : ٢٦) وبإلقاء نظرة على قوتها نجدد الثقة فى دوام الله (مزمور ١٢١ : ١ — الخ) ولكن مع ذلك فهى ليست دائمة (عدد ١٨) .

(١٩) المياه النافعة لشجرة يابسة تدمر « الحجارة » وهكذا يبيد الله (رجاء الانسان) . يقول رادلى (لا يمكن أن يكون ذلك رجاء العودة للحياة) . ولكن استخدام نفس الكلمة فى (عدد ٧) يربط القصيدتين معاً بنسيج واحد ، ويعطيهما نفس المعنى فى كلا الموضعين . والمعنى ليس أن الناس تبلى ولكن الجبل لن يعود إلى موضعه مرة أخرى (قارن أيوب ١٠ : ٢١)

(٢٠) إن وضع كلمة (ابداً) يشكل صعوبة[1] ، وكان يجب الانصياع لرأى (دورم) لأنه بالتأكيد على صواب ، فوجهه نظره أن حرف العطف قد نقل من مكانه ، وصحة العبارة هكذا « فيذهب ابداً » بدلاً من « تتجبر عليه ابداً فيذهب » ، وبمقارنة ما جاء فى تكوين (١٥ : ٢) بما جاء فى تكوين (٢٥ : ٣٢) نجد أن كلمة (Hek) [2] « ماض » طريقة مخففة فى التعبير عن الموت « ماض إلى الموت » بدلاً من « أموت » (قارن أيوب ١٩ : ١٠) .

(٢١ و ٢٢) إن الأمر المحزن فى الموت هو الوحدة ، فعلى غير شاكلة الآباء الذين ماتوا والذين كانوا يتوقون للانضمام لأسلافهم كان أيوب يفكر فقط فى الانفصال عن عائلته التى كان تربطه بها العلاقات البشرية فى الحياة ، ولا حاجة بنا للتهرب من ذلك بالقول إنه فى تلك اللحظة كان أيوب قد فقد أطفاله . ففى الهاوية لا يمكن للمرء أن يفرح أو يحزن مع أطفاله .

إنه (ينوح على ذاته) فقط ، وليست هناك أدنى إشارة تعنى الفناء ، ولو

---

(١) (ونستون توماس) يجد هنا مثالاً لاستخدام العبارة للتأكيد (كلية) بدلاً من صفة الدوام

(٢) كلمة (Hek) أى (Walk) بالانجليزية يسير (المترجم)



كانت هذه الحالة هى نهاية المطاف لكانت بلا شك الرعب الأكبر[1]

(1) لويس : (الجحيم) الفصل الثامن عن مشكلة الألم (١٩٤٠)

ج ـ الجولة الثانية من الاحاديث (١٥ : ١ ـ ٢١ : ٣٤)

١ ـ أليفاز (١٥ : ١ ـ ٣٥)

إن مشكلة تقسيم الحوار إلى دورات قد نوقشت فى المقدمة ، ولقد افترضنا أن أليفاز يبدأ كل جولة ، ولكننا لا نصر على ذلك . ودون محاولة أن نذكر جميع الآراء فإننا نقول إن بعض الدارسين يضعون حدوداً للإحاديث فى مواضع مختلفة عن البعض الآخر ، وهكذا نجد أن (فوهرر) Fohrer يقول إن الحوار يتكون من أحاديث أيوب والرد عليه من أصحابه وأن الجولة الثانية تبدأ بـ (١٢ : ١) والثالثة تبدأ بـ (٢١ : ١) ، ولكن (سنيث Snàith) من الناحية الأخرى يرى أن أيوب ينهى ويبدأ كل جولة بتقسيم الأحاديث الاعتراضية فى الوسط[1] ، وفى رأينا أنه لا داعى للبحث عن تلك الحدود ، فبينما لب الحوار لم يحسم تماماً ، فهناك استمرارية كافية فى مجرى الحديث فالحديث متواصل وهذا يجعل وضع الحدود أمراً غير مرغوب فيه . وكما أنه فى كل جولة لا يكون الحديث بالضرورة متعلقاً بالحديث السابق فمادة الحديث فى جولة قد تتعلق بنقاط أثيرت فى جولة أخرى .

١ ـ أليفاز (١٥ : ١ ـ ٣٥)

ان يصبح أيوب عنيفاً هكذا يفعل أصحابه . ففى البداية كان أليفاز رقيقاً ومتعاطفاً (٤ : ٢) والآن تتضاءل رقته ويتهم أيوب بفظاظة بالحماقة وعدم التقوى . فإن كان هناك شك فى بادىء الأمر بأن أيوب يحتاج لتقويم إلهى بسبب شهرته العظيمة (٤ : ٣ ـ الخ) فالآن فإن كلماته التى ينقصها الورع والتقوى (٢ ـ ٦) تظهر بطلان ادعاءه للحكمة (٧ ـ ١٦) وأنه بحاجة لمذكر بمصير الأشرار (١٧ ـ ٣٥) .

(١ ـ ٣) إن فظاظة رد أليفاز يوحى بأنه قد لحقت به إساءة شخصيته من جراء تعليقات أيوب الساخرة المؤلمة ، ولذا فأيوب رجل أقوال لا أعمال ، والتوازن الشعرى فى « ريح » و « ريح شرقية » يكون عبارة مستقلة مألوفة ، ولا داع للخوض فى خواص الريح الشرقية من حيث أنها حارة وجافة كإشارة

---

(١) تبدأ الجولة الثانية ب (١٤ : ١) والثالثة ب (٢١ : ٢٢) SBT

للهواء الساخن الجاف [1] ، فالتركيز هنا على الريح كشىء خفيف ومراوغ (فارغ حسب ال TEV) والكلمة المترجمة نفسه[2] هى حرفياً (بطن) AV ، ونجد هنا احتمال لاستخدام الفعل (يملأ) بمعنى خاص للدلالة على النفى ، وهذا يقلب المعنى إلى (فارغ) والتى تناسب القرنية . لقد صار أليفاز فظا وأضحت أحاديث أيوب لا تزيد عن كونها ريحاً تخرج من البطن وأليفاز يمثل دور الحكيم بينما يجعل أيوب هو الغبى ، وبذلك فهو يناقض زعم أيوب (١٢ : ٣) و (١٣ : ٢) والسؤال الأول (ألعل الحكيم ..) يضم عددى ٢ , ٣ معاً . ويصف أليفاز أحاديث أيوب العظيمة بأنها « أحاديث لا ينتفع بها) ولا يشرفه الحوار معه .

(٤) يقول أليفاز إن ايوب ليس غبياً فقط بل أنه خطير ايضاً وكلامه تهديد للدين الصحيح . والعبرية كما فى العربية تستخدم كلمة (مخافة) ولكنها كلمة غير كافية فى مقابل العبارة (خوف الله) المنسوبة لأيوب فى (١ : ١ و ٨ ، ٢ : ٣) والمساوية للحكمة فى (٢٨ : ٢٨) والـ NEB تقول عن أليفاز أنه قال لأيوب (أنت تقصى خوف الله من فكرك) ، فإذا كان الأمر كذلك فإن أليفاز هنا يدفع أيوب بأن أفكاره تهديد للمجتمع (رادلى ص ١٣٤) والفكرة ليست مكتملة بعد . والتأكيد هنا على الضرر الذى يحدثه أيوب بنفسه .

(٥ و ٦) عندما كان الأصدقاء يحاولون اتهام أيوب بخطايا معينة كانوا يخبطون خبط عشواء فى ليلة ظلماء ، أما الآن فلديهم شىء محدد ضده ــ حديثه المحمل بالخطايا الذى يشير إلى إثم عميق الجذور ــ ولو كانت كلمات أيوب الحالية هى خطأه الوحيد ما كان يمكن أن تكون تفسيراً لمتاعبه الأصلية ولذا فالترجمات الحديثة تعود إلى ما وراء الكلمات ، إلى خداع دفين يظهر نتيجة للامتحان . ونحن نعتقد أن ذلك الرأى مضحك فلا يمكن أن ترجع أسباب متاعب أيوب لخطية ارتكبها كنتيجة لتلك المتاعب والترجمة تتحسن حالماً يعرف بأن اعضاء الكلام : ــ الفم واللسان والشفاه ــ كلها تقع فى

---

(١) يقول (رادلى) ص ١٣٣ إنها تدل على « غضب » أيوب ومشاعره الحادة لأن الريح الشرقية عنيفة ومدمرة .

(٢) فى الانجليزية (نفسه) بدلاً من (بطنه) المترجم

أربع سطور عبارات متوازنة : ـــ

لان فمك يزيد اثمك

ولسانك يختار الخداع (ترجمة حرفية)

وفمك (لا فمى) يحكم عليك

وشفتاك تشهدان عليك

وبذلك يناقض أليفاز العبارة الواردة فى (١ : ٢٢)

(٧ ـــ ١٠) للتقليل من شأن أحاديث أكثر مما فعل ، يخضعه أليفاز لسلسلة من الأسئلة المهينة . ومن باب المفارقات الغريبة أن أسئلته تسير على نفس نمط مقابلة أيوب مع الله بعد ذلك والتى وجد فيها أيوب قوة شافية (أصحاحات ٣٨ ـــ الخ) والفقرة الحالية فى وضع مقلوب الترتيب مع الفقرة السابقة حيث أن اتهامات أليفاز الأولى لأيوب بالحماقة (من عدد ٢ ـــ الخ) وعدم التقوى (٤) موضوعة فى ترتيب معكوس : الإثم (٥) والجهل (٧ ـــ الخ) .

والعبارة الفريدة (أول الناس) سببت كثيراً من النقاش ، فقول رادلى إنها « إشارة لاسطورة الإنسان البدائى الذى وجد قبل خلق العالم » قول يعوزه البرهان ، وبربط عددى ٧ و ٨ معاً قيل إن هذا الإنسان الذى وجد قبل الخليقة كان يعرف خطط الله فى مجلس الله » (رادلى) .

والتركيب المنعكس للمقدمة الشعرية يظهر نوعان من مصادر المعرفة : القِدِم (٧ و ١٠) والالمام بأسرار الله (٨ و ٩) ، ولم يكن ينطبق أيهما على أيوب . ونحتاج لإشارتين لحل مشكلة عدد ٧ . فنفس الفكرة موجودة فى مزمور (٩٠ : ٢) حيث تستخدم أفعال متشابهة واسماء مختلفة . فالله وحده (اقدم من التلال) وليس هناك ذكر لإنسان أول ولا يمكن أن تكون ذلك آدم لأنه صنع بعد التلال . والإشارة الثانية تأتى من التوازن الشعرى فى العدد نفسه . فبدلاً من (الناس) نقرأ (الأرض) كمقابل للتلال ، وحرف الجر[1] يؤدى غرضاً مزدوجاً . فالسؤال هو : ـــ

---

(١) المقصود به الظروف (قبل) فى اللغة العربية (المترجم) .

هل تعتقد أنك الأول[1]

وقد ولدت قبل الأرض

وابدئت قبل التلال ؟

والاتهامات فى غير موضعها ، فأيوب لم يزعم لنفسه تلك الادعاءات وكل ما ادعاه هو أنه لا يقل ذكاء عن أصحابه (١٢ : ٣) وأنهم لا يحتكرون المعرفة (عدد ٨)

(١١ ــ ١٦) لقد بدأ معين أفكار أليفاز ينضب ، وليس هناك شيء جديد يذكر فى احتجاجه المستمر ، وعلى الرغم من أن معانى بعض الكلمات النادرة فى الحديث ليس معروفاً فتوبيخ أليفاز يعنى أن كبرياءه ، قد مُست وعلى أيوب أن يكتفي « بتعزيات الله » أى الكلمات الملهمة التى يحملها فى (٤ : ١٢ ــ الخ) وعدد (١١ ب) قد يكون مذكراً آخر له بأنه قد تكلم (برفق) مع أيوب ، ولكن ترجمات أخرى تقترح أن « الكلمة التى همست إليك بهدوء » حسب الـ NEB هى اعلان مماثل يمكن لأيوب أن يتلقاه لو كان موقفه تجاه الله أقل تحدياً . والكلمة النادرة والمترجمة (تختلج) (١٢) (يرمش فى الـ AV) تؤيد فكرة أن سيل الأقوال المندفع من أيوب (١٣) يفضح الغضب المكبوت فى صدر أيوب نحو الله (NEB) . ولكن أليفاز يحط من قدر أيوب بالاساءة لكل البشر . لقد تساءل أيوب من قبل (ما هو الإنسان) (٧ : ١٧ ، ١٥ : ١٤) وبالرغم من الاشياء الكثيرة المشتركة فى الاجابتين ، إلا أن هناك فوارق هامة بينهما ، فبينما يتفق أيوب مع أليفاز أن البشر ضعاف ونجسين (١٤ : ١ ــ ٤) الا أنه مع ذلك يعتقد أنهم اعزاء على الله (١٠ : ١٢) ، أما أليفاز فعلى النقيض من ذلك يعتبر الإنسان (مكروهاً وفاسداً) ، وأقر أيوب فى (١٤ : ٤) أنه من الاستحالة بمكان إخراج الطاهر من النجس ولكن لا استحالة على الله .

وبدءاً من الأعداد (١٥) حتى النهاية يكرر أليفاز ما سبق أن قاله فى (٤ : ١٨) .

---

(١) بمقارنة ما جاء فى (مزمور ٩٠ : ٢) نجد اسم الله فى كلمة (الأول) .

الرجل الذى يتكل عليه[1] وليس هناك ما يدعو لأن تربكنا كثرة الاستعارات ، فقد يكون ذلك بقصد من الكاتب ليجعل من حديث أليفاز المنمق حديثاً هزلياً يدعو للضحك . فالاشرار كأشجار النخيل وكالعنب والزيتون ولكن بلا ثمر (٣٢ ــ الخ) ثم يعود من حيث ابتدأ فى (٥ : ٣ ــ الخ) . ولا يمكن لأليفاز أن يصرح بالحقيقة ــ المتكررة الحدوث ــ ألا وهى نجاح الأشرار الذى لا يعوقه عائق وبؤس الأخيار الذى لا يجدون منه فكاكاً ، دع عنك كيفية التوفيق بين ذلك وبين عدالة الله .

٢ ــ أيوب (١٦ : ١ ــ ١٧ : ١٦)

١ ــ « فأجاب أيوب وقال »

إن الايحاءات المقصودة من كلمات أليفاز على حالة أيوب واضحة كل الوضوح ، فإن كان أيوب صالحاً كما يدعى لماامر بكل تلك المتاعب ، فبما أن المتاعب قد حلت به فهو إذن رجل شرير . وإذا لم يعترف بذلك فهو ايضاً مرائى . ويحتج أيوب على ذلك بغضب شديد ضد تلك الايحاءات التى لا يمكن اخفاؤها فى حديث أليفاز الأخير . ويتمسك أيوب بشدة بحقيقتين : فهو ليس مذنباً بخطايا جسيمة ومن حق الله أن يفعل ما يريد تجاهه . ولكن أشد الأمور إيلاماً لأيوب أن الله الآن وبدون سبب ظاهر يتصرف معه كعدو ، وكلمات أليفاز القاسية لا تحاول أن تمس تلك الحقيقة الرهيبة من قريب أو بعيد .

وهذا الحديث حالة نادرة فى سفر أيوب لمقابلة الفكرة للأفكار الواردة فى حديث سابق ولكن لمناقضتها وليس لمناقشتها .

فأيوب يرد أولاً تعيير أليفاز الصاع صاعين (١٦ : ٢ ــ ٥ ، ١٥ : ٢ ــ ٦) . فالله هو الذى فى حالة عداء مع أيوب (١٦ : ٦ ــ ١٧) وليس أيوب هو الذى فى عداء مع الله (١٥ : ٧ ــ ١٦) فهو لا يعانى من ضمير معذب (١٥ : ١٧ ــ ٢٦) بل واثق من برارته (١٦ : ١٨ ــ ١٧ : ٩) ومعنى الموت بالنسبه له (١٧ : ١٠ ــ ١٦) مختلف تماماً عن تفسير أليفاز

---

(١)لا داع لإزالة هذا العدد باعتبارة لا يتمشى مع الصور التى تتحدث عن النباتات (يوب ص١١٩) . وبدلاً من التكرار فإن الـ (Neb) تستخدم كلمة أخرى فى الترجمة « يتكل على المناصب » وهذا لا يستند على أساس متين

يعمل كالابطال[1] ضد شداى
عادياً عليه بسلاح كامل
متصلب العنق وبدروع معبأة[2]

(٢٧) إن الصورة التالية لأليفاز تظهر انغماس الأشرار الذين « تكتظ جوانبهم بالشحم » (قارن مزمور ٧٣) والـ (NEB) تترجم الكلمة (Ki) ترجمة صحيحة (مع أن) بدلاً من (لأن) .

(٢٨) كل ذلك الزهو والرفاهية أمر عابر لأن ، هكذا يقول أيفاز ، مدنهم الجميلة وبيوتهم سوف تصبح أطلالاً خربة . والصعوبات فى هذا العدد عديدة جداً لدرجة أن المناقشات التفصيلية ليس مجالها هذا التعليق بل تغليقات أكبر . ويرى (TEV) أن الدمار هنا نتيجة لأعمال الجشع وستمحو الحرب بدورها كل ما تم غزوه على يد اولئك الجشعين ، وآخرون يرون أن (الرجم) هو الموطن الطبيعى للاشرار . وترى الـ (NEB) فى هذا الأمر وعيداً ممتداً فى عدد (٢٩ أ) مع النبوة بأن ثروته « لا تثبت » لكونها أكثر حرفية تكون غامضه تقريباً كالأصل .

(٢٩ و ٣٠) مرة أخرى نجد هنا الصورة المفضلة للأشرار كنبات يذبل بسرعة قد سبق أن استخدمها بلدد فى (٨ : ١٦ ــ ١٩) (قارن مزمور (١) ، إرميا ١٧ : ٥ ــ ٨) وينثر أليفاز اجزاء من هذا التشبيه فى باقى حديثه .

(٣١ ــ ٣٥) من فطنة الكاتب أن أليفاز الذى بدأ بتسمية أيوب أنه رجل أقوال لا أعمال (عدد ٢) ينهى حديثه بالعديد من الأقوال لا داعى لها ، فبتكرار ممل يؤكد ، ولا يناقش ، التعليم القائل « أنت تحصد ما تزرع » وذلك بعدة أشكال . ومن إحدى العبارات الهامة ما جاء فى عدد (٣٥ أ) (صورة الميلاد) وعدد (٣١ أ) حيث الكلمة (سوء)[3] وهى نفس الكلمة (التى استخدمها أيوب فى (٧ : ٣) وهى المشار إليها كمكافأة

---

(١) مع أن الكلمات فى المفرد ، فليس المقصود فرد بل الجماعة التى يصفها أليفاز .

(٢) هناك اختلاف فى مدى واقعية الصورة . فالعبارة « متصلب العنق » يمكن أن تدل على شىء معنوى (عنيد RSV) أو ملموسة أكثر « بأوقاف مجانة » (Neb) . أما يوب وطور سينا فيشيران للعدة الحربية والدروع .

(٣)(سوء) وردت فى الانجليزية بمعنى (خواء أو فراغ)

الرجل الذى يتكل عليه[1] وليس هناك ما يدعو لأن تربكنا كثرة الاستعارات ، فقد يكون ذلك بقصد من الكاتب ليجعل من حديث أليفاز المنمق حديثاً هزلياً يدعو للضحك . فالاشرار كأشجار النخيل وكالعنب والزيتون ولكن بلا ثمر (٣٢ ــ الخ) ثم يعود من حيث ابتدأ فى (٥ : ٣ ــ الخ) . ولا يمكن لأليفاز أن يصرح بالحقيقة ــ المتكررة الحدوث ــ ألا وهى نجاح الأشرار الذى لا يعوقه عائق وبؤس الأخيار الذى لا يجدون منه فكاكاً ، دع عنك كيفية التوفيق بين ذلك وبين عدالة الله .

٢ ــ أيوب (١٦ : ١ ــ ١٧ : ١٦)

١ ــ « فأجاب أيوب وقال »

إن الايحاءات المقصودة من كلمات أليفاز على حالة أيوب واضحة كل الوضوح ، فإن كان أيوب صالحاً كما يدعى لمامر بكل تلك المتاعب ، فبما أن المتاعب قد حلت به فهو إذن رجل شرير . وإذا لم يعترف بذلك فهو ايضاً مرائى . ويحتج أيوب على ذلك بغضب شديد ضد تلك الايحاءات التى لا يمكن اخفاؤها فى حديث أليفاز الأخير . ويتمسك أيوب بشدة بحقيقتين : فهو ليس مذنباً بخطايا جسيمة ومن حق الله أن يفعل ما يريد تجاهه . ولكن أشد الأمور إيلاماً لأيوب أن الله الآن وبدون سبب ظاهر يتصرف معه كعدو ، وكلمات أليفاز القاسية لا تحاول أن تمس تلك الحقيقة الرهيبة من قريب أو بعيد .

وهذا الحديث حالة نادرة فى سفر أيوب لمقابلة الفكرة للأفكار الواردة فى حديث سابق ولكن لمناقضتها وليس لمناقشتها .

فأيوب يرد أولاً تعيير أليفاز الصاع صاعين (١٦ : ٢ ــ ٥ ، ١٥ : ٢ ــ ٦) . فالله هو الذى فى حالة عداء مع أيوب (١٦ : ٦ ــ ١٧) وليس أيوب هو الذى فى عداء مع الله (١٥ : ٧ ــ ١٦) فهو لا يعانى من ضمير معذب (١٥ : ١٧ ــ ٢٦) بل واثق من برارته (١٦ : ١٨ ــ ١٧ : ٩) ومعنى الموت بالنسبه له (١٧ : ١٠ ــ ١٦) مختلف تماماً عن تفسير أليفاز

---

(١)لا داع لإزالة هذا العدد باعتبارة لا يتمشى مع الصور التى تتحدث عن النباتات (يوب ص١١٩) . وبدلاً من التكرار فإن الـ (Neb) تستخدم كلمة أخرى فى الترجمة « يتكل على المناصب » وهذا لا يستند على أساس متين

له (١٥ : ٢٧ ــ ٣٥) ، وهكذا فالتحليل منمق اكثر من اللازم والموضوعات التى اشرنا اليها متداخلة باحكام . فمثلاً (١٧ : ١٠) يرد صدى التوبيخ الافتتاحى ، والصور التى تذخر بمذبحة الله (كمحارب او كوحش مفترس) تتردد كثيراً .

وفوق كل ذلك سبق ان رأينا فى اصحاح (١٤) سوف نرى مرة أخرى فى اصحاح (١٩) تأكيداً قوياً للإيمان المتوارى وراء عبارات الحزن والبكاء (١٧ : ٨ ــ ١٠)

(٢ ــ ٥) على فرض ان أليفاز يتكلم نيابة عن الآخرين فإن أيوب يطردهم كلهم باحتقار (كمعزين متعبين) ويفسر رادلى ذلك بقوله « انهم معزون يزيدون المتاعب بدلاً من التبشير بالراحة »

وفى الاصل العبرى (معزو المتاعب) . وقد التقط أيوب الكلمة المترجمة (شقاوة) فى (١٥ : ٣٥) ليرمى بها أليفاز . فمن السهل أن تتكلم ولكن أيوب يتساءل ماذا يكون شعورهم لو كانوا فى مكانه وتكلم هو كذلك ؟

لو وضع عدد (٤ ب) مكان (٥) لوجدنا أن أيوب يقول إنه لو تبادلوا المراكز لكان من الممكن أن يكون هو أفضل بكثير منهم فى موقف المعزى . ولكن عدد (٥) يمكن أن يكون للتهكم عليهم . (٦) (إن تكلمت لم تمتنع كآبتى . وإن سكت فماذا يذهب عنى)

إن أيوب لا يجد الراحة سواء فى الكلام أو الصمت .

(٧ و ٨) الهجوم واقع على أيوب من الله والانسان . وقد حولت الترجمة الخطاب المباشر فى النص العبرى الذى يستخدم كلمة (أنت) إلى المفرد الغائب ، الـ (RSV) كلمة (الله) ، ولكن الـ (NEB) تترك الانطباع بأن أيوب يتحدث فقط عن المضطهدين من البشر ، وهذا يضعف من تأثير العبارة . فالله هو الذى (خرب كل جماعتى) وقد جعلت الـ (NEB) الكلمة الأخيرة تشير إلى (اصحاب) أيوب ولكن الترجمة ككل لا تشبه العبرية كثيراً .

ولنبدأ بالملحوظة الشائعة بأن أيوب بلا « جماعة » ، فالبعض يغير الكلمة إلى (كارثة) ولكن (الجماعة) قد تشير لعائلة أيوب . وفى عدد (٨) تبرز

صورة مرعبة لأيوب كشخص « هزيل » مغضن الجلد وهذه صورة مفضله على الـ NEB التى تقول بأن الشخص الذى يشهد ضد أيوب هو (الكاذب) وليس (هزاله) .

(**٩ ــ ١٤**) الترجمه الحرفيه فقط هى التى تستطيع ان تنصف وتبرر وصف أيوب العنيف لهجوم الله الشديد .

فهو كوحش مفترس (٩) وكالخائن (١١) ، وكمصارع (١٢ أ و ب) وكرامى الرمح (١٢ ج ، ١٣ أ) ، وكمحارب بالسيف (١٣ ب ، ١٤) .

وعدد (١٤) يصف الله بصراحة بإنه مقتحم ولكن استخدام الجمع فى عدد (١٠) يوحى بأن ايوب يشكو ايضاً من حلفاء الله من البشر (اصدقاؤه ويسميهم فى عدد ٢٠ (المستهزئون بى) .

وحيث ان كلمة (افترس) شائعة الاستعمال فى وصف تمزيق الفريسة بواسطة حيوان مفترس وتتضمن ايضاً ما قيل فى (هوشع ٥ : ١٤ ، ٦ : ١) عن افتراس الله لشعبه (كالأسد) ، ولتجسيد الصورة يجب أن نأخذ كلمة (غضب) (حرفياً : أنف) مأخذاً حرفياً هكذا :

بأنفه مزقنى وطاردنى
شقنى بمخالبه
خصمى حملق فىَّ بعينيه
فغروا علىَّ افواههم
بوقاحة ضربونى على الفك
لقد اتحدوا كلهم علىَّ

إن القصة لا تشير إلى أن أيوب قد اعتدى عليه اعتداء مادياً ، والضربات التى تلقاها هى كلمات اصدقائه ، ولكن اذا كانوا لا يستحقون نعتهم « بالشر والظلم » (١١) فهذه الشكوى يمكن أن تقدم ضد التشويه والاهانة التى لحقت بأيوب من حثالة المجتمع (اصحاح ٣٠) وعدد (١٢) يعود لصيغة المفرد ، والترجمة الحرفية فقط يمكن أن تبرز القسوة المفزعة لهجوم الله عليه :

كنت مستريحاً فأفزعنى
امسك برقبتى وحطمنى
نصبنى كفرض له
رماته[1] أحاطوا بى
شق كليتى ولم يشفق
وسفك مرارتى على الأرض
يجرحنى جرحاً على جرح
اندفع نحوى كبطل

(**١٥ ــ ١٧**) إن وصف أيوب المفزع للمعاملة التى تلقاها من الله لا تتضمن أى اشارة بأنه دافع عن نفسه ، أنه لم يستسلم لآلامه بشجاعة عالماً أنه عقاب يستحقه تماماً ، ولا حاول استرضاء ذلك الإله الغاضب بالوسيلة المعروفة كتقديم الذبيحة ، وهو لا يحاول التنصل من موقفه بأنه شخص (بلا ظلم فى يده)[2] وبينما تشير هذه الكلمة اساساً للعنف المادى إلا أنها يمكن أن تشمل أى (تعد) على القانون الأخلاقى . ويصر أيوب على القول بأن (صلاته خالصة) ، ومع أنه يسبق أن زعم بأنه (كامل) (٩ : ٢٠) إلا أنه الآن يستخدم الكلمة التى تناقض ما قاله بلدد فى (٨ : ٦) وهو يلبس ملابس الحزن ، وليس التوبة وينجس نفسه بالجلوس (فى التراب) دون أن يلبس أى ثوب (فى داخلى سوى الثوب الخشن الفضفاض (المِسح) ، ومظهره يدعو للرثاء ــ وجهه محمر من البكاء وعيناه غارقتان فى ظلال قاتمة (على هدبى ظل الموت) ــ وذلك يجب أن يدفع الله بالتأكيد للعطف عليه .

(**١٨ ــ ٢٢**) ويدعم أيوب دفاعه عن النفس بالالتجاء إلى الأرض والسماء (قارن إشعياء ١ : ٢) وإلى الحراس اليقظين على أعمال البشر والأوصياء على العهود القديمة كشهود على قتله ، واستخدامه لكلمة (دم) توحى بأنه يتوقع أن يموت (٢٢) قبل سماع (صراخه) المدوى طلباً للإنصاف . (١٩) إن أيوب واثق أن له (شاهد .. فى السماء) . وشخصية

---

(١) هذا لا يعنى محارب واحد بل فرقة معاونة ولذا فعدد ٩ و ١٠ يكونان صورة وحيدة لمجموعة اعداء . ولكن بالترجمة (سهامه) فى الـ NEB يعتبر الله عدوه الوحيد فى هذا الجزء .

(٢) « بلا تعد على الآخرين » فى الانجليزية (المترجم)

هذا المدافع عن أيوب قد تمت دراستنا جيداً . إن أيوب يأمل بوضوح فى وسيط يحسم النزاع ليضمن أن (يحاكم الإنسان عند الله كابن آدم لدى صاحبه) (٢١)[1] والشخص المرشح للقيام بهذه المهمة هو « الوالى » فى (١٩ : ٢٥) ولكن سواء كان هذا هو الله أم شخص آخر فهذا موضوع خلاف (أنظر التعليق على ١٩ : ٢٥)

ونسجل هنا ملحوظتين هامتين ، فالله هو الذى يسمع صرخة الدم المسفوك ، والله هو الذى قيل عنه (ساكن الأعالى) وأيوب دائماً وأبداً يلجأ لله .

(**٢٠ و ٢١**) عند الوهلة الأولى نجد أن عدد (٢٠ فى الـ AV والـ RSV على الأقل يعتبر جملة اعتراضية بين ١٩ و ٢١ ، ويصعب تتبع الخيط عندما يكون العدد مليئاً بالصعوبات . وأحد المشكلات التى تواجهنا عدم تساوى السطور فى الطول والتى قادت البعض لنقل العبارة (عند الله) للشطر الأول (NEB) .

والعبارة (المستهزئون بى هم اصحابى) كما هى لها العديد من التفسيرات ، ومع أن نفس الكلمة تعنى (ترجمان) فى (تكوين ٤٢ : ٢٣) ففكرة أن (وسيطى هو صديقى) قد ابطلت لأن أيوب قد فقد الثقة فى اصدقائه ، واصبح موقفه دقيقاً وحرجاً لأنه فى وقت واحد فى نزاع مع الله والناس وهذا معترف به فى عدد (٢١) ، حيث أنه بالرغم من الوزن (فالجار)[2] ليس محتملاً أن يكون هو الله وهى نفس الكلمة العبرية (اصحاب) فى عدد (٢٠) والمعنى متصل ، ففى أحاديثه يتناوب أيوب الحديث مع أصحابه ومع الله ، ويشعر بحاجته لشخص يساعده لدى الطرفين (٢٢) بالرغم من اشتياق أيوب لموت سريع فمن الغريب أنه هنا يبدو غير متوقع للنهاية سوى بعد (سنين قليلة) ، وبدلاً من البحث عن معنى مختلف تماماً فى العبارة ، فلربما يكفى أن نجد هنا تعبيراً آخر لفكرة أن فترة حياة الإنسان القصيرة الأمد لا تكفى لحل مشكلات الحياة . وبوضوح كامل يرى أيوب أن الإجابات الكاملة لمشكلات الحياة لا يمكن التوصل إليها سوى عندما يكون تعامل مباشر مع

---

(١) « ليضمن حق الإنسان من الله » فى الانجليزية (المترجم)

(٢) وردت كلمة (جار) فى الانجليزية المقابلة (لصاحب) فى العربية (المترجم)

الله بعد الموت .

(١٧ : ١ ــ ٤) لا توجد فواصل بين الاصحاحات ، فالافكار التى سبق التعبير عنها تتزاحم معاً فى جمل موجزة مختلطة ، وعدد (١) يتكون من ثلاث عبارات كل منها من كلمتين . وإحساس أيوب بأن الموت وشيك الوقوع يؤيد تفسير ما جاء فى (١٦ : ٢٢) فروحه (تلفت) أى أصبحت كسيرة (أى تحطمت) وفترة حياته (حرفياً : أيامى) اكتملت ، والكلمة العبرية المترجمة (انقرضت) لا ترد إلا هنا ، وقد استبدلها بعض الدارسين بكلمة مألوفة أكثر منها) .

وفى تغيير سريع يعود أيوب للموضوع الوارد فى (١٦ : ١٨ ــ ٢١) ، ومعظم المترجمين لم يستطيعوا توضيح صيغة القَسَم (لولا) التى يبدأ بها عدد (٢) سوى كتأكيد أى (بالتأكيد) ولكنها تعنى أكثر من ذلك فلها قوة اللعنة ، وبذلك يعرض أيوب حياته للخطر ، وتنتهى الفقرة بعقوبة الغدر والخيانة « لاجل ذلك لا ترفعهم » (٤ ب) ، إنه اجراء رسمى بتسليم (الاصدقاء) لمحكمة العدالة الالهية . قارن ذلك بالمناورة المشابهة فى (٢٧ : ٢ ــ ٦) والتهمة هى أنهم مستهزئون ، وفى التشريع الاسرائيلى كانت عقوبة الاتهام الظالم أن تطبق على من وجه الاتهام الكاذب العقوبة المقررة للجريمة التى نسبها كذباً لشخص برىء (تثنية ١٩ : ١٥ ــ ٢١) وأيوب مستعد للمخاطرة ، وهناك شىء آخر ، فعندما يترك الأمر بين يدى الله فالعقوبة تكون معادلة للخطأ ، ولذا فالمجرم يكون معرضاً لعقاب إلهى ، ومعلم الحكمة الذى يرتكب الخطأ تتحول (مشورته) إلى (حماقة) (صموئيل الثانى ١٥ : ٣١) وما يشجع أيوب عدم موافقة الله على محاولات هؤلاء (الحكماء) (أيوب ١٢ : ٢) حل مشكلة ، والتى تبين غباوتهم « لقد منع الله قلبهم عن الفطنة » (٤ أ قارن عدد ١٠ ب) وأيوب لا يتورع عن إهانتهم ورد بلدد الغاضب فى (١٨ : ٣) يظهر أن الضربة قد جاءت فى الصميم .

وعدد (٣) مثل آخر لتغليف الفكرة الرئيسية بالأفكار التى فى الخلفية حتى وإن كان ذلك يفصل ما بين عددَى (٢ ، ٤) والتى سبق الاشارة إليهما . يتضرع أيوب بثقة لله ليعطيه حكماً مناسباً فى نزاعه مع الاصدقاء مستخدماً صورة مأخوذة من ممارسة الاعمال التجارية ، (فالضمان) الذى

يريد أن يحفظه الله سالماً (عند نفسك) يمكن أن يكون كشيء يؤتمن لدى شركة تجارية كوديعة أو رهن (تكوين ٣٨ : ١٨) و « يصفق يدى » (كما فى (٣ ب) حرفياً) إشارة كعلامة تأييد للإتفاق .

والسؤال (من هو الذى ... ؟) وفى الـ NEB (من غيره .. ؟) يوحى بأن الله وحده هو الذى يستطيع أن يفعل ذلك تدعيماً للاستنتاج بأن الله نفسه هو الشاهد الذى يبحث عنه أيوب فى (١٦ : ١٩ — الخ) وفى عدة مواضع أخرى .

(**٥ — ٩**) يصعب أن تهتدى إلى الطريق وسط غزارة الأفكار فى هذا الحديث ، فإذا كان عدد (٥) يكمل ما سبق فهو يستمر فى اتهام اصحابه وهذا العدد يشبه المَثَل ولكن حيث أن (الاصحاب) هم ضحايا الخيانة فليس من السهل أن ينطبق على أيوب ، ولربما ، كقاعدة عامة ، ينطبق على كل واحد . (فتتلف عيون البنين) قد يكون عقاباً مناسباً للشخص الذى يقدم شهادة زور لكى يحرم أبناء اصحابه من ميراثهم ، وهذا اتهام خطير يوجه للاصحاب الذين لم يرتكبوا أى عمل كهذا ضد أيوب ، ولربما يقدم أيوب هذا المثل ببساطة ليكون على سبيل العبرة . ومن ناحية أخرى فإشارة أيوب لتلف عينيه يرجع للحزن (٧) وذلك يوحى بأنه الآن يعانى سوء استعماله لعينيه ، وأهمية العينين كنقطة البداية لارتكاب الاثم معترف بها فى (٣١ : ١) ، وفى (١٧ : ٢) قدم أيوب شهادة من رأى بعينيه عن الإثارة والاغاظة التى تعرض لها . ومن ثم فالـ (TEV) تربط بين عددى ٥ و ٦ بالقول « والآن يستخدمون هذا المثل » (الموجود فى عدد ٥) ضدى » .

وفى الاعداد التالية فإن مرضه الشديد (٧) بدلاً من أن يثير الشفقة عليه فإنه يدعو للاحتقار حيث أنهم (يبصقون) فى وجهه . (TEV) [1] وهذا يترك عدد (٨) مطروحاً لأكثر من تفسير بما فيه استبعاد الاعداد من (٨ — ١٠) كلية . يمكن أن يكون مقصد أيوب أن المستقيمين (يتعجبون) من الطريقة التى يعامله بها اصحابه (هكذا تقول الـ (NEB) ولكن آخرين يعتقدون أنه ما زال يتكلم عن الاصحاب الذين يدعون أنهم امناء (TEV)

---

(١) توجد كلمة بديلة لكلمة (يبصق) فى الـ NEB وهى كلمة (Portent) أى « علامة شؤم » أى أنهم اعتبروه علامة شؤم .

والذين يدينوني ظلماً بأنى فاجر (TEV) فإذا كان الأمر كما ورد فى الترجمة السبعينية فان عدد (٦) يصف عملاً من أعمال الله ، إذن فهناك فجوة فيما يختص بهذه النقطة (RSV) وبينما نعقد الأمل فى أى حل مقنع لتلك الكلمات المتشابكة نجرؤ على القول بأن الفكرة العامة كالآتى : ـــ

إن أيوب ثائر لأنه وهو الرجل المرضى فى عين الله قد زاد الطين بلة بالسير فى طريق الامانة ، فقد عرض نفسه للاتهام بالرياء فوق قائمة من الخطية السرية ، وكشخص أصبح الآن متروكاً من الله أصبح فريسة سهلة لأى صياد انظر اصحاح (٣٠)

ومما جعل الأمر أكثر تعقيداً أنه بينما يعتبره ذوو العقول المريضة هدفاً سهلاً للذم والتعيير دون خوف من عقاب إلهى لأن مثل هذه النفس البائسة لم يعد لها أى مجال للادعاء بالاتكال على حماية الله ، فاولئك الذين فى جانب الله ايضاً (أنظر التعليق على ١٣ : ٧) قد يشعرون أنهم يساعدون الله فى عمله بمعاملة أيوب كانسان أثيم ، ولذا فإن أيوب مضطر أن يتحداهم جميعاً (١٠ أ) كأشخاص مجردين من الحكمة حتى لو أعجب بهم أى انسان آخر كأناس عقلاء . ما الذى يستطيع أيوب أن يفعله ؟ لا شيء سوى التعليق بإيمانه بصحة دعواه والمقتنع هو بها أكثر من أى شخص آخر (٩) ، فلا توجد عبارة فى سفر أيوب اثارت خلافاً بين المعلقين مثل هذه العبارة ، فيقارنها (ديلتزش Delitzsch) بصاروخ يضيء فى الليل[١] وآخرون يعتبرون الفكرة غير ذات موضوع ويفضلون إما نقلها لموضع آخر أو استبعادها كلية . ونحن لا نرى داع لذلك ، فبالرغم من الاعتراف بالصعوبات إلا أن التشدد على أى حال لا يفيد .

(١٠) لأن هذا العدد يكمل الفكرة فى عدد (٤ أ) فقد ربطناه به . ولكن بعض الترجمات مثل العربية تعتبره عبارة منفصلة .

١١ ـــ ١٦ عدد (١١) يكمل الأفكار التى فى (١٦ : ١٦و ١٧ : ٧) ، فجسده المريض على حافة الموت ، والاسلوب المنسق ـــ ٣ سطور كل منها يتكون من كلمتين ـــ يشبه تماماً عدد (١) والأفكار أيضاً متشابهة والـ

---

(١) تفسير كالفن الرائع (CocR ص٥٤) يجمع بين الفكرة الرعوية واللاهوتية العميقة الأثر .

(NEB) بمساعدة الترجمة السبعينية قد نجحت فى تحويله إلى سطرين كل منه ثلاث كلمات .

(**١٢**) هذا العدد غامض تماماً . لقد حذفته الترجمة السبعينية ويعامله الدارسون الآن برية ومن الصعب أن نقول ماذا نفعل به . والـ (RSV) حرفية ولكنها متناقصة . فإذا كان ضمير الجمع الغائب (هم) أهم فى عدد (١٢ ب) غير موجود فى (العبرية) تعنى الاصحاب ، فأيوب يتهمهم بقلب كامل للقيم الاخلاقية كالمجدفين فى (إشعياء ٥ : ٢٠) ، أما الـ (NEB) من ناحية أخرى فتتصرف بحرية مع حروف الجر وتعكس وضع السطور فى الشعر العبرى وتجعل السطور مترادفة المعنى وتجعلها تتفق مع بقية القصيدة .

إن أيوب ينتقل من الحياة (نور النهار) إلى الموت (ظلام الليل) .

(**١٣**) يستحيل معرفة مزاج أيوب هنا ، فالترجمات مغرضة تماماً . فهل أيوب حريص على الموت كما فى أصحاح (٣) ؟ أم هل هو يخاف الموت (اصحاح ١٠) ؟ أم هل يراه الخطوة التالية نحو امكانية جديدة للحياة (اصحاح ١٤) ؟

والكلمة (ينظر) نفس أصل (يرجو) فى عدد (١٥) . وقد عبر عن ذلك عدة مرات فى فقرات هامة . وتستمر الـ (RSV) فى التساؤل فى عدد (١٦) كما لو كانت الاسئلة بلا إجابة فى عقل أيوب[1]

والـ (NEB) والـ (TEV) تجعلان من عدد (١٦ أ) إجابة بالنفى دون سند من العبرية التى تجعله حقيقة بسيطة . واستخدام اسلوب الجمع يصعب فهمه ولكن (دورم Dhorme) (١) يستخدمه حرفياً ليصل إلى الاستنتاج بأن رجاء أيوب وسعادته سوف تهبط إلى الهاوية معه[2] . وقد يكون ذلك ضرباً من

---

(١) عند هذه النقطة تساعدنا مخطوطات قمران .

اولاً ــ فهى تمدنا بالتساؤل (صيغة الاستفهام) الغير موجود فى الـ MT . وثانياً فهى لا تؤيد كلمة (مغاليق) فى الـ Mt عدد (١٦) ولكن تتفق مع السبعينية فى كلمة (معى) وهذا يضعف من رأى (داهود Dahood) فى قوله (فى يدى) Pope (ص١٣١) وثالثاً ــ فالترجمة (تهبط مع أنها مؤيدة من السبعينية التى لها نفس الفعل فى كل سطر فإنها تتطلب تغييراً فى الـ MT ولكن تلك المخطوطات تؤيد الـ MT فى (سوف نرتاح معاً)

(٢) فى القول بلغة الجمع « نهبط ... نرتاح معاً » إلى التراب (المترجم)

الخيال وقد يعنى أن الرجاء سوف يموت عندما يموت أيوب . ولكن التحية فى عدد (١٤) تبدو كدخول الشخص فرحاً إلى بيته ، وأيوب يدعو الهاوية (بيتى) فى عدد (١٣) وفى اللغة القديمة فاللقب (أبى) قد يكون اعترافاً رسمياً بالسيادة وخاصة فى صياغة المعاهدات والمواثيق . وكلمة (أختى) اعتراف بالحب وارتباطهما (بأق) يجعل الانسان حريصاً فى تطبيق أيهما على (١٧ : ١٤) . ولكن نغمة القبول والثقة فى حديثه لا تخفى على أحد كما فى (امثال ٧ : ٤) بالرغم من الاشارة المقززة « للفساد » و « الرمة » .

٣ ـ بلدد (١٨ : ١ ـ ٢١)

(١) (فأجاب بلدد الشوحى وقال)

حديث بلدد الثانى واضح ومستقيم ، فهو لا يعدو أن يكون حديثاً مطولاً عن مصير الأشرار (٥ ـ ٢١) مسبوقاً بقليل من التوبيخ الموجه لايوب (٢ ـ ٤) ، وبينما يشتمل على نفس الفكرة فى حديث أليفاز السابق (١٥ : ١٧ ـ ٣٥) إلا أن الاختلافات تعكس اختلاف الأمزجة لكل من الرجلين . فأليفاز رقيق ويعد احد الرعاة الجيدين حسب النور الذى عنده ، ولكن بلدد تقليدى ومقتنع بالافكار القديمة ومن الواضح أنه فشل فى تقييم أفكار أيوب لأنها لا تتفق مع أفكاره ، وبينما يركز أليفاز على الهموم العقلية للاشرار يصر بلدد على متاعبهم الظاهرية

(٢) إن استخدام الجمع فى ضمير المخاطب يقصد به أيوب ، ولكن فى مخطوطات قمران نجد أيوب فى المفرد ، ولكن فى العربية نجد الضمير فى الجمع « فى عيونكم » (٣ ب) ومن المستبعد احتمال أن بلدد كان يخاطب صاحبيه وليس أيوب .

واللغة الغامضة للترجمة السبعينية (كفوا) وفى الفولجات كذلك تركت انطباعها على الـ (AV) « كم من الوقت سيمضى قبل أن تصل لنهاية الكلام ؟ » ، وقد حلت كلمات أخرى بدلاً من (نهاية) باستخدام كلمة (يصطاد) فى RSV و « لجام » فى الـ NEB و « قيود » فى (دورم Dhorme) و« فخاخ » او « شراك » فى العربية .. الخ وكلها محاولات للتوصل إلى الكلمة العبرية الفريدة (Gnsy) وقد تم البحث فى مفردات اللغات السامية الأخرى بحثاً عن كلمة مشابهة وقد أدى ذلك لنتائج مختلفة ، والقرينة توحى بأن بلدد يحاول كبح جماح حديث أيوب وليس إعاقة الاصحاب أو وضع الفخاخ لهم . ومن ثم فالكلمة العبرية (Gès) مع أنها تجعل العبارة بلا تفسير إلا أنها حل واضح لما كان سائداً فى عصور ما قبل المسيحية كما أن الكلمة (Smp) فى مخطوطات قمران هى الآرامية لكلمة (نهاية)[1] .

---

(١) حيث أن الترجمة السبعينية هى تفسير للعبارة فهذا الدليل الجديد لا نستطيع اثبات أن (Gs) كانت موجودة اصلاً فى الاساطير العبرية وقد يكون اصلها مستمداً من (أيوب ١٦ : ٣)

(٣) بلدد مهتم بسمعته أكثر من اهتمامه بتلبية مطالب أيوب . بالطبع لقد طلب أيوب ذلك بتعليقاته المهينة (١٢ : ٢ ، ١٧ : ١٠) ولكن بلدد مستمر فى فعل ما شكا منه أيوب بحق ، إنه يركل انساناً وهو ملقى على الارض (٦ : ١٤ و ٢١ ، ١٢ : ٤ ، ١٣ : ٤ ، ١٦ : ٢) .

(٤) إن المتحدث الذى تنفد أفكاره ، دائماً يلجأ للهجاء ، فما من راعٍ يسخر من انسان متألم يرميه بنفس كلماته ولكن هذا ما يفعله بلدد . فى (١٦ : ٩) يذكر أيوب بأن الله معذبه وممزق إياه إربا ، ويردد بلدد بأن ايوب (أقول مع معظم المفسرين بأن الكلمات فى صيغة المنادى) هو الذى يمزق نفسه إرباً بغضبه الذى لا مبرر له . وفى (١٤ : ١٨) تكلم أيوب بوضوح عن عوامل التعرية التى تنحت اشد الصخور صلابة ويرد بلدد بتهكم « هل تريد أن يؤسس الكون من جديد ليناسبك ؟ » [1]

(٥ ــ ٢١) طبقاً لبلدد فالنظام الأخلاقى الذى يقلبه أيوب راسخ رسوخ الارض والجبال ، ومصير الاشرار بالتالى يتبع ناموساً صارماً . ويسرد بلدد قصيدة مطولة عن المتاعب التى تحيط بالأشرار . وهناك إسهاب فى الحديث وما ينقص من معنى فى الجدل يعوضه ببلاغة فى الكلام .

وهذه القصيدة ساخرة أيضاً حتى أنه فى النهاية سوف يكتشف أيوب عدالة الله من جديد بالتأمل فى أعماله فى الطبيعة .

نجد هنا مجموعة من الصور المتناقضة معاً فى خمس أو ست قصائد متميزة : الظلام (من ٥ ــ الخ) والصيد (٨ ــ الخ) والمرض (١١ ــ الخ) وقطع الطريق (١٤) والقحط (١٦) وعدم الانجاب (١٧ ــ الخ)

(٥ ــ ٧) هذا الظلام ليس ظلام الهاوية ، كما هو الحال غالباً فى سفر أيوب ، بل هو انطفاء أنوار الحياة اليومية ، وعدد (٧) قد يحتوى على صورة أخرى للشرير الذى « تصرعه مشورته » ، وهذا نوع من الأمور السطحية التى

---

(١) ليس الـ (NEB) الحق فى إزالة عدد (٤ أ) وعدد (٤ ب) قد يحتوى على اشارة للهاوية كالأرض وما جاء فى الـ MT (يهمل) قد تكون طريقة بلدد لوصف هجرالهاوية بالقيامة وهذا ما يريده أيوب (١٤ : ١٥) ، والترجمة (يعاد ترتيبها) تقبل بحذر على أساس مناقشات (داهود) وقد تحتد المناقشات اللغوية ولكن الوزن الشعرى يتحسن .

يروجها تجار « الحكمة » وتغيير التعبير من « تصرعه » (الـ RSV والـ AV) إلى « يصطاده » (الـ NEB (السبعينة) يتطلب إعادة ترتيب الحروف الساكنة فى العبرية ، وهناك ترجمة أفضل لعدد ٧ أ (خطواته الرياضية تصبح غير متزنة) .

(٨ ــ ١٠) هناك ستة أسماء مختلفة لآلات الصيد مستخدمة فى هذه الاعداد . والتعريف المحدد لكل هذه الاصطلاحات ليس ممكناً حتى الآن كما تبين مضاهاة الترجمات المستعملة .

(١١) إذا كان هذا العدد مستمراً فى تصوير الصيد فلا حاجة بنا للتوقف أمام رجل أمسك فى ستة فخاخ مختلفة وما زال ممسكاً منها . فإذا كانت (الأهوال) أعداء من الخارج فقد تكون حيوانات أو بشر أو شياطين ، ولو كانت مخاوف داخلية فبلدد يكرر ما قاله أليفاز فى (١٥ : ٢٠ ــ الخ) ومع أن القصيدة تبدأ بصيغة الجمع (عدد ٥ أ) إلا أنها تنتقل إلى المفرد ، ولكن إذا كان ضمير الغائب يشير إلى اسم جماعى أو اسم جنس ، فالمعنى الحرفى (يذعر) (هامش الـ AV) يصلح وإلا فإن كلمة (يطارد) تكون صحيحة . وقال أحدهم إن المقصود بها « يتبول على رجليه » ومع أن (دورم) رفض ذلك إلا أن (درايفر) أيدها وبكل أسف شقت طريقها إلى الـ (NEB) .

(١١ ــ ١٣) إذا كانت الشياطين سبباً فى الأهوال فهى شياطين المجاعة والمرض والموت .

إنها صورة مفزعة :

يصبح جسده البدين هزيلاً
وتبرز ضلوعه
ويأكل المرض جلده
وبكر الموت يبتلع اعضاءه

(بكر الموت) قد يعنى اسما لمرض خاص سريع الفتك وهو لا يمكن أن يكون مرض الجذام لأنه ليس مرضاً خطيراً بهذه الصورة .

(١٤) إذا كان الجسد (خيمة) فانهيارها يعنى الموت ، وأنظر التعليق على

(٤ : ٢١) ، والتعبير الفريد (ملك الاهوال) إشارة أخرى للموت وترديد نفس الكلمة العبرية (الاهوال) يميز الأعداد من (١١ ـ ١٤) كوحدة مستقلة .

(**١٥**) حيث أن هذا العدد يتكلم عن إقامة جبرية فى خيمة غريبة فهذا مع عدد (١٤) قد يوحى بالأسر بواسطة قطاع الطرق ، وعدد (١٥ ب) يشير إما إلى الدمار الذى يجلبه الغزاة وراءهم أو يبدأ فى تصوير كارثة طبيعية كتلك التى حدثت فى (تكوين ١٩) .

١٦ ـ ٢٠ باعادة ذكر المقارنة الشائعة بين الرجل الشرير والشجرة اليابسة (١٨ : ١١ ـ الخ) والتى استخدمها كل من أيوب (١٤ : ٧) وأليفاز (١٥ : ٣٠) يقدم بلدد استعارة واضحة تعد قاسية فى الحكم على موقف أيوب . والعبارة الأخيرة (لا نسل ولا عقب له) اسوأ ما فى الموضوع . لقد سجل بلدد أكثر الاشياء التى يخشاها الاسرائيلى فى الحياة والممات كعلامة على الرفض من الله ، فهذه الاحداث تميز الفاجر من التقى ، وتصلح كعبرة للباقين (عدد ٢٠) .

والاشارات لاهل الشرق والغرب قد تناسب المتقدمين والمتأخرين . **(AV)**

(**٢١**) ووصف بلدد « لمساكن فاعلى الشر » يُظهر كيف أنه مهتم بالظواهر الخارجية ، والوصف شبيه جداً بما جاء فى (أيوب ١ ، ٢) حتى أنه لا يمكن إغفاله . ولكن العظة بالغة الاثر وقد تؤثر فى انسان ذى ضمير شرير ولكن برغم كل جهود الأصحاب فى احداث هذا الأثر فهذا ما لم يحدث لأيوب .

٤ ــ أيوب (١٩ : ١ـــ ٢٩)

فى هذا الحديث الجرىء لأيوب يصل إيمانه للذروة فى الكلمات الشهيرة (أما أنا فقد علمت أن ولي حى) عدد (٢٥) وهو يقفز إلى هذا العلو من حالة اليأس التى سببها له تعنيف أصحابه (اعداد ٢ ـــ٦) والدمار الذى لحق به من الله (٧ ـــ ١٢) واحساسه بالهجر الكامل (١٣ ـــ ٢٢) ، ولكن يقينه ببراءة ساحته (٢٣ ـــ ٢٩) يسطع بجلاء وسط هذه الخلفية المظلمة .

عند أول قراءة لا يبدو أن وصف أيوب لمحنته الحالية يضيف شيئاً جديداً ، فهو ترديد لما سبق أن قاله فى إصحاح ١٦ ، ومعادل لكثير مما قاله بلدد فى آخر حديث له ، مقراً بأن حالته تشبه بالضبط حالة رجل شرير حل به العقاب . والحقائق هى بعينها أمام الجميع ولكن أيوب ينظر إليها من زاوية مختلفة تماماً . وبتعبير معاصر يمكن أن أقول إن الأصدقاء بعيدون عن المشكلة ، ولكن أيوب فى داخلها ، إنهم فى موقف المتفرج ولكنه فى وسط المعمعة .

ووصف بلدد لمصير الأشرار وصف أكاديمى ، فهو لا يقف برهة ليفكر كيف يقوم الله بايقاع كل ذلك الرعب بأناس لا حول لهم ولا قوة ، حتى وإن كان ذلك عدلاً . ولا يتوقف للحظة ليفكر كيف يكون ذلك مريعاً بالنسبة لانسان يعانى كل ذلك سواء بعدل أم بغير عدل . ويسرد بلدد الكوارث على أنها من نتاج النواميس الأخلاقية التى تضبط إيقاعات الناس حول الله الذى هو مركز كل شىء كما يضبط قانون الجاذبية حركات الكواكب حول الشمس وعدالة الله عنده تتألف من حفظه لتلك النواميس الطبيعية والأخلاقية ، وهذا رأى عام للفلاسفة الذين يشكل إلههم طرفا فى معادلة .

إن وجهة نظر أيوب مختلفة تماماً فهو لا يرى الله فى التعامل معه من خلال القوانين وهو مدرك تماماً للتعامل المباشر بينه وبين الله ، ويدعوه الفاعل الوحيد لكل ما يحدث . فالقانون الأخلاقى ليس حلقة وصل ، وأيوب لا يستطيع أن يفهم لماذا يتصرف الله الآن بخلاف ما اعتقده فيه . فعليه بطريقة ما استعادة صداقته مع الله بوسيلة تفوق الوسائل اللاهوتية لأصحابه وهو يدعو الله بجسارة أقرب المقربين إليه .

(٢) لقد اساء الاصحاب تماماً فهم اختبار أيوب ، ومضايقتهم له قد زودت آلامه .

(٤) لو كان (دورم) محقاً فى تفسيره (حتى لو ضللت حقاً فهذا من شأنى الخاص) فأيوب يرفض تدخلهم فى شأن من صميم العلاقة بين الله والانسان ، فهم يتصرفون (كما الله) (عدد ٢٢) .

(٦) حيث أن كثيرين من المعلقين يقولون إن أيوب يتهم الله علناً بالظلم فمعنى هذا العدد حاسم فى اكتشاف ما يفكر فيه أيوب حقاً . فمع أن (الاحبولة) ليست ضمن الفخاخ التى ذكرها بلدد فى (١٨ : ٨) إلا أن أيوب يلتقط الفكرة هنا . فلا يكفى أن نقول إن الشرير يقع فى الفخ الذى نصبه هو ، فالله هو الذى أوقع أيوب فى الشراك ، والفعل المترجم (قد عوجنى) هو نفس الفعل الذى استخدمه بلدد فى (٨ : ٣) ليسأل : « هل الله يعوج القضاء ؟ » وسوف يستخدمه اليهو فيما بعد للإصرار على أن الله لن يفعل شيئاً كهذا ؟ (٣٤ : ١٢) وهنا يقول أيوب « إن الله قد عوجنى » وما يعنيه بذلك يجب تفسيره مما يقوله عن الله فى الأعداد من (٧ — ١٢) . فليس المستفاد من ذلك الحديث أن الله قد عوج[1] أيوب ولا يتهم أيوب الله بالتقلب كما يدعى (رادلى) . فالقاضى لم يقل كلمته بادانة أيوب فى تلك المرحلة ، ولم يكن ذلك إلا مجرد استنتاج قال به الاصدقاء بتطبيق نظرياتهم على اختبار أيوب . وما زال أيوب ينتظر أن يسمع الحكم من الله بكل الوسائل ، وعندما يتكلم الله (حتى لو انتظر أيوب لما بعد الموت لاجل ذلك) فسوف يعلن براءة أيوب . إن على أيوب ان يتحمل تأخير العدالة وليس إجهاضها او انكارها (قارن ٢٧ : ٢)[2]

(٧) إن ما يشكو منه أيوب هو صمت الله طويلاً حيث لا استجابة لطلبه الانصاف وبقوله (إنه يصرخ ظلماً) لا يعنى أنه لا توجد عدالة فالحكم لم يعلن بعد .

---

(١) أى قلب حياته ودمره (المترجم)

(٢) فى مزمور (١٤٦ : ٩) يصف الفعل عمل من اعمال الله العظيمة . وافضل حل جعل (الياء) (ى) كالمفعول غير المباشر (يحفظنى) وجعل القضاء مفعول به أى أن الله يجعل القضاء يحفظنى .

(٨ ــ ١٢) هذا الوصف لهجوم الله الذى بلا هوادة على أيوب يشبه ذلك الوصف فى (١٦ : ٧ ــ ١٤) مع خليط مماثل من الاستعارات ، وفى شعر من هذا النوع فالمهم هو التأثير الكلى . ولا يملك المرء إلا الاشفاق على المعلقين الذين يضايقهم صورة (السياج) المحيط (بخيمة) .

(١٣ ــ ١٩) تحالف الناس مع الله فى الهجوم على أيوب ، كما اتحدت قواتهم فى النزال الموصوف فى اصحاح (١٦) ، والواقعية التى تكشف بها كلمات أيوب فكره الداخلى ترى فى أفضل حالاتها فى هذا الحديث . واهتمام أيوب الملتهب بالله لا تجعله غير مبال بالعلاقات الانسانية بل على النقيض فالاثنان شيئان لا ينفصلان فى حياة أى شخص يصل لمرحلة النضوج البشرى وقائمة أيوب من الاخوة والمعارف والاقرباء والاصدقاء المقربين والضيوف والخادمات والخدم والزوجة والاطفال تظهر مقدرته واستمتاعه وبنفس الدرجة تضرره عندما يحرم من مواساة الرفاق واحترام المرءوسين وصلة الأهل ، فعندما يعامل الصغار رجلاً مسناً عاجزاً بوقاحة فهذا تحد لأقدس الآداب الاسرائيلية ، وما يزيد الطين بلة عندما تتعرض روابط المودة وقيود الالتزام الادبى بين الناس لخطر القطيعة بلا حياء أو خجل (١٩) .

لقد عومل أيوب كمنبوذ ، وكعبد الرب (إشعياء ٥٣) لقد رفضه الله ولذا فعند اساءة معاملته فليس هناك احتمال إن يسرع الله لنجدته ــ إن موقف هؤلاء المسيئين شبيه بموقف اولئك الذين كانوا يعيّرون يسوع على الصليب .

(٢٠ ــ ٢٢) لقد اصبح منظر أيوب مسبباً للصدمة التى تثير قدراً كبيراً من الاشفاق . وهو يصف حالته الجسدية ، كشىء مرعب من الهزال والقبح . والعبارة التى لا تنسى (نجوت بجلد اسنانى) فمع احتفاظ الـ (RSV) بها إلا أنها لا تناسب القرينة حيث أن أيوب ليس فى موقف الابتهاج بالنجاة من موقف صعب . وقد بذلت محاولات عديدة للتوصل إلى معنى أكثر ملاءمة ، وقدم (رادلى) عبارة بديلة . وحتى الوقت الحاضر علينا أن نترك هذه العبارة كاحدى المشاكل العديدة فى السفر بدون حل لقد فقد أيوب كرامته ورباطة جأشه ، وهو يرقد محطماً تحت ضربات الله وكلمات الناس ، وهو يطلب العطف من الناس (٢١)[1] والعدل من الله ، ولكن كلاهما يطاردانه

(١) (مع أن) افضل من (لأن)

(٢٣ ــ ٢٧) هذه الفقرة من الفقرات التى تشتهر بالصعوبة ويتوقف الشىء الكثير على مدى فهم ما تدور حوله من تأكيد (ولبى حى) ، ولكن لسوء الحظ ، فهذه العبارة يعقبها عدة سطور غير واضحة حتى أن عدد الترجمات المقدمة كبير يثير الحيرة والارتباك[1] . ويجب ألا نذهب بعيداً فنغرق يقين أيوب من براءته الكاملة فى بحر صعوبات النص كما لا يجب أن نعيد قراءة الفقرة لادخال الكثير من لاهوت القيامة المتأخر كما فى الـ (AV) ، وبسبب الصعوبات العديدة التى فى الفقرة فالدارس الذى ينظر فقط إلى المشاكل العسيرة الحل قد يهمل الكثير مما هو واضح وقوى . فيستحسن أن نجد ارضاً ثابتة اولاً كموقع لاقدامنا حتى نجرؤ على اقتحام مواقع أقل يقيناً .

وبهذه الطريقة نلاحظ اولاً أن أيوب يعلق شرفه وكرامته على تبريره المستقبلى بتقديم سجل دائم مكتوب لاحتجاجه دليلاً على برائته (اعداد من ٣٥ ــ الخ) فهذا أكيد حتى وإن لم نكن نعرف إن كان سفره عبارة عن لفافة تطوى او لوح من الصلصال أو الحجر أو المعدن . لقد تم طرح كل تلك البدائل ولكن استخدام الفعل (نقر) (عدد ٢٤) يوحى بالنحت فى مادة تعمر طويلاً كأثر وهذا يجعل (النقر فى الصخر) (٢٤) جزءا من الصورة حتى وإن كنا لا نعرف أى فن قد استخدم (القلم الحديد والرصاص) .

ثانياً ــ هناك تأكيد هائل على (رؤية الله) وهذه النقطة يتم التنبير عليها ثلاث مرات فى عدد (٢٦ ــ الخ) ، وحتى هذه النقطة قد عبر أيوب عن حاجته ليسمع الله يتكلم . ولكن النظر أسرع وأكثر تجسيداً ويصعب الشك فيه (قارن ٤٢ : ٥) والاشارة (للجلد والجسد والعينين) توضح أن أيوب يتوقع أن يجتاز فى هذا الاختبار كانسان حى وليس كشبح بلا جسد أو برؤية ذهنية . وما يقوله لا يصح اهماله بحجة أن التعليم الكتابى يقول إنه ما من احد يستطيع أن يرى الله .

والعهد القديم يسجل عدة احداث مشهورة استطاع فيها أناس كابراهيم وموسى واشعياء أن يروا الله وموسى واشعياء أن يروا الله ، ولا شك أن أيوب

---

(١) قدم (رادلى) عينة من ١٢ ترجمة وتعديل مع مراجع لعدد اكبر فى محاضرته (سفر أيوب ومعناه) (المجلد ٦١ سنة ١٩٥٨ Btrl) والمعاد طبعه من « موسى فى مخطوطات قمران » .

كان يفكر فى مثل ذلك . وليؤكد اعتقاده بأن ذلك سوف يحدث وهو بكامل هيئته الجسديه يستخدم أيوب (أنا) ثلاث مرات فى عدد (٢٧ أ) (مرة فى الفعل ومرة كتأكيد الفاعل (الضمير) ومرة لتأكيد الضمير الغير مباشر) « الذى أراه أنا لنفسى وعيناى تنظران » AV

ثالثاً ـــ الاعداد من (٢٥ ـــ ٢٧) مرتبطة معاً برباط متين لدرجة لاتترك مجالاً للشك فى أن (الولى) هو الله والـ (NEB) تتميز بتأكيد تلك النقطة وبابراز التلميحات القوية . (فالولى) الذى (سوف يقوم) ليتكلم فى ساحة القضاء (كالشاهد) لايوب ومستشاره القانونى ليس سوى الله نفسه وحتى الآن فكل شيء على ما يرام ، ولكن فيما بعد ذلك لا نجد أن الارض صلبة بما فيه الكفاية . فالعبارة (وليس آخر) (٢٧) من الصعب أن تعنى فأن أيوب يتوقع أن يكون الشخص الوحيد الذى سوف يرى الله . فالكلمة تعنى (غريب) (RV) . فالعبارة إذن تعنى أنه إما أن أيوب سوف لا يكون أجنبياً بالنسبه لله أو أن الله سوف لا يكون بعد كغريب بالنسبة لأيوب .

وبعد أن نترك بعض النقاط الصغرى فأكبر موضوع عليه خلاف هو ما يعتقده أيوب بخصوص توقيت حدوث تلك الرؤية . فالبعض باستنادهم على نهاية القصة وبخاصة ما جاء فى (٤٢ : ٥) وبالاستناد على اعتقاد عام بأن رجاء القيامة الشخصيةغير موجود فى السفر يقولون بأن أيوب لا يزال يتوقع التبرير فى هذه الحياة برغم كل ما قاله عن موته الوشيك الوقوع . وآخرون بينما يصرحون بأن الفقرة لا توجد بها عبارة كاملة عن الإيمان بالقيامة الشخصية بالجسد ، يجدون هذا الإيمان فى رجاء الالتقاء بالله بعد الموت كإنسان حقيقى ، ونحن نعتقد أنه توجد عدة اسباب جيدة لقبول الرأى الثانى .

أدولها : أنه لا يوجد داع لأيوب لأن يودع شهادة مكتوبة إذا كان يتوقع أن يتبرر قبل موته .

وثانيها : أن الكلمة المترجمة (ارض) (٢٥) كما استخدمت فى السفر مرتبطة دائماً بالهاوية وعبارة أن وليى « حى » هى رد مباشر على حقيقة موت الانسان (١٤ : ١٠) وتكرار الكلمة (بعد ذلك) فى وضع بارز فى بداية عددى (٢٥ ب ، ٢٦ أ) يوحى بمرور فترة من الزمن . وحتى لو أن المعنى

(اخيراً » [1] فهذا يوحى بشىء يقع فى العالم الآخر .

واخيراً فالقول بان أيوب لا يتوقع قيامة شخصية كإنسان لأن هذه الفكرة دخلت اليهودية حوالى نهاية عصر الكتاب المقدس يمكن دحضه فى ضوء البحوث الحديثة التى تبدى الاهتمام بالحياة الأخرى كاهتمام قديم فى العقيدة الاسرائيلية . وبنوع خاص فإن نتيجة دراستنا لمثل تلك الفقرات (١٤ : ١٣ ـــ الخ) تبين أن رجاء القيامة موجود فى مركز دائرة إيمان أيوب واعتقاده .

(**٢٨ و ٢٩**) كلمات أيوب الختامية الموجهة للاصحاب تبدو كتحذير لهم بأنهم هم ايضاً يجب ان يواجهوا القضاء ولسوء الحظ فإن هذه الاعداد غير واضحة تماماً بما فيهما عدد (٢٧ ج) الذى يقول (كليتاى فى جوفى) .

---

(١) فى الانجليزية « واخيراً على الارض يقوم » وليس « الآخر » (المترجم)

٥ ــ صوفر (٢٠ : ١ ــ ٢٩)

إن تعليقات صوفر الافتتاحية (من ٢ ــ الخ) رد على تحذير أيوب الختامى الذى يعتبره إهانة . وبعد ذلك يقدم رأيه الخاص فى موضوع مصير الأشرار (٤ ــ ٢٩) . فسعادتهم قصيرة الأمد وخطاياهم مدمرة . والأصحاب الثلاثة يركزون على هذه الحقيقة التى لا تقبل المناقشة بالنسبة لهم فى الجولة الثانية وبعد أن رد عليهم أيوب فى اصحاح (١٢) قصر حديثه على الحقيقة المقابلة عن آلام وموت البار وهى مشكلة لا يستطيع الأصحاب أن يقولوا بشأنها شيئاً لأنها ، حسب اعتقادهم ، لن تحدث .

(٢ , ٣) إن الصفاء الفكرى الذى يدعيه صوفر قد ضاع منه وسط مرارة كلماته . وعبارته عن (هواجسه) (والروح) الذى يجيبه تعنى مقدرة على الحوار مع نفسه نستفيد نحن منها الآن .

والفرق بين كلمة (التوبيخ) (والسب) فى الـ RSV يشكل مشكلة طريفة[1] حيث ان التوبيخ شخصى وينتج خزياً خاصاً ولكن السب يسبب إهانة عامة . لقد أحس صوفر بأن الاذى لحقه من جراء الطريقة التى انتجتها أيوب فى الانتقاص من ادعائه (الحكمة) وبالتالى ادعاؤه « الفهم » .

لقد ثبت أن كلمة (خجل) فى الـ RV يجب أن تستبعد ليس فقط بسبب كتاب Klopfenstein ولكن ايضاً بسبب كلمة « لعنات » التى وردت فى مخطوطات قمران .

(٤) إن اضافة النفى (أما) له ما يبرره . فبالرغم من الادعاء بأنه يصل إلى الاشياء (بفهمه) (روح من فهمى يجيبنى) فإن صوفر يبنى تأكيده على معلومات عامة ودائمة مظهراً الدهشة لأن ايوب لا يعلم هذه الأشياء .

(٥ ــ ١١) أول ملحوظة يقولها صوفر هو أن فرح « الفاجر » قصير الأمد ولكن أيوب سبق بالقول إن حياة جميع البشر عابرة سواء كانوا أخياراً أم اشراراً . وبتجنبه المواجهة فى الرد فإن صوفر قد سلَّم أن الاختبار الحالى

---

(١) الترجمات الاحدث ليست متفقة حيث نفس الاصل فى ١٩ : ٣ والذى بلا شك سبب استخدام صوفر له هنا ، يستخدم كلمة (توبيخ) فى الـ RSV وكلمة (سب) فى الـ NEB

قد لا يكون فيه الرد النهائى ، وقد اقترب أكثر من موقف أيوب بأن الثقة فى عدالة الله ليست مبنيه على الملاحظة ولكنها موضوع إيمان ورجاء . وبالنسبه لأيوب فهذا الرجاء قد يتأجل لما بعد الموت .

ولكن من الواضح أن صوفر يعتقد أن العقاب سوف يكون سريعاً (عدد ٨) ومأساوياً (عدد ٦ ـــ الخ) وأن موت الفاجر سوف يكون قبل الأوان (عدد ١١) . وصورة الفقر المدقع فى (عدد ١٠) قد تتضمن فكرة العدالة فى قالب شعرى : « فبنوه » سوف يضطرون لمد يدهم إلى الفقراء الذين كانوا يشحذون من والدهم عبثاً (قارن طوبيت ٤ : ٧ ـــ ١٩)

(**١٢ـــ ١٨**) توجد واقعية اكيدة فى ملاحظات صوفر وهى ليست بلا أساس فى حقيقة الأمر . فاذا كان القضاء بطيئاً فهذا لأن الله يستخدم شر الانسان نفسه ليجلب سقوطه ، ويستخدم صورة حية اذ يقول إن الطعام اللذيذ الذى يتمتع الاغنياء بالتهامه يحوله الله إلى سم فى معدتهم .

والسبعة أسطر التى تكوّن هذه القصيدة لها تركيب مقلوب : أ ب ج د (عدد ١٥) جَ بَ أَ التى تعتبر سبب الملاحظات عن سم الثعابين قبل (١٤) وبعد (١٦) والذروة (عدد ١٥) الذى يرد فيه اسم الله .

وإذ أمامنا شعر من هذا النوع الخيالى لا حاجة بنا للبحث عن لدغة الثعبان كعقّاب مختلف عن التسمم الغذائى (وهى صورة خيالية أيضاً) ولا داع لأن نشغل أنفسنا بالمشاكل العلمية التى تقول بأن الافاعى لا تلدغ بألسنتها .

(**١٩**) الدارسون غير واثقين من حدود هذا البيت الشعرى . ويعكس صوفر اعتقاداً اسرائيلياً شائعاً فى التنبير على أن تجاهل الفقراء اكبر خطأ يرتكبه الاغنياء .

وحيث أن عدد (١٩) يقابل عدد (١٠) فى هذا الصدد ، فالتركيب المقلوب للاعداد من (١٠ ـــ ١٩) يكتمل إذا طابق عدد (١١) عدد (١٨ ب) الذى يرد فيه سطران من الشعر فى الـ RSV يؤكدان أن الشخص الشرير لا يعيش طويلاً حتى يتمتع بمكاسبه الاجرامية أو ليبنى بيتاً على الارض التى اغتصبها[1] .

---

(١) الدليل على أن (البيت) فى عدد (١٩) يعنى (أرضاً) وليس (بناء) يتطلب جدلاً فنياً لا مكان له فى هذا الشرح .

(٢٠ ــ ٢٢) يجد بعض الكتَّاب فجوة فى هذه النقطة . فهذه الاعداد ليست واضحة كبقية القصيدة ؛ وبمقارنة الترجمات الحديثة سوف يتضح الاختلاف الكبير بين ما تم التوصل إليه . وعدد (٢٢) فى الـ (RSV) يبدو أنه يناقض نفسه لأنه (كيف يتضايق فى ملء رغده) ؟

تقترح الـ (NEB) أنه سوف يجتاز انقلاباً مفاجئاً فى الثروة فى نفس اللحظة التى يبدو أنه وصل فيها إلى قمة النجاح . وآخرون يقولون إنه عندما يصل لدرجة العوز فإن ألمه سوف يكون عظيماً لأنه معتاد على اشباع شراهته . ولكن الموت وليس الفقر يبدو هو النهاية والفقر لبنيه (عدد ١٠)

(٢٣ ــ ٢٨) تبدو تلك الاعداد قصيدة منفصلة ، وصيغ الأفعال تعبر عن التمنى كما لو كان صوفر يدعو أن ينزل غضب الله على الأشرار أى أنه يستنزل اللعنات عليهم كما فى (٥ : ٣) . وفى إشارته للعديد من الاسلحة نجد أصداء مؤلمة فى وصف أيوب للهجوم القاسى الواقع عليه من الله (اصحاحات ١٦ و ١٩) . ونحن نقترح الترجمة التالية : « دعه يفر من سلاح من الحديد . ليخرقه قوس نحاس ، ليخرقه من الوسط ويخرج من الخلف ، لتخترق النبال مرارته من الوسط » وهكذا ومع أن عدد (٢٦) يعود للصور المألوفة عن الظلام رمز الكارثة والخوف والنار ورسول الدمار مثل الحريق الكونى الذى يتحدث عنه عاموس فى (٧ : ٢٤) إلا أن الصورة ليست واضحة تماماً . ومرة أخرى تستخدم الكلمة (خيمة) لتتضمن كل ممتلكات الانسان .

فى (١٦ : ١٨ ــ الخ) التجأ أيوب إلى الأرض والسماء لتأييد دعواه ، وهنا فى عدد (٢٧) يرد صوفر هذه الكلمات على أيوب ولكن الأسلوب تقليدى ، ولا داعى لأن تكون هناك صلة بين الحديثين . وأهم شىء فى الموضوع فكرة المحاكمة العلنية ويوم حاسم (لحمو غضب الله) وحيث أن اسم الله الذى استخدمه صوفر مرات قليلة قد استخدم مرتين فى عدد (٢٩) فمن الصواب استخدامه فى عدد (٢٨) [1] .

(٢٩) توجد عدة احاديث فى سفر أيوب نجد تلخيصاً لها بهذه الطريقة

---

(١) فى عدد (٢٨) استخدم الضمير الذى يعود على اسم الله « يوم غضبه » (المترجم)

على شكل سطر مزدوج . قارن (١٨ : ٢١ ، ٢٨ : ٢٨) .

وتجدر الاشارة إلى أنه كدليل على ضيق أفق معتقدات صوفر أن حديثه لا يحوى أى تنويه إلى أن الاشرار قد يتوبون ويرجعون ويستعيدون رضا الله . فصوفر لا يرحم وإلهه غير رحيم . وعلى النقيض نجد أليفاز أكثر إنسانية ويقوم بالجانب الرعوى فى خدمته . أما صوفر فهو مادى فى أعماقه كالرجل الشرير الذى يستذنبه ، وهو يرى أن زوال الممتلكات (عدد ٢٨) من عقاب يوم الدينونة . وهو لا يعتبر أن خسارة الشركه مع الله فى هذه الحياة أو فى الحياة الأخرى أسوأ من خسارة الممتلكات . ومع ذلك فخسارة الشركة مع الله بالذات هو الشيء الذى يثير رعب أيوب وهذه الحاجة إلى الله هى مبعث أشواقه وحنينه .

٦ ــ ايوب (٢١ : ١ ــ ٣٤)

هذا حديث غير معتاد بالنسبة لأيوب لعدة اسباب .

أولاً ــ فهو الحديث الوحيد الذى يقصر فيه ملاحظاته على اصدقائه ولا يلجأ لمناجاة النفس أو للصلاة . لقد حان الوقت لهدم حصون آرائهم .

ثانياً ــ بقيام أيوب بهذا الهجوم المضاد يستعرض العديد من المناقشات السابقة حتى يستخرج الكثير من المعانى المضادة لما قيل من قبل . وهى تصلح كمرشد ثمين لتفسير السفر عند اكتشافها .

ثالثاً ــ باقتباس أيوب لكلمات أصحابه والرد عليها يتحول الحوار إلى ما يشبه المناظرة ، وبينما لا تزال كلماته تنم عن الأنفعال إلا أنها تحوى من السباب أقل مما تحويه كلماتهم .

وفى أحد المواضع (عدد ٢٨) نجد أيوب يعبد السؤال الذى سأله واحد من اصدقائه بوضوح ، ولكن السؤال المنسوب لهم غير موجود على هذه الصيغة فى أى من أحاديثهم[1]

وقد أشار كل من بلدد (٨ : ٢٢) وأليفاز (١٥ : ٣٤) وصوفر (٢٠ : ٢٦) بطريقة أو بأخرى إلى (خيمة) الأشرار التى يخربها غضب الله .

تلك إذن هى النقطة التى يشير إليها أيوب دون اقتباس النص حرفياً ، إنه يقتبس بحرية ولكن بإنصاف . وهذا يقود إلى السؤال التالى : فعندما نجد أيوب يقول أشياء يبدو أنها ضد ما يؤمن به وتبدو مشابهة لما يقوله الأصدقاء أو مما يمكن أن يقولوه فهل يجب أن نقر بأن تلك التعليقات هى اقتباسات أخرى من نفس النوع حتى وإن لم يذكر أيوب بأنها كذلك ؟

إن معظم الدارسين مقتنعون أن عدد (١٩ أ) اقتباس آخر ويضيف المترجمون عبارة (أنت تقول) الغير موجودة فى العبرية ، ويجد (جوردس Cordis) نفس الشيء فى عددى ٢٢ و ٣٠ (صفحة ٢٦٧) وقد يكون على

---

(١) الكلمة النادرة (أمير) قد استخدمها أيوب فعلاً فى (١٢ : ٢١) وهذه الكلمة هى (شرفاء) فى العربية (المترجم)

حق فى ذلك .

(٢ — ٦) يغضب أيوب، من عدم تعاطف اصحابه معه ، ونجد الرد المناسب على ذلك بأن يتعجب (عدد ٥) وأن يصمت (٥ب) كما صمتوا هم أولاً (٢ : ١٣) ، فإن تسمعوا فقط (٢ أ) ففى هذا تعزيتكم (٢ ب) أى (التعزية التى تقدمونها لى) (NEB) . وهم لم يفهموا السبب الحقيقى (لرعدته) (٦) ومع أن عدد (٤ أ) ليس واضحاً كله [١] فهو يبدو أنه يوحى بأن الله وليس الإنسان سبب المتاعب ولكن الأصحاب يقتربون من المشكلة على أساس أن الله هو سبب متاعب أيوب ، وقد جرؤ صوفر على القول بأن « الله يغرمك بأقل من اثمك » (١١ : ٦) . ربما يريد أيوب أن يقول إنه حتى وإن استطاع الأصحاب أن يحملوا إليه بعض التعزية فإن ذلك لن يفى بحاجته ، وطلبه عطف الأصدقاء عليه (٩ : ٢١) يعتبره صوفر إهانة[٢] ، وفى الختام يقول أيوب (٢١ : ٣٤) إن كلماتهم فارغة وزائفة ويمكنهم أن يستمروا فى (الاستهزاء) اذا أرادوا (٣ ب) لأن هذه هى تعزيتهم[٣]

(٧ — ١٦) إن الفكرة التى يدور حولها الاصحاب أن الخطية تجلب الألم ، فاستنتاجهم بأن الألم يبرهن على وجود الخطية ، وأيوب ينكر الاثنين . فتصويره الجذاب لحياة الشرير الخالية من الهموم تشبه صورة الرجل الصالح التى رسمها أليفاز من قبل (٥ : ١٧ — ٢٧)

(٧) لقد أكد صوفر لتوه أن الشرير يموت قبل الأوان (٢٠ : ١١) ولكن أيوب يقول العكس : إنهم أى الاشرار يصلون لسن متقدمة وصحتهم طيبة . والكلمة العبرية المترجمة (قوة) قد تشير لكل من الصحة الجسدية والكفاءة فى الادارة والرخاء المادى . وفى التركيب المقلوب للقصيدة فإن عدد

---

(١) إن كلمة (شكوى) يقابلها كلمة (إنكار) فى الـ (NEB) والتى تعتبر ترجمة اكثر دقة لأن كلمة (Sih) تشير للثورة الداخلية .

(٢) (توبيخ) فى اللغة العربية (المترجم)

(٣) إن الفعل (Hiphil) يشير لأعلى درجات السخرية والترجمة لا تبرز الانتقال من صيغة الجمع (يحملون) إلى صيغة المفرد (يستهزىء) كما لو كان صوفر وحده هو المستهزىء ولسوء الحظ فإن مخطوطات قمران تفشل عندما كان المفروض أن نعرف منها كيفية قراءة هذه الكلمة .

(٧) يقابله عدد (١٣) حيث « يقضون أيامهم » تعنى يكملون مدة حياتهم (يشيخون) .

(٨) لقد أكد بلدد من قبل بأن الشرير يموت بلا بنين كما يبدو أنه قد حدث لأيوب (١٨ : ١٩) . ويعترض أيوب على ذلك ، فللأشرار عائلات كبيرة وسعيدة كأى أناس آخرين . ثم أنه بقلب السطور نجد وصف الأطفال المرحين (اربع كلمات عبرية مختلفة) فى عددى (٨ و ١١) وسط الاشارة إلى حيوانات الحقل (عدد ١٠)

(٩) أكد أليفاز أن (خيمة) أيوب يمكن أن تكون آمنة (٥ : ٢٤) ولكن أيوب ينكر ذلك .

وكلمة (بيوت) قد تعنى العائلات أو الاراضى (وعصا الله) التى يشعر بها أيوب (٩ : ٣٤) ليست عليهم .

(١٠) لا يبدو أن للاصحاب (ثيران تلقح) أو (بقر ينتج) كما قيل فى وصف عطايا الله لمحبيه بينما نصيب الاشرار قطيع (لا ينتج ويسقط) ، ولكن الفكرة شائعة (تثنية ٢٨ : ٤ و ١٨) والناس الذين إلههم هو الرب لهم الوعد بقطيع ذات احجام كبيرة وبقر منتج (مزمور ١٤٤ : ١٢ — ١٥) ولكن أيوب يرى الاشرار — وليس الابرار — فى هذه الحالة السعيدة . والكلام فى الأصل فى صيغة المفرد (ثوره) (وبقرته) ولكن فى معظم الطبعات بما فيها مخطوطات تل قمران نجدها فى صيغة الجمع . ويفسر (دورم) القول بأن الضمائر المفردة تتصل بالأسماء المفردة . ولكننا لانعوّل على ذلك طالما أنها اسماء جماعية .

وحيث أن التركيب العكسى للاعداد من (٧ — ١٣) يبين أنها وحدة مستقلة فالسؤال المبدئى (لماذا ؟) يجب أن يطبق على كل حالة على حدة . وأيوب لا يعتبر الحقائق قابلة للمناقشة ، إنه فقط يبحث عن السبب .

(١٤ و ١٥) إن الاشرار يستمتعون بكل ذلك بينما هم يمارسون كل نجاساتهم ، وهم لا يريدون شيئاً من الله . وفى رأيهم حسب خبرتهم أن الصلاة مضيعة للوقت .

(١٦) معنى هذا العدد غير واضح ، ومكانه فى هذا الحديث غير أكيد .

والترجمة العربية تبدأ فقرة جديدة هنا ولكن الـ RSV تربط عدد (١٦) بالفقرة السابقة . وتضيف الـ RSV عبارة (انت تقول) جاعلة العدد اقتباساً ينسبه أيوب لاصدقائه ، وهو بشبه ما قاله أيوب فى (١٢ : ٦) بمعنى أن الأشرار يجعلون من (يدهم) إلهاً لهم . ولكن هذا التعبير قد يكون جزءاً من تعبير الشخص الفاجر وسخريته . ويضمه (جوردس) للاعداد من (١٤ — الخ) أن عدد (١٦ ب) يبدو كتنصل من جانب أيوب من مشورة الأشرار أو كدعاء مرتجف لقارىء تقى[1] . ولكن لماذا يجب أن يكون موضعه هنا ؟ فهذا غير واضح . فى (١٠ : ٣) يتهم أيوب الله بأنه « يشرق على مشورة الأشرار »

(**١٧ — ٢٢**) عندما يقول الاصحاب إن الأشرار لا ينجحون يرد أيوب « ولكنهم ينجحون » فيجيب الأصحاب « ولكن إلى لحظة » (٢٠ : ٥) فيرد أيوب « حتى متى »[2] لقد قال بلدد « نور الأشرار ينطفىء » (١٨ : ٥) ، وقال المرنم إن الاشرار كالعصافة التى تذريها الريح (مزمور ١ : ٤) فتساءل أيوب (حتى متى) ، ولو تأخر العقاب يمكن للأصدقاء أن يتراجعوا خطوة إلى الوراء ويقولون إن الأبناء سوف يدفعون ثمن خطايا آبائهم (٥ : ٤ ، ٢٠ : ١٠)

ويعتبر أيوب ذلك فظيعاً ، فهذا يشجع على الفساد . إذ يقول الآباء « نحن نخطىء ، وابناؤنا سوف يدفعون الثمن » .

ويتساءل أيوب بغيظ « وماذا يهمهم »[3] ، إن تلك النظرية التى يروجها الاصدقاء تقول بأن الله « يخزن اثمه لبنيه » (١٩ أ) ، وذلك تهرب مغيظ وعاجز عن ابراز عدالة الله (عدد ٢٢)[4] ، فالعدالة تأخذ فقط مجراها عندما يختبر الأشرار بأنفسهم (هلاكهم) كعقاب لهم .

---

(١) بحسب الـ (TEV) « ولكننى لا يمكن أن اقبل طريقة تفكيرهم »

(٢) يقابلها فى العربية « كم ينطفىء سراج الأشرار » (المترجم)

(٣) هكذا ورد فى الانجليزية « فماذا يهمهم من أمر بيوتهم من بعدهم » ولكن فى الطبعة العربية « فما هى مسرته فى بيته بعده » (المترجم)

(٤) هذا مجرد تخمين وليس واضحاً المكان المناسب لعدد (٢٢) . يعتقد (جوردس) أنه إقتباس لسؤال سأله احد الاصحاب لأيوب ليضعوا حداً لاستفساراته .

(**٢٣ ــ ٢٦**) يريد أن يقول أيوب إن الأخيار لا يعانون دائماً بينما الأشرار مطمئنون دائماً ساكنون ، فالتعميم لا يصلح تماماً كما يقول أصحابه بأن الأبرار دائماً ينجحون والأشرار دائماً يفشلون . فالحياة أكثر تعقيداً من ذلك وهى لا تفصح عن أسرارها ، والموت هو القول الفصل وهو يقول نفس الشيء لكل واحد .

عند هذه المرحلة تقترب ملاحظات أيوب من أراء الجامعه (جا ٢ : ١٤ ــ الخ) الخ .

ويلخص (رادلى) الموضوع تلخيصاً جيداً بقوله : « فى الحياة لا فوارق اخلاقية تفسر الفروق فى حظ كل من الأخيار والاشرار فى توزيع الثروة وفى الموت لا تفسير للمصير المشترك الذى يجمع بين الاثنين » .

(**٢٧ و ٢٨**) يكتشف أيوب أن تفكير أصحابه يدل على عدم إخلاصهم له وذلك لا ينبع إلا من الحقد[١] ومع أنهم نادراً ما جاهروا بآثامهم إلا أن منطقهم واضح : فالأشرار يعانون وأيوب يعانى . إذن فهو شرير .

(**٢٩**) لقد صرح صوفر بأنه التجأ للمعلومات العامة

(**٢٠ : ٤**) ويرد أيوب هنا أنه لم يستطع التنقل كثيراً ولكن أى مسافر يمكن أن يخبره أن الامور تسير على عكس ما يقوله .

(**٣٠ ــ ٣٣**) عدد ٣١ صعب ولكن فى الترجمة العربية بتقديم السؤال (مَن) كسؤال اجابته بالنفى (مَن يعلن طريقه لوجهه) والاجابة (لا أحد) من المحتمل أن تكون قد اجابت الاجابة الصحيحة وهناك العديد من الأمثلة الأخرى على ذلك فى العهد القديم) .

فالأشرار لا يتعرضون للمواجهة (٣١ أ) ولا يجازون على ما عملوا (٣١ ب) ، بل على النقيض فهم (ينقذون) فى يوم البوار (وينجدون) فى يوم السخط[٢] وهذا يبدو كعمل من أعمال الله ، وبقية القصيدة تبين

---

(١) فى مخطوطات قمران يبدو أن أيوب يؤكد ما ورد فى الـ RSV من أن اصحابه متآمرون عليه وليس أنهم استخدموا معه العنف المادى .

(٢) هذا العدد (٣٠) فى العربية يقول إن الشرير يمسك ليوم السخط ويقاد ليوم الدينونة بخلاف الانجليزية التى تقصد أن الشرير يُنقذ فى يوم السخط وينجد فى يوم الغضب . (المترجم)

أن الجمهور يحبون تملق الأغنياء (٣٢ ـــ الخ) مغمضين عيونهم على جرائمهم فالشرير تنتهى حياته نهاية مزدهرة فلا يموت موتاً شائناً بلا ذكرى (بلدد فى إصحاح ١٨ وصوفر فى إصحاح ٢٠) بل يقام له مأتم فاخر تحضره جماهير عديدة من البشر ، وله قبر فخم تحوطه كل هالات التكريم والاحترام

٣٤ إن ما يقدم لأيوب (تعزية باطلة) وهى الكلمة المحببة للجامعه (باطل)[1] أو عبث بكل ما هو انسانى .

---

(١) (شيء فارغ) فى الانجليزية المترجم

د ـ الجولة الثالثة من المحادثات (٢٢ : ١ ـ ٢٦ : ١٤)

لقد قلنا من قبل إن الحوار لا يتقدم تقدماً ثابتاً ملحوظاً ، فهناك قدر كبير من التكرار وترديد لما سبق وأحياناً نجد تأخيراً فقبل أن يقول أحدهم عبارة يشغله شخص آخر ، ومع ذلك فهناك شيء أكيد يمكن تتبعه . ففي الجولة الأولى يقنع الأصحاب بالكلام عامة دون المجازفة بتوجيه تعاليمهم لأيوب علانية ، وفي الجولة الثانية فالموضوع الرئيس هو مصير الأشرار ويأتي رأى أيوب ليعلن بصراحة معارضته لرأى اصحابه وهنا تأخذ علاقتهم فى التدهور ويصبح هناك شيئاً من القدح والذم بينهم ، والإشارة لتشبيه حالة أيوب بمصير الاشرار والاستنتاج بأنه لابد أن يكون خاطئاً ، قد قيلت على استحياء أولا ، والآن قيلت علانية وهنا تصبح القطيعة بينه وبين الأصحاب كاملة ، وما دام الأمر قد وصل إلى هذا الحد فلا يمكن أن يتواصل بينهم الحوار وتقف المناقشة عند هذا الحد .

فمن وجهة نظر الأصحاب أن عناد أيوب ليس له ما يبرره ، وفكرة معاناة الرجل الصالح لا تستسيغها عقولهم لأنها قد تقضى على عقيدتهم أو كما قال أليفاز من قبل « إنها تناقض التقوى » (١٥ : ٤) . والقارىء الذى يعرف ما يحدث حقا يفهم أن أيوب لا هو بالعنيد ولا بالمغرور . فهو أمين ومتماسك وروحه لا تزال تثق فى إيمانها بالله من أعماق جسده المريض وعقله المترنح حتى وإن كانت صرخاته تبدو غريبة على اصحابه .

١ ـ أليفاز (٢٢ : ١ ـ ٣٠)

إن أليفاز رجل صالح فلا اثر لحقد فى كلماته ، والسخرية التى فى حديثه الأخير سببها فشله فى أن يرى مشكلة أيوب بعينى أيوب أو أن يحس بها كما يحس بها أيوب . فما ذنبه إن كان يعتقد أن أيوب مخدوع ؟ إنه يبذل كل ما فى وسعه ويتكلم جيداً ، ويبذل محاولة جبارة لكى يواجه أيوب بخطيته (اعداد من ٢ ـ ١١) ويتحدث عن عظمة الله (١٢ ـ ٢٠) ثم يبذل محاولة أخيرة مع أيوب حتى يتوب (٢١ ـ ٣٠)

(٢ ـ ٤) يعتقد أليفاز أن ايوب يتهم الله باللامبالاة الأدبية بسلوك الأشرار قائلاً (كيف يعلم الله) عدد (١٣) ، وهذا الاقتباس المزعوم لم يرد فى أى من كلمات أيوب الغير مباشرة ، فما من مرة تساءل أيوب عن

معرفة الله ، ولكن يبدو لاليفاز أن أيوب يشعر بأن الله لا يبالى . والفكرة تصدم أليفاز وينزعج حقاً لما يمكن أن يكون قد حدث لإنسان ما من الناحية الروحية بسبب قوله هذا الكلام . وهنا دليل على عدم تقوى أيوب إن عز الدليل من قبل . فالله ليس متبلد (بدءا من عدد (٢) رد متأخر على ما جاء فى ٧ : ٢٠) بل سريع المحاكمة (٤) ، وهو لا يمكن ، حسب اعتقاد أليفاز الراسخ ، أن يوبخ أيوب على (خوفه من الله) أى على (تقواه) الشهيرة . (١ : ١ NEB) . ونحن نعلم ، فى الحقيقه ، أن ذلك بالضبط هو سبب معاناة أيوب . ولكن أليفاز وهو يرد على تجديف أيوب بأن الله غير مبال بالشر البشرى قد وقع فى تجديف خاص به بأن الله غير مبال بالفضائل البشرية (٢) ، ونحن نعلم ايضاً أن بر أيوب كان موضوع مسرة الله .

(٥ ــ ١١) أليفاز الآن يصم أيوب علانية بأنه خاطىء بأكثر جرأة مما فعل أى شخص آخر ، ويتهمه بالشر المفرط ، وقائمة الجرائم المدونة فى الأعداد من (٦ ــ ٩) توضح كل شيء ، فلا جريمة منها تتعلق بالعقيدة بشكل رسمى . فلا تهمة موجهة لأيوب بأنه مقصر فى أداء واجباته نحو الله ، ولا تثريب عليه بارتكاب أى خطأ . إلى هذا الحد لا يستطيع أليفاز أن يجد أى نقص فى سلوك أيوب . وبدلاً من ذلك فهو يقيس صلاح الانسان على أساس معاملته لاخوته من البشر والأفعال التى يصفها أليفاز لا تتسم بأى التزام شرعى أو أدبى . وفى هذه أيضاً لم يقصر أيوب ابداً . فاستجابة لمطاليب البر فى أسمى صورة على الانسان أن يعامل المحتاجين بروح انسانية لا بدافع الواجب بل بدافع العطف والرحمة . فالمعدمون كان يتم حمايتهم ضد الاستغلال والاهمال (٦) بناء على ما جاء فى سفر الخروج (٢٢ : ٢٦ ــ الخ) وسفر التثنية (٢٤ : ١٠ ــ الخ) ، وينكر أيوب أى تقصير بهذا الخصوص (٣١ : ١٩) ، ويجب أيضاً إغاثة الجوعى والعطاش (٧) ويصر أيوب على أنه قد فعل ذلك (٣١ : ١٧) والمرأة أو الطفل الذى يترك دون حماية رجل (العبارة تشمل على ما هو أكثر من الارملة واليتيم) (٩) فهناك توصية على كل اسرائيلى أن يمد إليهما يد العون والمساعدة وبخاصة من جانب الحكام (تثنية ١٠ : ١٨ ، ١٤ : ٢٩ ــ الخ) واهمالهما تدينه الشرائع فى العهد القديم مراراً وتكراراً وتصفه بأنه اسوأ شر اجتماعى (خروج ٢٢ : ٢٢ ، تثنية ٢٧ : ١٩ ــ الخ) وهنا ايضاً تبرأ ساحة أيوب (٣١ : ١٦ ــ الخ)

(٨) استبعد بعض المعلقين هذا العدد لأنه يقطع تسلسل الكلام وهو فى ضمير الغائب . ولكن كما رأينا كثيراً من قبل ، فهذه العبارة الأشمل متضمنة فى البنود الخاصة التى حولها وتلخصها ، والاساءة الشائعة نحو الفقراء (٦) والجوعى (٧) والذين بلاحماية (٩) هى اساءة استخدام قوة المرء باغتصاب واحتلال ارض عائلاتهم[١] وهذا ايضاً ما لم يرتكبه أيوب (٣١ : ٣٨ — ٤٠) .

(١٠ و ١١) والخطايا التى ينسبها أليفاز لأيوب توضح لماذا امسكت الشباك التى تكلم عنها بلدد فى (١٨ : ٨) بتلابيب أيوب ، والصور التى استخدمت من قبل عن (الظلمة وفيض المياه) تنطبق أيضاً على أيوب لأنها تعد من أفضل الأمثلة على قضاء الله مع أنها لا تصل لمرتبة الاحداث المذكورة فى اصحاح (١ ، ٢)

(١٢ — ٢٠) لا اعتراض على أن الله عظيم ولكن الترجمة العربية (علو السموات) ولا الـ NEB (فى اقصى السموات) ولا أى ترجمة اخرى نسبت (الطول) للرب وليس للسماء ، فهو أعلى من السماوات وحرف التفضيل غالباً ما يحذف فى الاسلوب الشعرى ، وهذا يتفق مع العبارة الأخرى بأن (الله يتمشى على دائرة السموات) (١٤) ، وهذا يبعد الله عن العالم . يقول أليفاز إن أيوب يعتقد أن الله (لا يرى من خلال الظلمة الكثيفة والسحب المتراكمة) وبذلك يجعل أيوب فى موقف خاطىء لأن أيوب قد اشتكى من أنه تحت المراقبة الدقيقة الدائمة من الله دون أن يكون هو نفسه قادراً على رؤية الله .

(١٥ و ١٦) هذا الوصف للاشرار يناسب الجنس البشرى قبل الطوفان ولكنه يمكن أن ينطبق على أى عصر والاشارة إلى (الغمر) (كلمة غير مستخدمة فى قصص الطوفان) قد اتخذت كتشبيه فى الـ NEB وبعض الترجمات الأخرى .

وحيث أن الفعل المترجم (قبض عليهم)[٢] والموجود فقط فى سفر

---

(١) إن فظاعة هذه الجريمة يوضحها ما جاء فى (ملوك الأول ٢١)

(٢) (انتزعوا) فى الانجليزية (المترجم)

أيوب ، قد ذكر فى مخطوطات قمران « ماتوا » هكذا ببساطة ، فإننا نشك أنها كلمة آرامية كما زعم البعض من قبل .

(٢٠) بينما الاشارة إلى (النار) تأخذنا إلى الوراء إلى سفر التكوين (الاصحاح ١٩) (فهذا يقوى الشك بأن عدد ١٦ يشير إلى الطوفان) فهى لا تعدو أن تكون إشارة عامة لأحد الوسائل التقليدية للتدمير التى استخدمها الله (أيوب ٢٠ : ٢٦) وإن كان يمكن جمع عددى ١٦ ، ٢٠ معاً عن طريق الرجوع بأبيات الشعر إلى الوراء ، فالكلمة (قائلاً) الموجودة فى الـ RSV والغير موجودة فى الـ MT قد لا تكون ضرورية[1]

وفى الاعداد من (١٧ ــ الخ) يتكلم أليفاز عما قاله أيوب من قبل فى (٢١ : ١٤ ــ ١٦) ولكن بطريقة غير واضحة القصد . والانطباع العام هو كما يأتى . فالاشرار الذين يتكلم عنهم أيوب هناك ينالون عقاباً بالماء هنا (عدد ١٦) والنار (عدد ٢٠) . وربما يكون عدد (١٨) عبارة عن اقتباس من أليفاز لكلمات أيوب بقصد الرد عليها . والعقاب الذى ينكر أيوب أنه يكون من نصيب الأشرار يراه الأبرار هنا ويفرحون . وفى مزمور (٢ : ٤) نرى الرب بالمثل يستهزىء بالاشرار .

(**٢١ ــ ٢٨**) ليس هناك شك فى جدية كلمات أليفاز الختامية فهو رابح نفوس مجد يبذل كل فى وسعه وما يقوله عن الله صحيح . ودفء كلماته تعد تحسنا فى طريقته وقد حلت محل قسوته السابقة . فبالرغم مما قاله تواً عن دينونة الله المريعة والارتياح الذى يجلبه ذلك للابرار ، فإن أليفاز (بخلاف صوفر الذى لا تلين له قناة) واضح أنه يفضل رحمة الله التى سوف تقبل كل خاطىء تائب بسعة ، ومن المبهج أن عبارته الختامية تدعو أيوب دعوة قلبية فيها نداء تبشيرى . والخطأ الوحيد فى مناشدة أليفاز هو أن هذه الدعوة التى وجهها لأيوب غير مناسبة لحالته .

(**٢١ و ٢٢**) إن المعنى الحقيقى لنصيحة أليفاز الأولية « تعرف بالله[2] » غير معروف وهناك عدة اقتراحات ولكن المضمون واضح . فأيوب

---

(١) الكلمة (قائلاً) غير موجودة فى العربية فى عدد ٢٠ (المترجم)

(٢) فى الانجليزية « اتفق مع الله » (المترجم)

سوف يجدد (السلام) (والخير) بقبول « التعليم »[1] من فم الله . وهناك رأى شائع للمعلقين بأن أليفاز هنا يوحى بأنه إنما يتكلم من وحى الله (أنظر ادعائه بالاعلان الإلهى فى حديثه الأول ٤ : ١٢ ـــ الخ) ولكن الأكثر احتمالاً أنه يردد صدى رغبة بلدد بأن أيوب يجب أن (يبكر إلى الله) (٨ : ٥) ، وتوقعات صوفر بأن (يتكلم الله) معه (١١ : ٥) ، وما يجعل ذلك امراً سخيفاً زعمهم بأن ذلك أمر سهل التنفيذ وافتراضهم المسبق أنهم يعرفون النتيجة مقدماً . والله يتكلم فى النهاية ولكن ما يقوله مفاجأة للجميع بما فيهم القراء المحدثين .

(**٢٣ ـــ ٢٥**) هذه هى الشروط التى يجب على أيوب أن يستوفيها . فعدد (٢٣) وصف تقليدى للتوبة بعبارات عامة . وعدد ٢٤ ، ٢٥ تكثر فيهما الصعوبات بالرغم من اجتهاد الكثير من الدارسين ، إلا أنهم لم يتوصلوا للحل . إلا أن الـ RSV من المحتمل أن تكون قريبة من الحقيقة إن جعل العددين معاً وجعل (إن) الشرطية لعدد (٢٣) تشمل الاعداد الثلاثة[2] ويذكر (الذهب) فقط لجذب انتباه أيوب ، فإن أليفاز يشير لأن الثروة هى سبب سقوطه وأنه لكى يستعيد علاقته بالله فعلى أيوب أن ينبذ الثروة ويجعل الله فقط كنزه . وبعض المعلقين اعتبروا هذه الفكرة روحية جداً لدرجة يصعب قبولها وأن الحكمة أفضل من الثروة فى (أمثال ٣) ويكفى مثال واحد . (اوفير) هو المصدر الأسطورى لأفضل أنواع الذهب ومكانها غير معروف (انظر التكوين ١٠ : ٢٩) ولا داع لاضافة كلمة (ذهب) فى عدد (٢٤ ب ، حيث أن وجودها فى عدد (٢٤ أ) كاف لتكملة العبارة .

(**٢٧ و ٢٨**) يردد أليفاز الوعود الموجودة فى عدة اجزاء من الكتاب المقدس فى نبوته عن النتائج السعيدة للمصالحة مع الله . ومن دلائل روحانيته أنه بينما فى (٥ : ١٧ ـــ ٢٦) يؤكد على الميزات المادية للتدين فإنه هنا ينبر على أن العلاقة الجيدة مع الله والنجاح فى الصلاة ذات أهمية قصوى . وبينما

---

(١) هنا المكان الوحيد فى السفر الذى تستخدم فيه كلمة (Torah) (توراة) . إن اصطلاح الشريعة الموسوية يغيب عن السفر ككل بصورة تدعو إلى الدهشة

(٢) بعض المعلقين يجعل العدد (٢٣) الشرط الوحيد وبذلك تكون الاعداد من (٢٤ ـــ ٢٨) وصفاً للنتائج السعيدة للتائب والـ NEB تبدأ فى وصف النتيجة بدءاً من عدد ٢٥ .

يكون من المؤلم أن تتذكر أن أيوب قد سبق واعتبر هذه الاشياء من قيمه العليا إلا أن السخرية سوف تكتمل فصولها فى النهاية عندما يصبح أليفاز هو المنتفع الرئيسى بقوة أيوب كوسيط (٤٢ : ٨) .

(**٢٩و ٣٠**) يلجأ أليفاز لبعض الأمور المألوفة فى تعليم الحكمة لينهى بها حديثه أو هى تبدو هكذا على الأقل . والنص العبرى ملىء بالاشواك والـ (AV) لمحاولة ترجمة هذا الجزء بأمانة تبدو غير مفهومة وتختلف الآراء باختلاف المعلقين . فاذا كانت الـ RSV على صواب بقولها إن الله (ينجى البرىء) يكون أليفاز قد نسخ دعوته للتوبة (عدد ٢٣) وعاد للتعاليم العقيمة بأن الخلاص للابرار فقط[1] وقد أحسن (بوب (Pope) بقوله « واحد غير برىء » (هامش الـ NEB) ولكنه متفق مع (جوردس) بأن هذ الشخص المذنب ليس أيوب نفسه ولكنه شخص خلص بطهارة أيوب وهذا بالطبع ما يحدث نهائياً فى اصحاح ٤٢ ، وقد سبق أن أشرنا إلى تلك المفارقة الغريبة أن أليفاز نفسه هو الذى يقف مديناً لأيوب لأجل وساطته مع الله . ولكن من سياق الحديث الحالى يتضح أن أليفاز يعامل أيوب كخاطىء (٥ — ١١) وأنه فى الظلام (١١) وأن معه العلاج الذى سوف يأتى به إلى النور (٢٨) .

كل ذلك سوف يضيع لو جمد أليفاز موقفه ليصبح على شاكلة صوفر (اصحاح ٢٠) من الثواب للأخيار والألم للأشرار ، وأنه لا متاعب للاخيار ولا راحة للاشرار وأنه حسبما يبدو لا أمل لشخص طالح أن يصبح صالحاً .

إن أليفاز كارز أكثر من الآخرين وكلماته يمكن أن تصبح أخباراً سارة لأى واحد يعانى من ضمير معذب ، ولو أن أليفاز لم يكن قد أساء الحكم على أيوب (٢٢ : ٥) لكان إعلانه بالخلاص عن طريق الغفران للتائبين أجمل كلمة قالها أى من الاصحاب .

فهذه الكلمات تحتوى على حقيقة ثمينة لا يمكن إنكارها ، فإذا لم يقبلها

---

(١) كان يمكن ألا يحدث تناقض لو أن أليفاز يعلّم بأن أيوب يجب اولاً أن يكون (طاهر اليدين) باذلال النفس وهذا يعنى أنه لا يزال بعيداً عن انجيل حقيقى لغفران الخطايا . ولسوء الحظ فإن الـ Rsv تقول « ضع نفسك » فى عدد (٢٣) مجرد تخمين والكلمة المترجمة (وُضعوا) فى عدد ٢٩ ترد هنا فقط ، ولذا فيجب تخمين معناها .

أيوب فلأنها لا تنطبق عليه ، ولا يمكن إشباع حاجة الجميع بالتبشير بالانجيل .

٢ ــ أيوب (٢٣ : ١ ــ ٢٤ : ٢٥)

الجزء الأول من هذا الحديث رفيع المستوى ، والاختيار الذى طرحه أليفاز أمام أيوب قد أوضح تفكيره . لقد توصل أيوب لاستنتاجات مختلفة تماماً وهو يعبر عنها على شكل مناجاة للنفس لأنه يبدو أنه لا يخاطب أليفاز أو الله . فليس لدى أيوب أى تردد فى أن « يصطلح مع الله » (٢٢ : ٢١ NEB) بل على العكس فهو لا يرغب فى شىء أكثر من ذلك (٢٣ : ٢ ــ ٧) ، ولكن ذلك ليس سهلاً كما يعتقد الناس ، فليس من السهل الاقتراب من الله (الاعداد من ٨ ــ ١٧) ، واعتراف أيوب بهذه الحقيقة يثير قدراً من الاعجاب أكثر من أقواله السابقة التى تضج بالشكوى .

وفى اصحاح (٢٤) نصطدم بكل أنواع الصعوبات . فهناك **أولاً** صعوبات فى النص التى تجعل الكثير من السطور غير مفهومة ، بينما قام كثير من المترجمين باصلاح النص حتى توصلوا للاقتناع به ، أما الـ NAB فقد اقرت بالهزيمة فيما يختص بالأعداد من (١٨ ــ ٢٤) واكتفت بتقديم ترجمة من الفولجات فى الهامش .

ثانياً ــ الحديث ككل يبدو غير مترابط لكثير من القراء وقد قدم العديد من الحلول . فبعض الدارسين يلقون باللوم على الكتبة المتأخرين الذين حشروا بعض الاعداد الأكثر صعوبة لتحسين التعليم . وسواء استطاع الدارسون المتأخرون تحسين النص باستبعاد تلك الاعداد الدخيلة أم لا فإننا يجب أن نترك ذلك للقارىء ليحكم بنفسه . وفشل البحث فى الاتفاق على أى الاعداد تلك التى تستحق البتر يجعلنا نتوقف قبل قبول نسختهم التى حذفت منها بعض الأعداد .

وقد حاول آخرون اعادة ترتيب الاصحاح بخلط الاعداد ونقلها إلى مكان جديد وما عمله (بوب Pope) فى الـ (Anchor Bible) مثال جيد . (ولدينا هنا جيلا من الدارسين من دوم Duhm إلى فوهرر Fohrer) كفوا عن محاولة البحث عن ترتيب هذا الاصحاح ونظروا إليه باعتباره مجموعة غير متناسقة من القصائد الصغيرة . والنتيجة النهائية لأبحاث كل هؤلاء الباحثين تتمثل فى استنتاج (سنيث (Snaith) بأن كل الاصحاحات من (٢٤ ــ ٢٨) تكون

(مجموعة من أجزاء متفرقة موضوعة بدون نظام متفق عليه وغير مرتبة وفقاً لأى خطة معروفة) . وطبقاً لهذا الاقتراح فالحوار ينتهى فى اصحاح (٢٣) .

ثالثاً ــ اصحاح (٢٤) يقال إنه يعبر عن مشاعر ما كان يمكن لأيوب أن يتفوه بها . وهى تبدو أفضل على لسان أصحابه . والأعداد من (١٨ ــ ٢٤) بنوع خاص فى رأى كثير من الدارسين ، تمثل انقلاباً تاماً فى معتقدات أيوب لو أنه حقاً قد اعلن هذه الكلمات كقناعة شخصية له ، ومن ثم يستحسن أن تنسب هذه السطور لشخص آخر . وهذه المشكلة ترتبط عامة بسمتين غريبتين فى الجولة الثالثة من الاحاديث ألا وهما قصر حديث بلدد الثالث فى اصحاح ٢٥ وعدم وجود الحديث الثالث لصوفر .

وبعض كلمات أيوب فى اصحاحى ٢٦ و ٢٧ يقال إنها تشبه (٢٤ : ١٨ ــ ٢٤) فى كونها غير معروفة الهوية . إن مثل تلك الفقرات قد استقطعت واعطيت لبلدد أو لصوفر أو لكليهما بعدة طرق . والثقة التى أعادت بها ، طبعة أورشليم تنظيم النص ، وهذا مثال واحد فقط ، تظهر جاذبية مثل هذا الحل حتى بالنسبة للدارسين المحافظين . وحيث أن مجال هذا التعليق لا يسمح بأكثر من ذلك فسوف نكتفى بأن نأخذ النص كما هو ونبذل أقصى ما يمكن لتفسيره .

(٢) إن مشكلة وجود ماء الشرب فى الصحراء جعلت الاسرائيليين يشعرون بالتحدى الذى يؤدى للتمرد أو الشعور بالمرارة ونفس الكلمة فى العبرية تعنى (عصيان) أو « مرارة » ، وقد أمد ذلك التقليد بتورية شائعة . وهذا التلاعب بالألفاظ يبدو أنه مستخدم هنا ومنذ العصور القديمة إختار المترجمون بين احتمالين : إما كلمة (متحد) (جوردس Gordis) أو (مستاء NEB) ، وحيث أن مزاج أيوب فى هذا الاصحاح يميل للخضوع والاستسلام ، فمن المحتمل أنه ينكر أنه (متمرد RV) ولكنه يصرح بأنه يشعر (بالمرارة RSV) ، ونفس الكلمة لها نفس المعنى بالضبط فيما قالته (نعمى) فى (راعوث ١ : ٢٠) لأسباب مشابهة .

وفى الـ MT نجد كلمة (يدى) ولكن فى الـ NEB نجد كلمة (يد

الله)[1] وهى المقصودة بالمعنى كما تظهر كتب ما بين النهرين . وهناك دليل على أن ضمير الملكية للمتكلم (my) والذى يمكن أن يعنى ضمير الملكية للغائب (His) فى الفينيقية قد استخدم احياناً فى العبرية ايضاً . وهذا يحل المشكلة دون تغيير فى النص .

(٣ ـــ ٧) نرى هنا شجاعة أيوب فى أوجها ، فرغبته المستميتة هى أن يواجه الله وجها لوجه (٣) ليس عن طريق الإقرار بالذنب والتوبة كما نصحه أليفاز ولكن عن طريق محاكمة عادلة (٤) لقد ترك أيوب خلفه التردد وعدم الثقة (٩ : ١٤ ـــ ٢٠ ، ٣٢ : ١٨) وأنه الآن واثق أنه سوف يستطيع إثبات حالته بالاقناع (عدد ٤)[2] ، إنه واثق من براءته (٧) وهو مستعد للرد على التهم (٥ ، ١٣ : ٢٢) . فقبلاً حين كان يؤكد أحد الاصحاب قوة الله الغير محدودة كان يخشى أيوب مثل ذلك اللقاء ، وحتى لو كان يطالب به فلأنه كان يدرك تماماً أن الله « ليس انساناً » (٩ : ٣٢) فقد توقع أن هيبة الله سوف تبغته بالرعب (٩ : ٣٤ ، ١٣ : ٢١) عندما يأتى عليه الدور ليتكلم ، ووراء هذا القلق كان هناك فكر أكثر تحطيماً له ألا وهو ، ماذا يفعل إذا كان الفارق بين الله والانسان عظيماً جداً لدرجة أن لكل لائحة اخلاقية مختلفة لا تسمح بوجود أرضية مشتركة بينهما للنقاش فى شىء ؟

واناشيد الأصحاب فى مدح عدالة الله بدلاً من أن تصيب أيوب بالشعور بالذنب كان لها تأثيراً عكسياً . فهو واثق الآن أنه على صواب (AV ، الكلمة الرئيسية فى أيوب ١ : ١) وهو واثق تماماً أن الله لن يتخذ من قوته الفائقة ميزة على أيوب (٦ أ) ولكنه (أى الله) سوف يستمع إليه (٦ ب) والبراءة التى يتوقعها ليست عفوا لمذنب بالنعمة بل تبريراً لرجل بار بالناموس . وهذا لا يعنى أن سفر أيوب يجهل الحقائق المقدسة فى لاهوت الرسائل البوليسية ، فالتبرير الذى يتكلم عنه بولس مشهود له « من الناموس والانبياء » (روميه ٣ : ٢١) بما فيهم أيوب . ولكن ما يبحث عنه أيوب هو تأكيد من الله يعارض أقوال اصحابه . إنه يريد تأكيداً بأن علاقته السليمة مع الله ،

---

(١) قراءة هذا العدد فى الانجليزية تختلف عنه فى العربية فهو يقول فى الانجليزية ما يأتى : ـــ « اليوم شكواى مرة . يده ثقيلة بالرغم من تنهدى) (المترجم)

(٢) وهذا ما يفعله فى الاصحاحات (٢٩ ـــ ٣١)

والتى تأسست خلال حياته كلها على « خوف الله » وليس على استحقاق أعماله الصالحة ، لم يمسسها أى سوء . وإيمان أيوب العظيم سوف يحتضن آلامه ويعتبرها سراً بينه وبين الله داخل اطار هذه العلاقة السليمة .

(٨ ــ ١٢) إن رؤية كل ذلك لا يعنى انجازه ، فأيوب يقف عاجزاً عن تدبير المقابلة التى يريدها . لقد فتش فى كل اتجاه ، للأمام والخلف ، يميناً ويساراً[١] ولكنه حتى وإن سار ولم يشعر بوجود الله معه (٨) فقد سار باجتهاد فى إثر خطوات الله (١١) إنه إدعاء جرىء لأنه إذا لم يكن صحيحاً يكون قد قضى عليه .

فى تركيب هذه القصيدة الصغيرة ، نجد الفكرة الرئيسية فى (عدد ١٠) تحمل التناقض فى الوحدتين (كل منها أربع شطرات) اللتين تحتويانه فالإيمان يحفظ جلدك غير مبتل فى وسط الماء . وهكذا فإن أيوب يجمع النقيضين ــ ادراك قوى لعلاقة شخصية حميمة مع الله من خلال (حفظ طرقه)[٢] وإدراك مماثل وبنفس القوة لحرمانه من الشركة مع الله ، والشىء الأخير من فعل الله تماماً (الرب أعطى والرب أخذ) (١ : ٢١) .

إن أيوب لم يفعل شيئاً حتى يخسر نعم الله عليه ، ولذا فهو يرى تجربته فى حقيقة الأمر أنها ليست عقاباً ولا تأديباً بل امتحاناً (لأنه يعرف طريقى ... ١٠ أ) . والكلمة (طريق) فى العبرية لا تأخذ اداة ولا تضاف لها حروف فى آخرها ، ويشار لها دائماً بأنها تعنى سلوك أيوب ، والترجمات القديمة تقول (طريقى) . ولكن على الرغم من أن العبارة (هو يعرف الطريق الذى أسلكه) قد اكتسبت تأييداً دينياً قوياً على مر العصور إلا أنها قد غطت على الكلمة العبرية (معى) . وفى الاحتمال الأغلب فإن الضمير الغائب يشير إلى فاعل الفعل (الله) وأن ذلك الطريق هو (طريقه) فى عدد (١١) ، ولذلك فالترجمة الأكثر حرفية تكون كالآتى : ــ ولكنه (الله) يعرف طريقه معى .

فلأن الله يعرف ما يعمله مع أيوب فقد توصل أيوب إلى حالة من القناعة

---

(١) ربما المقصود هو اتجاهات البوصلة .

(٢) إن الكلمتين (شفتيه) و (فيه) (١٢) يبرران الحقيقة الجوهرية بأن بر أيوب ليس مجرد طاعة ادبية لقوانين اخلاقية بل لغة شخصية باله حى .

من قبل يطلب أن يعرف لماذا يعامله الله هكذا وقال إن تجربته أكثر من أن تحتمل (٧ : ١٨) والآن هو يقبل الامتحان لأنه يعلم : (اخرج كالذهب) . وهذه الصورة المأخوذة من التعدين لا تعنى بالضرورة التنقية ولكنها قد تعنى ببساطة أن التجربة تثبت أن أيوب كان ذهباً خالصاً على الدوام ، ومقارنة أيوب بالذهب عند هذه النقطة قد يكون صدى لما جاء فى (٢٢ : ٢٤) حيث كانت الإشارة هناك غير واضحة المعالم . فهناك يحث أليفاز أيوب أن يجعل الله أثمن شيء لديه وهنا يقول أيوب إنه ثمين لدى الله ، ولا يوضع فى النار سوى المعدن الثمين .

(**١٣ و ١٤**) إن أسمى إقرار بالإيمان عند الاسرائيلى هو الإقرار بأن الرب واحد (تثنيه ٦ : ٤) . وما أن نتعرف على حرف الجر (Beth essentiae) حتى يتضح أن أيوب يقول نفس الشيء هنا . ولا داع لأن نترجم العبارة (الغير متغير) RSV أو نضيف كلمة (عقل) AV ، وكثير من الترجمات الحديثة (١ ــ AB , NEB .. الخ) أخطأت (على ما اعتقد) إذ شجعها حفظ الوزن على عمل تعديل فى النص يؤدى لعبارة (هو يختار) أو (هو يقرر) .

والعبارة (وحدة) تحمل معها التأكيد بسلطان الله وحده (يفعل ما يشتهيه قلبه) NEB ، وخطط الله شديدة التنوع فوق الإدراك البشرى (١٤ ب) . إن أيوب يقترب من النقطة التى سوف يصلها فى آخر القصة ، وكم يختلف إلهه عن إله اصحابه ، والتى تُعرف طرقه مقدماً ، ومع ذلك فإله أيوب ليس مستغرقاً فى عظمته . صحيح أن أيوب لا يستطيع أن يصل إلى أى مقاييس تتعلق بذلك الإله العظيم المثلث الاقانيم ولكنه يعلم أن خطط الله متعلقة به هو شخصياً (١٤ أ) .

(**١٥ ــ ١٧**) نظراً للتراكيب اللغوية التى اعتدنا عليها فى الاصحاحات السابقة ، لا يصح أن نفترض أن هذه الكلمات تمثل نكوصاً عن الإيمان الوارد فى الاعداد من (١٠ ــ ١٤) لمجرد أنها وردت متأخرة كما لو أن (رعبه يعود) (رادلى صفحة ٢٠٣) ، ولو أخذنا العبارة (من أجل ذلك) جديا نجد أن التعبير (ارتعب منه) جزء لا يتجزأ من الايمان (انظر التعليق على ١٣ : ١١) والاحساس بأن الظلمة تحوط به من كل جانب فلا يستطيع أن

يخرج منها (١٧)[1] يتفق مع الاختبار الذى عبر عنه فى عدد (٣) ، ولكن لا نستطيع ان نخرج بالكثير من المعانى من عدد (١٧) نظراً لأن النص العبرى يكاد يكون غير مفهوم .

(٢٤ : ١ ـ ١٧)

تعود القصيدة التالية إلى موضوع مألوف وهو اختبار أيوب بأنه متروك فى الظلام (٢٣ : ١٧) واستحالة عرض قضيته على الله طلباً للانصاف (٢٣ : ٣ ـ ٩) ما هو إلا مثل واحد من عدة أمثلة . وادعاء الاصحاب بأن الله دائماً يجرى العدل فى الأرض لا يستند إلى حقائق .

وطبقاً لما جاء فى الـ Rsv يتساءل أيوب لماذا لا يعمل الله خطة ثابتة كجلسات الاستماع فى المحكمة حتى يلجأ إليه (عارفوه) والمعنى أنه يجب أن يكون هناك نظام مثل هذا . واعتراض أيوب على ذلك من قبل الله أنه لا يوجد تدبير كهذا[2]

ومثل ذلك الاستنتاج المتسرع لا يكون حكيما عندما لا يكون النص واضحاً .

وبالرغم مما قيل عن عدم ترابط الأعداد من (٢ ـ ١٦) فإنها تشمل قائمة تقليدية بالجرائم .

وعدد (١٧) يمكن ربطه بعدد (١) كالاطار الذى توضع فيه هذه الصورة .

وكما فى اصحاح (٢١) يقدم أيوب تصوره لنجاح الأشرار الذى بلا حدود رداً على ادعاءات أصحابه المضادة ، ولذا فهنا يرد على ما قاله أليفاز

---

(١) عدد (١٧) فى الانجليزية يقول (لانى محاط بالظلام) على خلاف النص فى العربية الذى يقول « لانى لم اقطع قبل الظلام » (المترجم)

(٢) باستبعاد الكلمة الاولى (لماذا) فى الـ NEB نصل إلى نتيجة منسجمة اكثر مع اصحاح (٢٣) وهى ان الله قد دبر كل شيء بدقة حتى وان كانت الناس (لا تعرف الازمنة) ولكن من المشكوك فيه ان كان سفر أيوب يحتوى فكرة (يوم الحساب) النهائى والحل المقدم من الـ MT ترك الكلمة كما هى افضل من اضافة (لكن لا يرى أحد شيئا) اما الطبعات الاخرى ، فقد اختارت كل طريقها بحرية) .

من قبل عن الفجار فى (اصحاح ٢٢) والفكرة إذن هى أن الله فى الظاهر لا يفعل شيئاً ليمنع الشرور التى تحدث كل يوم . وما يجعل القائمة محيرة هو أن معظم الشرور (كنقل التخوم) (عدد ٢) هى أشياء ممنوعة مراراً وتكراراً فى الشرائع التى أعطاها الرب لإسرائيل ، ومن هنا كان التساؤل فلماذا إذن لا ينفذها بالقوة ؟

(٤) ليس واضحاً لماذا يعتبر (صد الفقراء عن الطريق) خطيراً لدرجة تستحق الذكر . فالمطلوب ذكر شيء اكثر ذنباً من مجرد (الدفع بالمنكب) كما فى الـ NEB ، وربما المقصود كناية عن انكار الحقوق المدنية .

(٥ ـــ ٧) يصف أيوب الحالة التى يرثى لها لافراد المجتمع العاجزين الذين وقعوا ضحية للقساة الذين لا يرحمون ، وأى شخص مهذب يحركه الغضب لذلك الاذلال الذى يتعرض له الفقراء والاهانات التى تلحق بهم ويظهر غضب أيوب فى احتجاجه .

(٨ ـــ ١١) عند نقطة معينة يتطرق وصف كارثة المعدمين إلى تعاسة العاملين المطحونين الذين يُستغلون باعطائهم أجوراً زهيدة ، والمكتسين بملابس بالية والجوعى طلباً للمحصول الذى يحصدونه لصاحب الأرض الممتلىء البطن ، والعطاش الذين يدوسون معاصر العنب .

(ليس هناك داع لنقل عدد (٦) مكان عدد (٢) لجعل الحقل بجوار التخوم ولا لنقل عدد (٩) بين عددى (٣ ، ٤) للحديث عن الفقر فى مكان واحد . ومن المدهش أن يعتقد النقاد ان القصيدة غير منتظمة لأنها لم تكتب بالطريقة التى يدون بها صاحب العمل سجلاته . فهذا ليس وقت القوائم المنمقة)

(١٢) ونصل إلى ذروة المأساة مع أنين المائتين . ولكن العبرية تقول (الرجال) والـ NEB تحول الاشارات إلى تشبيهات . ويمكن ذكر (الجرحى) توقعاً لعدد ١٤

وعدد (١٢ ج) مثال ممتاز للشطرة المنفردة التى تخدم غرضاً هاماً فى التركيب اللغوى ، إنها حلقة الوصل بين قائمة الجرائم فى الاعداد من (٢ ـــ ١٢) وقصة المجرمين فى الاعداد من (١٣ ـــ ١٧) ، والله غير مبال بكل

ذلك (أو هكذا يبدو) ، والكلمة فى الـ MT (Tiplâh) ، أى جهالة كما فى (١ : ٢٢) حيث أن (Sm) أى (يضع) مرادف لكلمة (Nin) أى (يعطى) فالعبارات واحد فى جوهرها . فالله لا ينسب لتلك الافعال خطأ . ومع ذلك فالـ Rsv تعرف الكلمة (Yasim) بأنها تعنى موجزاً للتعبير المألوف (جعلت قلبك) (١ : ٨) ونجد كلمة (Le pillah) (صلاة) التى لا تستند إلى أساس متين . فالله لا ينتقم للمظالم الواقعة على المدوسين الموصوفين فى الأعداد من (٢ ــ ١٢) ولا يكبح جماح الشر الموصوف فى الاعداد من (١٣ ــ ١٧) .

ومن السهل أن نؤلف النظريات فنقول إن السابقين لابد أنهم خطاة ينالون ما يستحقونه (أقل مما يستحقون طبقاً لصوفر ١١ : ٦) بينما الآخرون سوف ينالون قصاصهم فيما بعد . وحيث أنه لا حد لقداسة الله وأقل الخطايا تعتبر إهانة لاحد لها لذاته لا يكفر عنها أى عقاب مهما اشتد ، فأيوب الذى يصنف نفسه مع مساكين الأرض فى الاعداد من (٢ ــ ١٢) لا يمكنه أن يقبل مثل هذا الفكر السقيم . وعدم تصرف الله ليس دليلاً على عدم الرضا .

(**١٣ ــ ١٧**) يختار أيوب القتلة والزناة واللصوص لأن جرائمهم ترتكب تحت جنح الظلام ، وبالتالى فهم يحبون الظلام ويكرهون النور . وهى فكرة تكررت عدة مرات فى هذه القصيدة ، وهم كفاسدى الأخلاق المذكورين فى (إشعياء ٥ : ٢٠) لأن قيمهم معكوسة ، وحلول الظلام يعتبرونه صباحاً (١٧ أ) يقومون فيه ويعملون ، وما يعتبر أهوالاً بالنسبة للآخرين يعتبرونه صديقهم وحليفهم[1] واسوأ ما فى الأمر أنهم يعتقدون أن الظلمة التى تمنع الناس من تعقبهم تخفيهم أيضاً عن الله ، وكالفجار الذين وصفهم أليفاز فى (٢٢ : ١٧) يعتقدون أنه (لا تراقبنى عين) (١٥) بما فيها عين الله . وهكذا تبدو الأمور على عكس اقتناع أليفاز ، بأن هلاكهم سوف يجلب الفرح للابرار (٢٢ : ١٩) .

(**١٨ ــ ٢٥**) المشاكل المتعلقة بهذه الفقرة قد ذكرت فى المقدمة ولا يصح أن نتسرع باستبعاد تلك الكلمات من شفتى أيوب فقط لأنها لا تبدو

---

(١) هكذا يقول النص الانجليزى « لأنهم اصدقاء لاهوال الظلمة » (عدد ١٧ ب) (المترجم)

متفقة مع ما يجب أن يصدر عن أيوب . وقد تم ذلك بثلاث طرق : إن تستبعد كلها باعتبارها تعليقاً أو تفسيراً يتسم بالتقوى بجعل أيوب يبدو أكثر تمسكاً بما هو عليه . أو باعتبارها كلمات منسوبة لواحد من أصحابه سواء كان بلدد أو صوفر Pope أو باعتبارها اقتباس أيوب لما يقوله أصحابه (تضيف NAB الـ RSV كلمة (أنت تقول) وتعرف الأعداد من (٢١ — ٢٤) بأنها رد من أيوب على الاتهامات الموجهة له أو كما اعتبر (جوردس) أن كل الاعداد من (١٨ — ٢٤) هى اقتباس) .

وإذ نقر بأن الصعوبات عبارة عن مشاكل فى طبيعة النص الا أننا لسنا مقتنعين بأن أيوب ليس هو القائل لهذه الكلمات .

فلم يؤيد أيوب ابداً القول بأن الاشرار لن يواجهوا النهاية التعسة التى وصفها أليفاز فى (٥ : ٢ — ٧ ، ١٥ : ١٧ — ٣٥) وبلدد فى (٨ : ٨ — ١٩ ، ١٨ : ٥ — ٢١) وصوفر فى (٢٠ : ٤ — ٢٩)

وعندما تساءل : « كم ينطفىء سراج الاشرار » (٢١ : ١٧) فاجابته المتوقعة « لا ينطفىء ابداً » تعطى الانطباع بأن الله يعامل الاخيار والاشرار على قدم المساواة وأن من بين الناجحين أبرار واشرار ، وأن البلايا تأتى على الطيب والخبيث ، وفى النهاية يأتى الموت عليهم جميعاً (٢١ : ٢٣ — ٢٦) وبمعنى آخر فإن أيوب لا يواجه الأصحاب بتطرف فى وجهة النظر وتحيز مدعياً بأن الله عدو للمستقيمين ورفيق للمنحرفين ، إن موقفه متوازن ولكنه محير . إن أيوب لا يستطيع أن يرى ببساطة عمل عدالة الله فى قضيته الخاصة وأنه واثق أنه لا يمثل سوى حالة واحدة من حالات عديدة . ولذا فهو لا يرى سبباً يمنعه من استعراض مشكلة مرة بالقاء قصيدة عن حصانة المجرمين ضد التدخل الإلهى (١٣ — ١٧) ومرة أخرى بالقاء قصيدة عن فشل خططهم وتدابيرهم بالموت أو بأى كارثة أخرى .

وكون بعض الخواطر هنا تتمشى مع آراء أيوب المعروفة يظهر من ميل الـ RSV أن تخصه بالأعداد من (٢١ — ٢٤) . وسوف يساعدنا ذلك فى فصل عدة خيوط من نسيج هذه القصيدة أو بالأحرى سوف يرينا كيف نسجت كلها معاً . ولا يمكن أن نفعل ذلك عن يقين إذا كان ذلك بسبب أنه من غير الواضح إن كان الله أو الشرير هو الفاعل للحدث الموصوف فى

تلك الاعداد المذكورة . ولقد تصرفت الـ RSV بحرية مع النص العبرى حتى أننا لا نأخذ ما جاء بها كحجة مسلم بها ومع ذلك فان الـ AV وإن كانت ليست خالية من الاخطاء ، إلا أنها أفضل بكثير حتى وإن كانت حرفيتها تظهر الصعوبات التى فى الأصل . ويقدم النسخة العبرية عدة مفاتيح عن طريق مفرداتها لصلة تلك المفردات بأحاديث سابقة . وهكذا فمشهد (الكروم) فى عدد (١٨) يرجع لعدد (١١) ومنظر مياه (الثلج) و (الشجرة) المقطوعة قد استخدم من قبل ، والإشارة إلى (الرحم) و (الدود) وعدد (٢٠) (ولسوء الحظ غير موجود فى الـ RSV ولحسن الحظ متواجد فى الـ NEB) مرتبط بعدد (٢١) وتلقى شعاعاً من الضوء على طبيعة هذه الفقرة .

فما أن نعرف أن الكلمة (Feed) أى (يعيش على) عدد (٢١)[1] تشير لكلمة (الصاحبة) (مزمور ٤٥ : ١٤) حتى نظن أن الفقرة كلها سلسلة من اللعنات بدأ من عدد (١٨) تطلب استنزال اللعنات حسبما توضح قواعد اللغة وليس كسرد لحقائق ثابتة[2]

ومن هنا جاءت الصورة المخالفة . وحتى لو سلمنا بأن أيوب يتوقع هنا دماراً فورياً يحل بالأشرار بعد انتصارهم المؤقت فهذا لا يمثل تسليماً بمعتقدات الأصحاب . إنها فقط جزئية صغيرة من الصورة المعقدة التى يرسمها ولا تعبر بأى حال من الاحوال عن قوله الأخير فى الموضوع .

---

(١) فى النص الانجليزى يقول عدد (٢١) « يعيش على العاقر التى لم تلد » بخلاف النص العربى (يسىء الى) (المترجم)

(٢) عدد ٢١) المقصود به الاساءة إلى الصاحبات أو (اخذ نصيبهن)

٣ ــ بلدد (٢٥ : ١ ــ ٦)

توشك المناقشة على الانتهاء ، وقصر حديث بلدد الأخير وغياب الحديث الثالث لصوفر دلالة على نفاذ وقود الأصحاب . والمحاولات لاطالة حديث بلدد باضافة بعض السطور من أحاديث أيوب القريبة ليس مقنعاً . لأن تنوع الاختبارات تترك الدارس فى حيرة . وأفكار بلدد الواهية والتى سمعنا معظمها قبلاً عبارة عن سخافات لاهوتية معروفة لكل المدافعين عن الحق .

(٢و ٣) تراجع بلدد من جانبه خطوة إلى الوراء أمام هجوم أيوب و لم يعد يتكلم بثقة عن قضاء الله على الأشرار . وحسب الترجمة السبعينية فالكلمة الأولى سؤال على نمط الأسئلة التالية وهذه الاسئلة تشبه بطريقة ما الاسئلة التى سوف يوجهها الله نفسه على نمط أكثر دقة واحكاماً .

لقد طار بلدد نحو السماء وإذ يؤكد على أن عدد ساكنيها كبير جداً فإنه لا يعنى فقط أن موارد الله الغير محدودة لا يقف أمامها أى عائق ولا يمكن مقاومتها بل أنه ما من شخص يستطيع أن يفهم معاملات الله[1] ليس هناك اعتراض لدى أيوب على تلك التأكيدات ولكن كم تتنوع الاستنتاجات . فطبقاً لبلدد فالانسان الصغير لا يساوى شيئاً فى نظر الله الغير محدود ولكن أيوب يعتقد أن الله ، بسبب مقدرته الفائقة على المعرفة ، يمكن أن يعطى لكل فرد أكمل رعاية شخصية ممكنة .

(٣ ــ ٦) بالرغم من تصريحات بعض الدارسين بأن هذه القصيدة ليست سوى النذر اليسير إلا أن هذه الاعداد تظهر تماثلاً جميلاً . فهناك تقابل بين الاجرام السماوية (٣ و ٥) والانسان (٤و ٦) لقد عدنا إلى النقطة الاولى التى اثارها أليفاز فى (٤ : ١٧) والفكرة أن الأجرام السماوية أو (الملائكة) بالرغم من جمالها الفائق تعتبر مظلمة بالنسبة لبهاء الله ، وبذلك يكون الإنسان اكثر ظلاماً . وإن كانت السماوات ليست بطاهرة ، فكم وكم يكون الانسان المكروه الفاسد (١٥ : ١٤ ــ الخ) ؟

---

(١) بينما يجد البعض ان كلمة (نور) (٣ ب) هى المقابل لكلمة (جيوش) خاصة أنها تعنى دائماً (الشمس) و (القمر) و (النجوم) المذكورة فى عدد (٥) إلا ان الـ NEB اتبعت الترجمة السبعينية فى قراءة الكلمة (كمين أو مرصد) .

ويبدو ذلك تعليماً مغالياً فى التشاؤم عن الفساد الكلى للانسان ، وليس من وسيلة أمام أى إنسان ليكون (طاهراً) أو (باراً) أما الله[1] فالانسان (رمة) ودودة (٦)

وعند هذه الملحوظة اليائسة المقززة تنتهى كلمات أصحاب أيوب .

---

(١) غريب أن الشخص (البرىء) (والمستقيم) الذى تحدث عنه الاصحاب بثقة أولاً (٤ : ٧) يبدو الآن منسياً .

٤ ــ أيوب (٢٦ : ١ ــ ١٤)

يعتلى أيوب الآن خشبة المسرح فى أطول حديث يقدمه شخص واحد فى السفر : ٢٦ : ١ ــ ٣١ : ٤٠ على الأقل لا يذكر اى اشخاص آخرين حتى يظهر اليهو على المسرح فى اصحاح ٣٢ . ولكن ليس من المؤكد أن أيوب نفسه يقول كل ذلك . إنه ليس حديثاً منفرداً لأنه ينقطع عند نقطتين بطريقة غير مستخدمة فى أى مكان آخر فى (٢٧ : ١ ، ٢٩ : ١)

ولهذا السبب عرَّفنا اصحاح (٢٦) كآخر حديث فى الجولة الثالثة واصحاح (٢٧) كخاتمة الحوار ككل . وبينما يمكن أن يعتبر اصحاح (٢٨) استمراراً لحديثه ومعلناً عن رأيه الأخير فى موضوع الحكمة إلا أننا نعتقد أنه يصلح فى الأغلب كتمهيد بين حوار أيوب مع الأصحاب الثلاثة وحواره مع أليهو . وهكذا يكون هو المتكلم فيه (المكان الوحيد الذى يفصح فيه عن فكره) بالرغم من عدم التعريف بنفسه ككاتب .

ويعتبر أصحاح (٢٦) من أفخم المحفوظات فى السفر كله ولا يفوقه سوى أحاديث الرب ، ووقع كلمات أيوب له صدى رائع وهو ينهى الحوار كالحركة الأولى من سيمفونية بضربات هائلة على الأوتار .

ومن المدهش أن نرى كثيراً من الدارسين يأخذون اجزاء من هذا الحديث لأيوب ويعطونه لواحد أو اكثر من اصحابه . وقد لمسنا هذا النوع من المشاكل فى اصحاح (٢٤) ، ونجد هنا اعتبارات من هذا القبيل .

والحديث مكون من جزئين . أولهما رد ساخر على حديث بلدد الأخير المثبط للهمم (٢ ــ ٤) ثم هناك وصف رائع لقوة الله فى الخليقة . (٥ ــ ١٤) . أما الجزء الأخير فيعتبره كثير من الدارسين بأنه لم يرد على لسان أيوب . ولكن يبدو لى بأنه فى الاغلب لم يرد على لسان بلدد حيث يحلو للكثيرين أن يقولوا ، وبوضعه فى نهاية أصحاح (٢٥) فإن تأثير كلمة بلدد الأخيرة (٢٥ : ٦) يتبدد . وزد على ذلك فإن ما جاء باصحاح (٢٦ : ٢ ــ ٤) يعنى رد أيوب على هذه الاهانة ولكن من غير المتصور ان يستخف أيوب بهذا التفسير الرائع لمجد الله كما فى (٢٦ : ٥ ــ ١٤) إذا كانت هذه

كلمة بلدد الأخيرة[1] .

ونحن نفتش عبثاً فى المناقشة السابقة عن أفكار من هذا النوع فى عقل أى واحد من الاصحاب الثلاثة . صحيح أن لاليفاز شعر غنائى وسط هذه السطور (٥ : ٩ — الخ) ولكنه لا يساوى شيئاً بجانب الحديث البليغ الذى يتوجها به أيوب (٩ : ٤ — ١٠ ، ١٢ : ٧ — ٢٥) فهذه الفقرة إذن (٢٦ : ٥ — ١٤) آخر حديث لأيوب وافضل معالجة لهذا الموضوع .

ومن قبيل الصدفة فإن ذلك يبين أن أحاديث الرب القاصرة على هذه الموضوعات ليست ببعيدة عن ذلك كما يشكو بعض الدارسين . فقد تم التمهيد لها فى الحوار وقد قطع فكر أيوب مسافة كبيرة فى اتجاهها قبل أن يتكلم الرب . ويبدو أيوب الآن أنه يترك خلفه مشاكل مصير الأشرار وآلام ومعاناة الأبرار .

(**٢ — ٤**) تتشكل الكلمات فى هذه القصيدة الصغيرة على شكل منمق بديع من الفخامة اللفظية . والضمائر فى المفرد . ويخاطب أيوب شخصاً واحداً يقال أنه بلدد . يهاجم أيوب موقف بلدد كشخص « بلا قوة » ولا « عز له » وبلا « حكمة » . وحيث أن الشعر غالباً يحذف حروف الجر والذراع فى (٢ ب) هى دائماً ذراع المنقذ فالسؤال هو « كيف خلصت بذراعك من لا قوة له ؟ »[2] وحيث أن اليهو يتحدث عن « نسمة القدير » فى (٣٣ : ٤) فمن المحتمل أن أيوب يقول فى (٢٦ : ٤) إن كلمات بلدد لم تصدر عن وحى إلهى .

(**٥ — ١٤**) حيث أن بلدد يجهل تماماً كل شيء عن الله وعن طرقه فمن المناسب أن يعلمه أيوب . وهنا يحدث تبادل فى الأدوار ، فمن يتلقى التعليم يعرف أكثر من العلم . والانتقال للقصيدة التالية فجائى . فهى تبدأ

---

(١) سوف لا نقول شيئاً آخر عن عشرات الحلول المتناقضة التى حاول بها الدارسون تنظيم الاحاديث الغير مرتبة فى نهاية الجولة الثالثة . واننا لا نود التقليل من شأن جهودهم . فمن طبيعة نقد النصوص ان التوصل لليقين أمر بعيد الاحتمال وبنفس الطريقه لا يمكن لأحد أن يجزم بأن النص لم يصبه أى تغيير فى النقل ولكن عندما يكون هناك القليل من اجماع الآراء فيستحسن أن نترك النص كما هو حيث أن مسئولية تقديم الدليل تقع على عاتق اولئك الذين يرغبون فى تغيير النص .

(٢) سؤال الرب إلى أيوب « هل لك ذراع كما لله » (٤٠ : ٩)

بالعالم السفلى (٥) وتمتد حتى تكتشف الكون كله .

وهى واحدة من أكثر الفقرات جاذبية عن هيئة الكون فى الكتاب المقدس كله . ونجد هنا أكثر من ١٢ عنصراً : الأرض والماء والسحب والسماء ... الخ وأحياناً نجد هذه الأشياء بمسمياتها القديمة فى الاساطير كاليم (البحر)[1] (ورهب) وبنوع خاص (الحية الهاربة) .

وبعض المفردات القليلة مصدرها سفر التكوين (كالخلاء) (٧ أ) وهى الكلمة المترجمة (خربة) فى (تكوين ١ : ٢) ولكن لا توجد هنا أى أفعال من سفر التكوين ، ويبدو أن الصورة هنا مصدرها أكثر من قصة للخلق . ففصل النور عن الظلمة مدون فى سفر التكوين ، ولكن الصورة المعمارية (لأعمدة السموات) (١١ أ) ووضع الخطة (برسم دائرة) (١٠ أ) بفرجار كونى ليست موجودة هناك . وذكر (الشمال) فى عدد (٧ أ) (أنظر إشعياء ١٤ : ١٣) يرجع بنا لقصص الخلق عن الجبل البدائى الكونى فى الاساطير الكنعانية (وربما قبل ذلك فى الاساطير المصرية أو السومرية) واخضاع اليم / رهب معروف فى المصادر الكنعانية كما أن له صلة أبعد من ذلك بحقبة الخلق البابلية التى يُخضِع فيها (ماردوك) (Marduk) (تيامات (Tiamat) .

وسواء كانت (الحية الهاربة) (١٣ ب) إسم آخر للوحش البحرى (التنين) أو لها أساس من قصة مختلفة عن وحش طائر فهذا غير معروف .

ويعوقنا فى بحثنا عن أصل ذلك قلة اوندرة قصص الخلق فى المصادر الكنعانية ولكن الإشارة إلى (نفخته) (١٣) (حرفياً : روحه) ترجع بنا إلى سفر التكوين (١ : ٢) وليس من المؤكد أن عدد (٩) يشير للقمر(١) ففى الـ MT نجد كلمة (عرشه) بدلاً منها (قارن الـ AV ونجد تفسيراً لذلك بمقارنة الصورة هنا بتلك الصورة الموجودة فى (مزمور ١٠٤) وإشعياء (٤٠) ، ويجدر القول أن نقاط الالتقاء بين هذه القصيدة وبين ما جاء فى (تكوين ١) يرد فى تتابع عكسى للاحداث المدونة هناك . وهذا يوحى بأن ما جاء فى (أيوب ٢٦ : ٥ ــ ١٤) ليس قصة خلق بل صورة مأخوذة

---

(١) (المياه) فى الطبعة باللغة العربية (المترجم)

عناصرها من عدة تقاليد مختلفة .

(١٤) هذه مقتطفات من عدة أشعار قديمة غامضة تخلق جواً من الروعة ، والعقل يتوه فى عالم الله الواسع وفى عظمة القوة التى من ورائه . ولكن أيوب يقول : ما هذه إلا لمحة ، همسة ، جزء بسيط : فما هذه إلا حدود ملكوته[١] ولا يصح أن ننسب لهذه الآية كثيراً مما وراء الطبيعة ، فيجوز أن يكون أيوب هنا يشير إلى أن الكون المرئى بما فيه من اتساع ما هو إلا حدود « ملكوت » الله الحقيقى العجيب والخفى . ومن ذلك البعد الشاسع فإن (رعد جبروته) يصل للانسان كهمس خافت لا نفهم منه شيئاً .

ويسبب عظمة هذا الكلام من المشكوك فيه كثيراً أن يكون أيوب واحد من المتشككين . فبالرغم مما يمكن أن نراه ونسمعه من الله فى عالمه (عالمنا !) فما هو إلا النذر اليسير مما يعبر عن حقيقة الله ، إلا أنه لا يصح الاستهانة بذلك القدر الضئيل مما نراه أو نسمعه لأن عقولنا صغيرة جداً ، ولا يصح أن نلقى جانباً بذلك النور البسيط بحجة أن ذلك النور قد يكون خداعاً أو أنه ليس هادياً سواء السبيل لملكوت الله الغير محدود ، إن ذلك نوع من الجبن والهلع ، ولكن أيوب كان جريئاً شجاعاً . وكلمة (أطراف) لا تصف العالم المرئى كجبهة لا يمكن اختراقها وصولاً إلى الله الخفى من ورائها بل تصف حدود مملكة من وجهة نظر شخص يعيش بداخلها .

وبرسم خريطة للكون من الهاوية إلى السماء قد أرانا أيوب العالم الذى يسكن فيه الله مع الناس ، وهو لم يذكر شيئاً عن الخلائق الكثيرة التى (بلا عدد) والتى تسكن هذا العالم (مزمور ١٠٤ : ٢٤ — الخ) وعندما نقارن ذلك بما جاء فى (تكوين ١) نجد أن صمت أيوب عن ذكر النباتات وعن كل الكائنات التى تسكن البحر والبر والجو وعن الانسان يعتبر مدهشاً حقاً . والحكيم تكلم عن الأشجار والحيوانات والطيور والزواحف والاسماك (ملوك الأول ٤ : ٣٣) وقد فعل الرب كذلك . وفى نفس الوقت فإن أيوب يصرح

---

(١) من المعروف الآن على نطاق واسع أن كلمة (Drkw) فى العبرية التى وردت فى (امثال ٨ : ٢٢) تقرأ على أنها (Durkò) أى (ملكوت) . ونفس الشيء ينطبق على (أيوب ٢٦ : ١٤) حيث نجد تشابها فى الهجاء وبذلك تكون كلمة (طرقه) فى الـ MT غير ضرورية ، والاعتقاد الكنعانى الشائع يؤيد ذلك . (انظر التعليق على أيوب ٢٨ : ٢٣)

بأن الأمر فوق إدراك الانسان ولكنه لا يتوصل لاستنتاجات سلبية نتيجة ادراكه لعجزه وقصوره .

هـ ــ حديث أيوب الختامى مع الاصحاب (٢٧ : ١ ــ ٢٣)

١ ــ هناك شكل جديد قد استخدم فى تقديم هذا الحديث . وهذا يميزه عن بقية الحوار (١) ونحن نعتقد أنه تقرير ختامى يكون توازناً مع اصحاح (٣) ومع أننا قد أبرزنا مراراً وتكراراً أن العبارات الهامة فى بعض الاحاديث تأتى عند نقاط حيوية فى الوسط وفى مناسبات أخرى يأتى فصل الخطاب فى سطر فى النهاية .

وعبارات أيوب الختامية يجدر التأمل فيها إذ يقترب الحوار من نهاية أو بالأحرى ينهار ، فى (٢١ : ٣٤) يقول إن أجوبة الأصحاب باطلة وفى (٢٤ : ٢٥) يتحداهم أن يبينوا أن كلامه لا شيء ، وهاتان الفكرتان تظهران مرة أخرى فى (٢٧ : ٢ ــ ٦) وأصحاح (٢٦) هو اعتراف أيوب الختامى بقوة الله العظيمة التى لا يمكن الإحاطة بكنهها ، ونفس الشيء ينطبق على عدالة الله التى لا يمكن إدراكها سوى بالنذر اليسير . ولكن هذا القصور لا يمنع أيوب من تأكيد عدالة الله (٢٧ : ٧ ــ ٢٣) . إنه غير مصر إلا على براءته (عدد ٦) إذ كان واثقاً بأن الله سوف يأخذها فى الحسبان ومن ثم فنبوته بالقضاء على الفجار ليست تحولاً إلى وجهة نظر أصحابه ، جاء بعد الأوان . وليست جزءاً من وجهة نظر العقيدة السليمة أضيفت إلى النص بعد اكتماله على يد أحد الكتاب المهتمين باستقامة الرأى (تماماً كما عمل المسيحيون مع يوسيفوس بعد موته فى مخطوطات (الحرب اليهودية) .

فلا داع إذن لاعتبار أن (٢٧ : ٧ ــ ٢٣) هو الحديث المفقود الثالث لصوفر مع أن هذا الاقتراح قد لقى قبولاً واسع النطاق عند الدارسين على مدى قرنين من الزمان .

وحيث أن أيوب لا ينكر عدالة الله فى أى مكان فى السفر ، فليس غريباً أن يؤكد على ذلك هنا . والاختلاف بين أيوب واصحابه ليس حول ما اذا كان الله عادلاً أم لا ولكنه الخلاف حول كيفية رؤية عدالة الله وهى تعمل فى أحداث معينة وبخاصة فى تجارب أيوب . فالاصحاب يعتقدون أنهم يعرفون الجواب وقد قدموه إلى أيوب ، ويعلم أيوب أنهم مخطئون ليس فى تأكيد عدالة الله ، ولكن فى تطبيقها عليه . ولكن حيث أنه لا يعرف كيف تجرى عدالة الله فى قضيته الخاصة فلا هو بقادر على رفض رأى الاصحاب ولا هو بقادر

على الوصول إلى اقتناع عقلى .

(٢ — ٦) بهذا القَسَم يتخذ أيوب الملاذ الأخير لرجل مقدم إلى المحاكمة . فباستخدام قَسَم قوى يسلم قضيته إلى الله . ويبتهل دائماً إلى اسم الله بوقار كالمنفذ للعدالة والقيِّم عليها ، والذى يعاقب كل حلف كاذب بلا تحيز .

وفى ظل ثقافة كتلك شمل تشريعها هذه الوسيلة فإن المحاكمة يمكن أن تجرى بتلك الوسيلة ، وقد تكون تلك هى الوقاية الوحيدة لرجل برىء ضد شهادة الزور أو الطريقة الوحيدة للخروج من مأزق بسبب عدم كفاية الادلة التى قد تمنع المحكمة من استصدار حكم . ويمكن تطبيق كلا الاعتبارين هنا . فالله وحده يمكن أن يبين أن اتهامات الأصحاب كانت زائفة إلى حد أن الحوار معهم يشبه المحاكمة . ويظل السجال بينهما غير حاسم لصالح أحد الطرفين لعدم وجود القاضى ، وقد التجأ أيوب إلى الله عدة مرات من قبل ، والآن فهو يقسم (بحياة الله) فهو يستخدم أقوى الاجراءات الممكنة لاستدعاء يد الله لتعمل ، وبناء على ذلك فإن الرب عندما يستجيب فى النهاية فهو يستجيب بصورة محددة باعلان أن أيوب كان على صواب وأن أصحابه كانوا على خطأ (٤٢ : ٧) ، وهذا يوضح أيضاً تأكيد أيوب بأنه سوف يظل كذلك يتكلم الحق (عدد ٤) وأن ضميره صاف (٦ ب) وأنه متمسك ببره (٦ أ) ليس ادعاء بعدم ارتكاب الخطأ فى علاقته بالنسبة لله بل تأكيد على صحة موقفه الذى اتخذه من الاصدقاء وباستخدام شكل آخر من أشكال لعن النفس يقول « حاشا لى أن أبرركم » (٥ أ)[1] ومن الاشياء اللافتة للنظر فى قسم أيوب أنه يحلف بالله (الذى نزع حقى) (٢ أ) NEB ، والذى (أمرَّ نفسى) (٢ ب) RSV (أنظر ٧ : ١١ ، ١٠ : ١ ، ٢١ : ٢٥)

وما يقوله حقيقة أكدها دائماً ، وثقته العظيمة فى الله تصبح اكثر جرأة وجسارة فى استجارته المتناقضة من الله وضد الله ، وقد صدم كثيرون بسبب ذلك منذ وقت اليهو حتى الآن (٣٤ : ٥) ، ولكن أيوب لا يلوح بقبضته فى وجه الله ، فعن طريق تلك الحركة الجادة يأخذ كل شىء ليضعه امام العدالة التى ترفع هذا الظلم ، فبيد الله توضع الامور فى نصابها الصحيح فى عالم

---

(١) فى الانجليزيه « اكون ملعونا لو سلمت بأنكم على حق » (المترجم)

هو صانعه ومالكه الوحيد ، وعليه ، بغض النظر عن كل الأسباب الثانوية ، تقع المسئولية كاملة .

إن أيوب لم يستطع أن يعرف مقدار المسئولية التى تحملها الله لحمل أثقالنا نيابة عنا إذ تحمل « خطايا العالم كله » (يوحنا الأولى ٢ : ٢) فى إبنه يسوع المسيح ، ولكن إيمانه يقرب المسافة بينه وبين الله كالإله « البار .. والمخلِّص » (إشعياء ٤٥ : ٢١)

(**٧ ــ ١٢**) يمكن قبول هذه الكلمات ككلمات صادرة من أيوب باعتبارها طلباً لا ستنزال اللعنات وليست تقريراً لواقع الحال . وهى لا تزال تعبر عن إيمان أيوب بعدالة الله ، والفعل الافتتاحى (ليكن) ينطبق على الفقرة كلها جاعلاً إياها لعنة مطولة . (والعدو) هنا ليس الله ، والشيطان لا وجود له فى الحوار . و« الخصم » فى هذا السياق هو الشخص الذى يتهم الناس بالباطل وهو هنا يتمثل فى الاصحاب . وكون أيوب يوجه إليهم الحديث « معلماً » إياهم عن (يد الله) (١١) واضح باستخدام ضمير الجمع فى هذا العدد [١] وفى القانون الاسرائيلى فإن عقوبة الإتهام الظالم للبرىء كانت نفس العقوبة على الجريمة الملصقة بالبرىء ظلماً .

ومن هنا جاء رفض أيوب لتلك الاتهامات باستخدام القسَم « ليكن عدوى كالشرير ومعاندى كفاعل الشر » [٢]

إن مثل ذلك الشخص قد فقد كل الحق أن يدعوا لله (١٠) كما يفعل أيوب بكل ثقة ، ونحن لا يمكننا هنا أن نبرز الفرق بين أيوب وأصحابه أوضح من ذلك ، فهو دائماً يدعو الله وهم لا يدعونه أبداً ومرة أخرى وأخيرة يصرف أيوب اصحابه مع وصفه لهم بأنهم باطلين أو فارغين (١٢) (والعدد كله فى صيغة الجمع)

(**١٣ ــ ٢٣**) الحديث الختامى كأحاديث أخرى فى هذا السفر . ونصيب

---

(١) إنها لطريقة ضعيفة من جانب النقاد إذ يقومون بتغيير الضمير إلى المفرد (دون سند من المخطوطات أو الطبعات المختلفة للكتاب المقدس) وذلك لجعله ملائماً لأن يكون من اقوال صوفر لأيوب .
(٢) فى الانجليزية « ليكن كارهى كالشرير الذى يتهمنى بالباطل انى كذلك » (المترجم)

الانسان الشرير (١٣) هو ميراث يستحق العقاب المستقبلى (فبتوجيههم اللوم لأيوب بكل خبث وشر فإن الأصحاب سوف يصبحون الآن هدفاً لما توقعوه وتنبأوا عنه ــ إن كانوا على صواب[1] وقائمة الكوارث تقليدية ، فالحرب والمجاعة والمرض سوف تقضى على عائلته (١٤ ــ الخ) ، وعبارة (أراملة (MT) يتضح منها أن الشرير مزواج ، (ولا تبكى) أراملة تبدو غريبة (مخطوطات قمران لسفر أيوب تؤيد النص كما هو) ما لم تكن تعنى أنهن مسرورات للتخلص منه . هذا بخلاف ما قاله أيوب عن مآتم الاشرار فى (اصحاح ٢٠) ، وثروته سوف تباد وبيته الآمن سوف يثبت أنه واهٍ كالملجأ المؤقت الذى يبنيه الحارس فى الحقول (١٨) وفى عدد (١٨ أ) MT يقول إنه (كالعث) ولكن العث لا يبنى مسكناً ولكن قد يكون ذلك مثلاً لشىء ضعيف (أنظر ٤ : ١٩) ، ولكن الترجمات القديمة سبق أن فسرته (بيت العنكبوت) كما فعلت الـ RSV ، وبعض الدارسين الحديثين اقترحوا عش الطائر ولكن الصورة ككل غير مكتملة . فالرجل الشرير الذى يترك أراملا فى عدد (١٥) يضطجع فى عدد (١٩) ، ولكن كل لعنة من اللعنات تنطبق على شىء مختلف . فالـ MT تقول ببساطة « ولكنه لا يضم » ولكن الـ RSV تضيف « لا يضم ثروته » ولكن ذلك قد يعنى أنه يستيقظ فى الصباح ليكتشف أنه قد مات[2] ونفس الشىء ينطبق على ما جاء بعدد (٢١) (فيذهب) ، ويصل الالتباس لذروته فى السطور الختامية للصورة المشوشة لشخص يجرفه التيار والزوبعة ومع ذلك فهو يشعر بالرعب حيالهما . وجريا على عادة الشعراء العبرانيين فى استخدام السطور الافتتاحية والختاميه فى القصيدة كاطار يضم بقية القصيدة فهذا يدعونا لربط عدد (٢٣) بعدد (١٣) لنقول بأن المقصود هو الله (وليس الريح الشرقية) كما فى الترجمة العربية كالفاعل لكل تلك الحوادث المريعة (وهو الذى يصفق يديه ويصفر عليه) (٢٣) ، وبينما قد يعنى التصفيق الغضب (سفر العدد ٢٤ : ١٠) والصفير قد يعنى الرعب (إرميا ٤٩ : ١٧) فكلاهما يمكن أن يعبرا عن السخرية والاستهزاء (مراثى إرميا ٢ : ١٥ ، حزقيال ٢٧ : ٣٦) والمذكور

---

(١) كما سوف يتضح ، أنهم سوف لا يعاقبون فى النهاية بل سوف يغفر لهم قساوتهم على ايوب

(٢) اى فى العالم الآخر (المترجم)

مراراً فى العهد القديم كأفضل مُعاملة للفجار .

٣ ــ وقفة تأمل (٢٨ : ١ ــ ٢٨)

كما قلنا من قبل فى المقدمة فإن هذا الاصحاح لغز لا يحل ، فهو كامل فى حد ذاته ولكنه غير مرتبط لا بما سبقه ولا بما يتلوه ومع ذلك فهو لا يقطع الترابط كشىء عائق يحسن إبعاده من الطريق إذ توجد هنا وقفة طبيعية وحديث أيوب التالى (اصحاحات ٢٩ ــ ٣١) هو ايضاً شىء متكامل ومتوازن مع أحاديث أليهو . وبناء على ذلك فالحوار مع الأصحاب ينتهى فى اصحاح ٢٧ ، وأصحاح ٢٨ يعتبر وقفة تأمل تفصل بين مناجاة أيوب فى الاصحاحات من (٢٩ ــ ٣١) وبين الجزء الختامى من حديثه فى أصحاح (٢٧) وحيث أن المتكلم غير معروف فيمكن أن يكون أصحاح (٢٨) استمراراً لحديث أيوب .

(أقسام الاصحاح تتميز بأنها تشتمل على وحدات أدبية مستقلة ولكنها لا تزيد عن كونها مجرد رأى على الورق ويساء فهمها أحياناً كمرشد للتركيب اللغوى) ومع ذلك فلا شك أن اصحاح ٢٨ ذات تكوين مستقل نسبياً عن باقى السفر ، وإذا كان قائله هو أيوب فهو يمثل حركة فكرية بين عدة أمزجة مختلفة تماماً . وهدوء اصحاح ٢٨ يتناقض تماماً مع مزاج أيوب المعتاد ولكنه ليس بالمستحيل نظراً لاستجابة أيوب وتجاوبه مع الموقف . ولكن معظم الدارسين يظنون أنه من المستحيل الاعتقاد بأن أيوب هو الذى سطر هذه القصيدة لأنهم يعتبرونها غير متوافقة مع ما سبقها وما لحقها من قصائد ، إذ يمكن أن تعبر عن تحول فج وتجعل من الأحاديث الأخرى لأليهو أو الرب شيئاً زائداً عن الحد [1] ولكن إذا لم يكن الاصحاح من كلمات أيوب ، فكلمات من تكون ؟

أحد الحلول ينسب الاصحاح إلى واحد من الاصحاب ألا وهو صوفر وبخاصة إذا كان (٢٧ : ٧ ــ ٢٣) ينسب إليه ويكمله اصحاح (٢٨) ، وينسب ايضاً لبلدد . ولكن نغمة الاصحاح هادئة لا تتناسب معهما لأن كل منهما فقد أعصابه فى نهاية المناقشة . ثم أن هذا الاصحاح أسمى بكثير من أى

---

(١) ومن هنا جاء الاقتراح انها يجب ان تأتى بعد (٤٢ : ٦)

فكرة قد عبرا عنها ، وهو من السمو بمكان حتى أن الدارسين الآخرين يفضلون استبعاده نهائيا لأنه ينافس أحاديث يهوه القادمة ، ويقلل من تأثيرها . إنهم يقولون إنه قصيدة ليس لها علاقة بسفر أيوب ولكن قد زج بها فى هذا المكان لأن احد الكتاب المتأخرين قد ظن أن بها تشابها حقيقياً مع بعض الأفكار فى سفر أيوب لدرجة أنه اقترح ، بسبب هذا التشابه الكبير ، أن القصيدة من نتاج نفس الكاتب مع أنه لم يكن يقصد أن تكون جزءا من السفر ككل . وتلك الملحوظة مع ذلك تعد إقراراً هاماً . والاعتراضات على تواجد اصحاح (٢٨) عند هذه النقطة إعتراض ينصب على التركيب فى الأساس فاذا كان وجوده يؤدى إلى معنى فى التركيب أو بنيان السفر فيمكن تركه وشأنه . واذا أسمينا هذه القصيدة وقفة تأمل نجد أنه من المناسب أن نلاحظ عن طريق هذا التأمل الانتقال من الحوار فى الجولات الثلاث بين أيوب وأصحابه إلى الحديث المنفرد فى ثلاث جولات لكل من أيوب واليهو والله . ولاننا لا نعتقد أن سفر أيوب قصة درامية فلا نرى أى داع لأن يسرد أحداثه فريق من المنشدين ولكن هناك قيمة لهذا الاقتراح حيث أنه يبقى على القصيدة فهو يعترف بأنها يجب أن تأتى مُن شخص آخر خلاف الشخصيات المعروفة وهو يقول بأن الوظيفة الدرامية لهذه القصيدة بمثابة تعليق يقدمه فريق من المنشدين بين فصول المسرحية ؛ ولكن لأننا نعتقد أن سفر أيوب عبارة عن قصة فمن الملائم أن هذه الوقفة يقولها الراوى ، وهى توجز القضية كما هى عند هذه النقطة . كما تؤكد فشل العقل البشرى فى الوصول إلى الحكمة المخفية ولذلك فهى ودون تدخل فى أحاديث الرب تضع الأساس لها باظهار ضرورتها . وأما الشكوى بأن ذلك يجعل للسفر ذروتان فهى ليست بذات أهمية ، ولم لا يكون له ذروتان أو اكثر إذا كان ذلك يخدم غرض الكاتب ؟ ونحن نقترح هنا أن الكاتب يعبر عن وجهة نظره الخاصة لأن هذه القصيدة لها أهمية قصوى فى فهم السفركله . والقصيدة ذات بناء جميل يدور حول السؤال :

أين توجد الحكمة ؟
وأين مكان الفهم ؟

والقرار الذى يأتى فى الاعداد من (١٢ ــ ٢٠) يقسم القصيدة إلى ثلاث نغمات :

الأولى فى الاعداد من (١ ــ ١١) توضح ان البحث البشرى لم يكتشف الحكمة ، والنغمة الثانية فى الاعداد من (١٣ ــ ١٩) تبين أن الثروة لدى البشر لا يمكن أن تشترى الحكمة ، والنغمة الثالثة فى الاعداد من (٢١ ــ ٢٧) تعلن أن الله وحده عنده الحكمة التى يهبها لمن يشاء . وعدد (٢٨) يكمل القصيدة بالتعريف التقليدى الكلاسيكى للحكمة . وهذه العبارة باستخدامها أسلوب أيوب فى ١ : ١ تكون إطاراً يوحى أن السفر يجب ان ينقسم إلى جزئين عند هذه النقطة .

(١ ــ ١١) إن الهدوء والاستقلالية اللتين تميزان هذه القصيدة بالاضافة إلى موضوعيتها العلمية يقابله تشوق فكر القارىء لمعرفة المزيد هنا .

لقد انتهى الحوار ولم يتم التوصل لشيء محدد . لقد استنفذ الذكاء البشرى أغراضه ، ولا يزال الله صامتاً . والسؤال لا يحتاج الى ايضاح « أما الحكمة فمن اين توجد ؟ » (١٢)[1]

وآخر كلمة سجلها الأصحاب كانت « الإنسان الرمة » (٢٥ : ٦) ولكن أيوب يخدم الجنس البشرى والمقاصد الإلهية الصالحة من وجود الانسان ، ولا يمكن تمجيد الله بالتقليل من عمله . ولذا لا يعبر الكاتب هنا عن شيء سوى الاعجاب بصنعة يد الله ومهارته الفائقة .

ويستمد أمثلة من تكنولوجيا التعدين ويعطينا صوراً لمهندسين قدامى وهم يعملون ويثنى على مثابرتهم وشجاعتهم لأن استخراج الكنوز من باطن الارض من أصعب الحرف . وهناك إشارة توحى بأن الحصول على الحكمة يلقى نفس القدر من العنت والمخاطرة . ولا مجال للتفكير بأن الكاتب يعبر عن عدم موافقته على ذلك كما لو كان يريد أن يقول بأن الطاقات المهدرة فى البحث عن الثروة كان من الافضل استخدامها فى البحث عن الحكمة . إن ما يريد أن يقوله أبسط من ذلك بكثير . فنجاح الانسان البارز فى التعدين يُظهر مقدار مهارته وذكائه ، ولكن برغم كل ذلك فقد فشل تماماً فى العثور على الحكمة .

---

(١) يحلو لبعض الدارسين وضع القرار فى البداية كما فى الاعداد ١٢ و ٢٠ . وهذا يفسد التأثير الجمالى للبداية المفاجئة التى تقرر حقيقة واقعة « يوجد مناجم للفضة » والتى تعتبر لغزاً محيراً فى طريقة ادب الحكمة .

والآداب الاخرى فى العالم القديم لم تقدم لنا الكثير فيما يختص بقصص استخلاص المعادن أو صناعة التعدين ، ولذا فهناك عدة أماكن فى هذه القصيدة لا نجد فيها وصفاً واضحاً للعمليات المستخدمة فى هذا المجال . ويبدو أن عدد (٣) يتكلم عن الحاجة لضوء صناعى فى أماكن التعدين العميقة فى باطن الأرض . وكل الترجمات اضطرت لبعض التفسير للتوصل إلى معنى ولكن (دوم Duhm) يستحق توبيخ دورم Dhorme (صفحه ٤٠٠) لإعادة كتابة النص لحل مشاكله .

وعدد (٤) يصيبنا بالإحباط لأنه بمقارنة عدة طبعات مثل الـ AV والـ Rsv وال NEB يصعب أن نصدق أن الكل يستقى من نص عبرى موحد . والـ AV وهى تتخذ كلمة (وادى) بمعناها المعتاد[1] تطور الفكرة إلى ماء يتسرب إلى المناجم . وليس هناك دليل على أن كلمة (Nahâl)العبرية يمكن أن تعنى منجم تعدين بالرغم من أن بعض الدارسين الحديثين يؤيدون ذلك . وهؤلاء (المنسيون) [2] قد يكونون مكتشفين بعيداً عن الوطن او عبيداً يعملون فى المناجم ، والوصف (بلا موطن لقدم) Av تقابلها كلمة « مسافرون » فى الـ RSV ، ويترجمها البعض بمعنى أن الناس الذين يمشون فوق الارض لا يشتبهون أن هناك اناساً تحت الأرض (يقول جولوم Guillaume) إن حادثاً يحدث لهم فيجرفهم ، وكلمة (يتدلون) [3] فى العربية قد لقيت بعض التأييد لأنها توضح الاخطار التى يتعرض لها الناس الذين يتزلون إلى حفر فى باطن الارض .

(٥) وفكرة الخبز الذى يخرج من الأرض موجودة ايضاً فى مزمور (١٠٤ : ١٤) ولكن حيث أنه يبدو أن مكانها ليس مناسباً لهذه القصيدة فيمكن أن تكون تلك المعلومة فى (مزمور ١٠٤ : ١٤) قد أثرت على الطبعة الماسورية لتجعل (أيوب ٢٨ : ٥) مشابهة لها . والذين يكتفون بهذا التفسير يجدون تناقضاً بين ما ينتج على السطح (الـ NEB تترجم الخبز) (قمح)

---

(١) الكلمة بمعناها الدقيق (Nahal) تعنى وادى ضيق وليس (سيلاً) .

(٢) هم (منسيون) لأنهم يعملون فى مناجم فى احد الوديان بعيداً عن سكن الناس (المترجم)

(٣) يقابلها « المتأرجحون ذهاباك وإيابا » فى الانجليزية المترجم

وما يخرج من تحت . ولكن (النار) لا تساوى ولا تناقض (الخبز) والفعل (يخرج) يعنى ايضاً (يخرج من الداخل) ، وحيث ان معادن اكثر قد ذكرت فى عدد (٦) فربما كانت كلمة (Lûn) اى لوح حجر ، والكلمة الملحقة بها (Mem) [1] تستحقان التأمل . ويؤيد ذلك الشكل الكامل للأربع عشر شطرة الأولى (اعداد من ١ — ٦) لأن الاربع وقفات تتكون من رباعيات (عدد ١ ، ٢ مدون بهما ٤ معادن) ، والشطرة الثلاثية (٣) ثم شطرة ثلاثية اخرى (٤) — وكلاهما غامض[2] — ثم شطرة رباعية اخرى (عدد ٥ ، ٦ يحويان ٤ معادن بتكرار الذهب) هذه المعلومة تسحب البساط من تحت اقدام الدارسين الذين يرغبون فى ازالة أو نقل عددى (٧ و ٨) على أساس أنهما يقطعان الاتصال بين عددى (٦ و ٩) فالجزء الجيد البنيان (أعداد من ١ — ٦) يختلف فى تكوينه عن الأعداد من (٩ — ١١) بالرغم من أن الجزء الأخير يعيد ترديد نغمة إنجازات الإنسان .

(٧ و ٨) (الباشق) يشتهر بحدة البصر ، (والكاسر) أى الأسد معروف بشجاعته ، ولكن كليهما لا يصل لدقة ملاحظات الانسان وجرأته . ولم يجرؤ طائر أو وحش على الاقتراب من الأماكن البعيدة التى استطاع الانسان أن يثير غورها نتيجة لحبه وشغفه بالكنوز ، ووظيفة تلك المعلومات فى وسط القصيدة عن التعدين قد يكون وسيلة اخرى لتفضيل الجنس البشرى على كل مخلوقات الله بالرغم من الاعجاب بتلك المخلوقات . وهذا يتفق مع الدور الذى تلعبه الحيوانات فى أحاديث الرب فى مساعدة أيوب على تقبل وضعه والاستمتاع بمركزه فى العالم وفى المخطط الإلهى .

(**٩و ١١**) مع أن هذه الفقرة أقصر إلا أنها وهى تتكون من ست شطرات لتتوازن مع القسم الاول المكون من ١٤ شطراً ، والمشاكل الموجودة فى أحدهما قد نجد مفتاح الحل له فى القسم الآخر . وهكذا فعدد (٩ و ١٠) شطرة رباعية (يحوى قدراً من المقابلة والتوازن) تضاهى الشطرات الرباعية للقسم الأول « فعلى سبيل المثال فالمعادن المختلفة المدونة بشىء من التفضيل فى الأعداد ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ مجملة فى عبارة « كل ثمين » (عدد ١٠) ولكن

---

(١) اى منها أو (فيها تراب الذهب) (المترجم)

(٢) لا داع لتقصيرها لشطرات ثنائية كما تفصل الـ NEB لكليهما .

الاعداد من ٩ فصاعداً تعتبر هامة من حيث أنها تبرز أهمية الإنجاز البشرى [1] وعدد (١١) الذى لا يظهر نفس النوع من التوازن (وقد حير ذلك المعلقين) له ارتباط بالشطرتين الثلاثيتين فى عدد ٣ ، ٤ عن طريق كلمات مثل (الأنهار) (المقابلة ل (nhl) (٢) فى عدد ٤) و (النور) (المقابلة لكلمة (ظلام) فى عدد (٣) وهناك طريقة أخرى لفهم ذلك كأن نقول أن الشطرات فى عدد (١١) تكمل الشطرات الثلاثية فى عددى (٣ ، ٤) حتى أن القصيدة الكاملة من ٢٤ شطرة تتكون من ست شطرات رباعية والنموذج متناغم لا يمكن التشويش عليه ، ويمكن أن نضيف هنا أن وضع عددى (٧ ، ٨) فى مكانه الطبيعى داخل اطار القصيدة يتضح من المقابلة بين عينى الانسان (١٠) وعينى الباشق (٧)

(١٢) (اما الحكمة فمن أين توجد وأين هو مكان الفهم) إن نجاحات الإنسان الرائعة تستحق المديح هنا وسموه على كل الحيوانات تجعل من فشله فى الحصول على الحكمة أمراً محزناً وأليما فى نفس الوقت ، والإجابة على السؤال ليست سلبية والدارسون الذين يظنون أن القصيدة تميل للشك قد استغنوا عن عدد (٢٨) ليثبتوا رأيهم . ولكن عدد (٢٣) يؤكد أن (الله يفهم) كل شيء وليس هناك أدنى إشارة إنه يحتفظ بفهمه لنفسه فقط .

(**١٣ ــ ١٩**) إن موضوع هذا القسم هو استحالة شراء الحكمة . ولهذا السبب فإن التعبير (قيمتها) أو ثمنها والوارد ايضا فى الـ AV والـ RV مفضل على الترجمة السبعينية (الطريق إليها) ، مع أن الاخيرة تفضلها الترجمات الحديثة . وهذا الخطأ القديم يرجع لتأثير عدد (٢٣) الذى يستعمل كلمة (طريق) ، والاستخدام الاكثر حرفية للمقابل (وجد) بينما (اكتسب) اكثر ملاءمة[3] وعدد (١٣ ب) ليس المقصود منه المعنى السطحى ، فأيوب لم يقل ابداً أنه لا توجد حكمة من اى نوع (فى ارض الاحياء) NEB ،

---

(١) لتلك الاسباب المتعلقة ببنيان النص نعتقد ان الموضوع الرئيسى لا يزال هو التعدين و لم ينتقل لاعمال اخرى كانشاء أنفاق المياه

(٢) (Nhl) اى منجم ويساويها فى الانجليزية كلمة (Shaft) اى بئر المنجم .

(٣) حيث أن (أيوب) قد قبل الحل الذى تقوم به (داهور) باستخدام كلمة (يسكن) يجب تقييم أسبابه لذلك فهذا يزيل عقبة أخرى من الـ MT) ألا وهو التناقض فى القول بأن الحكمة ليس لها ثمن ولكن الله « يعرف ثمنها »

ولكن المقصود أنها لا يمكن أن نحصل عليها من العالم ولا من القوى البدائية أو العنصرية فى الطبيعة ، كالغمر والبحر اللذان يدلان على حالة الفوضى المائية قبل الخلق (١٤)

ومنطق القول فى وقت واحد « أنها ليست هناك وحتى لو كانت موجودة فلا يمكنك أن تشتريها » يعد منطقاً كثيراً ما نصادفه فى الكتاب المقدس . وقائمة الأشياء الثمينة المذكورة فى الاعداد من (١٥ — ١٩) والتى قد يظن الانسان أنه يمكن شراء الحكمة بها ، هذه القائمة لم تكتمل بعد لتقنع كل واحد ، كما تظهر مقابلة الترجمات بعضها ببعض ، وحتى وإن كانت الكلمات مستخدمة عدة مرات فى العهد القديم فإن نقص المعلومات الاضافية تترك عدة احتمالات مطروحة للبحث . ولحسن الحظ فالنقطة التى يراد تأكيدها لا تعتمد بأى حال على نتائج هذا البحث .

(**٢٠**) والقرار يفصل بين الاقسام الثلاثة للاصحاح .

واستخدام كلمة (تأتى) هنا لا يصح اغفاله (١) فهذه الكلمة وهى أكثر عمومية تتفهم المشكلتين ، كيف تكتشف الحكمة وكيف تضمن الحصول عليها .

والقسم الثالث يقدم الاجابة ، فالحكمة لا توجد سوى عند الله والانسان يحصل عليها فقط عن طريق الاعلان الالهى .

(**٢١ — ٢٧**) إن تحليل التركيب هنا سوف يقدم لنا خدمة جيدة كما فعل فى القسم الأول ، لأن الفكرة هنا كما هناك لا تسير فى خط مستقيم . فما يقوله الله فى النهاية (عدد ٢٨) يتناقض مع كلمة (Abbodon) (أى الهلاك — ٢٦ : ٦) والموت فى عدد (٢٢) والغمر والبحر ((عدد ١٤) ، فقدرة الله أن يرى كل شىء (٢٤) تتناقض مع إخفاء الحكمة (عن عيون كل حى) (٢١) حتى وإن كان الانسان يرى الكثير (١٠) ويجد الأشياء المخفية ويرى أكثر من الطيور (٧) فاذا كان الهلاك والموت من القوى الاولية التى تقابل الفوضى فلا يصح أن نجد فى عدد (٢٢) تناقضاً لفكرة أن ما لا يمكن الحصول عليه (فى أرض الأحياء) (عدد ١٣ المقابل الآخر لعدد ٢٢) يمكن أن يتواجد فى الهاوية ، دون الدخول فى جدل حول فكرة

استحضار الأرواح .

(٢٣) فى مقابل (مكان) فإن كلمة (طريق) يجب أن تعنى (مملكة) كما يتضح من (أمثال) ٨ : ٢٢) على أى حال لا يصح إساءة فهم العبارة . فمكان الحكمة ليس ببساطة فى ذهن الله ، إنها (ما يفهمه) الله عندما ينظر إلى (أقاصى الارض) والحكمة يمكن ملاحظتها فى الكون لأن الله قد جسمها فى خليقته عندما (رآها) (وأخبر بها) (وهيأها) (وبحث عنها) ويمكن للبشر أن يعرفوا ذلك بانفسهم فقط عندما يريها الله لهم (روميه ١ : ١٩) ، وهذا بالضبط ما سوف يعمله الله مع أيوب باختصار عندما يأخذه فى جولة هائلة للبحث عن الذات .

(٢٥ و ٢٦) هنا نجد عينات قليلة من أحكام الله الدالة على الحكمة — كالريح والمياه والمطر والصواعق — التى تكون كلها شيئاً واحداً هو العاصفة الرعدية . ونحن قريبون هنا من عقيدة لاهوتية قديمة جداً . وسوف نصادفها مرة اخرى فى اصحاح (٣٧) فى احاديث الرب (انظر مزمور ٢٩) ، ويمكن ايضاح المقصود جيداً بضرب مثل واحد يحتوى على فكرتين متصارعتين . ففى العواصف الرعدية الممطرة يبدو الله غامضاً ومدمراً وجواداً فى آن واحد . ولكنها ليست كالفوضى القديمة قبل الخليقة . ففى اعمال الله الابداعية ينجلى النجاح الكامل والاستقرار وما (نظره) عندئذ هو ما (ينظره) الآن .

(٢٨) كثير من المعلقين لا يحبون هذا العدد ، فهم يرفضونه باعتباره شيئاً كيكا معروفاً سلفاً ، محتوياً على حكمة متداولة . وقد سبق القول أنه لا شىء يدعو للشك فيما يختص ببقية الاصحاح . وقد أثار رادلى الجدل بقوله إن استخدام كلمة (الرب) هنا فقط يكشف عن مصدر غريب ، ومثل ذلك التحول المفاجىء نصادفه دائماً فى نهاية قصائد الحكمة ، فتتحول الحكمة من التأمل إلى الفعل . فبعد رؤية حكمة الله فى رعب العاصفة ، يبرز السؤال التالى : « هل يمكن ان ترعد بصوت مثل صوته ؟ » (٤٠ : ٩) فالحكمة بالنسبة لأى إنسان لا يمكن أن تكون مجرد تأمل « بالتفكير فى طرق الله نحوه »

فكيف إذن يدرك أى إنسان تلك الحكمة المتمثلة فى العاصفة ؟ بكونه إنساناً ! وبادراك ما باستطاعة كل البشر التوصل إليه وما الذى يصعب عليهم

فى نفس الوقت ألا وهو مخافة الرب) تلك التى جعلت أيوب فعلاً يحتذى للحكمة ، رجلاً كاملاً ومستقيماً يتقى الله ويحيد عن الشر (١ : ١)

٤ ــ ايوب وأليهو (٢٩ : ١ ــ ٣٧ : ٢٤)

بعد تسوية الحوار بانتهاء اصحاح (٢٨) يوجد ثلاثة متحدثين : أيوب واليهو والرب فمن ناحية فإن آخر حديث لأيوب (الاصحاحات من ٢٩ ــ ٣١) يكمل المناقشة مع الأصحاب . والاقوال التالية لاليهو والرب يمكن بعدئذ إدراجها تحت مسمى القضاء البشرى والقضاء الالهى . ولكن لا يجب البحث عن كثير من التشابه بينهما بل يستحسن فصل أحاديث يهوه كشيء بارز فى العمل الدرامى . وحيث أن أليهو يسترجع الحوار السابق عن عمد ، فيمكن إدراج أحاديثه مع عبارة أيوب الختامية كمحاولة لتلخيص كل شيء ، ولكن طبيعة تلك الأحاديث تختلف . ولهذه الأسباب ــ ولأسباب أخرى ــ يمكن تمييز أحاديث أليهو كمرحلة مستقلة . وإعلان ايوب النهائى (الاصحاحات ٢٩ ــ ٣١) يعتبر بالمثل وحدة مستقلة فى حد ذاتها .

أ ــ ايوب (٢٩ : ١ ــ ٣١ : ٤٠).

يسمى بعض الدارسين هذا الحديث المطول مناجاة النفس . وما يقوله أيوب يتفق مع الحوار ككل ، وحتى لو صمت كل الأصحاب الآن فأيوب لا يتحدث مع نفسه . إنه نطق علنى وتأكيد نهائى ببرائته .

وأقسام الاصحاح تتوافق مع أقسام الحديث الثلاثة الواضحة المعالم ، فأيوب يصف حالة السعادة السابقة فى (اصحاح ٢٩) ويضاهيها بحالته الراهنة المؤلمة التى تدعو للرثاء (٣٠) ويختم بقطع عهد مفصل واضح على نفسه (٣١)

١ ــ حالة أيوب السابقة (٢٩ : ١ ــ ٢٥)

إن التكوين الفنى لهذا الاصحاح سبق أن صادفناه عدة مرات فى هذا السفر ، فهناك وصف لسلوك أيوب يثير الإعجاب (اعداد من ١١ ــ ١٧) ، وهناك إحساس بالطمأنينة (١٨ ــ ٢٠) يحدهما إطار من ذكرياته فى المجتمع .

وإذ يبدأ بعلاقته مع الله (٢ ــ ٥) ومع عائلته (٥ ب و ٦) يركز أيوب على المركز الذى وصل إليه فى المجتمع (٧ ــ ١٠ و ٢١ ــ ٢٥)

والدارسون الذين يحبون وضع كل التعليقات التى تخص موضوعاً واحداً

فى مكان واحد قد وحّدوا هذه الفقرات بادخال الاعداد من (٢١ ـــ ٢٥) بين عددى ١٠ ، ١١ (NAB , NEB , AB) وهذا مما يؤسف له ، وبهذا الصدد فإن مخطوطات قمران لسفر أيوب تؤيد تماماً ما جاء فى الـ MT .

إن تصميم أصحاح (٢٩) يصلح لادماج الاصحاحين التاليين فى وحدة واحدة لأن قائمة الفضائل المذكورة فى (٢٩ : ١١ ـــ ٢٠) تتفق مع اصحاح (٣١) بينما قائمة الاهانات الموصوفة فى أصحاح (٣٠) على نقيض الاحترام والتكريم الذى يلقاه فى (٢٩ : ٢١ ـــ ٢٥) وهذه الاعداد يجب أن تترك فى مكانها الحالى حتى يكون للتعبير (وأما الآن) فى (٣٠ : ١) تأثيره القوى ، وهذا التأثير يضيع إذا جاء (٣٠ : ١) بعد (٢٩ : ٢٠) كما فى الـ (NEB) .

إن استرجاع أيوب لتاريخ حياته من أهم المواثيق فى الكتاب المقدس لدراسة الآداب الاسرائيلية ، وتصويره الإيجابى للحياة فى أسمى صورها (أصحاح ٢٩) واعترافه السلبى فى (اصحاح ٣١) يتضمنان أسمى المثل الأخلاقية .

والسلوك السليم بالنسبة له هو سلوك اجتماعى بالدرجة الأولى ، وواجبه الخاص نحو نفسه كانسان لم يناقش ، وواجبه نحو الله فى العقيده أشير إليه فقط فيما يتعلق بموضوع عبادة الاصنام (٣١ : ٢٦ ـــ الخ) إذ أنه موضوع هام ولكنه سلبى . وحسب قناعة أيوب فالخطايا ليست هى فقط الأخطاء التى يرتكبها الناس بعصيان النواميس المعروفة ، كنواميس الله أو المجتمع ، بل هى عدم فعل الخير مع أى إنسان من أى مرتبة أو طبقة ، فإن ذلك يعد اساءة بالغة موجهة نحو الله .

وافتخار أيوب بانجازاته لا يصح أن يساء فهمه ، فقد كان دفاعاً شرعياً عن نفسه وليس براً ذاتياً . فلو كان أيوب قد تبنى موقف الخاطىء الذليل لكان ذلك نوعاً من البر الذاتى بالنسبة له ، فعلينا أن نتذكر ذلك عند قراءة ما جاء فى (٤٢ : ٢ ـــ ٦) لأنه بالرغم من ذلك فإن أيوب لا يتراجع عن الحديث الحالى باقراره بأى خطأ مهما كان .

والاصحاحات من (٢٩ ـــ ٣١) مبنيان على أساس (٢٨ : ٢٨) لأن أيوب هو الرجل الحكيم وهنا نتعلم بالتفصيل معنى أن نخاف الله ونبتعد عن الشر .

(٢ ــ ٦) إن تاج الحزن على رأس أيوب كان يذكره بحياته السابقة الممتلئة بالغبطة ، وكان السر يكمن فى رعاية الله وصداقته . والكلمة (حفظنى) (٢ ب) توحى بالرعاية والحنان (مزمور ١٢١) مع أنه فى أيوب (١٠ : ١٤ ، ١٣ : ٢٧ ، ١٤ : ١٦) هناك شيء مخيف فى رقابة الله المستمرة . ويجب استعادة كلمة (الصداقة) كما فى عدد (٤) مع أن كلمة (حماية) مفضلة فى الطبعات القديمة والحديثة (وذلك بتغيير حرف واحد) وقد دافع عن ذلك (D . Winton Thomas) دون تغيير فى النص .

و « سر الرب (AV , RV) لخائفيه » (مزمور ٢٥ : ١٤) أو المقربين له أو القلة المختارة (إرميا ٢٣ : ١٨) فقد كان يستمتع بالشركة مع الله فى بيته (خيمته) وليس فى محراب ، وكانت تلك (أيام خريفه) (٤ أ) ، وقت الإنضاج والإثمار وليس وقت الإنحدار نحو الشتاء بل اكتمال دفء الصيف والنمو ، والعلاقات التقليدية الدالة على رضى الله كانت عديدة من عائلة وقطعان من الاغنام والماشية وحقول مثمرة ، وقد تمتع أيوب بذلك (٥ ب ، ٦) ، (والصخر) قد يعنى إما معصرة الزيتون أو الجبل بما فيه من الأشجار الظليلة

(٧ ــ ١١) لا يحَب الاغنياء فى أغلب الاحيان ، ولكن الاحتمال الاغلب أن الناس تخشاهم أو تحسدهم أو تكرههم . وهناك فقرات عديدة فى الكتاب المقدس يتساوى فيها الأثرياء مع الأشرار فمن المفترض أن الشخص يصبح ثرياً فقط عن طريق عدم الأمانة أو على حساب خسارة شخص آخر ، وهو يحتفظ بمكاسبه لأنه أنانى ولكن ليس هكذا أيوب .. فقد كان يستمتع بتقدير البلدة كلها . ولم يكن الأغريق هم القدماء الوحيدون الذين كانوا يرون أن الحياة الطيبة فى المشاركة الكاملة فى شئون المدينة . وفى اسرائيل كان باب المدينة يعنى مركز التجمع الذى تؤدى عنده الأعمال العامة . وهنا نرى أيوب ينال كل الاحترام ، فقد كان من قواعد اللياقة فى اسرائيل الوقوف فى حضرة الأكبر سناً (لاويين ١٩ : ٣٢) وإن لم يكن هناك ما يدعو للاعتقاد أن أيوب كان رجلاً مسناً ومع ذلك (فالاشياخ قاموا ووقفوا) (٨) أمامه ، والقادة المرموقون أنصتوا إليه بانتباه (٩ و ١٠) . إن حديثه وسلوكه كان موضع إعجاب الجميع (١١)[1]

---

(١) ليس من المؤكد ان كان هذا العدد ينهى الفقرة السابقة او يبدأ القسم التالى .

إن مثل ذلك المركز كان من الأمور الشائعة ولو كان أيوب يدعى ذلك لنفسه لعرّض نفسه للنقد وتوجيه اللوم .

(١٢ ـــ ١٧) كل ذلك التكريم لم يكن مقدماً لرجل غنى بسبب قوته الاقتصادية ونفوذه السياسى . لقد سبق لأيوب أن تكلم عن ذلك باستهجان (اصحاح ٢١) إن صيت أيوب كان مبنياً وبصفة خاصة على أعماله العظيمة فى فعل الخير والمعروفة للجميع . فبالاضافة إلى المستحقين التقليديين كالمسكين المستغيث واليتيم والذى لا معين له والأرملة (١٢ و ١٣ ـــ يرفض أيوب ما تجرأ اليفاز باتهامه به فى ٢٢ : ٦ ـــ ٩) ـــ مد أيوب يد المساعدة للمعوقين وبحث عن أناس لم يعرفهم (١٥و ١٦) .

والترتيب الشعرى فى هاتين الوحدتين ذات الأربع شطرات يقودنا إلى التركيب الكلى للقسم . وعدد (١٧) ذو أهمية خاصة إذ أنه يحتضن بقية الأعداد باظهار الاجراءات القوية التى يمكن أن يتخذها أيوب (معرضاً نفسه للمخاطر) لمقاومة الجريمة . وعدد (١٤) يحتل موقعاً استراتيجياً بين الشطرتين الرباعيتين المتقابلتين ويتميز بتركيبه الخاص . ويمكن تفسير طوله إذ نرى أنه ثلاثى الشطرة من النوع المألوف فى الشعر الكنعانى الذى يتميز بالتوازن الغير تام والاطار الناقص :

لبست البر
فكسانى كجبة
وعمامة كان عدلى

(١٨ ـــ ٢٠) هذه فكرة سليمة تماماً ولا تستحق التراجع او الاعتذار ، وهى ليست مبنية على ادعاء كاذب بل على الثقة بأن الله يكرم الذين يكرمونه . وتمسك أيوب بهذا التعليم يخرس ناقديه الذين أنكروا عليه اعتقاداته المماثلة فى أصحاحى (٢٤ و ٢٧) بنقل تلك العبارات ووضعها على فم آخرين . والشعر هنا ثرى والاستعارات الكثيرة مختلطة كما سبق أن رأينا . والصورة الواحدة لا تقود للصورة الأخرى فى قصيدة غنائية من هذا النوع . ومن ثم فالتوريات يصعب إدراكها .

(ووكر)أيوب قد يكون بيته أو اطفاله (يفضل البعض كلمة عشه) ولكن قيل فى ذلك العديد من الاقتراحات بدءا بالترجمة السبعينية التى قالت

« بطول العمر » تمشياً مع طول عمر الآباء مع عدد (١٨ ب) إذا أخذنا المعنى الواضح كما فى الترجمة العربية بأن أيام أيوب ستكون عديدة (كالرمل)[١] ومن المدهش أن نعرف كم من المناقشات اثارها عدد (١٨ ب) وقد طرحت عدة بدائل قديمة بما فيها امكانية استعمال كلمة (السمندل) للاشارة لطول الأيام حيث أن (Albright) وجد الطائر فى أساطير ما بين النهرين ومؤلفات الدارسين العديدين الذين أيدوا فكرة السمندل ، ويمكن الحصول على هذه الفكرة عن طريق دراسة التعليقات الكبرى ، وهناك مناقشة مطولة وحذرة فى (Pope) نخرج منها بأنه لا يزال متردداً بهذا الخصوص . ونحن نشاركه فى تردده لأن فكرة التجدد اللانهائى تبدو مضادة لقبول أيوب للموت بعد حياة حافلة ، والقيامة (مرة واحدة) لا يمكن أن تكون هى المقصودة بهذا الرمز لهذا النوع المختلف من الخلود .

والشكل المألوف لتلك الشجرة الثرية (١٩) ليست أقل توافقاً باستخدام بلدد لها فى وصفه للأشرار فى (٨ : ١٦) . وعدد (٢٠) يبين كيف كان الاسرائيلى يقدر احتفاظه بقواه الطبيعية حتى لحظة الوفاة .

(**٢١ ــ ٢٥**) هذه الاعداد تكمل الصورة بشأن استمتاع أيوب بالاحترام الذى يستحقه تماماً فى مجال أداء الأعمال العامة . لقد كان يشغل مركز القيادة فى المدينة وكل كلمة يتفوه بها كانت تحظى باحترام لا مثيل له . وهناك صورة أخرى استعملت فى عدد (٢٣) فكلمات أيوب الحالية لم تكن تلقى الترحيب الذى كانت تلقاه (أمطار الربيع)[٢] التى كانت حيوية للمحاصيل فى منطقة فلسطين حتى تظل مزهرة لوقت حصاد الصيف . وعدد (٢٤) صعب (أنظر الـ AV وقد اكملت الـ NEB اتجاه الـ RSV فبدلاً من أن يوحى المعنى بإن ابتسام أيوب لا يمكن أن يفسده اليأس من الآخرين تجعل ابتسامته العلاج الاكيد لفقدان الثقة والخور (٤ : ٣) . والعدد الأخير اصعبها جميعاً للأسف لأنه يبدو تلخيصاً لما سبق . والشطرة الاخيرة التى تحذفها بعض الترجمات مثل الـ NEB كعبارة شاردة قد تكون صدى لعدد (٢٤) مع

---

(١) حسب النص الانجليزى « سوف اكثر اياماً (كالرمل) بينما نجد الطبعة العربية تتكلم عن السمندل (المترجم)

(٢) (مطر الربيع) فى الانجليزية يقابلها « المطر المتأخر » فى العربية (المترجم)

الاشارة (التعزية النائحين) ، والمقابلة مع عدد (٢٥ أ) مع ذلك تسمح بتكوين قصيدة رباعية الشطرات :

اخترت كحاكم لهم[١]
وكنت اجلس كرئيس لهم

وسكنت كملك فى جيش
كمن يعزى النائحين[٢]

٢ ــ موقف أيوب الحالى أو أيوب فى موقف الذلة الحالية (٣٠ : ١ ــ ٣١)

الرب أعطى فى (اصحاح ٢٩) والرب أخذ فى (اصحاح ٣٠) والفارق بينهما كبير جداً ، فمما زاد الطين بلة أن الخسارة الحالية يقابلها المجد الماضى وكلاهما مكتمل ، وليس هناك مصدر واحد لبؤس أيوب بل عدة أسباب تتلاقى وتدعم بعضها بعضاً .

وليس هناك طريق للعلاج بمعرفة السبب (الخطية ام الشيطان وهكذا) والتعامل معه . ومع ذلك فهناك مصدر واحد وسبب واحد وتفسير واحد والله وحده هو العلاج .

وبربط تقرير أيوب الختامى (الاصحاحات من ٢٩ ــ ٣١) بمرثيته الافتتاحية (اصحاح ٣)، [٣] نجد التشابه بين اصحاح ٣ واصحاح ٣٠ ، ولكن هناك أيضاً اختلافات عديدة عامة .

لقد سار أيوب مسافة كبيرة ، ففى اصحاح (٣) كان انتباه أيوب مركزاً على أوجاعه الراهنة فقط وفى اصحاح (٣٠) نراه مدركاً للأبعاد الاجتماعية والروحية لمأساته ، وهذه ربما تعد من أكثر قصائد أيوب حزناً ونهاية ملائمة لكل ما سبق من قصائد . إنها أكثر القصائد خضوعاً لإرادة الله وأكثرها عمقاً

---

(١) وضع الفعل فى المبنى للمجهول يوحى بأن الاختيار تم بالانتخاب وليس بفرض السلطة .

(٢) إذا اخذنا ذلك على أنه صورة بلاغية فهو تشبيه وليس دليلاً على أن ايوب كان ملكاً لشعبه حقاً (جامعه ٤٩ : ٩) ، وكما جاء فى السبعينية فى (أيوب ٤٢ : ١٧) التى تربط أيوب بالنسب الملكى لأدوم نجد ان صورة الملك فى القتال وصورته كفاعل الخير صورة اسرائيلية فى الاصل (انظر المقدمة)

(٣) أنظر المقدمة

فى التفكير وأقلها تحد . إنها تظهر أيوب فى ضعفه وأنه لم يعد قادراً على أن يحلم حتى بلمسة من لمسات الصداقة من قبل الناس أو الله . فبعد الانتهاء من اصحاح ٢٩ يركز أصحاح ٣٠ على نقص كل صداقاته ، وما عمله الله معه (الاعداد من ١٦ ــ ٢٣) يوجد وسط ما فعله الناس معه (١ ــ ١٥ ، ٢٤ ــ ٣١) ، ولكن هذين الاختبارين ليسا مستقلين عن بعضهما ، والقصيدة ككل تعد إحدى القمم ، وهناك انفعالات تتصارع فى نفس أيوب . فهو مرذول ومزدرى ومهان ومخذول وبائس .

(١ ــ ٨) تبادل أيوب الاحترام مع أكثر الناس احتراماً لأجل احتقار أكثرهم حقارة ، فاعتزاز أيوب الاصيل يظهر من خلال احتقاره لحثالة المجتمع الذين يجعلونه (الآن)[1] اضحوكتهم ، فمثل هؤلاء الاشخاص الذين يستحقون الازدراء ليسوا فى وضع يسمح لهم باحتقار أيوب لأنهم أدنى طبقات المجتمع ويعيشون كالسائمة (٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧) فهم فى مرتبة أقل من البشر وحق عليهم الطرد كعصابة مجرمة من السكن بين اشراف الناس (٥ و ٨)

والصورة العامة واضحة مع أن الكثير من التفاصيل غامض . وقد استبدلت الـ RSV كلمة (الشيخوخة) فى الـ Av بكلمة (قوة) فى عدد (٢) منعاً للظن والتخمين ، وهذا قد يعنى رفض أيوب استخدام عديمى المنفعة ولكن من غير المحتمل أنه ما زال يتحدث عن آبائهم العاجزين لأنه من قساوة القلب احتقار المعوقين لا لسبب إلا لعجزهم عن الإنتاج . وقد فشلت المحاولات لاصلاح عدد (٣) ويبدو أنه مع عدد (٤) يصف العادات الذليلة لأولئك المنبوذين الذين يجمعون الأوراق والجذور بحثاً عن الطعام (تقول الـ NEB والـ RSV أن اصول الرتم كانت تجمع كوقود وذلك بعمل تغيير فى العبرية) . وتختلف مخطوطات قمران لسفر أيوب كثيراً عن الـ MT فى هذا الجزء وبدراسة ما جاء بها نجد أنها تقودنا إلى بعض الاختلافات التى تستحق التأمل .

فهى تؤيد الفكرة العامة للأكل (وبذلك تتلافى الكثير من التعديلات بما

---

(١) (لكن الآن) وردت فى الاعداد (١ ، ٩ ، ١٦) ثلاث مرات وهى بذلك تميز تركيب هذا القسم .

فيها التعديل فى الـ RSV) وتشير إلى طعام من نبات الصحراء[1] وقاموس السباب يربط عدد (٨) بعدد (١) مكملاً سباب أولئك الذين هم (ابناء الحماقة) بل ابناء بلا هوية (حرفياً (بلا اسم) فى العبرية ، (الشخص الذى بلا اسم فى العبرانى) والمعنى الشخصى الذى لن يُسمى أبداً [2] والكلمة التى معناها (سيطوا) أى ضربوا بالسوط لم يتعرض لها أى بحث .

(**٩ ــ ١٥**) الصورة مبالغ فيها ولكن السخرية عميقة لأن أيوب نفسه كان شفوقاً على هؤلاء الحثالة وقد بكى عليهم (عدد ٢٥) ولكن من يبكى على أيوب ؟ إن الانسان لا يعد نفسه منتسباً للانسانية عندما يتندر عليه ويسخر منه فاسدو الأخلاق (٩) (ولا مساعد عليهم) (١٣) . فأيوب الآن هو المنبوذ (١٠ و ١٢) وهو الذى يُبصَق عليه . وإضافة اسم (الله) كالفاعل[3] فى عدد (١١ أ) قد حدث فى الترجمة وذلك مبنى على مقارنة الفعل فى المفرد بالافعال فى الجمع المستخدمة فى القرينة المجاورة . والـ NEB يجعل الفعل يشير للرعاع ولكن الـ RSV قد تكون على صواب بالنسبة لعدد (١٥) كملاحظة أخرى عن هجوم الله الذى هو بالطبع مواكب لهجوم الناس . وقد صادفنا نفس الجمع بينهما فى أصحاحى ١٦ ، ١٩ . وصورة الحصار قد تكون وراء اللغة الصعبة للأعداد من (١٢)فصاعداً حيث كلمة (صدع) و (هده) توحيان بسقوط مدينة محاصرة (١٤) وكلمة (يتدحرجون) (١٤ ب) مع ذلك تعنى إندفاع المياه تمشياً مع الإشارة إلى (الريح) فى عدد (١٥) ، واختلاط الاستعارات ممكن ومن هنا كان ما جاء بمخطوطات قمران شيقاً حيث أنها تستعمل نفس الفعل لترجمة نهاية عدد (١٤) وبداية عدد (١٥) كما لو كانت عبارة مباشرة على أيوب نفسه الذى انهار بسبب مرضه .

(**١٦ ــ ٢٣**) فى صرخة أخيرة من الحزن يصارع أيوب مع الألم المتزايد

---

(١) نسترجع هنا تقرير يوسيفوس عن اشخاص طردهم الاسينيون . (الحروب (٢) مجلد ٨)

(٢) رأى (بلود) و (بيكيل) ذلك عندما فضلا استبعاد الاعداد من (٣ ــ ٧) بدلاً من الاعداد من (١ ــ ٨) أو (٢ ــ ٨) التى يفضلها (فوهرر) لان الاعداد من (٣ ــ ٧) تقطع تواصل الاعداد من (١ ــ ٨) . لمزيد من التفاصيل انظر مجلد (درايفر ــ جراى) الجزء الأول

(٣) فى النص العربى لم يذكر اسم الله صراحة فى عدد (١١) ولكنه ذكر فى الانجليزية (المترجم)

بسبب مرضه ، كما لو كان وحشاً مرعباً ينهش جسده ليل نهار . وبدلاً من استخدام صيغة المبنى للمجهول كما فى الـ AV فإن الـ RSV تجعل (الليل) فاعل عددى (١٧ و ١٨) ، ولكن من الأفضل أن يكون الفاعل هو الزمن (٧ : ١١ ــ ١٩) (والله) هو الفاعل وخاصة إذا قبلنا استنتاج الـ RSV التى اضافت اسم (الله) كفاعل الفعل المفرد فى عدد (١٩) [١] ، ويمكن مقارنة عدد (١٨) بما جاء فى (٧ : ١٥) كجزء آخر من نتائج الحلم المفزع حتى أن الخنق الذى نوه عنه ليس نتيجة مباشرة للبلغم (حسب الـ NEB) بل بسبب (مخالب) المهاجم . وبعض المعلقين وجد فكرة النجاسة فى عدد (١٩) كما فى (١٨) لتفسير الكلمة العبرية الصعبة (تنكر) (عدد ١٨) ولا حاجة بنا أن نطيل الوقوف فالنتيجة يمكن أن نراها فى (جلوم Guillaum) أو الـ NEB لأن مخطوطات قمران تؤيد الترجمة السبعينية فى ان الكلمة (يمسك)[٢] والتى تفضلها الـ RSV وفى ضوء صيغة الجموع فى مخطوطات قمران فالأعداد من (١٦ ــ ١٩) قد تكون مرتبطة بالاعداد من (١١ ــ ١٥) كوصف أيوب لمشاعره تجاه عداء المجتمع له ، والمعاملة الفظة التى يلقاها من الناس . ولكن الأعداد من (٢٠ ــ ٢٣) موجهة إلى الله بلا شك ، والنفى فى عدد (٢٠ ب) غير موجود فى الـ MT ، ولكن غير مطلوب إضافته إلى الأصل لأن النفى (فما) فى عدد (٢٠ أ) ينسحب على الجزء الثانى أيضاً ، وهذا مبدأ شعرى معروف جيداً . ولكن رفض الله (الاستجابة) لصرخة أيوب ليس السبب الرئيسى لحزنه ، وبينما كلمة (أقوم) يمكن أن تعنى الوضع الطبيعى لمن يطلب شيئاً أو للتقاضى أو للتقاضى امام المحاكم إلا انها قد تعنى أيضاً المثابرة حيث أن (أقوم) تعنى احياناً (أستمر) فى العبرية .

وفى عدد (٢١) يصبح الله (جافيا) ومرة أخرى نجد صورة (الريح) (٢٢) لتبرز عنف الهجوم وعجز أيوب . ولكن كلمة (ذوبتنى) أقرب الى الـ MT من كلمة (القيتى) فى الـ RSV التى قد تشير إلى صورة مختلفة

---

(١) الـ (NEB) اكثر تأكيداً باستخدام تعبير (الله نفسه) ولكن مخطوطات قمران تستخدم صيغة الجمع حتى عدد (٢٠) .

(٢) اى (يمسك ثيابى) (المترجم)

تماماً ، والـ NEB تشق طريقها فى اللغة العبرية الغامضة عن طريق التخمين . وعلى النقيض فإن عدد (٢٣) واضح تماماً فنجد فيه تجسيداً للموت ولكن ذلك لا يجعل منه إلهاً . والهاوية يطلق عليها (ميعاد كل حى) . إن يقين معرفة أيوب بهذه النقطة يجعل من قوله فصل الخطّاب . وفى هذا التعليق نهاية لحديثه ، والجزء الباقى من (٢٤ — ٣١) يتوازن مع المرثيات الأفتتاحية ، وتلقى الضوء مرة أخرى على التناقض بين (أيام المذلة) (٢٧) و (أيام خريفه) (٢٩ : ٤) .

(**٢٤ — ٣١**) فى (٢٩ : ١٨ — الخ) يجدد أيوب آماله وتوقعاته السابقة ، وظروفه الحالية مختلفة تماما اختلاف (الظلام) عن (النور) ، فحينما توقع [1] الخير جاء الشر . والكلمات المختارة تأخذنا إلى (٢ : ١٠)وقلبه (حرفياً : احشاءه أى اعضاء المشاعر الداخلية) (يغلى) ، والسبب الرئيسى لحزنه هو الظلم الفادح بسبب مأساته الحالية ، ومع أن معنى عدد (٢٤) غامض ففى ضوء عدد (٢٥) يمكن أن نجد صورة إنسان (محطم) [2]يمد يده طلباً للمساعدة التى لا تنكرها عليه القوانين الانسانية . ولا شك أن أيوب ما تجاهل ابداً مثل هذا الالتماس « ألم تكتئب نفسى على المسكين » (٢٦) ، والاعداد من (٢٨ — ٣١) تطنب فى وصف مأساته ، فقد صار رفيقاً للحيوانات المفترسة (٢٩) وأصبح منظره منفراً ومقززاً (٢٨ و ٣٠) وصوته خشناً أجشاً (٣١) .

وبناء على قاعدة (ما تزرعه إياه تحصد) فأيوب يجب أن يُعامل الآن كما عامل هو الآخرين (اصحاح ٢٩ وبخاصة الاعداد من ١٢ — ١٧) ، وصرخته التى لا ينتبه إليها الله (عدد ٢٠) يتجاهلها الناس أيضاً (٢٨) ، ومعنى (اسوددت ولكن بلا شمس) غير مفهوم ، وهناك شىء ما مقابل لعدد (٢٨) قد انتزع منه (كما فى الـ NEB) فقط بإعادة تركيب السطر . ومع أن الاصل مختلف فى عدد (٣٠) إلا أن هناك بعض الارتباط بينهما ، فالكلمة المستخدمة (شمس) فى عدد (٢٨ أ) تعنى (حرارة) والكلمة (المختلفة)

---

(١) استعمال هذا الفعل الهام (ترجى) ومقابله (انتظر) يؤيد تفسيرنا لما جاء فى (أيوب ١٣ : ١٥)

(٢) (فى الخراب) حرفياً فى النص العربى (المترجم)

(حرارة) فى عدد (٣٠ ب) تعنى قحط أو خراب .

وينهى أيوب مرثيته عن آلامه الجسدية المرضية والتى لا تجد من يخففها بكلمة حانية أو لمسة ودية ، فاصدقاؤه جلسوا معه (٢ : ١٣) ولكنهم لم يبكوا معه .

٣ ــ التحدى النهائى لايوب (٣١ : ١ ــ ٤٠)

هذا العهد الثمين ختام مناسب « لكلمات أيوب » (عدد ٤٠) . إنه قسم لتبرئة الذمة على شكل اعتراف سلبى . وكانت هذه العادة شائعة الاستعمال فى التشريع قديماً . كان الواحد يتبرأ من جريمة باستنزال اللعنات على نفسه اذا كان قد ارتكبها . خذ السرقة على سبيل المثال . فعند اقرار المتهم بأنه « ليس مذنباً » فهو لم يكن يقول ببساطة : « انا لست لصاً » أو « انا لم اسرق الثور » ولكن لكى ينفض عنه الاتهام الكاذب كان عليه ان يطلب من الشخص المتضرر أن يتقدم ويلقى باتهاماته ويقدم الدليل المؤيد لدعواه . وهكذا يسأل صموئيل : « ثور من اخذت ؟ » (صموئيل الأول ١٢ : ٣) وأسئلة أخرى مشابهة بعد ذلك مع تعهد بتحمل العقوبة المناسبة اذا قدم الدليل المطلوب .

أما الاعتراف السلبى فكان يختلف عن ذلك فهو اعتراف دفاعاً عن شرف الانسان أمام الناس إلا أنه كان موجهاً لله فى توسل ضد القضاء البشرى .

لقد سبق توجيه الاتهامات (أيوب ٢٢ : ٥ ــ ١١) ، ولكن لم تدعم هذه الاتهامات شهادة الشهود . وقدم أيوب إنكاراً صريحاً لها (٢٣ : ١٠ ــ ١٢) وترك تزكيته بين يدى الله (٢٧ : ٢ ــ ٦) وأصحاح (٣١) يكمل الاحتجاج الذى بدأ فى اصحاح (٢٩) مع الإصرار على براءة ساحته واستمر فى اصحاح (٣٠) بتقديم شكوى ضد الظلم الواقع من جراء المعاملة التى يلقاها حالياً من قبل الناس والله .

ويسرد اصحاح (٣١) جرائم معينة وينكرها جميعاً والتعبير الذى يستخدمه أيوب يقول « إذا كنت قد فعلت (كذا) فليصبنى كيت وكيت (وكذا) هى الجريمة (وكيت) هى العقوبة . وحيث أن أيوب يسلم كل شىء لله وليس لمحكمة بشرية فإنه لا يستدعى شهادة البشر لأن الله يرى كل شىء (٢٨ : ٢٤) . والحكم ليس عقوبة قانونية كغرامة مالية مقننة أو تعويضاً . إنه عمل من أعمال الله وطبيعته كعقوبة على خطية معينة يتخذ شكل العدالة الشاعرية . فالله يرتب شخصاً آخر لفعل نفس الشىء مع المذنب بطريق الانتقام . ويدون أيوب القاعدة العامة ويؤكد التعليم القائل بأنك تحصد ما تزرعه . ولذا فهو يتوقع الثمن الذى يمكن أن يدفعه لارتكابه جريمة الزنا مع زوجة جاره بأن جاره يرتكب نفس الجريمة مع زوجته (٣١ : ٩ و ١٠)

وقائمة الجرائم فى اعتراف أيوب السلبى غير منتظمة وغير تامة ، فهى ليست مدونة بقلم كاتب مدرب . إنها قصيدة شعرية يلقيها منبوذ يائس أمام مقلب قمامة المدينة وليس سجيناً فى قفص الاتهام . إنها آخر صيحة حماسية لأيوب وقد أضفى عليها الكاتب حماسة وجدية واندفاعاً كالسيل بصياغتها بقدر من عدم الترابط ، وهى تحمل ذل أيوب وهو انه المستميت مما يدعو للتأثر ، ولكن هذا التأثر يزول عند محاولة ترتيب أطراف الحديث وجعله شبيهاً بصفحة مأخوذة من دفاع أحد المحامين . والصيغة البسيطة التى ذكرت من قبل لا تتبع فى كل حالة . فأحياناً نجدها غير كاملة ، لأن (إن) الشرطية تعنى إنكار تام والنتيجة المتوقعة للذنب (الذى يبنى على اليمين الكاذب) غير مذكورة . وأحياناً يدعم القسم بتأكيدات إيجابية بأن أيوب فى واقع الأمر ، قد فعل الصواب . وأحياناً تضاف أسئلة أو ملاحظات عن خطورة خطأ ما . ويبدو فى مرة أو مرتين أن أجزاء القسم الواحد غير موجودة جميعها فى نفس الموضع ، وتتابع أو تجميع الجرائم الفردية لا يظهر الكثير من الترتيب كما فى قائمة مكتوبة جيداً . وقد سبب ذلك الضيق للكثير من الدارسين والذى قام بعضهم بإعادة صياغة الأصحاح لإزالة هذه الأخطاء . وهم لا يكتفون ، بنوع خاص ، بإضافة قسم نهائى (الاعداد من ٣٨ — ٤٠) فى نهاية الحديث بعد توضيح كل شيء و« توقيع » أيوب (عدد ٣٥) . ولكى تقدم الـ (NAB) مثالاً ، قد غالت فقسمت النص إلى سبعة أجزاء وأدمجتهم معاً فى ترتيب مختلف للوصول إلى نتيجة أفضل ، وكذلك فعلت الـ NEB ، أما ال AB فقد أدخلت الاجزاء معاً بطريقتها الخاصة . ونحن ليس لدينا الحق أن ندين هذا العمل ، بل فى الحقيقة لدينا باعث للشكر على كل مجهود يلقى الضوء على المشاكل الحقيقية فى النص ، ولكن مثل هذه الاجراءات العنيفة ليست غير مجدية فقط بل ايضاً ضارة لكيان القصيدة ككل . واعادة الصياغة ليس له سند من النص حيث أن الطبعات القديمة بما فيها مخطوطات قمران تؤيد الـ MT فيما عدا أن الترجمة السبعينية بها القليل من الاشياء المحذوفة .

ومن الصعب تصور أنه بأية عملية آلية فإن نصاً بدأ بمثل ما جاء فى الـ NAB و الـ NEB .. الخ يمكن أن يصبح مثل الـ MT كما لو كانت صفحة قد انتزعت بالصدفة ووضعت الاجزاء معاً بطريقة خاطئة . ولا يمك أن نتصور كذلك أى عملية ذهنية يقوم بها أى كاتب لإعادة كتابة الـ NEB المنتظمة

عن عمد حتى يحيلها لتصبح مثل الـ MT الغير منتظمة .

ومن الناحية الأخرى فقد سبق أن صادفنا فى سفر أيوب أمثلة عديدة لأحاديث غير متصلة الأقسام أو الوقفات التى تتكلم عن موضوع واحد بل منفصلة فى التراكيب المتوازنة ذات الأنماط المقلوبة أو ما شابه ذلك . ونفس الشيء ينطبق على أصحاح (٣١) ووضع الفكرة المحورية بعيداً عن النهاية (اعداد ٣٥ ــ ٣٧) حتى أن السطور الأخيرة (٣٨ ــ ٤٠) ليست هى الذروة بل صدى لفكرة ترددت من قبل فى القصيدة ، وسيلة شائعة . وليس واضحاً كم عدد الخطايا المحددة منوه عنه يقول (فوهور) (ص ٤٢٩) إنه يجد عشرة أقسام مختلفة الطول . تسعة منها (العاشر فى الاعداد من ٣٥ ــ ٣٧) تتعامل مع اثنى عشر خطأ ، أحيانا بمعدل خطأ فى كل قسم واحياناً خطأين ، ولكن القساوة تجاه المساكين تشغل قسمين . وربما يعد هذا تلطفاً أكثر من اللازم . وعند الاحصاء الكامل نجد ستة عشر خطية جسيمة مبتدأة (بإن) الشرطية . ولكن ، كما أشرنا من قبل ، فبعضها لا يتبعه جواب الشرط المبتدىء (بإذن) ، فهى مرتبة معاً كما لو كانت واجهات لخطية واحدة . والرقم (١٦) يمكن ان يزداد عندما نعرف بأن كل فعل شرط مبدوء (بإن) يمكن أن يحوى اثنين أو ثلاثة من أفعال الشرط المتعاقبة دون الحاجة لتكرار (إن) فى كل مرة .

والحديث ليس كتيباً فى علم الأخلاق ويمكن أن يكون له ارتباط بالقوائم القديمة كالوصايا العشر ، ولكن لا نجد صلة مباشرة بينه وبين أى وصية منها . ومع أن اختيار أيوب كاف إلا أنه شديد الإيجاز لدرجة أننا لا يمكن أن نسميه لائحة أخلاقية ، وهو مثال على لوائح اسرائيل الاخلاقية . ومع أن هذه القائمة مختارة إلا أنها تلقى الضوء على أمور يعتبرها أيوب فى غاية الاهمية فى لائحة الأخلاق . والتعليقات الاضافية تكشف عن أسس الأخلاق عند أيوب .

وبينما كل الخطايا التى يتبرأ منها أيوب هى جرائم ضد اخوته من البشر ، باستثناء واحدة فقط (الخطية المستثناة هى عبادة الاصنام فى الاعداد من ٢٦ فصاعداً) إلا أن هذه الأعمال ممقوتة لأنها مشيئة لله كذلك (٢٣) وليست ضارة بالمجتمع فقط . وأى عمل ظالم أحط العبيد يكون مشيناً فى نظر الله لأن كل إنسان بشرى ثمين فى نظر الله (١٥) وتحت حمايته المباشرة .

الشهوة : (١ ــ ٤)

(١ ــ ٤) يندفع أيوب بالقسم دون مقدمات . ويبدأ بالعين (التى ذكرت أكثر من مرة ــ كالعضو الأول فى ارتكاب الخطية ، ولا يبدأ أيوب بالطريقة المعتادة فى الاعتراف السلبى بل بعبارة تقرر حقيقة . لقد (قطع عهداً) وإذ يبدو أيوب مدققاً أكثر من اللازم فى تجنب التعرض لأى اغراء محتمل فذلك لأنه حساس تجاه الأخطار المحتملة ، وترجمة كلمة (كيف) فى عدد (١ ب) مع أنها حرفية ، لا تبدو مناسبة وحيث أن معنى العبارة التالية يتضح من (جامعه ٩ : ٥) فإن (دورم) يفضل أن يعتبر كلمة (màh) [١] سلبية وقد يكون على حق . وهكذا تفعل الـ (NEB) . إن أيوب حريص لأن السؤال الذى اعتاد أن يسأله عن كل عمل هو :

« ما رأى الله فى هذا العمل ؟ » ، حيث أن الله يحصى (كل خطواتى) ، فكل ما يهم هو (قسمة) الانسان (ونصيبه) من الله . ففكرة المكافأة أو الجزاء ، إن لم تكن العقاب المستقبلى ، موجودة . والنقطة الرئيسية هى يقينية العقاب الإلهى على فاعل الاثم (٣) . إن قوة إقتناع أيوب بهذه النقطة يجب أن تكون موضع الالتفات . وعدالة الله تمثل عقيدته الجوهرية وهى الرد على الدارسين الذين استبعدوا عبارات مماثلة من أحاديث أيوب السابقة باعتبار ذلك تسليماً من الكاتب بوجهة نظر أصحاب أيوب بأن أيوب لم يكن هو قائلها .

وعلى فرض أن الخطايا الجنسية يجب أن يتم التعامل معها جميعاً من موضع واحد فإما أن العدد قد نقل من مكانه أو أن الإشارة للنظرات الشهوانية قد تغيرت بتغيير كلمة (عذراء) إلى (حماقة) أو ما شابه ذلك .

(٥ ــ ٨) عدم الأمانة

ينكر أيوب الكذب والغش . وكون أيوب يعتقد أن (الامانة) فضيلة تتصل بالداخل يتضح من تعريفه الرائع للطمع بأنه ذهاب القلب وراء العين (٧) . ودعاؤه بأن يخيب محصوله (٨) فى حالة الحيوان عن الطريق المستقيم يوحى بأن عدد (٥) يشير لممارسات تجارية مشبوهة .

---

(١) (màh) أى (ما هى) (٢ أ) (المترجم)

وبينما تعتبر كلمتى (الكذب) و (الغش) كلمات مجردة يمكن تجسيدهما فى أصحاب أيوب ، ومن الممكن أن تكون الأسماء جماعية لأن (الكاذب) (والغشاش) فى زمرة واحدة .

(٩ ـــ ١٢) الزنا

سبق أن علقنا على خصوصية العقوبة الموقعة . وبينما (تطحن لآخر) قد نشير إلى أحط أنواع الأعمال (خروج ١١ : ٥) إلا أنها قد تكون رمزاً للاتصال الجنسى للموازنة الشعرية . وخطورة هذه الخطية يتضح من الأسلوب الجاد المستخدم . وإذا كان (القضاة) فى عدد (١١) بشر فهذا هو المكان الوحيد فى الاصحاح الذى يشار إليهم فيه ، وهذا سبب غير كاف لاستبعاد السطر . وعدد (١٢ ب) غير واضح ولكن (١٢ أ) متوازن مع عدد (١١ ب) ويدل على أن الزنا خطية عقابها من الناس ومن الله فى هذه الحياة والحياة الأخرى . ولكن الاشارات للنار كعامل مدمر فى الهاوية (Abbadon) نادرة فى العهد القديم .

(١٣ ـــ ١٥) الظلم

هذا الجزء يجسد فضيلة أخلاقية لا نظير لها فى العالم القديم . لقد كان أيوب يعيش فى مجتمع العبيد والسادة (١ : ٣) كما فى كل أقطار الشرق القديم . ولكن فى تقديره فالعبد ليس قطعة أثاث بل كائن بشرى له حقوق فى الناموس وهى حقوق يضمنها الله نفسه ، المدافع عنهم . وعدد (١٣) يبين أن أيوب كان يعتقد أن العبد من حقه أن يرفع قضية ضد سيده . وقد افتخر أيوب مراراً بأنه يكسب أى قضية يقيمها الله ضده ورحب بمثل هذه الدعوى ، ولكن ليس لديه ما يقوله (١٤) وليس لديه دعوى ضد الله كعبده (١ : ٨ ، ٢ : ٣) إن كان قد عامل دعوى الآخرين باحتقار . وللإناث حقوق متساوية مع الذكور فى هذا المجال . وأسباب أيوب لاعتناقه هذه الآراء المستنيرة يرجع للحقيقة الاساسية التى سبق أن أكدها فى (١٠ : ٨ ـــ ١٣) فالبشر متساوون كمخلوقات الله وذلك التساوى يزيل الفوارق بين الجميع (أفسس ٦ : ٩)

(١٦ ـــ ٢٣) البخل

فى (٢٢ : ٧) اتهم أليفاز أيوب بعدم معاملة الفقراء والعاجزين معاملة

إنسانية . وفى أصحاح (٢٤) أدان أيوب الاشرار على مثل هذا السلوك وفى اصحاح (٢٩) أصر أيوب أنه ليس شريكاً فى مثل هذا التصرف ، ويكرر هنا إنكاره لذلك . والعناية بالأرامل واليتامى والمعوزين الذين لا سند لهم كان من أقدس الالتزامات فى اسرائيل ، وأحبها إلى الله . وهنا نرى أيوب كريماً فى توزيع الصدقات من الطعام (١٧) والملابس (١٩ و ٢٠) متيقظاً ونشطاً فى خوف الله (٢٣) وفى عدد (١٨) حسب الـ MT نقرأ « من فمى » و من « بطن أمى » وأنا « هديتها » فالعبارة الأخيرة إشارة إلى الارملة (بقلب العبارات) وكلها ذات معنى طالما لا نثير مشاكل تتعلق باستحالة اهتمام أى واحد بالأرامل والايتام منذ لحظة ميلاده ، فكل المقصود هنا هو الممارسة التى تمتد طوال العمر . واذا كانت الاشارة « لليتيم » مستمرة فى عدد (٢١) (البعض يقومون بعمل تغيير طفيف لتكون الكلمة (الكامل) وفى الـ NEB (البرىء) ، إذن فتعبير « رفع اليد » يتضمن الاشارة لصفقة تجارية مشبوهة أو دحر العدالة (فى الباب) مكان القيام بالأعمال التجارية العامة أو حتى العنف المادى .

والاشارة إلى (العون) أقل وضوحاً . فالـ NEB تفسر العبارة هكذا « عالماً أن أناساً سوف يؤيدوننى فى المحكمة » فإساءة استخدام نفوذ الأقوياء أمر شائع . وصيغة استنزال اللعنات أكثر وضوحاً هنا ، فالذراع التى ضربت سوف تنكسر . والاشارات التشريحية الدقيقة وبخاصة معنى كلمة (تجويف) ، (حرفيا (قصبة) استخدام فريد فى بابه) ، قد أثار الكثير من المناقشات التى لا تنتهى ولكن المعنى العام واضح .

(٢٤ و ٢٥) الطمع

فى (٢٢ : ٢٤) حث أليفاز أيوب أن يجعل الله كنزه ، وهنا ينكر وضع ثقته فى ثروته ، وليست هناك لعنة متعلقة بهذا الأنكار وتكملة الصيغة ليس ضرورياً ، ولكن تجنب الجشع قد يكون مرتبطاً بتجنب عبادة الأصنام (الاعداد من ٢٦ فصاعداً) هذا مع عدد (٢٨) يدل على الذنب المشترك فى كل تلك الحالات[1]

---

(١) أى إنكار الله (المترجم)

(٢٦ ــ ٢٨) عبادة الأصنام

لأن عدد (١١ ب) تكلم عن الزنا بعبارات مشابهة (فهذا أيضاً يربط ما بين الزنا وعبادة الأصنام كجرائم عامة (أنظر تثنيه ١٧ : ٢ ــ الخ) وحدة اللهجة لا يعنى أن تلك هى أعظم خطية ، فالمظالم الإجتماعية لا تقل عنها سواءاً فى نظر الله . ونظراً لتواصل هذا الجزء ، « كالشمس » و (القمر) يكملان فكرة الطمع .

فى عدد (٢٧ ب) فالتعبير باللغة العبرية هو « يدى قبلت فمى » ، بينما القاء القبلات باليد كعلامة على العبادة قد تكون هى المقصودة ، ومثل ذلك الطقس لم يكن جزءاً من عبادة اسرائيل المعروفة وقد كان محرماً تقديمها لأى إله سوى الرب ، واليد قد توضع أمام الفم لتقديم التحية ، وبينما لا تقول العبارة فعلاً أن الشمس والقمر موضع تكريم إلا أن الفعل نفسه قد يكون انكاراً لله (٢٨ ب)

(٢٩ و ٣٠) الشماتة

من هنا فصاعداً نجد العديد من (إن) الشرطية دون أن يتبعها عقوبة ، والبعض قد صعب عليه تتبع الخيط ، والـ RSV تعزل بعض الجمل كعبارات اعتراضية .

فى عدد (٢٩) تصل أخلاق أيوب إلى القمة ، فهو ينبر على الاستقامة الداخلية ، أصعب جميع الفضائل فى تنميتها ، ولا يعرف حقيقتها سوى الله .

وبالرغم من مهارتنا المنقطعة النظير فى خداع النفس عندما نظن فى أنفسنا أكثر مما تستحق ، فمن غير المحتمل أن أى افتخار كهذا يستطيع أن يصمد أمام الفحص الإلهى . ولكن أيوب واثق ثقة تدعو للاعجاب ، فمن المستحيل على أكثر الأشخاص روحانية تجنب الإحساس بلذة عابرة عند دمار عدوه ، وأن يصحب ذلك شكر لله على عدالته ، ومع كبت الإحساس فى الحال إلا أن السم موجود دائماً .

والشخص الذى يصل للمقاييس التى وضعها يسوع (متى ٥ : ٤٣ ــ ٤٨) عليه أن يكون كاملاً كالله . وأيوب لم يتمن لأشر الناس وقوع الضرر حتى ولو فى قلبه . والادعاء بذلك يعنى دعوة جريئة لأن يفحصه الله حتى

الأعماق بحثاً عن مسالك باطلة أو طرق شريرة (مزمور ١٣٩ : ٢٣) فعندئذ نجد إما ضميراً صافياً جداً أو ضميراً موسوماً تماماً .

(٣١ و ٣٢) الشح

إذا كان هذان العددان يكملان موضوع موقف أيوب من اعدائه ، فكلمة (خيمة) تستخدم فى المعنى الواسع (مستوطنة) وليس فقط أهل بيت والاشارة (للغريب) فى عدد (٣٢) لا يناسب كلا الفريقين لأن الذى بلا وطن (والمسافر) كانا مرتبطين دائماً بالأرملة واليتيم كموضع العطف . على أى حال فكرم ضيافة أيوب كان ذائع الصيت على نطاق واسع . وعدد (٣١ ب) يبدو أنه ينطبق على ذلك تماماً ، وإطعام العدو يهدف إلى تحقيق مصالحة دائمة (أمثال ٢٥ : ٢١) ، وكرم أيوب فى تقديم الطعام والمأوى يذكرنا بما جاء فى تكوين (١٩) ولكن لا داع لأن نستشف من ذلك أى معنى غير مستحب لكلمة (لحمه)[١] برغم ما كتبه Pope من مذكرة تفصيلية تأييداً لاكتشاف (تورسينا) عن إساءة استعمال الجنس هنا .

(٣٣ و ٣٤) الرياء

ما لجأ أيوب أبداً أيوب للتصنع أو التظاهر محاولاً إخفاء خطيته (كآدم) ولم يتقبل جميع المعلقين إشارته الواضحة إلى سفر التكوين الاصحاح الثالث . فأيوب لم يتظاهر ابداً بأنه بلا خطية ، وهو لا يهتم بآراء الناس فيما يختص به ، وقد صرح فى موضع آخر بأن خوف الله هو الدافع الوحيد له فى اختيار السلوك الصائب .

والـ NEB تترجم بحرية قائلة « حديث المدينة » ويمكن مقارنة ذلك بما جاء فى عدد (٢١) . وصراحة أيوب فى الاقرار (بذنبه) فى عدد (٣٣) يعد غريباً نظراً لدعواه بعدم ارتكاب الخطايا فى بقية الاصحاح .

(**٣٥ ــ ٣٧**) هذا هو التحدى النهائى ، فأيوب يطلب أذناً صاغية ، وهو يوقع وثيقة . ويجب تبادل الأدوار بين ما جاء فى (١٩ : ٢٣) وما ورد فى (٣١ : ٣٥) .

---

(١) فى النص الانجليزى (من يأتى بأحد لم يشبع من لحمه) (المترجم)

جاء فى عدد (٢١) . وصراحة أيوب فى الاقرار (بذنبه) فى عدد (٣٣) يعد غريباً نظراً لدعواه بعدم ارتكاب الخطايا فى بقية الاصحاح .

(**٣٥ ــ ٣٧**) هذا هو التحدى النهائى ، فأيوب يطلب أذنا صاغية ، وهو يوقع وثيقة . ويجب تبادل الأدوار بين ما جاء فى (١٩ : ٢٣) وما ورد فى (٣١ : ٣٥) .

ولآن (Tàw) آخر حرف فى الابجدية العبرية ، فطبعة أورشليم تجعل اقتراح أيوب هكذا « لقد قلت كل ما عندى من الألف إلى الياء » ، والحرف كان على شكل صليب ومعناه (علاقة) أى امضاء . والاشارة التالية للشكوى التى كتبها خصمه تأخذنا إلى اصطلاحات الإجراءات القانونية ، فأيوب يحق له أن يفخر بحمل مثل هذه الوثيقة على (كتفه) وأن يلبسها (كتاج) كأمير . وهو أبعد ما يكون عن الخزى أو الارتباك ، فإنه مقاتل حتى آخر لحظة يسعى لتسوية قضيته ، واثقاً من النتيجة . إنه قادر على تقديم (احصاء) كامل بكل خطواته .

(٣٨ ــ ٤٠) (الاستغلال)

تتكلم الفقرة الختامية عن مسئولية استغلال الارض الزراعية . ومجمل القول فى قسم ابراء الذمة يتردد صداه فى كل أجزاء الحديث حتى بعد نهايته الصحيحة فى عدد (٣٥) ، والأرض هى الشاهد الرئيسى على الجرائم التى ترتكب فوقها مثل أكل المحصول دون دفع أجرة (فضة) (فى الاغلب هى أجور الحصادين أو (نصيب المستأجرين وليس الشراء من الملاك) ، أو الاغتصاب الغير شرعى للأرض (ملوك الأول ٢١) إن أيوب مهيأ لتقبل اللعنات القديمة على آدم (تكوين ٣ : ١٧) وقايين (تكوين ٤ : ١١) . وكما فى عدد (٨) فالعدالة التى فاض بها الشعر سوف تتخذ مجراها وسوف تُرى نتائجها .

(ب) اليهو (٣٢ : ١ ــ ٣٧ : ٢٤)

أنظر المقدمة لترى مناقشة صحة أحاديث اليهو ومكانها فى تكوين السفر .

(١) مقدمة (٣٢ : ١ ــ ٥)

يتم التعريف بالمتكلم الجديد فى فقرة نثرية من الأسلوب الروائى ، ويربط

بعض الكتاب بين الخاتمة فى (٣١ : ٤٠ ج) والمعلنة لنهاية أحاديث أيوب وبين الملاحظة الافتتاحية بأن (هؤلاء الرجال الثلاثة) (وقد ورد ذكرهم فى أماكن أخرى ـــ ٢ : ١١ ، ١٩ : ٢١ ، ٤٢ : ١٠ ـــ (كأصحاب لأيوب) كفوا عن الرد على أيوب ، والسبب أنهم ظنوا أنه من العبث أن تحاجج شخصاً باراً فى عينى نفسه(١)

(٢) قد أعطى لأليهو فقط اسم الاجداد أو العائلة كما أعطيت له عضوية القبيلة (البوزى) ، ولكن لا نعرف هويته بالرغم من تقديم العديد من الآراء فيما يختص بذلك . وواضح أن الأسماء سامية من القسم الغربى ولكن الاسم (بوز) له صلات آرامية (تكوين ٢٢ : ٢١) وعربية (إرميا ٢٥ : ٢٣) تماماً كعوص (أيوب ١ : ١)

لقد كتب أربع مرات أن أليهو (غضب) لوصول العلاقة بين أيوب وأصحابه لطريق مسدود ، وسبب غضبه على أيوب كان مختلفاً عن سبب انسحاب أصحابه من الحوار . لقد ظن اليهو أن أيوب قد جعل نفسه (أبر من الله)NEB بينما يخفف بعض الترجمات من حرف الجر (مِن) ليصبح (أمام الله) (وقد فعلت الطبعات القديمة ذلك) والمعنى البسيط هو أن أيوب قد ظن نفسه على صواب فى نزاعه مع الله وأن الله فى المقابل كان علىّ خطأ . ورأى اليهو بالطبع كان استنتاجاً واضحاً . فبما أن أيوب لم يرفع دعواه إلا ليصر على حقيقة أن الله فعل معه هذه الاشياء دون مبرر فقد انضم أليهو للأصحاب فى تقييمه لأيوب بأنه بار فى عينى نفسه . ولا يمكن لأحد أن يرى حلاً يكون فيه كل من أيوب والله على صواب .

(٣) ويمكن لأيوب أن يثبت صحة موقفه باظهار أن الله على خطأ ، ويمكن للأصحاب إثبات صحة موقفهم بإظهار أن أيوب على خطأ . وطبقاً لتقليد النساخ فإن النص العبرى كان فى الأصل « واعلنوا أن الله على خطأ » ربما بسبب فشلهم فى الرد على أيوب وليس نتيجة اعلان أى بيان من ناحيتهم . فبتسليمهم أن موقف أيوب لا يمكن دحضه ، فقد تركوا المجال مفتوحاً لهذا الاستنتاج .

---

(١) مخطوطات قمران تترك سطراً فارغاً عند هذه النقطة .

وكلا الاستنتاجين ــ استنتاج أيوب بأنه على صواب واستنتاج الاصحاب بأن الله على خطأ ــ قد توصل إليهما اليهو المزهو بمنطقه .

وقد غير الكتبة، بدافع اللياقة والاحترام ، النص إلى ما هو عليه الآن فى الـ RSV ولكن الـ NEV قد أعادت الصياغة كما فى الأصل .

على أى حال فكلمة (مع أن) فى الـ RSP [1] هى ترجمة جريئة للكلمة العبرية (WAW) أى (وبالتالى) وتفسير (رادالى) : « إنهم (لم) يجدوا جواباً (ولذا) أظهروا أن أيوب كان على خطأ فى هذا التفسير له بعض التحيزات ولكن فى الاحتمال الأغلب أن النص ينطبق على الجملتين : أنهم.(لم) يجدوا جواباً (ولم) يثبتوا خطأ أيوب »

(٤) يتدخل أليهو الآن لعلاج هذا القصور من جانب الأصحاب . فقد تراجع حتى هذه اللحظة احتراماً لكبرادسن الأصحاب والآن فهو يتدخل بمزيج من الانقياد لآراء الآخرين واليقين الذى يميز موقف الشباب الذى يرى القليل ولكن بوضوح تام .

٢ ــ حديث اليهو الأول (٣٢ : ٦ ــ ٣٣ : ٣٣)

هذا الجزء من حديث اليهو لا يعدو أن يكون نوعاً من الثرثرة . أما الحديث الحقيقى لا يبدأ سوى من (٣٣ : ١) حيث يخاطب أيوب بالاسم . .وبقية اصحاح ٣٢ (الاعداد من ٦ ــ ٢٢) مقدمة شخصية لأليهو « واعتذار » لتدخله . إنه كثير الكلام ، وعندما يحاول أخيراً دحض آراء أيوب نقطة نقطة (٣٣ : ٨ ــ ٢٨) تتميز ملاحظاته بأن لها إطار من إفتتاحية (٣٣ : ١ ــ ٧) وخاتمة (٣٣ : ٢٩ ــ ٣٣) عبارة عن مناشدة موجهة لأيوب شخصياً .

(٦ و ٧) اعطى أليهو السن المقام الأول فى الكلام ، ولكن ظنه قد خاب . لقد سبق للأصحاب أن اشاروا إلى كبر سنهم وما يعنيه ذلك من امتياز (١٥ : ١٠) ولا يعتقد أليهو أنه سوف يضيف مجرد (رأى) جديد . والكلمة تعنى (معرفة)NEB .

---

(١) عدد (٣) فى العربية يقول « لأنهم لم يجدوا جواباً واستذنبوا أيوب » وفى الـ RSV نجد القول « لأنهم لم يجدوا جواباً مع أنهم كانوا قد اعلنوا أن أيوب على خطأ » (المترجم)

(**٨ و ٩**) ليس واضحاً من أين تأتى هذه المعرفة ، وعدد (٨) يقول إنها « نسمة القدير » التى تعطى الفهم . ولكن إذا كانت هذه النسخمة موجودة فى البشر منذ الخليقة ، فلماذا يكون القليلون فقط هم الحكماء ؟ وبينما لا يدعى أليهو وحيا خاصاً فإنه يشير فى (٣٣ : ١٤) إلى رؤيا مشابهة لرؤيا أليفاز (٤ : ١٢ ـــ الخ) حيث تستخدم نفس الكلمة (روح) ولكن هنا بالتأنيث .

إن أليهو يستطيع أن يقدم الجانب السلبى فقط والتعبير العبرى « ليس الكثيرون حكماء » قد تغير إلى « الكثيرو الأيام » حتى يتوازن مع الشطرة التالية أى (الشيوخ) . والنتيجة ليست موفقة حيث أن أليهو يكون بذلك قد ذهب بعيداً باستخدام تعبير قاطع بأن كبار السن ليسوا حكماء ، وبترك الصفة وربطها بالاسم التالى نحصل على عبارة جامعة بأنه « ليس الكثيرون من كبار السن حكماء » ، وعلى الأقل فأيوب وأصحابه ليسوا حكماء كما سيوضح اليهو قريباً .

(**١٠ و ١٢**) هذا تكرار . لقد جعل الكاتب اليهو كثير التباهى والزهو .

(**١٣**) هذا العدد قد يضاهى عدد (٩) ويجب ملاحظة ارتباط ذلك باصحاح (٢٨) . وعدد (١٣ب) ليس واضحاً . والـ NEB تجعل العبارة بمعنى ان الله وحده يستطيع أن يرد على ادعاء أيوب ، ولكن لماذا إذن يحاول اليهو أن يفعل ذلك بمثل هذه الثقة ؟ تربط الـ RSV ذلك بعدد (١٣ أ) كجزء من (حكمة) الأصحاب الخداعة ، ولكنهم لم يصلوا إلى الاستنتاج بأن لأيوب حكمة لا يمكن إلا لله فقط أن يتعامل معها .

(**١٤**) المعنى ليس واضحاً ما لم يكن اليهو يعنى أنه حتى الآن فأيوب لم يشركه فى الحوار ولكن إذا أشركه فهو بالتأكيد لن يستمر فى نفس الطريق الذى سلكه الأصحاب . ومن باب السخرية إن موقفه يشبه كثيراً موقفهم .

(**١٥**) التغيير من ضمير المخاطب فى (١٤) إلى ضمير الغائب فى عد (١٥) يوحى بأن أليهو هنا يتجه إلى أيوب الذى يخاطبه وحده أساساً ه ' ولكنه يكلم الأصحاب فعلاً من وقت لآخر فى مجرى حديثه (فإن الكلما ، الافتتاحيه فى ٣٣ : ١ بما جاء فى ٣٤ : ٢) .

(١٦ و ١٧) مرة أخرى نجد العبارات الطنانة . إننا نتوقع أن نجد شيئاً مؤثراً فعالاً بعد مثل هذه المقدمة .

(١٨) يعلق (رادلى) على ذلك بإيجاز قائلاً « لا أحد يعترض على ذلك » أما الحديث عن (الروح) فانظر عدد (٨) .

(١٩ و ٢٠) يقيس أليهو بواعثه التى لا تقاوم على الكلام باستخدام صورة خيالية . والكلمة (الزقاق) لا توجد إلا هنا ، ولذا فالمعنى يفهم من القرينة ، ولم يقترح أحد بديلاً مقنعاً حتى الآن .

(٢١ و ٢٢) لم يقدم أليهو حتى الآن مؤهلاته اللهم إلا قوله إنه يريد أن يفضفض عما بداخله من أقوال . ولقد حذر أيوب الاصحاب من أخطار التحيز فى مواقفهم من قضيته حتى ولو انحازوا إلى جانب الله (١٣ : ٧) ، والآن يشجب أليهو المحاباة ولكن بحديثه عن (الملث لأى إنسان) أى النفاق له فهو يبدو أنه لا يقول سوى إنه سوف يتكلم ببساطة دون ذكر ألقاب لأى واحد . لقد سبق أن اعتذر عن تقديم الاحترام المتوقع نحو كبار السن ومع ذلك فسبب عدم التفاته للفوارق فى السن أو الطبقة سبب وجيه قد استخدمه أيوب (٣١ : ١٤) للقضاء على الفوارق الاجتماعية . إن الله سوف يعاقبه فى حالة إهانة الغير أو تملقهم سواء بسواء .

لقد قادتنا هنا كلمات اليهو الافتتاحيه إلى أيوب . فنعود هنا إلى أسلوب المجاملة والتلطف فى الحديث الذى نسيه الأصحاب فى حمية الجدل الذى ثار بينهم وبين أيوب . ولكن أسلوبه اللطيف يتميز بالإسهاب والتطويل ومع أنه يؤكد لأيوب أنه لا شيء يخيفه (٧) إلا أنه مملوء باحترام الذات لدرجة أنه لا يستطيع تجنب إفساد تأثير ذلك القول بغرض وصايته ، وهو يتعلل كثيراً باخلاصه (٢) ويكرر نفسه (عدد ٣) ، وعدم وجود فعل فى الشطرة الأولى من عدد (٣) (RSV نورد كلمة (يعلق) ولكن NEB مختلفة تماماً) لا يدعو للقلق حيث أن الفعل فى السطر التالى يصلح للشطرتين . ويمكن مقارنة عدد (٤) بما جاء فى (٣٢ : ٨) ، والاشارة للخليقة مبسط جداً لدرجة أنه من غير الواضح أن كان أليهو يدعى وحياً خاصاً به كما يعتقد (رادلى)

وفى عدد (٦) يؤكد لأيوب أنهما على قدم المساواة سوياً أمام الله . وهذه المساواة سببها أنهما بشر بحكم خليقة الله .

(٨ ــ ١٢) يقدم أليهو ملخصاً وافياً لموقف أيوب وادعاؤه البراءة من الذنب (٩ ــ ١١) ومع أن الكلمات : « أنت تقول » غير موجودة فى العبرية لعدد (٩) ألا أنه واضح من عدد (٨) أن أليهو يعتبر أنه يردد ما سمعه من أيوب . أنه ليس اقتباساً لفظياً مع أن بعض السطور مشابه لما ورد فى (١٣ : ٢٤ ــ ٢٧) ولكن الكلمة المترجمة (زكى) (٩ ب) غير موجودة فى أى مكان آخر فى العهد القديم . ولذا نحن بحاجة لأن نتساءل إن كان أليهو عادلاً . إنه كذلك إلى حد ما ، لقد ادعى أيوب مراراً أنه (برىء وزكى) بغض النظر عن الكلمات التى استعملها (٩ : ٢١ ، ١٠ : ٧ ، ١١ : ٤) صوفر يقتبس قول أيوب) ، ١٦ : ١٧ ، ٢٣ : ٧ ، وكل اصحاح ٣١) .

ولكن جنباً إلى جنب مع ذلك فقد صرح أيوب كثيراً بأنه خاطىء . وأنه لأكثر صعوبة أن نجد السلبيات كالقول « بلا ذنب » « ولا اثم لى » فى أقوال أيوب وعدد (١٠ ب) مقتبس من (١٣ : ٢٤) ، ولكن هناك نجد السؤال المقابل : « (لماذا تحجب وجهك عنى ؟ ») وفى (١٣ : ٢٣) الذى يمكن أن يكون أصل عدد (١٠ أ) يسأل أيوب عما هى ذنوبه ، كما لو كان يوحى بأنها ضرب من الخيال . ولكى يوجد سبب لعقابه ، اضطر الله أن يخترع له خطايا . ولكن معنى كلمة (علل) هنا غير واضح[1] .

على أى حال فأيوب لم يمض بعيداً فى اتهامه لله بالتحيز وعدم النزاهة أو الظلم مع أنه اقترب من ذلك إلى حد يخيل فيه للسامع أنه قال ذلك . وقد صدم اليهو كالأصحاب من وقع كلمات أيوب ولكنه لم يفهم الفكرة الرئيسية كما اختبرها أيوب ، ولهذا كان من السهل عليه أن يقدم الاجابه « انك لم تصب » NEB . وسبب تقديمه لهذا الاستنتاج أنه نال الصدمة الأولى فى حديث أيوب . وحقيقة أن « الله أعظم من الانسان » (١٢ ب) حقيقة

---

(١) هذه الكلمة وردت فى النص الانجليزى بمعنى (مناسبات) أو (فرص) (Occasions) (المترجم)

واضحة جداً لدرجة أنها تعتبر شيئاً عادياً . فلا أحد ينكر ذلك ، وقد أكدها أيوب وكل الاصحاب باستمرار ، ولكن أيوب أكدها بأبلغ ما يكون ولابد أن أليهو قد توصل لقناعة ما تبطل حجج أيوب وأسئلته بدلاً من الإجابة عليها . فإن كان الأمر كذلك فهو لا يفصح عن هذه الحجج والآراء .

(**١٣ ــ ١٨**) وشكوى أخرى من شكاوى أيوب أن الله لم يجبه عندما دعاه . ولذا ومع أن كلمة (قائلاً) [١]غير موجودة فى النص العبرى فمن الممكن أن يكون أليهو مقتبساً لعدد (١٣ ب)[٢]

والاعداد من (١٤ ــ الخ) تشتمل على ردود أليهو « ولكن الله يتكلم ... » والقول بأن الله تكلم مرتين مذكور ايضاً فى (مزمور ٦٢ : ١١) ، وتكرار الحلم يراه يوسف دليلاً على مصدره الإلهى (تكوين ٤١ : ٣٢) ويتعرف أليهو على نفس الوسيلة للاعلان الإلهى فى الاعداد من ١٥ فصاعداً . ونحن نتذكر أن أيوب قد تعرض لاحلام مزعجة ، ويعتقد اليهو أن الرسالة المنطوقة يمكن أن تعطى اثناء الحلم (١٦ أ) ولكن فحوى الإعلان مخيباً للآمال مرة أخرى . فكل ما يقوله الله بعد كل هذه المشقة هو تحذير ضد أخطار الخطية . فمن يحتاج لإعلان لاكتشاف ذلك ؟ وذلك ليس نوع الاتصالات التى يطالب بها أيوب . لأن الكلمة المترجمة زوال (١٨) تعنى « يموت » فيستحسن تعديل الكلمة إلى (سيف)[٣] لتناسبها بدلاً من العكس . ولايجاد مقابل لكلمة (حفرة) (أنظر ١٧ : ١٤) فإن (بوبPope) ص٢٥٠ يدافع دفاعاً قوياً عن تقديم تعبير « نهر الموت » . (NEB)

(**١٩ ــ ٢٢**) ويحذر الله البشر عن طريق اجتيازهم فى المرض كل يوم ، وليس ذلك بغريب على أيوب ، وليس هناك إشارة لوحى شفاهى يساير هذا الاعلان وقائمة اليهو بالاعراض المؤلمة تنتهى بإشارة أخرى للموت الذى يواجهه المريض ، وعدد (٢٢) مقابل لعدد (١٨) والكلمة (مميتين)

---

(١) وردت فى الانجليزية (Rsv) (المترجم)

(٢) ولكن الـNEB تصرح بحقيقة أخرى قائلة « لا احد يستطيع ان يجاوبه »

(٣) عدد (١٨) يقول النص فى العربية « يمنع نفسه من الزوال تجربة الموت » ولكن فى الانجليزية « يمنع نفسه من الزوال بالسيف » (المترجم)

(قتلة) ولكن يمكن أن تعنى « أولئك الذين يجلبون الموت » وهذه لا يمكن أن تصلح لتسمية (الداخلين إلى الحفرة) أما ما جاء فى تفسير (بوب) عن « مياه الموت » فله مؤيدون كثيرون برغم تعليق رادلى الطريف عن (تقديم رأس الملك تشارلس إلى بعض القبائل الغوغائية المتعطشة للدماء » .

(**٢٣ ــ ٢٨**) والاشارة الثالثة (للحفرة) فى عدد (٣٠) ينهى هذا الجزء . ويكمل النمط الثلاثى (قارن ١٤ ، ٢٩) ومع ذلك فهذا الجزء لا يسجل طريقة أخرى للاعلان الإلهى بل استجابة قد يتعلمها الإنسان الذى يستفيد من الأحلام أو المرض باعتبارها رسالة من الله . إنه يسلم قضيته إلى (وسيط) ، ويعتقد (رادلى) بطريقة مقنعة أن ذلك عمل آخر من أعمال الله وهو إرسال ملاك . أما الـ (NEB) فتقف على الحياد . وكرسول من الله يعلن الملاك للانسان ما يناسبه أو الطريق الصحيح أى تعليمه أفضل السبل لعلاج الخطية أو المرض . وحيث أن كلمة (وسيط) تعنى (مترجم) فى (١٦ : ٢٠) ، وهى ليست كلمة (الولى) فى ١٩ : ٢٥ ، فهى قد تعنى وسيط الاعلان الذى يتكلم نيابة عن الله . ولكن عدد (٢٣ ب) قد يشير إلى « متحدث » « يعلن استقامة الانسان » إنه ذلك الانسان الذى (يتراءف) ويجد (الفدية) (٢٤) أو وسيلة الكفارة .

ولكن بعض المعلقين يعتقدون أن الله هو الفاعل المستتر ، وتبرز الـ (NEB) بوضوح دور الوساطة للملاك . والتعبير « واحد من الف » يقضى على فكرة أن هناك ملاكاً واحداً فقط متخصص لمثل تلك المفاوضات بل يوحى بأن لله فريقاً كبيراً قادراً على القيام بهذا العمل . والـ RSV تجعل عدد (٢٥) جزءاً من صلاة الملاك ، والـ NEB تجعل الشفاء يتم نتيجة الصلاة وعلى أى حال فالنجاة من (الحفرة) يعنى استعادة الصحة وفى عدد (٢٦) فطبقاً للـ (RSV) فالشخص المريض هو الذى يصلى الآن لله (وليس للملاك) ولكن فى الـ (NEB) فإن الملاك هو الذى يطلب تدخل الله لصالح الانسان . ونحن نعتقد أن الرأى الأخير فيه تصرف أكثر من اللازم . والأفعال الموصوفة هنا تشبه ترانيم الحمد التقليدية لشخص قد شفى ويشكر الله بفرح لشفائه « ويعلن عن خلاصه للناس »[١] فى شهادة علنية . ويقدم سفر المزامير

---

(١) هكذا وردت فى النص الانجليزى حسب ال RSV بدلاً من « فيرد على الانسان بره » فى النص باللغه العربية المترجم

عدة امثلة لذلك ، ونظراً لان موضوع « غفران الخطية جزء من الشفاء (٢٧) فلا داع لترتيب الفكرة بالطريقة التى يقدمها بعض المعلقين وبعض الترجمات .

(**٢٩ ـــ ٣٣**) هذا ما يفعله الله . وعدد (٣٠) يعد تكرار لعدد (٢٨) تقريباً . وأيوب مدعو للانصات وللتعليق اذا أراد . وعدد (٣٣) ترديد لعدد (٣١) تقريباً ، ويعطى أليهو الانطباع بأنه يعرف أفضل وإن عنده تبرير لأيوب (٣٢) تحت سيطرته .

٣ ـــ حديث أليهو الثانى (٣٤ : ١ ـــ ٣٧)

حظر عبادة الأوثان فى اسرائيل قد وضع ضوابط على الفنون التشكيلية المرئية أما حظر الأساطير الطقسية فكان جانباً آخر من الحملة على الوثنية وقد ساهم ذلك فى القضاء على تطور الدراما فى اسرائيل .

ونتيجة لذلك فإن وسائل التعبير الفنى الرئيسية كانت الموسيقى والاغانى والرقص والخطابة . وقد تفوقت اسرائيل فى كل هذه الاشياء ، فلا شىء كان يحظى باكبر قدر من التقدير اكثر من « كلمة مقولة فى محلها » (أمثال ٢٥ : ١١) فقد كانت الاذن تستسيغها كما (يذوق الحنك طعاماً) (أيوب ٣٤ : ٣) ومثل ذلك الفن كان يمكن أن يتضاءل شأنه بسهولة حين يقدر الشكل لذاته وليس كتعبير عن الحقيقة وأحاديث أليهو يمكن أن ينطبق عليها هذا الحكم .

وفى حديثه الثانى يلجأ مراراً للحكماء ، فهو لم يعد يحاجج أيوب بغرض مساعدته بل يهاجم أيوب لكى يسجل نقطة لصالحه . وبغض النظر عن وضوح كلماته إلا أنها خالية من الاهتمام الرعوى . لقد أضحت تدريباً على فن الخطابة والالقاء . وهى ليست مليئة بالألفاظ المنمقة ، ولكن على العكس فالقواعد اللاهوتية فيها أقل جاذبية من الناحية اللفظية عن أى احاديث أخرى فى السفر ، وهذا يعطيها صفة الانعزال والجمود عن بقية الكلام . وبهذا الحديث انهارت كل من عدالة الله وصلاح أيوب معاً . لقد دافع الأصحاب عن الله بإدانة أيوب ، ودافع أيوب عن نفسه بالالتجاء إلى عدالة الله ، ولكن يبدو لكل واحد أن أيوب يستجوب عدالة الله إن لم يكن ينكرها بالمرة ، واليهو معتم الآن باتباعه نفس منطق الاصحاب ، فبتأكيده أن طرق الله لا

يمكن أن تفحص فهو مضطر أن يرفض آراء أيوب باعتبارها خالية من التقوى . ويجعل قوة الله الكلية سبباً آخر للخضوع لكل أعماله دون نقاش فإن أليهو يتبنى منهجاً حذراً يؤدى للشك فى عدالة الله وتجرده ما لم نغمر ضمائرنا فى بحار اللاأدرية . وكما رأينا فهذا ما لا يمكن لأيوب أن يفعله .

ودفاع أليهو عن عدالة الله والذى يشتمل على الحديث عن قوة الله ومعرفته وعدم محاباته (١٠ ــ ٣٠) تفسده هجمات علنية على أيوب إدعاء بعدم تقواه (٢ ــ ٩) وحماقته (٣١ ــ ٣٧) .

(**٢ ــ ٩**) يخاطب أليهو (الحكماء) (العارفين) بقوله لهم إن أيوب شخص غير تقى . وهؤلاء يمكن أن يكونوا الاصحاب وحيث أنه يتوقع موافقتهم فقد انحاز إلى جانبهم ، ولكن قد يكون المقصود توجيه الحديث إلى جمهور كبير ، والأقل احتمالاً أن يوجه أيوب حديثه للقراء .

(**٣**) هذا العدد مقتبس من (أيوب ١٢ : ١١)

(**٤**) بتغيير الضمير إلى ضمير المتكلم فإن اليهو يجعل (كل) الحكماء مع نفسه قادرين على معرفة ما هو (حق) وما هو (طيب) ، ومن المحتمل استبعاد الاصحاب لأن اليهو (غاضب) منهم (٣٢ : ٣) ، ولذا فالفعل (نمتحن)[1] ربما تعنى نقرر أيا من الطرفين (أيوب أو الاصحاب) على حق

(**٥ و ٦**) يمثل أليهو موقف أيوب بخليط من الاقتباسات المجهولة المصدر (كما فى ٢٧ : ٢) والاقوال الموجزة التى يصعب إسنادها لأيوب والتى ربما تشوش على آرائه ، والصعوبات الموجودة فى عدد (٦) ترجع لحقيقة أنه بلا مصدر . فتقول الـ RSV « أنا ... كاذب » كاتهام باطل ينسبه أيوب لله ، وتلك مجابهة أقل وقعاً مما جاء فى السبعينية « هو (الله) يكذب » والتى يقبلها كثير من الدارسين كالأصل والتى نجدها مخففة فى الـ MT ، على أى حال فإن اليهو يبالغ لأن أيوب لم يتهم الله ابداً بأنه قد وصمه بالكذب وبذلك فإن اليهو لا يقول الحقيقة . وشكوى أيوب هى أن الله لم يقدم ضده أى

---

(١) (مختار) فى النص الانجليزى المترجم

تهمة رسمية إطلاقاً ، وقد اجريت الكثير من التعديلات على النص لتجنب الإشارة لكلمة (يكّذب) بالمرة .

وكلمة (جرحى) فى (٦ ب) هى حرفياً (سهمى) ، اما كلمة (جرح) فهى نتيجة لتعديل فى النص ، فطبقاً للدراسات الحديثة عن التكهن بالغيب عن طريق رمى السهام ، يقترح (ايثان) أن الكلمة هنا ومعناها (حظ) لها استخدام جديد والمقارنة بين ما جاء هنا وما ورد فى (أيوب ٦ : ٤) يوحى بأن المقصود هو « سهام إلهه » وهذه الفكرة يدافع عنها (بوب) بحجج مؤيدة لرأيه .

(٧) يكرر أليهو سباب أليفاز مع استبدال كلمة (الإثم) بكلمة (الهزء) مع التوسع فى سبابه بالقاء التهمة التى لا اساس لها بالمرة وهى أن أيوب رفيق لفاعلى الاثم) ، عدد (٨) .

(٩) حيث أن عدد (١٠) يمثل بداية جديدة بتوجيه الخطاب (لذوى الألباب) فهذا القول الجديد المنسوب لأيوب قد يكون مرتبطاً بعدد (٦) والمردود عليه بدءاً من عدد (٧) والذى وصم فيه أيوب بعدم التقوى ، والأعداد من (١٠ ـــ ٣٠) تعتبر تقويضاً شاملاً لموقف أيوب عامة . وعلى أى حال فهذا الاحساس المعبر عنه فى عدد (٩) لا يمكن أن يكون موجوداً فى أحاديث أيوب بمثل هذه الكلمات . ففى أصحاح (١) نرى أيوب يستفيد فائدة كبرى نتيجة لتدينه وكل تجاربه اللاحقة لم يقل أيوب ابداً أن ذلك كان مضيعة للجهد . بل على النقيض فقد قال مراراً وتكراراً إنه سوف يتمسك بكماله حتى النهاية ، فما الذى يهدف إليه أليهو إذن ؟

لقد عبر أيوب عن ملحوظتين : أولاهما أن العقاب المتوقع لا يحل بالأشرار (٢١ : ٧ ـــ ٣٤) والثانية ان المصائب تحل بالاخيار والأشرار على حد سواء (٩ : ٢٢) .

وتبين الملحوظة الثانية أن أيوب لم يتبين وجهة نظر متحيزة بقوله إن الأخيار يعانون بينما الأشرار يفلتون . والوجهة التى يصورها أليهو هى بالضبط ما يجده أيوب فى الاشرار فى (٢١ : ١٤) حيث أنهم يشجعون أنفسهم على أعمالهم الشريرة ومن باب التجنى أن يدعى أليهو على أيوب أنه يعتقد ذلك نفسه حتى

ولو اعتقد أن تلك سوف تكون الخطوة التالية فى تفكير أيوب .

(١٠ ــ ١٥) يكرر أليهو الحقيقة الثابتة بأن الله لا يمكن أن يخطىء ، ويعلق ثلاثة أفكار على هذه الحقيقة . أولاً ــ فهو يستنتج من سمو سلطان الله كخالق أنه ليس مسئولاً أمام احد (١٣) ، وهذا يأخذنا إلى حافة صخرة خطرة لأنه إذا كان كل ما يعمله الله حق (صواب) بالتحديد وإذا كان بسبب سلطانه فهو يفعل كل ما يحدث ، يتبع ذلك بالضرورة إن كل ما يحدث صواب وان عنصر الشر يختفى من الوجود . ثانياً ــ عدد ١٤ ، ١٥ يقرر أن كل كائن حى يتوقف وجوده على الله حتى أن الله يمكنه ، دون تمييز أو عموماً ، أن يسحب عطية الوجود ، ولا يكون بذلك قد اخطأ فى شيء ما ، وهذا اعتراف جميل بالله كالمالك لكل شيء وتقدير لقوته . ولكن ذلك لا يترك مجالاً للقول بأن كل أعمال الله (صالحة) ولا يداخلها شيء غير ذلك . ففحوى تعليم أليهو أن « القوة تصنع الحق » ، وبهذا التأكيد فهو يقترب جداً من رأى أيوب ولكنه يحاول التخلص من ورطته بالرجوع إلى التعليم بأن الله يجازى كل شخص حسب طريقه (١١) مقرراً ذلك بعبارات فجة ينفرد بها وحده . ولكن ذلك هو محور الجدل ولا اجابة على هذه المشكلة حيث أن الأفعال فى صيغة المفرد ، فالاسئلة التالية موجهة لأيوب ، والـ (NEB) تورد الاسم .

١٧ ــ ٣٠ الاشارة (للأمة) و (للملك) فى الاعداد من (٢٩ ــ الخ) يبدو أنه يكمل الجزء الذى بدأ فى عدد (١٨) باشارات مشابهة (للملك) والامراء (الندباء) .

فإن كان حكم الملوك البشريين لا يمكن استجوابه أو معارضته فمن غير المتصور أنه يجب أن يحكم العالم شخص (يبغض الحق) (١٧) . هذا مجرد تأكيد . فلماذا لا يجب أن تكون القوة العظمى شريرة (بحسب مقاييسنا) ؟ أو مطلقة (لا يحدها خير أو شر) ، وهى فكرة لا تقاوم بالنسبة لكثيرين من ذوى العقول العصرية ، وهى كثيراً ما هددت ثقة أيوب فى صلاح الله . ألا يمكن أن يكون ذلك مجرد ثقة عمياء فى أسس الإيمان أم هل من المعقول أن ننتظر شيئاً من التفسير لصحة أعمال الله ، والتى تبدو ، حسب أحكامنا ، أنها خاطئة ، ورد أليهو على هذه المشكلة ليس واضحاً تمام الوضوح . فهو

يؤكد أن معرفة الله كاملة ومعصومة من الخطأ (٢١ و ٢٢ و ٢٥ أ ، ٢٨ ب) ولذا فأعماله تفوق الإدراك البشرى . وتلك المحاولات لمنع التساؤل البشرى مألوفة لدينا . وفى (٢٤ : ١) أراد أيوب أن يعرف لماذا لا يعقد الله جلسات علنية منتظمة للقضاء ، حتى يتسنى رؤية العدالة وهى تتخذ مجراها . ويجيب أليهو على ذلك التساؤل بالقول بأن أحكام الله تجرى دون سابق انذار ودون محاكمة (٢٠ و ٢٤) ودون فحص (٢٥ ب) ، وتلك الإجابة ليس مبعثها فقط السخط على الأشرار بل المبالاة (بصراخ المسكين) (٢٨) .

فهذه الأحكام تجرى علانية (٢٦) على الأشرار (٢٧) وعلى الكل بدون محاباة (١٩) ، ولكن الحكام الظالمين يبدو أنهم هدف الدمار الإلهى ، وحقيقة أنه يمكن أن يوضع حد لوجودهم فجأة دون عون بشرى (٢٠) تبدو لاليهو أنها كافية لاثبات أن الله يجرى أحكامه .

(**٢٩ و ٣٠**) ليس هناك ما يدعو لتقديم تفسير لاحكام الله . ولذا فليس لأيوب الحق أن يجأر بالشكوى بسبب صمت الله ، فالله ليس مديناً لأحد بتقديم تفسير لما يفعله ، والتى قد لا يفهمها الانسان بأى حال لأنه لا يرى سوى القليل من الحقائق بينما يرى الله كل شيء .

ولكن الأعداد من (٢٩ ــ الخ) ليست مقنعة ، وقد وجد البعض فيها فكرة أكثر قتامة وازعاجاً فحتى لو كان الله على الحياد تاركاً الحبل على الغارب للشر فمن يدين ؟[1] وإذا حجب وجهه فمن يستطيع إجباره على اظهاره ؟ ، والتفسير الوحيد الممكن هو الذى تقدمه الـ (NEB) وهو أنه « يملّك الفاجر » (٣٠) ليعاقب (الأمة العنيدة) وقد استطاع الأنبياء تبنى فكرة أن اشور هو (قضيب غضب الله) (إشعياء ١٠ : ٥) ، وكان هذا نفس تفكير حبقوق بالنسبة للبابليين ، ولكنهم أضافوا دائماً أن هذه الشعوب على الرغم من استخدام الله لهم كسيف عقاب إلا أنهم كانوا مسئولين تماماً على أفعالهم الشريرة ، وأنهم سوف يعاقبون عليها فى الوقت المناسب .

ولكن هذا يتضمن حقية تاريخية وذنباً جماعياً وفترات زمنية طويلة غير

---

(١) فى الترجمة العربية (فمن يشغب) (المترجم)

وجودة فى سفر أيوب وهذا يجعل المشكلة تتركز فى الظلم الظاهرى لمعاملة الله مع انسان واحد وهو أيوب .

(**٣١ ــ ٣٧**) القسم الأخير يبدو أنه موجه لأيوب شخصياً ، وهو ملىء بالصعوبات وعلينا أن نحصل على كل ما يمكن أن يلقى الضوء عليه من الفقرات الأكثر وضوحاً عدد (٣٧) قاس فى اتهامه . فعدم احترام أيوب من قبل كان بسبب غباثه وليس لشره . وعلاج الموقف الأول يكون بتلقينه الحكمة ولكن علاج الحالة الثانية أكثر صعوبة خاصة عندما يكون ذلك إرادى ومتكرر .

وبذلك توصل اليهو كالآخرين إلى استنتاج حتمى : ألا وهو توجيه اللوم إلى أيوب ، ويمكن قياس ذنبه بمقدار الآلام التى اجتاز فيها .

فقد أضاف إلى « خطيته » (التى قد تكون خطية بسيطة أو فشل فى بلوغ الهدف) « المعصية » (وهى عدم طاعة علنية ومعتمدة لناموس الله المعروف أو ما يرقى إلى مرتبة الخيانة) ، وهذا ثابت من الطريقة التى بها (يكثر كلامه على الله) ومرة أخرى نرى أن الصلة بينهما انهارت عند أكثر النقاط حساسية ، فكلمات أيوب الحماسية والتى وصلت إلى لب الموضوع والتى كان من الممكن أن تقودهم جميعاً إلى الحقيقة قد رُفضت من اليهو باعتبارها كلمات تجديف ، تماماً كما فعل بقية الاصحاب . وبالتالى فهو يستطيع فقط أن يفعل ما فعلوه ، ويحث أيوب على التوبة . لقد تكلم أيوب ــ(بلا معرفة ... وبلا تعقل .. كأهل الإثم) (٣٥ و ٣٦) ويحثه أيضاً على نبذ مثل هذا الحديث الخطير (٣١ ب ، ٣٢ ب) ومن المؤسف أن عدد (٣٣) غير واضح . ثم أنه ليس هناك وعد واضح بالمغفرة بل كل ما يمكن أن يرجوه هو تخفيف للعقوبة المستحقة . وتقترح الـ (NEB) أن (رفض) أيوب من الله قد وصل إلى نقطة يشك معها أن تكون العودة ممكنة .

ويتوقف الكثير عما إذا كانت كلمة (يجازى) (٣٣) (دفع أو سداد دين) تعنى (عقاب) (والله لم يعاقبه بعد على ثرثرته ضد الله ٣٧ ب (NEB) أو تعنى « مكافأة » (فالله لابد أن يعوض أيوب بسبب المعاملة القاسية التى تعرض لها) وهذا يوضح ما الذى يجب أن يختاره أيوب (٣٣) ، ولكن حتى التوبة التى يصفها اليهو بدءاً من عدد (٣١) لا يبدو أنها تحمل معها أية بوادر طيبة لتحسين العلاقة .

وإن كانت كلمة (يجازى) فى عدد (٣٣) تعنى نفس المعنى فى عدد (١١) إذن فاليهو قد دفع الثمن الذى يجب أن يدفعه كل دعاة الأخلاق المصلحين والذين يتخذون فى دفاعهم عن عدالة الله ذلك الشعار « لأنه يجازى الانسان على فعله » (١١ أ) ، فالعدالة فى مأمن ، ولكن بلا غفران .

(٤) حديث أليهو الثالث (٣٥ : ١ ــ ١٦)

هذا الحديث يتعامل مع مشكلتين (١ ــ ٣) فى (٣٤ : ٩) يتساءل أيوب طبقاً لاقوال أليهو « ما المنفعة من أن يكون الإنسان مرضياً عند الله ؟ » وليس لدى أليهو فكرة شخصية شاملة عن الله حتى يعتقد أن الله يسر بالرجل الصالح ويحزن بسبب الخطية .

فالله لا يحابى بالوجوه (٣٤ : ١٩) فى تنفيذه للعدل فهو يطبق القانون على الجميع سواء بسواء . ولذا فعندما يضع اليهو على فم أيوب السؤال العكسى « فما الذى أخسره بارتكاب الخطية ؟ »(١) فإنه فى الشرك الذى نصبه . وإجابته موجودة فى الاعداد من (٤ ــ ٨) فهو يدعى قدرته على الرد على كل واحد (٤) وهذا مضمون كلامه . وما يقوله بدءاً من عدد (٥) مأخوذ أساساً من أحاديث سابقة وهو تأكيد لبديهيات عامة عن عظمة الله لا خلاف عليها . قارن عدد (٥) بما جاء فى (٩ : ٨ ــ ١٠ ، ١١ : ٨ .. الخ ــ ٢٢ : ١٢) وهو رأى يؤمن به الجميع . وقارن عدد (٦) بما جاء فى (٧ : ٢٠) وهو سؤال سبق أن وجهه أيوب إلى الله . وقارن عدد (٧) بما جاء فى (٢٢ : ٣) وحيث أن كل هذه اقتباسات معروفة فلربما عدد (٨) وحده هو الذى يجب اعتباره رد أليهو عليهم . وعلى أى حال فالرد ليس متعمقاً ، فلا شيء يفعله الإنسان يمكن أن يمس الله بشيء وانعكاسات أعماله يحس بها بنو جنسه من البشر فقط .

وهذه الفكرة مشابهة جداً للموقف الذى يقصد أليهو أن يفقده حتى يبدو أن هناك خطأً ما إما فى النص أو فى التفسيرات المعتادة . ومن المحتمل أن نجد حلاً لذلك بإيجاد صلة أو ثق بين عدد (٨) والاعداد من (٢) فصاعداً فالوزن يتطلب ذلك ، والصعوبات النحوية فى عدد (٨) يمكن إزالتها إذا كان هذا العدد يكمل العبارة المبدوءة هناك[1] . وكما يبدو فإن أليهو قد انتهى إلى مأزق مؤكداً بأن الله لا يتأثر بشر الانسان ولا ببره . فإن كان يقصد أن يقول بأن بر الله الداخلى كامل لا يزيده الصلاح البشرى شيئاً ولا تنقص منه الشرور البشرية شيئاً فالفكرة إذن مجردة وتعد نوعاً من التهرب . إما إن كان المقصود أن الله لا يمكنه أن يهتم بالسلوك البشرى فى كلتا الحالتين ، فهو

---

(١) اى فى عدد (٢) (المترجم)

إذن يردد الآراء الواردة فى عدد (٦ و ٧) وبذلك يكون قد أضعف القضية التى يتبناها وكأنى به يقول إن العدالة لا تعنى شيئاً بالنسبة لله .. وإذ بدأ أليهو بعدم المحاباة فقد انتهى باللامبالاة .

ورده (٩ — ١٦) على المشكلة الثانية لا يقل صعوبة عن الأولى . والمشكلة هى : « لماذا لا يجيب الله الصلاة ؟ » وعلى وجه التحديد « لماذا لم يعر الله التماسات أيوب المتكررة أى نوع من الالتفات أو اى نوع من الاستجابة ؟ » .

إنه لمن الممكن دائماً تقديم سبب للصلاة الغير مستجابة . والتفسير الثلاثى الذى تسمعه مراراً وتكراراً هو « إن إيمانك لم يكن كافياً » أو « إنك صليت مدفوعاً بغرض خاطىء » أو « لابد أنه فى حياتك خطية خفية لم تعترف بها » وهذا التشخيص يصلح لكل الأحوال .

فكل واحد يصلى يدرك ضعف إيمانه وأى واحد لديه أقل قدر من الإلمام بالذات يعرف أن دوافعه دائماً ليست نقية ، وكل واحد يفتش ضميره لا يجد نهاية لخطايا حديثة يتعامل معها . فلو لم تقدم صلوات وإذا لم تستجب أى صلاة دون اتمام كل تلك الشروط فلن تكون هناك صلوات أو استجابات . فأمثال اليهو فى هذا العالم لا يهتمون بقسوة نصيحتهم فى الدعوة إلى الكمال وعدم واقعيتها فالمهم عندهم أن تصح النظرية التى ينادون بها فقط . ونحن نلاحظ أنه باتباع هذا الخط فإن أليهو قد غير من التركيز على (كثرة المظالم) (٩ أ) والتى يجب أن تثير غضب إله عادل بغض النظر عن روحانية أولئك الذين (يستغيثون) وطبقاً لأقوال اليهو فالمتضرعون يفقدون أهليتهم للطلبة بسبب نقائصهم ، وفى عالم كعالمنا تكون استجابة الصلاة آلية تماماً كالقضاء على الأشرار بشرط استكمال المطلوب .

« فالله لا يسمع كذباً » (١٣ أ) أى « صرخة فارغة » [(١)] وكلمة (فارغة) تعنى (عبث) أى أنها فى حقيقة الأمر صلاة دنسة ، وفى عدد (١٢) فإن (كبرياء الأشرار) من المحتمل أن تصف الاتجاه الخاطىء للشخص

---

(١) هكذا وردت فى النص الانجليزى (المترجم)

الذى يصلى[1] ، والسبب الذى من أجله لا يستجيب الله وليس السبب الذى من أجله (يصرخون) وهذا تمهيد للطريق لاتهام أيوب بمثل هذه الكبرياء بدءاً من عدد (١٤) . وفى عددى (١٠ ، ١١) فإن أليهو يقترح صلاة مناسبة وبالرغم من ذلك لا نجد لدى المظلومين الاستعداد لقولها . وليس واضحاً سبب أو سر قوة هذه الصلاة ، ومن المدهش أن يخاطب الله بالقول « صانعى » وليس (قاضىَّ) أو « مخلصى » .

وصفات الله هنا بكل ما فيها من تعبيرات التقدير والاعتزاز[2] لا تبدو مناسبة فى هذا المقام لتوجيه الالتماس إليه طلباً لتدخله واجراء العدالة . فسلطان الإنسان على وحوش الارض هى الفكرة الرئيسية فى سفر أيوب ومن الملاحظ أن أليهو يستخدمها هنا وتذكير الله بقدرة الانسان على تلقى المعرفة الإلهية ليس هو بالتأكيد نوع الكبرياء الذى يفسد الصلاة . وما يبدو أن أليهو يهدف إليه هو اتهام قاس لصلوات أيوب بأنه أكثر من الكلام فى صلواته ولكن « بلا معرفة » (١٦ ب) وهو يلقب صلواته بكلمة (فارغة) وهى نفس الكلمة التى أُطلقها أيوب على الاصحاب . وحيث أن عدد (١٥) غامض تماماً فنحن مضطرون للتخمين بأنه يعنى أن أليهو يتهم أيوب بسوء الفهم الكامل لعدم إستجابة الله باعتبارها لا مبالاة بينما فى الحقيقة إن الله يحجز غضبه .. إن أيوب متهم بعدم احترام طول أناة الله (رومية ٢ : ٤ AV) ، ويوحى عدد (١٤) بأن أيوب كشخص يقيم الدعوى أُمام الله فى موقف خاطىء ويعتبر أليهو موقفه ملوماً ويعترض عليه ، إذ أنه ليس السبيل للاقتراب من الله ، فأيوب يشكو بأنه لا يرى الله[3] وهذا نوع من الوقاحة حيث أن الخطأ يقع على كاهل أيوب . وأليهو الذى يعتقد أنه « صحيح المعرفة » (٣٦ : ٤) له يسهل التعامل معه ومعرفته . أما أيوب الذى يدرك تماماً لسلطان الله المطلق يحيا فى ظل الإيمان دون ضمانات لاستجابة صلواته .

---

(١) عدد (١٢) نصه فى الانجليزية كما يلى : « هناك يصرخون ولا إستجابة بسبب كبرياء الاشرار » (المترجم)

(٢) كون الله « مؤتى الاغانى بالليل » عندما يميل الشخص الحزين للانقباض والاكتئاب كما اختبر أيوب فهذه صفة من أجمل الصفات المنسوبة لابينا السماوى الحنون فى الكتاب المقدس . ولا داع لتغيير كلمة (اغانى) إلى كلمة (حماية) كما فعل بعضهم حتى وإن كانت الفكرة لا بأس بها .

(٣) ولكن فى الـ (NEB) نجد القول « هو لا يرانى »

٥ ــ حديث أليهو الرابع (٣٦ : ١ ــ ٣٧ : ٢٤)

كلمة أليهو الأخيرة تنقسم إلى جزئين مختلفين فى الشكل والمضمون حتى أنها تعطيك الانطباع بأن كلا القسمين عبارة عن شيئين مستقلين وانهما حديثين منفصلين .

والقسم الأول (٣٦ : ١ ــ ٢١) يكمل موضوعات الاصحاحات السابقة ، والثانى (٣٦ : ٢٢ ــ ٣٧ : ٢٤) يقدم نوعاً جديداً من الحوار . إنه يبدأ بالانتقال فى اتجاه أحاديث الرب التى تليه وبذلك يصلح كمرحلة انتقالية للجولة الختامية (اصحاحات ٣٨ ــ ٤٢) وبنفس الطريقة فإن حديث أليهو الافتتاحى ينقسم إلى جزئين ، أولهما أصحاح (٣٢) يبدأ من الحوار السابق . وهذا النسيج المتصل دليل على وحدة الخط الدرامى لأحاديث أليهو داخل إطار السفر ككل ، وحتى لو كانت آخر جزء يكتب فهى فى صلب السفر وليست مجرد إضافة له كما يقترح بعض النقاد .

وهذا البيان الختامى يحوى أفضل وأكثر أفكار أليهو تميزاً ، فحتى الآن نراه يقف على أرض مألوفة وتقليدية مكرراً بصفة أساسية الأفكار التى عبر عنها أيوب وأصحابه ، والنغمة الحادة التى اتخذها إليهو فى حديثه الثانى والثالث نراها أقل حدة هنا (فأيوب ٣٦ : ١ ــ ٢١) من أكثر البيانات نضجاً والتزاماً بالعقيدة اللاهوتية المستقيمة من أى شيء آخر موجود فى السفر ، ووجوده أحد الاسباب الأساسية التى جعلت بعض الدارسين يرون فى ما قدمه اليهو شيئاً يدعو للاغتباط ، وبينما نجد فيه بعض الآراء التى فشلت فى مجاراة العضر إلا انها مليئة بتحليل أعمق وحساسية إنسانية أكثر تجعلها أقرب إلى حالة أيوب . ومعاملات الله مع البشر لا ينظر إليها ببساطة فقط فى ضوء الثواب والعقاب بل تُرى فى جانبها العلاجى ايضاً أو على الأقل فالمقصود منها أن تكون كذلك إذا أحسن فهمها .

فالحياة تعلم عن طريق (النظام) (الكلمة الرئيسية فى تعليم الحكمة المقدم من أليفاز فى البداية قارن ٤ : ٣ ، ٥ : ٧) ، فكل اختبار نجتاز فيه سواء كان خيراً أم شراً يقدم لنا فرصاً جديدة لنتعلم أكثر عن الله ، والحكيم هو الذى يركب الموجة أما الغبى فتفرقه الموجة ، وربما كان ذلك ما قصده أليهو عندما قال لأيوب : « انت تختار » (٣٤ : ٣٣) ، ومعنى الألم يتوقف على

الروح الذى (نقبله) بها (٢ : ١٠) وحيث أن النظام يفُرض على الطفل من قِبل والديه وعلى التلميذ من قِبل معلمه ، فالقصد منه هو النفع . والمعاندون والغير قابلين للتعلم بالطبع يحرمون أو بالاحرى يتسببون فى ايقاع الاذى بانفسهم لمقاومتهم حمل النير ، ولكن إذ يقبلونه كأداة للعمل الشريف فإنه يمكنهم من إنجاز أعظم ويخفف عنهم الثقل ايضاً فى واقع الأمر .

والإجابة الكاملة على ألم أيوب لا يمكن أن نجدها فى التساؤل عن العدالة . فوراء العدالة هناك إله خيِّر يدعو الناس للثقة به . وبتعبير أكثر بساطة فالسؤال هو عما إذا كان الشخص يمكن أن يستمر فى الاعتقاد بأن الله صالح حقاً ، فعندئذ يمكنه أن يغنى فى الظلام (٣٥ : ١٠) مهما حدث . والبحث عن تفسير بارجاع آلام أيوب إلى مصدرها وسببها لم يسفر عن شيء ولكن يمكن التوصل إلى نور كاف فى البحث عن نتيجتها والهدف منها .

(١ — ٤) يبدأ أليهو حديثه الختامي بطلب متجدد للصبر ، فما زال عنده « كلام فيما يختص بالله أو من عند الله (٢ ب) ليقوله » . ولكن غروره يفسد كل شيء والحق الذى يريد أن يكشفه ليس متوفراً لعامة الناس . إنه يأتى من (بعيد) ، من الله نفسه (٣) . والوزن فى عدد (٣) مخالف للتفسير الطبيعى « أنسب براً لصانعى »(١) وكلمة (احمل) (٣ أ) على نفس وزن (أعطى) ، وأيوب وليس الله هو موضوع هذه الهبة المتلقى للمعرفة ، ولذا فان « من بعيد » على وزن « من صانعى » (نفس حرف الجر ونفس المعنى) ، ومن ثم (فالمعرفة) (٣ أ) والبر (٣ ب) ايضاً على نفس الوزن تكونان عبارة واحدة « صحيح المعرفة » وهى صفة عامة تنسب للصديق وهى صفة الصدق (Sedeg) ، وشيء مماثل متكرر فى عدد (٤ أ) فالكذب وهو مضاد « للصدق » ، « والمعرفة » (فى صيغه الجمع فى عدد ٤ ب) يكونان إطاراً عاماً . وأليهو واثق جداً من نفسه لدرجة أنه يدعى أنه صحيح أو (كامل) (نفس الكلمة أو على الأقل نفس الاصل مستخدم فى أيوب ١ : ١) فى (المعرفة) .

وهذا ادعاء فى صحة ودقة المعرفة ولكن ليس كل المعرفة او العلم ، ولكن

---

(١) « ادافع عن عدالة صانعى » (NEB) أو « اثبت أن صانعى عادل » (JB)

بالرغم من أن صفة مشابهة تقريباً منسوبة لله فى (٣٧ : ١٦) و (صموئيل الأول ٢ : ٣) تعلن أن الرب وحده هو (إله المعرفة) إلا أنه يبدو أن أليهو يعطى لنفسه مثل هذه الشهادة فى العبقرية ، كما لو كان هذا الشاب الواثق من نفسه أكثر من اللازم غير مدرك تماماً لعجرفته المذهلة . ولا يعتقد أليهو أن الله مع أيوب وقد ادعى لتوه أنه يحمل معرفة من الله من بعيد ، ويبدى كذلك نوعاً من الغرور لدرجة يظن معها المرء أن الكاتب يسخر من هذه الصفة فيه ، ولكن إذا كان الكاتب جاداً فيجب أن تتطلع إلى ما يلى ذلك بحثاً عن (نتائج سليمة) (٤ ب فى الـ NEB) .

(**٥ ــ ١٢**) إن الله يرسل المتاعب لأختبار وتدريب الناس ، والتأكيد مرة أخرى هنا على قوة الله التى لا تقاوم والتى تدعمها (قوة الفهم)[1] ولكن عدد (٥) صعب جداً . والفعل (يرذل) ليس له مفعول فى الأصل فكلمه (أحداً) فى الـ RSV قد أضيفت فى الترجمة . لقد كنا نتوقع شيئاً مثل « أنه لا يرذل المتألمين او أنقياء القلب) على وزن عدد (٧ أ) ولكن الـ (NEB) لم تقدم الناحية السلبية . وعدد (٦) اكثر وضوحاً . إنه متناقض تماماً مع ما قاله أيوب أى انكار حقوق المظلومين وإطالة أعمار الاشرار ، فإذا لم يتفق أيوب وأليهو على حقائق الحياة فلا يمكنهما أن يناقشا مدلولاتها .

والمثل الذى يختاره أليهو يذكرنا بقصة يوسف الصديق بالرغم من ذكر كلمة (الملوك) بالجمع (٧) والتى أربكت بعض الدارسين . فبالتأكيد فإن (يوسف) حالة تقليدية أخرى لشخص عومل معاملة ظالمة أكثر من مرة . وبالاضافة إلى ذلك فإن اختباره قد أتاح الفرصة لنمو شخصيته وأبرز الوسيلة التى استخدمها الله لحصوله على سلطة كبرى لفائدة عائلته جمعاء . وهذا يساعدنا على رؤية أن (الأبرار) الذين لا يحول الله عينيه عنهم ليسوا بالضرورة أناساً لا يخطئون فى علاقتهم مع الله لأن عدد (١٠ ب) يتوقع منهم أن يرجعوا عن الإثم . والأبرار هم البائسون الذين يعاملهم الناس معاملة سيئة ، وهكذا فلهم كل الحق فى طلب العون الإلهى . وما يقصده أليهو هو أن هذا العون لا يأتى فى الحال . والله يراقب ليرى إن كانت الضحية سوف تجد أن

---

(١) هكذا وردت فى النص الانجليزى RSV ولكن فى الترجمة العربية (عزيز قدرة القلب) التى لا تعطى نفس المعنى (المترجم) .

ثمار الضيق حلوة أم لا ، وهذا مجمل بإيجاز فى عدد (١٥) (انظر تفسيره فيما بعد) إن أليهو يتكلم بالتفصيل عن الطريقين الموضوعين أمام كل انسان ، ففي هذه الحالة (فالموثقون بالقيود) (٨) إما أن يسمعوا فينجحوا (١١) أو لا يسمعون فيهلكون (١٢) ، ولكن أليهو لا يبدو أنه متأكد تماماً أن البار سوف يجد نفسه موثقاً بالقيود فعدد (٩) يوحى بأن مثل هذا الذل هو عقاب مرسل من الله بسبب الكبرياء ، وبذلك يجعل هذه النقطة ضعيفة بشكل ملحوظ على الأقل فى ارتباطها بأيوب . والحبس المقصود منه نظام إصلاحى (انذار MUAR) (١٠) والمقصود به بنوع خاص يقظة الشعور (بالاثم) ومعلموا الحكمة كانوا يقولون دائماً إن هناك فرصة للتقدم حتى وإن لم تكن هناك اخطاء يجب استئصالها ، ولكن اليهو لا يسلم بهذه الامتيازات لأيوب . وفى المقارنة بين عددى (١١ ، ١٢) نجد تلاعباً بالألفاظ بين كلمتى (àbod) و (abor) فالكلمة الأخيرة (يعبر) حرفيا وجد (دورم) أنها مقابلة لفكرة الموت فى عدد (١٢ ب) ونقيض الوعد بطول الحياة فى عدد (١١) وذلك باستخدام كلمة (Sih سيف)[1] « فبسيف الموت يزولون » (١٢ أ) ولكن باستخدام تعبير « نهر الموت » فى الـ (NEB) . وهذا الاحتمال نوقش فى التعليق على (٣٣ : ١٨) ولكن يجب ملاحظة أن مخطوطات قمران لسفر أيوب تؤيد بوضوح كلمة (سيف) ، والموت (بعدم المعرفة) لا يعنى أن الموت يأتى عليهم وهم غافلون بل إنهم يمضون بجهل إلى المكان الذى لا توجد فيه معرفة تكتسب فيمضون إلى جهنم لأنهم لم يتعلموا شيئاً فى هذه الحياة . وهذا الاستنتاج يوافق الاتجاه العام لحديث اليهو فى أن هدف الحياة هو تعلم ما يريد الله أن يعلمنا إياه من خلال ما يعمله معنا .

(**١٣ و ١٤**) هذان العددان يكملان صورة الشخص الذى يرفض أن يصلى عندما يكون فى ضيق (١٣ ب) ، فهو يصل لنهاية غير متوقعة (١٤ أ) وفخذية فى نفس الوقت (١٤ ب) والكلمة المترجمة (عار) تعنى (الداعرون من الذكور) أى المأبونون (NEB) كما جاءت فى الترجمة العربية ولكن يصعب أن نرى الصلة بين ذلك وبين ما نتحدث عنه فى هذه الفقرة (١٥) (ينجى البائس فى ذله ويفتح آذانهم فى الضيق) مع أن تلك العبارة

---

(١) فى النص العربى تستخدم كلمة (حربة) اى « حربة الموت » (المترجم)

بالحكم والامثال إلا أنها توجز كل شيء . نجد هنا جَرْسا فى أصول الكلمات يستحيل استخدامه فى اللغة الانجليزية . واستخدام حرف الجر (بذله) (١) مفضل مع أن حرف الجر (من) له معنى آخر محتمل . على أى حال ففكرة نجاة البائس بفقره (يفضل (دورم) كلمة (ذل) على (بؤس) (RSV) أو (ألم) (NEB) فكرة تبدو متناقضة ، فالله هو الذى ينجى والبلية هى الفرصة المتاحة إذا أحسن استخدامها .

(**١٦ ــ ٢٥**) هذا الجزء فى صيغة المفرد ويبدو أنه موجه لأيوب ، والنص ملىء بالمشاكل حتى أن مجرد الشكل (اتهام وانذار وتشجيع ؟) غير واضح المعالم ، وتنقصه الدقة ، وهذا عيب . وبعض الترجمات بدلاً من إكمال الاعداد من (٢٢ ــ ٢٥) كحث نهائى على التقوى تربطها بالفقرة التالية كجزء من حديث أليهو عن عظمة الله . ولأن المشاكل عويصة سوف نوضحها بقليل من الأمثلة مهما اختلفت الترجمات والـ (TEV) تبرز فكرة أن أيوب ينال العقوبة التى يستحقها وأنه لا فائدة من الصراخ طلبا للنجدة ، أما الـ (JB) فتكيل الاتهامات لأيوب « أنت لم تطبق العدالة على الأشرار ، أنت حرمت اليتامى من حقوقهم ... أضلتك الثروة أو فسدت بتلقى الرشاوى الدسمة » ، أما الـ (NEB) تحذر أيوب ببساطة من تلك الأخطار بطريقة أكثر وداً والـ (RSV) تبذل محاولة أمينة للاقتراب من النص العبرى ، وبذلك فقد تركتنا أمام ترجمة غير مفهومة تقريباً كالأصل .

(**٢٦ ــ ٣٣**) لقد اشرنا من قبل إلى صعوبة إيجاد الحد الفاصل بين القسمين الرئيسيين فى هذا الحديث . والعبارة (من بعيد) فى نهاية عدد (٢٥) تشبه تماماً تلك التى فى عدد (٣) وقد تكون ضمن هذا القسم مكملة إياه . ولكن عددى (٢٢ ، ٢٦) يبتدئان بنفس الكلمات (هوذا الله ...) ويمكن أن تكون مقدمة لقسمين وثيقى الصلة ببعضهما ، ولحسن الحظ فإن النص يستمر فى التحسن كلما قطعنا منه شوطاً حتى يميط اللثام عن موضوع قوة الله بتألق لا يفوقه سوى أحاديث الرب ذاته .

وأول اعلان واضح لاليهو هو أن الله اعظم من الانسان) (٣٣ : ١٢) وهو يردد ذلك الآن فى عدد (٢٦) مستخدماً صيغة مختلفة . وفى الواقع فإن اليهو قد حول دفة الحديث من عدالة الله إلى حكمته مستخدماً قوته

كالقنطرة التى توصل لذلك . ويوجد تقدم هنا لأن صحة أى عمل قد تبرره الحكمة من ورائه حتى وإن كان لا يفى بقوانين العدالة . ولكن هناك أيضاً خطر لا يتجنبه أليهو تماماً وربما السفر ككل ، فإن تحتمى من العدالة المخفية فى الحكمة الغامضة قد لا يعدو أن يكون بمثابة إخفاء الله بعيداً فى سحب الغموض والابهام . وقد سبق أن رأينا أن اصحاح (٢٨) لا يفعل ذلك فلو تأملنا فى العالم من حولنا لرأينا حكمة الله فى تنوعه وفى النظام السائد فيه . أما فيما يختص بالانسان فإن حكمة الله معبر عنها فى سلوكه الاخلاقى . وبطريقة ما فإن السفر يتجه نحو توحيد الإثنين معاً بالصعود إلى الله كالخالق الواحد المشترك لكليهما ، وليس بالهبوط إلى التعريفات المتهالكة بأن (الخير) هو ما يتم « وفقاً للطبيعة » .

والاسئلة التى تبدأ فى الظهور فى عددى (٢٢ ، ٢٣) تسيطر على بقية السفر ، وكلها تشير من اتجاهات مختلفة إلى عظمة الله لتريها لجميع البشر (٢٥ أ) حتى وإن كانوا يرونها فقط (من بعيد) (٢٥ ب) ، والاستجابة السليمة للانسان هى أن يغنى فى حمد (٢٤) .

وحيث أنه لا أحد قد فرض على الله هذه « المملكة » (البديل المحتمل لكلمة (طريقة) عدد ٢٣) فلا أحد يستطيع أن يطلب منه تقديم كشف حساب أو يقول إن هناك (خطأ) ما فى عمله . والحوار السابق قد جعلنا ندرك تماماً الأخطار فى هذا النوع من الحديث ، ومع ذلك فإن أليهو قد سلك نهجاً مفيداً ونحن نستعيد إحترامنا له عندما يقول اشياء كهذه عن الله . يوجه أليهو أولاً انتباه أيوب إلى مجد الله فى الطبيعة وفى العاصفة (٢٦ — ٣٣) ومع استمراره فى الحديث سوف يفصل كلامه عما يحدث فى الشتاء (٣٧ : ١ — ١٣) وعن جمال السماء عند انتهاء العاصفة (٣٧ : ١٤ — ٢٤) (٢٦) لا حاجة بنا للجوء إلى الترجمات العادية بما فيها من شكوك فى مقابل شهادة أليهو لله كالمعلم الذى لا نظير له (عدد ٢٢) . وكما نرى فى الوزن فأزلية الله يمكن تصورها ولكن لا يمكن ادراكها ، ونحن نعلم أن الله عظيم ، وهذا قدر كبير من المعرفة الإيجابية ولكن لا يمكننا أن نعلم مقدار عظمته بالتحديد ، ومع ذلك فهذا العجز لا يبطل ما نعرفه يقينا عنه وبخاصة عندما تكون هذه المعرفة مؤسسة لا على تصورات تفوق الادراك بل على تأمل فى الله فى اعماله المتنوعة فى الخليقة .

(٢٧ ــ ٣٣) تُظهر السحب والامطار سيطرة الله المذهلة على العالم فى اعمال بمثل هذه الدقه والقوة حتى أن البشر لا يستطيعون فهمها أو تقليدها . فلو لجأ إنسان القرن العشرين إلى علم الأرصاد الجوية ، الذى يفيده فى التنبؤ بالطقس وتنظيم الوقت ، لكى يقلل من أهمية تعجب أليهو ، فإن تلك الكبرياء والزهو سريعاً ما يتضاءل لأنه بالرغم من معلوماتنا المتزايدة عن الكون فإن أسئلة أليهو تصبح أيضاً بلا اجابات على نطاق الكون الواسع المترامى الأطراف .

وكلمة (ضباب) والتى ترد هنا فقط وفى (تكوين ٢ : ٦) ليس لها سند من علم الصرف مع أن الـ (NEB) تتمسك بالتقليد . ويقول (البريت Albright) أن الكلمة مستعارة من للغة السومرية وبيانه بخصوص هذه النقطة كامل بغض النظر عن المصاعب فى علم شكل الكلمات والحوار المستمر عن مدلولها الدقيق . وقد اشار (بوب) إلى أن الحرف الأخير (ō) متعب فى العبرية ويعكس النهاية الآكادية الاصلية وبذلك يزيل جزءا من الصعوبة التى أحس بها (سبيسر Speiser) [1] ولكن فى رأينا أن (بوب) قد ترك الكثير من الاشارات للاساطير القديمة فى ترجمته (طوفان) بينما الدليل المستمد من (سبيسر) يشير إلى علاقه أكبر بأحداث كل يوم ومدلولاته العابرة عن فوران فى المياه الجوفية تناسب بالتأكيد ما ورد عن ذلك فى (تكوين ٢ : ٦) ومع ذلك فالارتباط هنا (بالمطر) والمعنى الغير أكيد للفعل « يقطر » (والمترجم « يمحص » فى أيوب ٢٨ : ١) يضطرنا لارجاء اتخاذ قرار . والسؤال المحير هنا هو هل المقصود هنا مصدران للماء ــ السماء والعالم السفلى كما فى قصة الطوفان ؟ ــ أم مصدر واحد فقط ؟ ، فكل من البحر والمياه الجوفية تحملان الرطوبة التى « تهطلهما السحب » (٢٨ أ) ولغة القصيدة شعرية ، والعلم الدقيق ليس من المحتمل أن يقدم الاجابات المطلوبة .

وحيث أن السماء يشار إليها أحياناً كخيمة الله فأسطح السحب التى نراها بمثابة فرش الارضية (قارن الـ NEB) ولكن الترجمات الحديثة تريد الالتفاف حول العبارة المحيرة « قصيف مظلته » (٢٩ ب) ، ولكن هذه ليست الكلمة

---

(١) « الدراسات الشرقية والكتابية » سنة ١٩٦٧ . Speiser

المعتادة لكلمة (رعد) باكثر من الكلمة المترجمة (برق) فى عددى (٣٠) ، (٣٢) [١] كالكلمة المعتادة لتلك الظاهرة .

والمقصود (بأصول اليم) لغز آخر يصعب حله (٣٠ ب) وصورة اليدين المغطتين بالبرق [٢](عدد ٣٢) يمكن مقارنتها بما يرمز إليه إله العاصفة من ومضات خارجة من يديه .

وبالرغم من عدم المامنا بكل التفاصيل إلا أن التأثير العام واضح وقوى . فقوة الله فى العاصفة الرعدية مرعبة بنوع خاص وتعبير عن « الغضب ضد الاثم »[٣] وعن (الدينونة) (٣١ أ) ومع ذلك فهى ايضاً الوسيلة التى بها (يرزق القوت بكثرة) (٣١ ب) ، فعمل واحد من اعمال الله يمكن أن يكون مفيداً ومدمراً فى آن واحد .

(**٣٧ : ١ — ٥**) لا توجد فواصل بين الأصحاحات فيما عدا ابتهال مفاجىء لأليهو الذى يمتلىء فزعاً ممتزجاً بالإعجاب لمنظر قوة الله الرهيبة فى العاصفة الرعدية . وهناك منظر شبيه بذلك فى سفر حبقوق (٣ : ٦) يدل على أن مجرد إدراك وجود الله الحى نفسه فى مثل تلك الحوادث يجعل الناس (ترتجف) . والكتاب المقدس يحتوى على بعض الأوصاف الرائعة للعاصفة الرعدية وأفضلها ما ورد فى (مزمور ٢٩) ولكن قصيدة أليهو تأتى فى المرتبة التالية مباشرة . والأمر بالسماع ورد فى صيغة الجمع وهو موجه لأيوب وأصحابه إن لم يكن للمارة ايضاً . ويمكن أن نتصور أن أليهو يقدم هذا الوصف بينما تزمجر عاصفة هائلة فوقهم جميعاً . وإذ تذكر كل من الرعد والبرق إلا أن الاهمية تعطى للاصوات التى تصم الآذان والمذكورة ببساطة أنها (صوت) الله وهناك قدر كبير من التكرار ، وبعض الكلمات النادرة تستخدم للإشارة للرعد .

وحيث أن عدد (٥) مكون من شطرين جيدى التركيب فيهما كلمتى (عجباً) و (عظائم) على نفس الوزن ، وحيث أن البداية الجديدة لعدد (٦) تعطى أهمية خاصة لعدد (٥) فيجب أن نعترف بأن الاعداد من

---

(١) وردت هاتان الكلمتان فى النص العربى « نور » (المترجم)

(٢) « بالنور » فى العربية (المترجم)

(٣) عدد ٣٣ فى النص الانجليزى RSV يقول « يخبر به رعده فهو يتقد غضباً ضد الاثم » (المترجم)

(٢ ـــ ٤) عبارة عن سباعية محاطة بالعددين المتناظرين (١) ، (٥) وتركيب هذه الشطرات السبعة يبدو على شكل تناظر مماثل .

والشطر المنفرد الذى يتكلم عن (البرق) (الكلمة البسيطة (نور) مستخدمة فى اصحاح (٣٦) متواجد فى الوسط بين ثنائىٍ من الشطرات الثلاثية كلاهما يتكلم عن (الصوت) . واكتمال هذه السباعية يمكن اثباته ليس فقط عن طريق التناسق الداخلى ، بل ايضاً بالعودة لكلمة (سمع) فى عدد (٤ ب) كإطار لعدد (٢ أ) .

هذا التحليل يضع الحلول لبعض المشكلات ، فبعض الدارسين إذ يضلون الطريق نتيجة لبحث ضيق الأفق عن وحدات مزدوجة الأسطر أثرت على علامات الترقيم فى الطبعة الماسورية . وبعض الدارسين (من امثال (رادلى) ص ٣٠٢) يقولون إن الضمير فى (يطلقها) فى عدد (٣ أ) يعود على (البرق) فى (٣ ب) من أجل الوزن . ويكمل (بوب) ذلك بترجمة الكلمة (يومضها) والكلمة المؤثرة التى يستخدمها تضعف الفعل الآرامى الذى استخدمناه حتى الآن للتوصل إلى كلمة قريبة من اللغة الأصلية . ولكن بادماج الحروف الأخيرة فى الأصل نحل مشكلة لخلق مشكلة جديدة . ويجب دراسة المشكلة فى (اوزان رأس شامرا) قبل اعطاء القول الفصل . وتترجم الـ (NEB) الفعل « يتدحرج » وفقاً لتحليلنا المقترح . وكلمة (البروق) فى عدد (٤ أ) ليست موجودة فى الـ (MT) [١] ، أما فى الـ RSV فكلمة (لاندركها) (٥) تؤيد ملاحظاتنا على عدم القدرة على الادراك الشامل فى التعليق على (٣٦ : ٢٦) حيث ترجمت الكلمات المتماثلة « نحن لا نعرفه »

(٦ ـــ **١٣**) وحدود هذا القسم تتميز بعلامات نحوية واضحة المعالم ، وهو يتعامل مع أمطار الشتاء المصحوبة بالثلج والصقيع الذى يجعل الناس تمكث داخل البيوت ((٧). ولكن اللغة العبرية أبعد ما تكون عن الوضوح والـ (NEB) قامت بالتخمين كثيراً) وتجعل الحيوانات تدخل المأوى (٨) .

وبالعودة إلى (الجمد) فى عدد (١٠) نلاحظ اطار التركيب المقلوب ولكنه ليس واضحاً وضوح القسم الذى يشمل الاعداد من (١ ـــ ٥) .

---

(١) « ولا يحجز البروق إذ سمع صوته » هكذا وردت حسب النص الانجليزى فى الـ RSV (المترجم)

يستنبط أليهو استنتاجين بينما الناس ترقب الأمور وهم لا حول لهم ولا قوة . فالله يسيطر سيطرة كاملة على مجرى تلك الاحداث (١٢) حتى وإن كانت وهى (مدورة متقلبة) قد توحى بقوى فوضوية لا هدف لها . وتقدم الـ (NEB) هذه الفكرة بتعبير أكثر وضوحاً .

والاستنتاج الثانى (١٣) أن الله هو (مرسل) تلك الاحداث لسبب من بين اسباب عديدة . وقد ذكرت ثلاث احتمالات لذلك ، سواء كان للتأديب أو لأرضه أو للرحمة ، (Hesed) (نفس الكلمة العظيمة الدالة على عهد الولاء المستخدمة فى ١٠ : ١٢) ، ولأن الاشارة (للارض) لا تبدو أنها تناسب المقام هنا قام المعلقون إما بتغييرها أو بالتخلى عنها (هكذا فعلت الـ NEB) ولكن (٣٦ : ٣١) قد سبق أن أوضحت أن ماء المطر يمكن أن يكون مدمراً أو مفيداً . وهنا نجد نفس التناقض بين كلمة « قضيب » (من ثم كلمة (اصلاح) (AV) (ومحبة) فى الـ (RSV))

إن الاحداث الجسام فى تاريخ اسرائيل كانت مناسبات استخدم فيها الله أكثر العواصف تدميراً ليعطى شعبه الانتصارات التى وعد بها فى عهده للشعب أى لاجراء (الرحمة) (Hesed) لشعبه (يشوع ١٠ ، قضاة ٤ : ١ ، صموئيل الأول ٧ : ١٠ ، مزمور ١٨ .. الخ)

تلك الأسباب لإرسال العواصف لها علاقة بالبشر ولها مبرر أخلاقى لاسباب مألوفة : لعقاب الاشرار أو لنجاة الأبرار . والسبب الثالث أكثرها إثارة لأنه لا يتصل بالبشر ويفتح المجال لنوع جديد من الفكر .

فالله يفعل الكثير فى عالمه الكبير لا تفسير له فيما يتعلق بالبشر تماماً كما أن احاديث الرب سوف تذكر أيوب بأن لله العديد من المخلوقات بخلاف البشر عليه أن يعتنى بها .

وقد يجرى عاصفة فقط (لذاته) ، ومع أنه قد ظن البعض منذ أمد بعيد أن الأصل (RSw) مخفى فى الكلمة (أرضه) إلا إن مناقشات (داهود) و (التى كان من الممكن أن يقررها (بوب) باكثر قوة والذى ترجمته « للنعمة » ليست جيدة مثل كلمة (للمتعة) قد فتحت الطريق للتعرف على

الكثير من الامثلة المؤيدة لذلك[1] ، والله حر أن يفعل ما يشاء دون حاجة لتفسير كل شيء كجزء من خطته للجنس البشرى .

(**١٤ ــ ٢٠**) يخاطب أليهو الآن أيوب مباشرة فيناديه باسمه ، وينطلق سائلاً إياه مجموعة من الاسئلة على نمط الاسئلة التى سيوجهها له الرب نفسه عندما يتكلم [٢] فباستعراض عجائب السماء مرة أخرى يسأل أيوب إن كان يعرف كيف يفعل الله هذه الاشياء (كموازنة السحاب) (١٦) ونشر الجلد (١٨) وحيث أن السماء تبدو ثابتة وجامدة للناظر إليها من الأرض فالمقارنة الشعرية (بالمرآة المسبوكة) لا يجب افسادها بالاختلاف حول دقتها العلمية . لقد كان العبرانيون يدركون جيداً أن تركيب السموات أكثر تعقيداً من مجرد « وعاء مقلوب »

ويبدو أن عدد (١٧) يقارن طقس الصيف الحار بالأحوال الموصوفة فى الأعداد من (٦ ــ ١٣) ، ولكن لماذا يربط ذلك بما يعانى منه أيوب شخصياً (تعرق فى ملابسك الخانقة حسب الـ (NEB) . إن الاجابة على ذلك ليست واضحة ما لم يكن القصد هو تأكيد فكرة أن الانسان ليس له أى سلطان على الطقس بخلاف الله الذى يغيره حسب ارادته . وذلك يمهد للأعداد بدءاً من عدد (١٩) والتى وإن كانت غير واضحة[٣] إلا أنها تعنف أيوب لأنه يريد أن (يملى على الله) (NEB) حتى فى أمر سهل يحدث كل يوم كالطقس ، دع عنك ما يتعلق بالأوامر الأخلاقية الخاصة بشئون البشر . ومقارنة الترجمات المختلفة لعدد (٢٠ ب) تمنعنا من محاولة أى تعليق [٤]

---

(١) ولكنى نقدم مثلاً واحداً فقط والذى لم يذكر من قبل ، على قدر علمى ، فكلمة (Arsàh) فى (تكوين ٣٨ : ٩) يجب أن تترجم (عمداً) أو (بارادته) وهكذا تزيل الغموض عن حادثة الافساد على الأرض .

(٢) هذا التوقع لا يفسد تأثير اللقاء الالهى حيث أن بعض النقاد يعتقدون ذلك ويريدون استبعاد أحاديث اليهو بالمرة . فمنذ البداية شمل الحوار قصائد بهذا الخصوص (٥ : ٨ ــ ١٦ ، ٩ : ٥ ــ ١٠ ، ١٢ : ٧ ــ ١٢ ، ٢٦ : ٥ ــ ١٤ و ٢٨ ، ٣٥ : ١١)

ولذلك فأحاديث الرب هى قمة الموضوعات التى سبق الاعلان عنها

(٣) لماذا غير أليهو الضمير إلى (نا) فجأة ؟ هل يعنى أنه (هو وأيوب) يقدمان لله طلباً للتمتع بجو معتدل ؟ كما أن عدد ١٩ غامض هل الله مختف فى الظلام ؟ أم أننا نحن فى الظلام ؟

(٤) فى الانجليزية هذا العدد (٢٠ ب) يقول « هل يرغب انسان ما أن يبتلع » بخلاف ما جاء فى العربية (المترجم)

(٢١ ــ ٢٤) تنتهى احاديث اليهو عند ذكر الهدوء الرهيب ، فالعاصفة قد هدأت وشعاع الشمس يتسلل عبر السحب المتقطعة . ولا يسر بعض المعلقين فيما يختص بعدد (٢١) حيث أن أليهو هنا يعود لوصف الطبيعة بعد أن بدأ فى الوعظ ، ولكن ليس هناك ما يدعو لنقل عدد (٢١) إلى مكان آخر كما يفعل البعض ، فقد رأينا مثل ذلك عدة مرات من قبل ، والاعتراف (بجلال الله المرهب) (٢٢) يمهد الطريق للتأكيدات النهائية عن عظمته .

وأنه لمن المؤسف أن نكتشف أن الاسلوب الجميل المدون به عدد (٢٢ أ) فى الـ RSV (من الشمال يأتى بهاء ذهبى) أساسه غير متين فى العبرية ، فالذهب (المعدن المألوف) المشار إليه فى العبرية قد يشير إلى الوهج الذى يتبقى بعد العواصف والامطار ، ولكن ذلك لا يحدث فى الشمال . أنه الشفق الشمالى وهو اقتراح يجده الكثيرون من الدارسين جذاباً ، وبذلك نكون قد ذكرنا شيئاً مختلفاً تماماً عن السماء بالليل ، والتى لا صلة لها بالعواصف التى ذكرت فى حديث أليهو .

وتعريف (بلومرد) للقب المعطى لله (الله العلى) فى عدد (٢٢ ب) بأنه « الذى عنده جلال مرهب » يستحق الالتفات إليه بجدية واحترام . وعدد (٢٢ أ) يجب أن يرتبط بعدد (٢١) ليكونا شطرات رباعية وعدد (٢٢ ب) يجب أن يرتبط بعدد (٢٣) ليكونا قصيدة من ستة أسطر من شطرتين مزدوجتين مليئة بذكريات الاغنيات القديمة ، وهى ذروة مناسبة لحديث أليهو العظيم .

وعدد (٢٤) يقدم اللمسة الأخيرة وفيه ما ينطبق على حالة البشر وبخاصة أيوب وهو يشبه الاعداد الأخرى التى تنهى الأحاديث فى هذا السفر بتقديم شطرتين مختصرتين ذات وزن دقيق ، ولكن بعض المترجمين قد أخطاوا فى ترجمته . فقد استبعدت الـ (NEB) النفى المتعب فى الـ (RSV) وبذلك تكون قد فقدت الوزن بترجمة نفس الكلمة (هيبة) فى عدد (٢٤ أ) و « يراعى » فى (٢٤ ب) وكلمة (Yr'h) مقابل لكلمة (Yr'whw) (يهوه) مع نقص فى الهجاء طبقاً لمبدأ أبرزه الكاتب وطبقاً لوزن (Ikn) فالـ (l') أى (كل) يجب أن تكون للتأكيد :

لذلك تخفه الناس

(بالتأكيد) كل حكيم القلب يخافه

وبذلك نصل إلى تقارب تام مع (أيوب ٢٨ : ٢٨)

٥ ــ يهوه وأيوب (٣٨ : ١ ــ ٤٢ : ٦)

وأخيراً يكسر الرب نفسه جدار الصمت ويتكلم عن (العاصفة) (٣٨ : ١ ، ٤٠ : ٦) ومع أن الحديث ممهد له شيئاً ما فإن ما يقوله يثير دهشتنا فى كل من الشكل والمضمون .

وأحاديثه موجهة بنوع خاص لأيوب وبعد ذلك استجابة متأخرة لإلتماس قدمه أيوب مراراً ، وهذا الالتماس كان كلمته الختامية (٣١ : ٣٥) ولكنها ليست الاجابة التى كان يبحث عنها أيوب . لقد طلب أيوب قائمة اتهام بتهم محددة هو على استعداد للاجابة عنها أو حكماً من قاضيه يتوقع هو بثقة أن يكون اعلاناً ببراءته . ولكن الله لم يستجب لأى منهما مع إن صيغة الاستجواب قد تبدو أحياناً أنها على شكل إتهام لأيوب أنه فى جهالته يظلم القضاء « بكلام بلا معرفة » (٣٨ : ٢) ومع ذلك فالحديثان المطولان اللذان تفوه بهما الرب ليسا رداً على الاسئلة التى طالما عذبت أيوب والتى فشل الأصحاب فى الاجابة عليها . ولأول وهلة نجد أنه من الواضح أنهما لا علاقة لهما بالموضوع الرئيسى ألا وهو سبب معاناة أيوب القاسية فى حين أنه فعل كل ما يمكنه فى حدود طاقته كانسان ليكون على صلة جيدة بالله . واضح أن الرب لا يقول شيئاً عن ذلك ولكنه فى الواقع يقدم عدة تأكيدات إيجابية وأحاديثه ليست رؤى ، فهو يجيب على تساؤلات أيوب بفيض من الاسئلة المضادة . وهذا الاستجواب المقدم لأيوب ليس مجرد نمط فريد . إن وظيفة الاسئلة تحتاج للفهم الصحيح . فالسؤال البلاغى يمكن أن يكون طريقة أخرى لالقاء بيان وهى طريقة يفضلها الخطباء . وفى حالة أيوب فإن الاسئلة فى أحاديث الرب ليست حقائق غير مباشرة بل أنها تعد تشجيعاً وحضاً له سوف يؤدى إلى اكتشافات سوف يتوصل إليها عندما يحاول أن يجد الاجابات بنفسه وهى ليست أسئلة تعليمية كما لو كانت معلومات أيوب ستواجه الامتحان . إنها اسئلة تهذيبية بمعنى الكلمة ، فيستدعى أيوب أن يخرج من مكمنه ليواجه العالم . والأسئلة بلاغية فقط بمعنى أنه لا سؤال منها يجد أيوب فى نفسه الجرأة على الإجابة عليه ، ولكن ذلك ليس لأن الاسئلة لا اجابة لها . وتأثيرها المبدئى فى أن تفهم أيوب جهله ليس القصد منه إذلاله . فعلى العكس إن أسمى شرف لأى شخص أن أن يدربه الله نفسه فى مدرسة الحكمة ، وحجرة الدراسة هى العالم ! .وبالنسبة لأيوب فالاكتشافات المثيرة التى يقوده الله إليها تؤدى إلى تقدم هائل فى المعرفة ، معرفته بنفسه وبالله ، لأن الاثنين يسيران معاً فى

طريق واحد دائماً فى الكتاب المقدس . وهذا التغيير الفكرى يعد تغييراً جذرياً لدرجة أنه يمكن أن نسميه (تجديداً) ، ولكنه ليس كالتجديد الأول الضرورى لأى شخص يرغب فى الدخول إلى أهل بيت الله والذى فيه يترك الخاطىء التائب طرقه الشريرة ويقبل الغفران . فمثل هذه التوبة لا يُطالَب بها أيوب ، ولا يطلب منه ايضاً أن يتنازل عن ادعائه بأنه يسير فى الطريق السليم فمجرد الحقيقة بأن الله لم يتقدم (كما فعل الاصحاب) بقائمة من خطايا أيوب لهو دليل كاف فى حد ذاته بأن ذلك ليس مطلوباً . وأن يتكلم الله فقط فذلك فيه كل الكفاية لأيوب . فكل ما يريد أن يعرفه أيوب أن كل شيء لا يزال على ما يرام بينه وبين الله ، أما بعد ذلك فهو لا يهتم بما يحدث له . وقد استرد أيوب هذا التأكيد بعد أحاديث الرب إلى هذا الحد لا يهم أيوب كثيراً ما يتحدث عنه الاصحاب ، وأى موضوع يصلح لمحادثة مرضية بينهم ، فيكفى أنهم يستمتعون بالحديث فيما بينهم ولكن هذا لا يعنى أن مضمون أحاديث الرب غير ذات موضوع ، فهى تقود إلى الاقتناع والقناعة الكاملة ولو عن طريق غير مباشر . والاعجاب الشامل لدى القراء بالشعر الرفيع المستوى لهذه الاحاديث يمتزج دائماً بالحيرة بسبب مضمونها الغير متوقع . فهى جميعاً تتكون من قصائد عن الطبيعة وليس فيها سوى النذر اليسير من سيادة الله وتصريفه لأمور البشر ومعاملاته مع الناس . وعند قرائتها لأول وهلة تبدو الأحاديث وكأنها تزيح الاحداث التى سيطرت على السفر جانباً ، فليس فيها إشارة لاختبار أيوب أو إلى مشكلاته ، وليس فيها حوار عن أى من الاشياء التى تحدث عنها أيوب أو عن المتحدثين الآخرين .

والقرار الواضح : وهو تعريف أيوب اخيراً بأن الهدف من كل ذلك أن يكشف له حقيقة الشكوك التى حامت حول شخصيته بفعل الشيطان وأن الرب قد أجاز أيوب بثقة فى الامتحان ، ذلك القرار لم يكشف النقاب عنه بعد[1] ولقد وجد كثيرون من القراء المتهورين أن استجابة الله ليست محيرة

---

(١) من الروائع العديدة التى فى السفر أن أيوب قد توصل إلى اقتناع كامل دون معرفة كل الحقائق المتعلقة بقضيته . أما فيما يختص بالطريقة التى بها عرض الشيطان الموضوع فكان لا بد من عمل شيء لانقاذ أيوب من التشويه الذى تعرض له . ولا يمكن للامتحان إن يكون امتحاناً أذا عرف أيوب الهدف منه ، ولقد سمح الله لأيوب أن يجتاز فى اختبار الترك والهجران ليتمكن من دخول حياة الإيمان المجرد وأن يتعلم أن يحب الله لذاته فقط . ويبدو ان الله لا يعطى هذا الاختبار للكثيرين من البشر لأنهم يدفعون ثمناً باهظاً من الألم للتوصل إلى تلك الاكتشافات ولكن جانباً من الاكتشافات ينحصر فى رؤية الألم ذاته كواحد من أثمن هبات الله .

وإن تحجب القصة بكاملها عن أيوب حتى بعد انتهاء الامتحان يجعله يظل سائراً بالإيمان وليس بالعيان . إنه لا يقول فى نهاية الأمر (الآن أرى كل شيء) فهو لا يرى كل شيء ، ولكنه يرى الله (٤٢ : ٥) ولربما كان من الافضل ألا يخبر الله احداً منا بكل تفاصيل قصة حياته .

فقط ولكنها غير ملائمة ايضاً ، وأنها تحاول التهرب بل ومهينة . ايضاً (١) ليست هناك أدنى اشارة أن الله يحتقر أيوب كشخص غير جدير بالصحبة الالهية . بل على العكس من ذلك فهو يدعو أيوب لمقابلته كخليل ، واقفاً (كرجل) (٣٨ : ٣) . وليست هناك أدنى إشارة لتلك اللهجة البغيضة التى تجعل الباحث الأمين يتقاعس بتذكيره أنه ليس لنا أن نستجوب طرق القدير . إن أحد اسباب تراجعنا ذلك التقليد القديم فى الفكر المسيحى الذى يقلل من شأن المعرفة بالله عن طريق التفكير فى العالم . « فاللاهوت الطبيعى » كان محصوراً فى أضيق الحدود بواسطة الدارسين ، وقد انكرته الارثوذكسية الحديثة تماماً .

وسفر أيوب لا يسلك ذلك المسلك المثبط للعزائم ، فكما دعانا يسوع « لتأمل زنابق الحقل » ، هكذا فالرب كصديق لنا يدعونا لنسير معه لنتجول فى جنته . إن الله يستمتع بعالمه ، ويريدنا أن نستمتع به معه ، ولكن الجولة تكون مفيدة فقط إذا قادنا الله فيها .

واختيار الخلائق التى يستعرضها الله أمام عينى أيوب يثير ملاحظاتنا وبخاصة عندما نلاحظ بعض الظواهر الغير متضمنة فى الحديث .

فالشمس على سبيل المثال ، والتى اعتبرت دائماً كواحدة من أعجب أعمال الله ، وهى فى مقدمة ما يذكرنا بالله نفسه كرمز له ، تعمى أبصارنا ولكنها ذات فوائد لا تحصى ولا تعد . ولكن أى شيء من صنعة يد الله تصلح لذات الغرض لأن جميعها تتحدث عن قوة وحكمة خالقها معلنة لنا أن الله عجيب ومحتجب ، ظاهر وباطن .

هناك رقة فى أحاديث الرب تجعلنا نهجع ونسترخى وهدفها ليس أن تسحق أيوب بادراك ضآلته أمام قدرة الله الغير محدودة ولا أن تسخر منه عندما يضاهى عقله الصغير بعقل الله الغير محدود بل على النقيض فالحقيقة المجردة أن الله يتحادث معه يعطيه شرفاً وكرامة تسمو به على جميع الطيور والوحوش

---

(١) إن جورج برنارد شو فى (مغامرات الفتاة السوداء فى البحث عن الله) سنة ١٩٣٢ يجعل الفتاة تدعو حديث الرب بأنه عبارة عن ضحكة استهزاء ، وفى المقدمة الموجودة فى طبعة بنجوين والمعنونة (الفتاة السوداء فى البحث عن الله) يقول (شو) « إن الله يسخر من أيوب »

مؤكدة له إنه لشيء رائع أن يكون إنساناً[1] وأن نتطلع إلى أى طائر أو زهرة وما أكثرها ، نجد اعلاناً من الله بعنايته الدائمة بالعالم الذى خلقه .

وبانتمائهما للشركة فى هذا العالم ، يجد كل من أيوب والله تزكية لا يحصلان عليها فى حديث الاصحاب ، فالقصة كلها قد أضحت امتحاناً لهما . وهنا نجد الرد على تشاؤم الشيطان ، وهنا نجد البرهان على تعلق أيوب بالله عندما يحرم من كل شيء . وهنا الدليل على أن الانسان يمكن أن يحب الله ببساطة لكونه إله وليس بسبب الجزاء المنتظر . هنا نجد أن عدم وجود إجابة رسمية كرد على المشكلة الأخلاقية بل تركيز القاء الضوء فى السفر على فرد واحد بعينه يعطينا دروساً مفيدة . فأيوب يتزكى بإيمانه بصلاح الله ، ذلك الإيمان الذى صمد للحرمان المريع بل الذى نما وزاد دون الاستناد على العقائد الاسرائيلية التاريخية والتى تشهد لأعمال الله العظيمة ، ودون الاتكال على الحياة فى مجتمع العهود والوعود الإلهية أو المؤسسات الدينية ولا على المعرفة المكتسبة من الانبياء أو التقليد الذى يناقض الاختبار .

إن أيوب بالتأكيد من أعظم المؤمنين فى الكتاب المقدس بعد يسوع ، ولكن إيمان أيوب لا يمارس فى الظلام أو فى الفراغ ، فهو لا يزال يجد الله « فى العالم » ، وذلك مهم جداً بل ضرورى لفهم أحاديث الرب ، فتلك القصائد الخلابة عن الوعول والنعام ليستْ بعيدة عن باقى السفر ، إن أيوب يقف أمام الله كانسان فى العالم ، كواحد من بين كل تلك الخلائق ، وهوليس مدعواً لفيض من الفكر المجرد فى أشياء غامضة تفوق الادراك ، وهو ليس مدعواً للانغماس فى أعماق كيانه ليجد أساساً لكل شيء ، بل عن طريق التطلع إلى اشياء مشتركة مع الله يستطيع أيوب أن يصرخ فى النهاية « الآن رأتك عيناى » (٤٢ : ٥) ، وهذا ما فيه كل الكفاية وأكثر فى الاجابة على اسئلته أو بالأحرى ليجد الحرية ليعيش فرحاً حتى حينما لا يجد اجابة على اسئلته .

أ ـــ الجولة الأولى (٣٨ : ١ ـــ ٤٠ : ٥)

كما فى القصص الشعبية نجد نفس الصيغة مستخدمة فى كل من الحديثين

---

(١) موضوع قصيدة كيركجارد الغنائية فى (تأملوا زنابق الحقل) سنة ١٩٤٠

المتبادلين بين الرب وأيوب ، والقصة عند هذا الجزء تشبه الأصحاحات الافتتاحية فى الأسلوب .

١ ـ يهوه (٣٨ : ١ ـ ٤٠ : ٢)

بعد عدة كلمات افتتاحية قليلة (٣٨ : ١ ـ ٣) يبدأ الرب فى سؤال أيوب أسئلة عن عالم الله ، ويقدم الحديث الأول صوراً سريعة لحوالى عشرين مخلوقاً ، ويستعرض ذكر أشياء ومخلوقات حية ليزيد من دهشتنا لمدى اتساع وتعقيد أعمال الله .

وأن تقول إن احكام الله غامضة يعنى أنك تتكلم بلا معرفة (٣٨ : ٢) . والقائمة المذكورة ما هى إلا عينة : الارض (٣٨ : ٤ ـ ٧) والبحر (٨ ـ ١١) ، والصبح (١٢ ـ ١٥) والعالم السفلى (١٦ ـ ١٨) ، والنور (١٩ ـ ٢١) والثلج (٢٢و ٢٣) ، والعاصفة (٢٤ ـ ٢٧) والمطر (٢٨ ـ ٣٠) ، والابراج المختلفة (٣١ ـ ٣٣) والسحب (٣٤ ـ ٣٨) ، والأسد (٣٩و ٤٠) والغربان (٤١) ، والوعل (٣٩ : ١ ـ ٤) ، والحمار الوحشى (٥ ـ ٨) ، والثور الوحشى (٩ ـ ١٢) والنعامة (١٣ ـ ١٨) والحصان (١٩ ـ ٢٥) والعقاب (٢٦) والنسر (٢٧ ـ ٣٠) والقائمة مدونة بغير نظام دقيق ، فهى تبدأ ببعض العناصر الكونية وتنتقل إلى الظواهر الجوية وتنتهى بالحيوانات والطيور . ويبدو الحصان أنه الحيوان الوحيد المستأنس المذكور ، وما يريد إبرازه هنا هو قوته وليس نفعه . وكل المخلوقات المذكورة باستثناء الحصان خارجة عن سيطرة الانسان ومع ذلك فكلها ضمن مخلوقات الله المدللة ، فهو يعتنى حتى بالعصفور ويثير هذا الحديث فى أيوب الاحساس بالرهبة لجمال العالم والنظام السائد فيه . وهناك ايضاً إحساس بالغموض لأن بعض هذه الحيوانات تبدو قبيحة ومنفرة وعديمة الفائدة بالنسبة للانسان ، وبعض الأشياء المذكورة بعيدة عن متناول البشر ، وبعضها يشكل خطورة عليه .

وقد اقترح البعض (جوردس) ان تلك الصور من الطبيعة تشير لنظام أخلاقى بنفس الدقة من الجمال والغموض وذلك باستخدام الرموز ، وهذا نمط من أساليب مدرسى الحكمة فى الحديث عن السلوك البشرى باستخدام التشبيهات المأخوذة من التاريخ الطبيعى (علم الأحياء) ، وسفر الامثال يحوى

العديد من الأمثلة المشابهة ، ولكن إذا كانت التشبيهات هى المقصودة هنا فهى مخفية ، فلا توجد دروس مستفادة يمكن أن نخرج بها حتى نصل إلى (٤٠ : ٨ — ١٤) ، والوصف موضوعى بشكل ملحوظ كما لو كانت الخليقة يجب أن نستمتع بها لذاتها أو كصنعة يد الله المبدع وليس لسبب الدروس التى يمكن أن نتعلمها منها عن انفسنا .

(١ — ٣) بدأت متاعب أيوب عندما أهلكت الريح الشديدة أولاده (١ : ١٩) ، وكان الرب فى العاصفة ، والآن هو يتكلم من العاصفة (قارن حزقيال ١ : ٤)

يعتقد بعض المعلقين أن كلمات أليهو الختامية وصف لبداية العاصفة ولكن ذلك لا يمكن أن يكون صحيحاً إذا كان ما جاء فى (٣٧ : ٢٢) وصف للهدوء وقت هبوب العاصفة . وهناك توجيه للوم لأيوب (ولكن بلا سخرية) لأنه تحدث (بلا معرفة) والكتاب المقدس لا يعتبر الجهل خطية أو أصل لكل خطية . والتعبير (يظلم القضاء) [1] قد أصبح تعبيراً مشهوراً ولكنه يقتبس مراراً للإشارة للحديث المشوش الذى يحير ويربك . ليس هذا هو المعنى هنا . فالعبارة لا تشير باستخفاف إلى الحوار الجارى بين أيوب وبقية الأصحاب . (فالمشورة) عادة تشير إلى خطة الله . (تصميم فى الـ NEB) ، « عناية » (دورم » . ولكن حيث أنه فى نهاية الأمر فإن الله سوف يقول أن أيوب تكلم عنه بالصدق فهى تبرزتناقضاً خطيراً إذا كان هنا يتهم أيوب بتعمية وظلام القصد الإلهى[2] ولكن (المشورة) وهى المترجمة فى العربية القضاء تعنى دائماً (النصيحة) المقدمة من الحكيم ، وهكذا تكون النصيحة مماثلة للمعرفة . فأيوب موجود بالكامل فى الظلام بسبب نقص المعرفة ونقص المشورة ، والآن فالله يمد يده إليه بكلتيهما .

(٤ — ٧) إن معرفة أصل العالم ليست متوفرة لدى البشر ، فالانسان وهو آخر من ظهر على مسرح الحياة من المخلوقات ، لم يشاهد البدايات .

---

(١) فى الانجليزية تعنى نصيحة أو مشورة مشوشة « يظلم المشورة » (المترجم)

(٢) هذا التناقض لا يقلق النقاد الذين ينسبون الخاتمة النثرية لكاتب آخر بخلاف كاتب الحوار الشعرى ، بل هم فى الواقع يعدون ذلك دليلاً على تعدد الكتاب .

والخليقة علمياً افتراض معقول ولكنه غير مثبت بالدليل القاطع . فنحن نرى النتيجة وليس الحدث ولا الفاعل .

فهنا إذن لغز كبير ، والكتاب المقدس يعرضه بعدة طرق مختلفة . فالعهد القديم يحوى ما لا يقل عن اثنى عشر تعبيراً عن الخلق مستخدماً فيها أشكالاً مختلفة جاعلاً الله تارة فى دور البناء وتارة فى موقف الفخارى ومرة ثالثة كالنساج .. الخ . وذلك بضرب الامثلة من واقع أعمال البشر وحرفهم .

وسفر أيوب يحتوى العديد من هذه الامثلة أو على الأقل ما يشبه أجزاء من قصص الخليقة المنسية فى اطار أكثر كمالاً . والبعض لا يجدون أشياء شبيهة بذلك سواء فى بقية الكتاب أو فى الأدب المتعلق به . وهنا كما فى (أيوب ٢٦) قد يشك البعض أنه مأخوذ من مصادر كنعانية ، وكما فى (مزمور ٢٤) ، (إشعياء ٤٠) وفقرات أخرى يوصف العالم بأنه بناء كبير مصممه وصانعه هو الله الذى وضع (أساس) الأرض ، وتكتمل الصورة بذكر تفاصيل تتضمن مكان حفر الأساس ، وحجر الزاوية .. الخ ، وهذا يجعل من الممكن أن تكون كلمة (Binàh) (عدد ٤) ليست هى (الفهم) بل اسم مبنى على كلمة (Bànàh) أى (بناء) والعبارة المبدوءة بكلمة (عندما) فى عدد (٧) ترتبط بالعبارة المبدوءة بكلمة (حين) فى عدد (٤) لإكتمال هذا القسم .

ولم يكن الله وحيداً عندما بدأ فى خلق هذا العالم ، فقد كان العالم زاخراً بالخلائق الالهية (حرفياً : ابناء الله) ، والملائكة الذين سبق أن رأيناهم مجتمعين فى أصحاحى (١ ، ٢) ، فقد كانوا يحتفلون بانجاز الله الرائع بالترانيم والابتهاج .

وما لم يشر الوزن إلى (كواكب الصبح) كاسم بديل (لأبناء الله) فقد تكون كائنات فائقة القوة من المقربين لله ، وأن تكون ذات صلة بالالهين التوأم للفجر والغسق فى الأساطير الكنعانية أو بكوكب الزهرة وهو لوسيفر Lucifer وهوسبيروس (Hesperus) فى الأساطير القديمة .

ومما تجدر ملاحظته أن مخطوطات تل قمران قد اكملت الوصف جاعلة الكواكب تلمع بدلاً من أن ترنم ، وتدعو (الأبناء) (ملائكة) .

هنا نجد أثر تلك المخلوقات السامية الأكثر قرباً من الله وهو دعوة أيوب لأن يتعجب من صنعة يد الله وأن يبتهج مع تلك المخلوقات .

(٨ ـ ١١) هنا نجد وصفاً (للبحر) باستخدام الاستعارة لميلاد طفل ، ومن العبث أن نعتبر ذلك وصفاً علمياً حيث أن كل اسرائيلى كان يعرف ، كما نعرف نحن الآن ، أن الشعراء يستخدمون مثل تلك الصور الخيالية ، ولا يتوقعون منا أن نصدق أن الله يخلق المطر بسكب الماء من (أزقاق) (٣٨ : ٣٧) وتتوالى الأسئلة ، ويصبح الخيال أكثر وضوحاً . وكلمة (حجز) فى عدد (٨) توحى باحتجاز البحر فى حدوده الحالية كما هو موصوف فى (تكوين ١ : ٩) ، وفى عددى (١٠و ١١) . ولكن المرحلة الأولى هى اخصاب اليم فى رحم امرأة لا إسم لها . والفعل لا يعنى (يغلق) فى أى مكان آخر ، ولكنه يرد فى عبارة مشابهة تماماً فى (مزمور ١٣٩ : ١٣) باستخدام كلمة (بطن) مقابل كلمة (المصاريع) هنا جاعلة إياها اشارة معينة « للشفاء » ، والتعليق على (٣ : ١٠) من قبل يؤيد هذا الاستنتاج .

من أنشأ البحر داخل الابواب ؟
من استقبله عندما خرج من الرحم ؟

وتستمر الترجمات المختلفة فى الاسئلة باستخدام كلمة (مَن) (الغير موجودة فى العبرية) ، والتى يجب إضافتها للسطر التالى ايضاً .

ومقارنة السحب المتحركة بقماط المحيط الوليد صورة رائعة ، وكما فى (تكوين ١) فالغمر الأولى كان فى حالة (ظلام دامس) ، ولكن بعضهم يترجم الكلمة (ضباب) كما الـ (NEB) لصالح الوزن . ولكن حتى لو سلمنا بذلك فالنتيجة أن نسمى الضباب مهد الطفل وهذا تغيير ليس له ما يؤيده من قاموس اللغة .

والصورة فى عددى (١٠ ، ١١) أقرب إلى الواقع ، فمع أن « البحر » يتخذ تصويراً مجسماً كانسان فهو ليس طفلاً رضيعاً بل عنصر تهديد يجب أن يوضع له حد ، وهنا نجد تعبير المصاريع والمغاليق وهى أشياء لازمة لحماية المدن وهى أقرب ما تكون إلى الحاجز الذى يبعد البحر منه إلى السجن لكى يحجز فيه .

و « الحدود » (« حدى » أو « مرسوم » فى العبرية) قد تعنى إما قانوناً يطاع أو خطاً مرسوماً كما لو كان الله قد رسمه على سطح الارض كحد لزحف البحر (قارن عدد ٥) وهذه القرينة فقط يمكن أن تبرر ترجمة الـ (RSV) لكلمة « كسر » بكلمة (أقام حدوداً) ولكن لا يوجد حل لهذه المشكلة يبدو للعيان .

فإذا كانت الصورة صحيحة (وعدد ١١ متفق معها تماماً) إذن فكلمة (له)[١] (âlâyw) ترجمة رديئة بينما يجب ترجمتها (ضده) . وهناك استخدام مماثل لذلك فى (مزمور ٢٤ : ٢) حيث يجب التخلى عن كلمة (على) وليس هناك أجمل مما جاء بعدد (١١) عن كبرياء البحر .

(**١٢ ــ ١٥**) عندما يتكلم عن البحر (٨ ــ ١١) فإن الله ينتقل فى الوصف من بداءة البحر حتى حالته الراهنة . والشيء الموصوف الآن ليس الخلق الأصلى (للصبح) كشيء متميز ، كليل ونهار بل معجزة بزوغة يومياً فى لغة رفيعة المستوى مليئة بالخيال ونجد شيئاً آخر هنا ليس لأيوب عليه أى سلطان . وما يشير إليه عدد (١٣) يصعب فهمه وصراع الترجمات تظهر الصعوبات المخفية ، وقد اوضحت الـ (NEB) اشارة فلكية أخرى إلى (سيريوس) أبرز نجم فى برج السرطان بدلاً من الاشارة إلى « الاشرار » والتفسير التقليدى يعرِّف شروق الشمس أنه بمثابة خلع ثياب الليل السوداء من العالم وبذلك ينكشف الأشرار الذين اتخذوا الليل ستراً لهم ولكن الضمير فى الكلمة الأخيرة (منها) يشير « للارض » وليس لكلمة (أكتاف)[٢]

ولكن الصورة فى عدد (١٤) مختلفة تماماً ، فأشعة شمس الصباح الباكر تشيع الهدوء والارتياح فى سطح الارض كالصلصال اللين تحت الخاتم ، ولكن الصورة تضيع فى عدد (١٤ ب) ما لم يشر اللون إلى أطياف الفجر الوردية[٣] . ولكن ذكر (الثوب) والعودة لذكر « الأشرار » فى عدد

---

(١) اقمت (له) مغاليق الـ (المترجم)

(٢) أكتاف تعنى ما يحيط بالشخص لحمايته مثل الملابس

(٣) عدد (١٤) فى الانجليزية حسب الـ RSV يقول « تتحول كطين الخاتم وتصبغ كالثوب » (المترجم)

(١٥) يوحى مرة أخرى بفكرة أن ضوء النهار يحجز الأشرار عن فعل الشر [١] و « انكسار » الذراع المرفوعة لاستخدامها فى العنف (١٥ ب) لا تدعونا أن نطلق على الشمس أنها « نورهم » .

ونظر لضيق بعض الدارسين من اقتراح أمثلة جديدة تشبه كلمة (نورهم) فإنى أقول أن هناك مثلين لذلك فى عدد (١٥أ) مترجمتين (عن) (وهم) وحسب الـ (RSV) « ويمنع عن الأشرار نورهم » ، ولكن حيث أن الترجمة الماسورية ليست واثقة من كلمة (أشرار) فى كلتا الحالتين ، فهناك مجهولات كثيرة لا يمكن السيطرة عليها . وهنا تجدر ملاحظة أن (C . R . Drvier) يقترح أن (الذراع المرتفعة) هى برج آخر من الابراج السماوية ألا وهو (خط الملاح) ، وتتبنى نفس الفكرة الـ (NEB) وبذلك تستبعد كل الاشارات للبشر من هذه الفقرة .

(١٦ ــ ١٨) هناك مملكة أخرى بعيدة عن متناول البشر وهى المنطقة السفلية ، أو العالم السفلى ، وهنا نجد غمر المياه ، « اليم » و « تيهوم » فى الاساطير القديمة ، وأرض الموت[٢] . وهذه أشياء لم يكتشفها أيوب اطلاقاً ولكن الرب يدعوه ليقدم تقريراً عن ذلك إن « عرفه كله »

(١٩ ــ ٢١) فى قصة الخليقة فى (تكوين ١) أول شيء صنع هو النور نقيضاً للظلام البدائى . ونجد هنا تجسيداً لكل من النور والظلام ككائنين غامضين مكانهما بعيد عن متناول يد الانسان ، وأنهما بحاجة إلى مرشد ليساعدهما ليجدا بيتهما . والله يستطيع أن يفعل ذلك بخلاف أيوب الذى لا يستطيع ، وتبرز (NEB) هذه الفكرة بصورة أفضل من الـ (RSV) وبالرغم من عدم وجود أداة استفهام فى العبرية هنا فإن عدد (٢١) من المحتمل أن يمضى قدماً فى التساؤل « هل تعرف .. ؟ » ، فى (تكوين ١) فصل الله النور عن الظلام أى عين لكل منهما مملكة مستقلة ولو كان أيوب قد ولد وقتئذ لكان فى إمكانه أن يعرف كيف حدث ذلك ، وحيث أن أيوب ما تظاهر أبداً بأن عنده مثل هذه المعرفة فهو لا يستحق السخرية التى تعرض لها من كثير من

---

(١) المعنى العبرى أن الأشرار يقفون حيث هم عند ظهور النور والمقارنة مع أيوب ٢٤ : ١٣ ــ ١٧ قد تلقى ضوءاً على المعنى

(٢) الارض فى عدد ١٨ هى بالتأكيد العالم السفلى

شراح هذا العدد . كسؤال يساير باقى الأسئلة ، فليس فيه أى قسوة إذ يدعو الله أيوب أن يعرف حدوده ويترك لله كل ما يختص بجلاله .

(٢٢ و ٢٣) لم يذكر خلق الثلج والبرد فى الحقب الكتابية ، ومن المفترض هنا أن الله يخزنهما فى مخازنه (يفكر الرب فى الثلج بنفس الطريقة التى يفكر بها الانسان فى الذهب) ويستخدم الثلج فى الحروب (انظر يشوع ١٠ : ١١ ، قضاة ٥ : ٢٠ ، صموئيل الأول ٧ : ١٠)

وأيوب لم ير أبداً تلك الترسانة .

(٢٤ ـــ ٢٧) إن عدد (٢٤٠ أ) مشابه تقريباً لعدد (١٩ أ) ولكن بقية هذا الجزء تتعامل مع عاصفة ممطرة حتى أن البعض تشكله فى كلمة (نور) ، وحيث أنه لم تصل إلينا أية كلمة مقنعة خلاف تلك الكلمة فيستحسن أن نتذكر قبل التخلى عن كلمة (نور) أنها قد وردت أكثر من مرة فى حديث أليهو الرابع للإشارة للبرق عند ذكر العاصفة ، وربما نجد نفس القرينة هنا . فاللغة خيالية ، ومن المدهش أن نجد مطراً بسبب (الريح الشرقية) . وفى الـ (NEB) نقرأ كلمة (حرارة) فى عدد (٢٤ أ) وذلك لأننا على دراية بنوع الطقس الناجم عن تلك الريح . وإن كان الأمر كذلك فالاعداد من ٢٤ فصاعداً و الاعداد من ٢٦ فصاعداً تشير لظواهر مختلفة تماماً .

حتى هذه النقطة أظهر الله لأيوب مناطق من العالم لا يتيسر لأيوب معرفتها ، ولكن أيوب على دراية كافية بالمطر . ولذا فالنقطة المثيرة تأتى عندما يجعل الله المطر يسقط على (قفر) لا أحد فيه ، وتكرار كلمة (لا أحد) يعنى الآتى : أن الله مقدم على فعل شيء لا صلة له بالانسان ، وبأسلوب مشبع بالخيال يصف الانهار أنها تجرى فى « قنوات » ، ونتيجة لذلك ينبت العشب فى مكان لا يتوقع أحد فيه ذلك (٢٦) .

ما الذى يقصده الله بذلك ؟ ربما يستمتع بكساء الارض بالزهور ولو لعدة أيام قليلة ، إنها معجزة كافية ، ولا داع للبحث عن حكمة أخلاقية من وراء ذلك .

(٢٨ ـــ ٣٠) إن المطر ومآجل الظل (الندى) والجمد (الثلج)

والصقيع ليست آلهة صغيرة لها أب وأم كما تقول الأساطير القديمة . وهذه الاشياء التافهة ، بالنسبة لاسرائيل، قد نسيت منذ زمن طويل ، حتى أنه ليس هناك ما يدعو للجدل بشأنها ، مع أن هذه الأسئلة قد تكون آخر صدى لها ، والهدف من هذه الأسئلة ليس سحب الثقة من هذه الآلهة المتروكة منذ زمن بعيد بل تأكيد أيوب بسيطرة الله السامية على كل شيء ، ووصفه لتكوين الجمد (الثلج) بشبه ميلاد طفل (نفس اللغة المستخدمة فى عدد (٨) ، والشعر واضح ، والنقطة الوحيدة المستفادة هى أن الرب صنعها جميعاً . ثم هناك التذكير المستمر بأن فهم أيوب قاصر على النذر اليسير من هذه الأمور ، وأنه لا يستطيع قطعاً تقليد هذه الأعمال ، والعبارة (صقيع السماء) تشبه (ندى السماء) المستخدمة فى مواضع أخرى فى الكتاب المقدس ، وليست هناك قيمة تذكر لمحاولة اكتشاف إذا كان الكاتب يعتقد أن الندى والصقيع يسقطان فعلاً من السماء أم يتكثفان مباشرة فى طبقات الجو العليا ، فليس من السهل أن نفصل فيما بين مثل هذه الرطوبة والضباب والسحب المنخفضة ، وما يزيد الدهشة تلك القوة الهادئة لبرودة المياه التى تستطيع تحويل الماء إلى ما يشبه الحجارة مجمدة « كل وجه الغمر » ، وحيث يرد أمامنا اسم الغمر العظيم مرة أخرى ، فمن المشوق أن نتساءل عن أى مكان سافر إليه كاتبنا ليشاهد ذلك التجمد على هذا النطاق الواسع ، ومع ذلك فهو يتحدث كما لو كان مستمعوه على دراية بهذه الاشياء .

(**٣١ ـ ٣٣**) مما يثير شيئاً من الدهشة أن الصورة لا تشمل السماء أكثر الأشياء تكريماً فى علم دراسة الكون ، ولا الشمس والقمر بوصفهما أكثر الاشياء وضوحاً فى الخبرة البشرية باعتبارهما موضع احترام الانسان وتكريمة فلا نجد لهما مكاناً فى هذه القائمة [1] فالرب يتجه إلى أبراج السماء متجنباً الأشياء الواضحة ، والاشارات إلى (الثريا) و (الجبار) (٣١) واضحة (قارن ٩ : ٩) ، ولكن هناك قدر من الشك فى هوية النجوم المذكورة فى عدد (٣٢) قارن الترجمات العديدة ولكن مهما اختلفت فالفكرة واضحة ، وهى أن تلك الابراج والنجوم مقيدة ومربوطة برباط إلهى ، فالله هو الذى

---

(١) (تكوين ١) يحوى رداً غير واضح على عبادة الشمس والقمر وذلك ليس فقط بابراز خلقهما بل بالتقليل من شأنهما بدعوتهما (انوار) او مصابيح فى السماء وليس أكثر .

يقودها عبر السماء كما يشاء وهذا شيء لا يستطيع الإنسان أن يفعله . والعبارة الفريدة لطبعة (AV) « التأثيرات الحلوة للثريا » يجب اهمالها فسببها تأثير علم الفلك فى العصور الوسطى على المترجمين ، وشيء من مثل ذلك لا يزال باق فى الـ RSV لعدد (٣٣) والذى يوحى بأن النجوم تمارس بعض السيطرة على احداث الأرض ، بالرغم من أن أيوب لا يعلم كيف يتم ذلك .

وفى الاحتمال الاغلب فإن عدد (٣٣) ليس استمراراً للاسئلة عن النجوم ولكنه سؤال عام عن (السنن) التى جعلها الله للسماء والأرض والتى تعد فى الاصطلاح العبرى تعبيراً عن « الكون » لعدم وجود كلمة خاصة به ، ومع أن الـ (NEB) قد أدخلت أسلوباً عصرياً أكثر مما يجب على الفكرة بالتحدث عن « قوانين الطبيعة » إلا أن ذلك يعد نوعاً من التغيير إلى الأحسن .

(**٣٤ ــ ٣٨**) لا يستطيع أى انسان أن يفهم حركات السحب ، وامامنا مرة أخرى الإشارة المعتادة للرعد كصوت الله والذى لا يستطيع إنسان محاكاته ، صارخاً للسحب فيغطيه (فيض المياه) ومضات البرق هى قذائف نارية يرسلها الله . وهذا عمل باهر آخر لا يستطيع إنسان أن يباهى به (٣٥) ، ويصل خيال الكاتب للذروة فى هذه اللمسة الصغيرة من التهكم ، فكأنى بأيوب يستطيع أن يأمر البروق فترد عليه بهذه الكلمات « ها نحن » ، وتذهب الـ (RSV) بعيداً فى عدد (٣٦) بافتراض أن الحكمة قد وهبت فعلاً لاشياء كالسحب والضباب[1] وهذا يقودنا بسرعة لتأكيد الكتاب المقدس عن الله كالمالك الوحيد لزمام الحكمة مع التحفظ بالقول إنه يهبها كما يشاء لبعض البشر ليشاركوه فى جزء قليل منها . والإشارة (للحكمة) وسط القصيدة التى تتحدث عن السحب والمطر يجعل المرء يتوقع أن يكون فى عدد (٣٦) إشارة لنوع الطقس . ولكن الكلمتين المترجمتين (سحب) و (ضباب) فريدتان وقد أثارتا جدلاً علمياً استمر لما يقرب من ألفى عام دون التوصل إلى نتيجة ، فمن قائل إنهما تشيران إلى آلهة المصريين توت (Thoth) و (Sekwi) [2]ومن قائل إنهما طيور ، وتقول (TEV) إنهما اشارة إلى الطائر

---

(١) عدد (٣٦) فى الانجليزية يتكلم عن الضباب (mists) اما فى الطبعة العربية يتكلم عن « الشهب » (المترجم)

(٢) هناك دراسة كافية مع بحث الموضوع والمراجع فى (بوب)

(ابو العنز) وإلى نوع من الديوك ، ومن قائل إنهما تشيران للأبراج (رادلى) ، بينما (RV) جعلت مكان الحكمة فى « الداخل » وفى « العقل » ، و (NEB) استخدمت كلمتين مجردتين مثل « الظلام » و « الأسرار » ووضع هاتين الشطرتين الثنائيتين الجيدتى التكوين فى وضع متناسق بين شطرتين رباعيتين كل منهما تتكلم عن السحب والامطار معناه اعفاء الكاتب من ضرورة التحدث عن نفس الموضوع هنا . فالاشارة لشيء أعم (كالحكمة) (والفهم) أمر وارد ويتفق مع السياق ولكن الأقل احتمالاً أن يقفز الفكر إلى الطيور (ما لم تكن لها علاقة بالطقس وهذا ما نجحت TEV فى ايجاده) أما ما هو بعيد الاحتمال أن تظل الآلهة الوثنية من كتاب يتمسك بعقيدة الوحدانية أشد التمسك ، وفى القصائد المذكورة عن الطبيعة والتى بالرغم من تحليها بصور من الأساطير ، إلا إنها نقيت تماماً من الفكر الاسطورى وتأثير المطر على التربة موصوف بصورة واقعية فى عدد (٣٨) ، ولكن عدد (٣٧) يحتوى على تلك الصورة الغريبة لله وهو يكون المطر بسكب زجاجات المياه من السماء ، ويذهب المحدثون مذهباً بعيداً عن الواقع ويجمح بهم الخيال إذا اعتقدوا أن الاقدمين توقفوا عند المدلول الحرفى للغة وأنهم مثالاً لذلك يعتقدون فى وجود (قنوات) لهطول المياه كما فى عدد (٢٥) .

(**٣٩ و ٤٠**) استعراض الظواهر الطبيعية المنتقاة[١] ينتهى عند (٣٨ : ٣٨) ، وبقية الحديث الأول للرب ومعظم الثانى مخصص للكائنات الحية الأقرب لملاحظة الانسان . أما تلك المخلوقات الغير عادية فيصعب أن نجد صلة بينها وبين الانسان عن عمد . فمع أنها ضمن المخلوقات فى العالم فلا انسان يصطاد فريسة للبوة ، ومع ذلك فالله يمد ذلك الحيوان بالطعام . تأمل كيف يتم ذلك .

(**٤١**) هذه القصيدة الصغيرة عن (الغراب) قد أثيرت حولها الشكوك لأنها تقع بين الحديث عن الاسود والوعول ، ولكن ليس لهذه الحجة تأثير يذكر . فصغار الغربان ذكر أنها تتوسل لله طلباً للطعام كما يفعل الانسان الجائع

---

(١) ليس هناك ذكر للزلازل ولا الظواهر السمائية الهامة كالكسوف والخسوف ، فلو ذكرت لكانت خير عون لخدمة غرض الكاتب ولكن الذكر العشوائى للاحداث الطبيعية المذكورة يعطى الانطباع بأن الكاتب لا يريد الخوض فى ذكر كل شيء بل يمسها من بعيد .

فى وقت الحاجة . ووضع تلك الطيور التى لا حول لها ولا قوة بعد الأسد المفترس يظهر جود الله تجاه جميع خلائقه . وعلى الانسان أن يتعلم من ذلك أن يضع نفسه إلى جانب مخلوقات الله الأخرى .

(**٣٩ : ١ ـــ ٤**) بما أن المخلوقات التى يتحدث عنها الله كلها تقريباً حيوانات غير مستأنسة ، فالحيوان المشار إليه هنا هو (وعل الصخر) أو الماعز الجبلى والفكرة بسيطة ولكنها رائعة . فلأن هذه الوعول بمعزل عن البشر الذين يشرفون على تربية قطعانهم الخاصة ، فتلك الحيوانات متروكة بلا رعاية لصغارها وبلا مأوى وأيوب مدعو هنا للتأمل فى سر الغريزة (يسمى الكتاب المقدس ذلك بحق الحكمة الالهية المصدر المركبة فى الحيوانات) التى بها تلد الأم ويتعلم الصغير بسرعة العناية بنفسه . فإن كانت « الظبية البرية » و « صغارها » (NEB) أنواع أخرى ذكرت مع الماعز البرى ، فالفكرة لا خلاف عليها . والفكرة مع ذلك تتوقف على معنى كلمة (bàr) موطنها الطبيعى : ألا وهو (القمح) (AV) و « الخلاء » (RSV) ، و « البرارى » (TEV) ، و « الغاية المفتوحة » (NEB) .. الخ .

(**٥ ـــ ٨**) الفكرة ليست بمنأى عن فكرة أن « للرب حيوان الوعر والبهائم » (مزمور ٥٠ : ١٠) ، وتتضح الفكرة أكثر عندما نأتى لذلك الظل الظليل « للحمار الوحشى » الذى يعيش فى الأرض التى اعطاها الله له (٦) ، وهو يحيا حياته الخاصة فى دائرة متسعة (٨) ومكانه فى تدبير الله ليس أن يقوم بخدمة الانسان (كالحمار المستأنس ، القريب الصلة به) ، وهو يحتقر الحضارة والمدنية (٧) ، والقصيدة يبدو أنها تعبر عن حسد معين للحرية التى يتمتع بها غير آخذة فى الاعتبار الصعوبات التى يعانى منها ، « كالبرية » و « السباخ » التى يسكن فيها [1] وبالرغم من هذا التناقض فالحيوان لا يبدو أنه عنيد ، فهو لم يهرب بل أطلق سراحه . وليس هناك توبيخ للانسان كسيد قاس يحمّل ذلك الحيوان بالأحمال الشاقة كما لو كان الله يتهم أيوب بإساءة استعمال السلطة الممنوحة له فى (تكوين ١ : ٢٦ . الخ) . فالله هو الذى أطلق سراح ذلك الحيوان متنازلاً عن حقوقه المشروعة تجاه الخدمات المطلوبة

---

(١) (السباخ) اى الأرض المالحة او الملاحات (المترجم)

من ذلك الحيوان .

(٩ ــ ١٢) يلفت (رادلى) الأنظار إلى العلاقة بين الحمار الأليف والثور فى الكتاب المقدس . والثور الوحشى يتناقض بحدة مع الثور الأليف بالرغم من أن قوته الفائقة تجعله مرغوباً فيه كحيوان لجر الأثقال . والحيوان المقصود هو الثور الوحشى المنقرض (الاوروكس aurocks وليس الحيوان الضعيف المسمى (يونيكورن) (unicorn) فى الـ (AV) ، وذلك الحيوان المنقرض منذ سنة ١٦٢٧ كان هائلاً فى الحجم وكان أقوى من كل الحيوانات ذات الأظلاف ولا يفوقه فى الحجم سوى الخرتيت والفيل . إنه رمز القوة فى العهد القديم حيث ذكر تسع مرات ، ومن السخف الاعتقاد أنه (يبيت) مع المواشى الأليفة فى نفس الحظيرة ، ولا يمكن الاطمئنان إليه فى حمل المحصول . ماذا يظن أيوب فى ذلك المخلوق ؟ هل هناك أدنى اشارة أن خالقه قد يكون مخيفاً ولا يمكن التعامل معه ؟ !

(١٣ ــ ١٨) من قمة الجدية إلى الهزء . فمن الصعب القول أن تلك الصورة المضحكة للنعامة تخدم أى غرض تعليمى جاد . إنها طائر غبى لأن الله خلقها هكذا . لماذا ؟

توحى هذه القصة بأنه من بين العديد من المخلوقات جُعل البعض مفيداً للانسان ولكن البعض الآخر قد وجد فقط حسب استحسان الله ولإمتاعنا . والقصيدة تبرز الكثير من الصعوبات ، وهى تقطع سيل الأسئلة وتتجه لمجرد وصف الحقائق .

وهى تشير لله (١٧) كما لو لم يكن هو المتحدث ، وهى غير موجودة فى الترجمة السبعينية ، ولكن سواء حذفها المترجم أو إنها لم تكن موجودة فى الأصل العبرى ، فهذا ما لا نستطيع الجزم به . ولهذه الأسباب يعتبرها الكثيرون من الدارسين بأنها دخيلة على النص . والصعوبات التى نصادفها فيها قد تكون السبب فى ترك المترجمين اليونان لها .

وعدد (١٣) غير مفهوم وسوف نقاوم اغراء التعليق عليه ، حيث أن هناك تخمينات أكثر من كافية بشأنه . وحيث أن كل المخلوقات الأخرى تم الحديث عنها باعجاب واضح فمن المحير للبعض أن تبدو النعامة هنا محتقرة ، فبينما سرعتها ميزة لها (١٨) إلا أن معاملتها لصغارها تعتبر غبية وقاسية

(١٤ ــ ١٦) .

ويجمع (بوب) الكثير من المعلومات عن السلوك الغريب لهذا الطائر ويسجل ما تشتهر به من عدم حكمة كشيء ثابت منذ القدم . ويمكن أن نجد دراسة للمشاكل التى فى هذه الفقرة فى كتاب G . S . . Cansdale (حيوانات الكتاب المقدس)[١]

إما الشكوى بأن معرفة الكاتب بالحقائق كانت ناقصة تعد تافهة . فقد دافع (داهوود) عن الطائر ضد تهمة اللامبالاة تجاه صغارها .

أما الفكرة الرئيسية موجودة فى عدد (١٧) ، فإذا كان الله قد سر بأن يخلق طائراً ناقصاً فى الحكمة فماذا إذن ؟

هل هذا تذكار لايوب أن بعض سلوكه قد ينقصه ايضاً (الفهم) (نفس الكلمة فى ٣٨ : ٤ ، وانظر التعليق عليها) ما لم يقبل (الحكمة) كهبة من الله ؟ (أنظر مزمور ٤٩ : ١٢ و ٢٠)

١٩ ــ ٢٥ هذه الصورة الحية للحصان ربما تعد أروع من كل القصائد . إنها صورة نابضة بالحياة والحركة مع أن الكلمة الاخيرة فى عدد ١٩ هى

(١) (Hapax Legomenon) إلا أن الـ (NEB) قد تكون على صواب باستبدال كلمة (قوة) فى الـ (RSV) بكلمة (عُرف) ونفس الأصل يحدث مع كلمة (gbûrah) والتى تعاود الظهور فى عدد (٢٥) بعد ذلك (رعد)[٢] ولكن ذكر مرادف غير مطلوب .

وفكرة الحركة توحى بحركة العرف ، وفكرة الاهتزاز الـ (NEB) وليس (الوثب) (RSV) مستمرة فى عدد (٢٠ أ) . وصعوبة السطر التالى يمكن تقديره بمقارنة الترجمات ، وعلى العموم فالطاقة العصبية لذلك الجواد المتوثب المتقد بالحركة والنشاط يمكن أن يكون لها أبلغ الاثر عند ترتيب الشعر فى سطور قصيرة ذات نبرات واضحة : ــ

---

(١) هذا الكتاب القيم يجب أن يستخدم كمصدر لمعلومات أخرى عن كل المخلوقات المذكورة فى سفر أيوب .

(٢) فى العربية (بوق) (المترجم)

صهيله الأجش المرعب
ينبش الأرض بعنف
ويطرب بيأس شديد
وهو يهاجم العدو
ويضحك على الخوف
ولا يجبن ابداً
ولا يخجل من السيف
وبجواره تسمع قعقعة السلاح
تلمع الرماح والسهام
فيهتز نشوة
ويلتهم الارض التهاماً

ولا يستطيع السكون عندما يضرب البوق[1] وعدد (٢٥) يصل باستجابة الحصان للدعوة للقتال إلى الذروة ، ويجب الإبقاء على الشطرات الثلاثية مع أن الـ (NEB) تتجاهل السطر الأخير . ومع أن صياح البوق وصرخة الحرب تنهى القصيدة إلا أن رد فعل الحصان أنه « يشم المعركة من بعيد » وأى شخص يشاهد اداء المحارب الرائع قد يشعر أن تأثير هذه القصيدة الفريدة فيه كل الكفاية ، دون البحث عن الدروس المستفادة منها .

ولكن هناك سؤالان يمكن توجيههما لأيوب ، هل تستطيع أن تصنع حيواناً كهذا ؟ وهل يمكنك السيطرة عليه .

وأفضل مطية مدربة قد تفلت من ضوابط أمهر الراكبين حتى أن الحيوان المستأنس الوحيد فى القائمة ليس تحت سيطرة الانسان تماماً . فهل الانسان وهو أكثر حرية من أى حيوان يمكن أن يصور بأنه يقاوم ضد ضبط الله عندما يتعرض للاثارة كما فعل أيوب ؟

إن كان الأمر كذلك فأمامنا هنا استعارة .

٢٦ هذا العدد يقدم وصفاً موجزاً (للعقاب) ناشراً جناحيه نحو الجنوب

---

(١) يفرح الفرس عند سماع البوق حتى أنه لا يكاد يصدق حسن حظه لاشتراكه فى المعركة . فكرة فيها صورة خيالية . مخطوطة قمران لا تحتوى هذا الشطر .

ربما أثناء هجرته الغريزية . والسؤال لأيوب عما إذا كان الطائر يفعل ذلك (بفهمك) (الكلمة هي « فطنة » كما في ٣٨ : ٤ و ٣٦) فهل الله يسأل إذا كان أيوب قد منح المخلوق هذه الغريزة ؟ ولكن إن كان الامر كذلك فهذا يعنى أن أيوب خالق وهذا غير حقيقي . أم هل الله يسأل عما إذا كانت حركات الطائر تحت سيطرة أيوب ؟

الفرق الهائل بين سيطرة الانسان المحدودة على بيئته وسلطان الله الشامل هو بالتأكيد احد الدروس المستفادة من هذه الاحاديث . أم هل الله يسأل أيوب سؤالاً أكثر عقلانية (توحى به كلمة (فهم) عما إذا كان يفهم كيف يستجيب الطائر للفصول ويطير بمثل هذه الرشاقة ؟

ربما يندرج السؤالان الاخيران تحت فكرة المعرفة التى تمكن الانسان من السيطرة على الطبيعة .

(**٢٧ — ٣٠**) هذا هو السؤال الأخير عن « النسر » أو « الصقر »[١] (NEB) فهل بأمر أيوب (حرفياً : فم) يحلق ذلك الطائر أعلى من أى طائر آخر ويبنى عشه فى أعلى مكان ؟ هذه المقدرة هبة من الله ، وهذا الاداء لا دخل فيه لرغبة أيوب . هنا نجد الصورة الحية لطريقة النسر فى الحياة تخلو من صعوبات فى النص . والوزن فى عددى ٢٦ و ٢٧ ثم مرة أخرى فى عددى ٢٩و ٣٠ تقليدى . ، ثم هناك فكرة مشتركة تربط كل أربع أسطر معاً . وهذا يجعل عدد (٢٨) وحيداً فى الوسط مزدوج السطر مؤكداً الحقيقة المركزية ، وتركيبه غير عادى حيث أن كل سطر ليس جملة تامة (مع أن الـ NEB تجعله كذلك) . وبدلاً من التركيب الوارد فى النص هكذا :

على الصخر يسكن
ويبيت على سن الصخر والمعقل

يمكن كتابته بحيث يصبح الفعلان المتوازنان فى الشطر الأول والاسمان المتوازنان فى الشطر الثانى .

(**٤٠ : ١و٢**) ختام حديث الرب الأول تكرار لتحديه لأيوب فى ضوء

---

(١) انواع كثيرة من العقبان والنسور والصقور معروفة فى الاراضى المقدسة .

كل ما قاله الآن . لقد قدم أيوب التماسه وتكلم الله . فما الذى على أيوب أن يقوله الآن ؟

وقد أثير كثير من الجدل حول معنى كلمة (يجاوب) فى نهاية عدد (٢ أ) . إن كلمة (يسلِّم) أى يعقد شروط التسليم لها كثير من المؤيدين . ولكن هل الرب يحاول أن يهزم أيوب بارغامه على الخضوع ؟ وال (NEB) تجعل أيوب (عنيداً) ومجاوباً الله ، ولكن الفعل (يجاوب) (Yswr) . لا يتضمن معنى الوقاحة وسلاطة اللسان ، بل إنه يعنى الاستجابة المناسبة مع استمرار المناقشة . إن ايوب مدعو للكلام ، وهو يفعل ذلك . أما إذا كان الوزن هادياً لنا ، (فيجاوب) يجب أن تكون مرادفاً لـ « من يخاصم القدير « أى من يحاج الله » ، ونحن نعتقد أن كلمة (يجاوب) (Yswr) فى نهاية عدد (٢ أ) يمكن أن تضاف للأمثلة التى سبق أن أبرزها الكاتب كصيغة فرعية لكلمة (Ysr) بمعناها المعتاد لكلمة « يعلم » (بهدف التصحيح) .

فإذا كان أيوب يفهم أيا من تلك الموضوعات أفضل من الله ، فالله على استعداد أن يتعلم منه ، والسؤال للسخرية بالطبع ، ولكن نظراً للنغمة الودية فى الاحاديث فهو ليس للتشكيك بالمرة .

٢ ــ ايوب (٤٠ : ٣ ــ ٥)

إجابة ايوب متواضعة خاشعة . إنه يدعو نفسه صغيراً قليل الشأن[١] ولكن هل من الصواب أن نقول كما فعل رادلى إن ايوب « اعترف وخضع » ، فليس لدى ايوب ما يقوله ، ولكن هل رفض الدعوة للكلام يعنى اعتراف بالهزيمة ؟ إن سوء فهم هذه النقطة قد جعل من الصعب على بعض الشراح أن يروا السبب فى الحاجة لحديث ثان من جانب الله . فبغض النظر عن النواحى الجمالية المشار إليها فى المقدمة فإننا نرى أن رد أيوب فيه شىء من التهرب ، ولا يصلح بأى حال أن يكون نهاية مرضية للموضوع . وحركة وضع اليد على الفم قد تكون علامة من علامات الاحترام (انظر ٢١ : ٥ ، ٢٩ : ٩) او علامة على الصمت .

---

(١) فى اللغة الانجليزية وردت الكلمة (قليل الشأن) ولكن فى العربية وردت كلمة (حقير) (المترجم)

ويصرح أيوب إنه لا يستطيع الاجابة ولكنه مع ذلك لا يعترف بأى خطية . ولذا فليس ثمة اعتراف أو تراجع عن أى من عباراته السابقة ، ولذا فليس هناك (خضوع) ، بل على النقيض من ذلك فإنه يبدو أكثر تشبثاً برأيه . لقد تكلم مرة ولا داع لأن يتكلم مرة أخرى . فى حقيقة الأمر أنه سبق أن كرر نفسه (مرتين) ولن يضيف شيئاً جديداً[1] وهذا يوحى بأنه ليس لدى أيوب ما يقوله مما سبق أن قاله .

ولكن يكون من باب الشطط فى الاتجاه الآخر أن نكتشف أى تحد هنا أو حتى مجرد الشكوى أن الله لم يجبه على أسئلته ، ولكن حتى لو كان الأمر كذلك ، فإن كلمات الله التى جاءت بعد ذلك مباشرة تسد هذا النقص .

(ب) الجولة الثانية (٤٠ : ٦ — ٤٢ : ٦)

نجد نفس المقدمات التمهيدية المستخدمة فى الجولة الأولى

١ — يهوه (٤٠ : ٦ — ٤١ : ٣٤)

حتى وإن كان أيوب الآن فى اطار فكرى من الخضوع ، فذلك ليس بكاف . الله يتكلم ثانية ولكن هذه المرة يقال شيء جديد . فهناك قصيدتان أخريتان عن الطبيعة ، ولكنهما مختلفتان فى الصيغة عن الصور الجذابة الخفيفة فى الحديث السابق ، فهما أطول وبخاصة الثانيه والتى تشغل ربع كل ما قاله الله . ولكنهما رائعتان ومختلفتان حتى ليثيرا الشك لدى البعض بأنهما ليسا من انتاج نفس الكاتب (أنظر المقدمة) . وخيال الكاتب يصل للذروة ، والصور التى يستخدمها ليست مألوفة حتى يتركنا فى شك مما يريد أن يقوله حقا . هل هو التعبير عن بعض الحيوانات التى نعرفها أم بعض وحوش الأساطير القديمة .

(٨ — ١٤) القصيدتان عن الحيوانات لهما مقدمة مكونة من فقرة تتعامل مباشرة مع الموضوعات الأخلاقية التى أثارها أيوب ، قد تكون لب ومغزى رد الرب كما أنها تناسب وضعها وسط قصائد الطبيعة المخالفة لها فى المضمون ،

---

(١) لا أزيد قد تعنى التسليم أو تعنى انى لن أتكلم مرة أخرى والتى تشتمل على معنى الاعتراف بخطية لكن المعنى العبرى لا أستمر أو لا أكرر .

وهذا لا يعنى مع ذلك أنها بعيدة الصلة بهما . إن جزءاً من مهمتنا ينحصر فى البحث عن تلك العلاقة ، ولكن الموضوع الشخصى هنا بين أيوب والله يتم التعامل معه بصورة مباشرة .

والمشكلة كما يراها الأصحاب هى إن كان أيوب قد اضطر أن ينسب الخطأ لله لكى ينسب لنفسه الصواب .

هل تجرؤ على إنكار أنى عادل
أم هل تستذنبنى لكى تتبرر أنت ؟ (٨)

ثم يأخذ الله النزاع إلى ما هو أبعد من الخطأ والصواب ، وما بعد هذه الاسئلة الى موضوع المسئولية . ففى المجتمع الاسرائيلى كان القاضى الذى يصدر حكماً يضطر أن يرى بنفسه تحقيق العدالة ، فكحكم كان يصدر الحكم وكولى كان يضمن حقوق الطرف الواقع عليه الظلم . وقد كان فاعلو الذنب يعاقبون بطريقة غير مباشرة عن طريق إعادة الحقوق لأصحابها [(١)]

وقد توسل ايوب لله ليتولى قضيته . وفى الاعداد من (٨ : ١٤) نجد التذكرة لايوب بأنه غير قادر على تزكية نفسه ومن ثم جاء التأكيد على قوة الله ، ولم تجر المقارنة بين أيوب والله بقصد إذلال أيوب بل لإقناعه بأنه لا يستطيع أن ينجح فى صراع غير متكافىء مع الله .

والنقطة المراد إبرازها الآن مختلفة تماماً ، ونحن نرى فجأة إلى أين تقودنا كل تلك الجولات حول الطبيعة والتى تبدو ظاهرياً أنها غير موفقة . فعلى أيوب أن يدرك الآن أنه لم يعد قادراً على إصدار القرار فى عالم الأخلاق بقدر ما هو غير قادر على ممارسة السيطرة على عالم الطبيعة ومن هنا يبرز السؤال :

هل لك ذراع كما لله
وبصوت مثل صوته ترعد (٩)

فلكى يتولى إدارة الكون على أيوب أن يتزين بالجلال والعز كالله (١٠) وهذه هى الصفات العظيمة التى ينسبها سفر المزامير لله (مزمور ٢١ : ٥ ، ٩٣ : ١٠ ، ٩٦ : ٦ ، ١٠٤ : ١ .. الخ)

---

(١) وبناء على ذلك لا يفعل الله شيئاً للذين أساءوا الى ايوب .

وهل ايوب مؤهل للقيام بالحط من الاشرار واذلالهم (١١ — ١٣) وهو الشيء الذى يبحث عنه كل واحد كدليل على وجود الله وعدله ؟

يوجد تركيب مقلوب هنا يتضح من التكرار فى عددى (١١ ب ، ١٢ أ) هل يستطيع أيوب أن يتولى مسئولية جلب الموت لكل رجل شرير كما ذكر فى عدد (١٣) ؟ (هذا يقابل عدد (١٠) ، تاركاً عدد (١٤) ليكمل فكرة عدد (٩) مع وجود (الذراع) و (اليد) كالقاسم المشترك بينهما) .

وبالرغم من اللهجة الهجومية التى يتصف بها هذا الحديث فإنه لا يناقض أى شيء قاله أيوب ، فهو قريب جداً من أفكار أيوب من عدة وجوه ، وموافق لايمانه بأن العدالة يجب أن تترك لله ولكنه يأتى بأيوب إلى نهاية لبحثه بإقناعه بأنه يمكن بل ويجب عليه أن يترك الموضوع كله بين يدى الله تماماً بثقة أكثر وصراع أقل . وأن يفعل ذلك دون الاصرار على أن الله يجب أن يجيب أولاً على كل اسئلته ويعطيه تبرئة رسمية .

هنا ، إن كنا قد وجدنا حقاً قلب لاهوت السفر كله ، فقد وصلنا إلى عمق الأعماق . وهنا نجد فى السفر لوماً لأى شخص إذا شكا من حوادث معينة فى حياته موحياً بأنه يمكن أن يقترح على الله طرقاً أفضل لادارة دفة الكون من تلك التى يستخدمها الله .

إن الناس شديدة الشغف بإستخدام القوة لقتال الشر ، وفى نفاد صبرهم يودون أن يفعل الله نفس الشيء بصورة متكررة الحدوث ، ولكن باتباعهم هذا الطريق المدمر فإنهم يفعلون الشر ويصبحون أشراراً . ولو تصرف ايوب كما يقترح الله فى (٤٠ : ٨ — ١٤) فإنه بذلك لا يغتصب حق الله فقط بل إنه سوف يصبح شيطاناً ثانياً . فالله وحده هو الذى يستطيع ان يدمر ليعيد الخلق من جديد ، وهو وحده الذى يستطيع تحويل الشر إلى خير ، وهو كخالق مسئول عن كل ما يحدث فى عالمه ، فهو قادر أن يجعل كل الأشياء (خيرها وشرها) تعمل معاً للخير .

وقد تطرق الجدل إلى مستوى مختلف ، فحقيقة صلاح الله تمتد الى ما هو أبعد من العدالة ، وهذا هو السبب فى أن مستويات الذنب والعقاب بالرغم من حقيقتها وبشاعتها إلا أنها لا تستطيع أن ترى الألم البشرى سوى كنتيجة

للخطية وليس كفرصة للنعمة .

(**١٥ ــ ٢٤**) هذه الذروة التى تؤدى إليها القصائد السابقة تدعمها قصيدتان عن حيوانات هائلة تفوق قدرة الانسان على استئناسها ، وهى بهيموث (٤٠ : ١٥ ــ ٢٤) أشرس الحيوانات الارضية ، ولوياثان (٤١ : ١ ــ ٣٤) اكثر المخلوقات البحرية رعباً . وليس من السهل إن نعرف إن كانت هذه المخلوقات حقيقية أم من صنع الخيال ، وإن كانت حقيقية فما حقيقتها فعلاً (هل هى فرس النهر أم التمساح أم الحوت ؟) وإن كانت اسطورية فهل يمكن ان نجدها فى بعض الاساطير القديمة ؟

الاستنتاج العام فيما يختص بهذه النقطة يظهر منذ البداية فى تباين الترجمات المختلفة . فإذا كانت الحيوانات حقيقية إذن فاللغة خيالية (نَفَسه يشعل جمراً) مناسبة للشعر ، ولكنها لا تصلح فى كتاب لعلم الحيوان . ومع ذلك فإن كانت اسطورية فالمترجم سوف يعتبر النار حرفية ــ فهو تنين حقيقى ! ــ ويسمح للغة أن تنتقل به حتى إلى ما هو أبعد من عالم الخيال .

ومع أننا يمكن أن نقتبس أقوال أعلام كثيرين تأييداً للقول أنها أسطورية إلا أننا نعتقد أن التفسير الطبيعى أفضل ، ودون أن نحاول عد الاصوات فنحن نعتقد أن اغلبية الدارسين يميلون لتأييد هذا الرأى[1]

وأسباب استبعاد الخيال هى كالآتى : ــ

أولاً ــ مع أن القصيدتين أطول وموضوعتين فى حديث منفصل إلا أنهما لا تختلفان فى الجوهر عن القصائد السابقة التى تتحدث عن طيور وحيوانات مألوفة وجذابة حتى أنها تتوقع أن القارىء يعرفها جيداً .

ثانياً ــ قد استخدم الخيال أيضاً فى تلك القصائد السابقة ، ولا يطلب منا بعد ذلك أن نصدق أن عظام بهيموث مصنوعة من المعدن (٤٠ : ١٨) بأكثر مما نصدق أن الله يُنزل بأزقاق من السموات (٣٨ : ٣٧) .

ثالثاً ــ بغض النظر عن تلك الخيالات الشعرية فسفر أيوب سفر واقعى فى

---

(١) ومما هو جدير بالملاحظة تأييد النظرية الاساطير أن الروائيين المتأخرين قد تأثروا كثيراً ببهيموث ولوياثان كوحوش أرضية ، وجاءوا بكل انواع المعلومات الغريبة عن الدور الذى سوف تلعبه هذه الحيوانات فى نهاية العالم .

كل أجزائه . والله هو الحقيقة الوحيدة الفائقة للطبيعة ، والشيطان فى مرتبة أقل والملائكة أيضاً فى خلفية السفر واخيراً فى نهاية الأمر فإن (أيوب ٤٠ : ١٥) يقرر بوضوح أن بهيموث وأيوب كلاهما من خليقة الله[1]

و « بهيموث » هى جمع الكلمة العبرية (بهيمة) (Beast) ومستخدمة هنا كاسم علم . والتفاصيل المقدمة تسمح بالمبالغة وأيضاً بكثير من الغموض فى النص وهى تلائم فرس النهر دونا عن باقى الحيوانات . فموطنه الماء (٢١) وطعامه العشب (١٥) ، وهناك تسليط للضوء على قوته العظيمة من العظام والعضلات فى (١٦ و ١٨) ويصعب تصور كيف يقارن (ذيله) بشجرة الأرز لأن ذيل فرس النهر صغير وقصير ، وهناك شيء طريف فى عدم مبالاته بثقل المياه المتدفقة (٢٣) ، وحيث أن (نهر الأردن) قد ذكر بالتحديد على أنه موطن له فلا حاجة بنا للذهاب أبعد من فلسطين كمكان له ، مع أن كثيراً من الدارسين يصفون مصر كموطن له . والاشارة إلى الجبال (٢٠) تبرز بعض الصعوبات مع ان فرسان النهر تبحث عن مراعى . وعدد (٢٤) يؤكد صعوبة صيده مع أنه يصعب أن نعرف لمَ يحاول المرء أن (يثقب أنفه بخزامة) ، وهذه النقطة تكرر فكرة الأحاديث الأولى . فكما رأينا من قبل مراراً ، نرى عبارة ذات مغزى خاص وسط حديث وصفى .

وعدد (١٩) يختلف عن باقى الاعداد فهو يضع بهيموث موضع التكريم « كأول اعمال الله » والـ AV (قارن الـ NEB) فسرت ذلك بالقول بأنه (ملك أو رئيس) ولكن العبارة قد تكون انعكاساً لما جاء فى (تكوين ١ : ٢٤) وعدد (١٩) يجعلنا نرفض كل آراء المعلقين ، فالحلول العديدة المتصارعة المقدمة لا تشجعنا على قبول أى منها .

(**٤١ : ١ ــ ٣٤**) لوياثان اسم تنين بحرى ذو سبعة رءوس فى الأساطير القديمة وبخاصة فى الأساطير الكنعانية قبل الاحتلال الاسرائيلى . وهناك مقتطفات من ذلك الأدب القديم ما زالت موجودة فى العهد القديم وهى بلا شك أصل ذلك الاسم المستخدم هنا ، والأدلة العديدة التى يوردها (بوب)

---

(١) قد تبنت الـ (NEB) لسوء الحظ تعديل (ج درايفر) لهذا السطر فتقول « تأمل ملك الوحوش ، التمساح) وما أن يقدم ذلك التعريف حتى تعدل الترجمة لتناسب المقدمة .

تحسم هذا الموضوع ولكنها لا تثبت أن لوياثان لا يزال وحشاً أسطورياً فى هذه القصيدة . والصورة المفصلة تلائم التمساح جيداً ، ولكن بعضهم اقترح أخرى من بينها تقسيم القصيدة إلى أجزاء صغيرة ، وقد استقرت الـ (NEB) على الحوت على الأقل فى الاعداد من (١ ــ ٦) والتى تنقلها إلى نهاية أصحاح (٣٩)

وأسلوب الاحاديث الأولى ظاهر هنا بوضوح حيث أن الحديث يبدأ بسلسلة من الأسئلة المقصود منها اقناع أيوب بعجزه أمام مثل ذلك المخلوق المرعب . كيف يمكن أن تصطاده (الاعداد من ١ فصاعداً تتوازن مع عددى ٧ ، ٨ فى تركيب مقلوب) ؟ وحتى إن استطعت ، فما الذى يمكنك أن تفعل به ؟ والاقتراحات تعد سخيفة ، فهل ستجعله عبداً (٤) ـــ ولكن ما فائدته لك ؟ أم تجعله حيواناً مدللاً (٥)؟

أتبيعه (٦) ؟

بعد اكتمال المقدمة بالاتجاه إلى الداخل الذى سبقت الاشارة إليه ، فإن عددى ٩ ، ١١ يركزان على حماقة التعامل معه . وحيث أن باقى القصيدة (١٢ ــ ٣٤) مخصص لوصف تفصيلى للحيوان فنحن نعتقد أن النقطة الرئيسية موجودة فى هذا الجزء الدفين . ولكن لسوء الحظ فإن النص صعب جداً . فبينما يؤكد عدد (١١ ب) تأكيداً واضحاً أن الله يملك كل شىء فى العالم لذا فإن لوياثان وهو مضمون عدد (١١ أ) غير واضح أمامنا (قد جعلت NEB هذا الجزء يتوافق فى المعنى مع عدد (١٠) كجزء من التحذير ضد مهاجمته . ولكن بذلك تجعل كل شىء يشير للوياثان دون أية اشارة لله والتى تحتفظ بها (RSV) ولكن هذا التصرف لا سند له من الكتب المقدسة أو الترجمات الأخرى) ومما يؤسف له أن نظل فى شك حيال هذه النقطة . وبافتراض أن (RSV) صحيحة عموماً فوجهة النظر تبدو كما يأتى : إذا اعتبر أشجع الرجال فاقداً لعقله إذا حاول إثارة لوياثان فكم وكم تكون حماقة أى شخص يقاوم الله كما فعل أيوب ؟ ويمكن أن يكون ذلك تحذيراً قوياً ضد عدم تقديم الاحترام اللازم لله . ولكن فى الحوار ، فإن الأصحاب هم الذين كانوا دائماً يحاولون تحذير أيوب ضد محاولاته مع تذكيره دائماً وابداً بأن قوة الله تفوقه بكثير . وأيوب من جانبه تحدى الله أبدا فى محاولة لاظهار القوة

كما يفعل إنسان يصطاد تمساحاً . والجدل حول قوة الله السامية ليس القصد منه الفت فى عضد الناس من محاولة التعامل مع الله بل اظهار مقدرته على تصريف شئون الكون حتى يثق به الناس أكثر .

ولا يتسع المجال هنا لسرد تعليقات مفصلة عن كل الأشياء الغريبة التى يذكرها الرب عن لوياثان ، كقوته (١٢) وجلده الموصوف بأنه درع مزدوج (مثنى لحمته) (١٣) ، وفمه الذى ذكر عنه باسلوب بلاغى مصراعى فمه [1] (١٤) ، وقشوره التى تعد كل واحدة منها كدرع المحارب (١٥ — ١٧) ، وعدد (١٥ ب) صعب ، إذ يمكن أن يكون وصفاً لصلابته التى تشبه الصخر (TEV) ونَفَسه النارى (١٨ — ٢١)[2] وعنقه (٢٢) وجلده الذى لا يمكن اختراقه (٢٣) ، وقلبه الصلب (٢٤) واحتقاره لأى سلاح (٢٦ — ٢٩) ، وحركته المثيرة فى الماء (٣٠ — ٣٢) .

ويندر أن يكتب شاعرنا سطراً دون تشبيه وهى عادة ينتقدها ناقدون كثيرون على أنها قتل للجمال الفنى . وطبقاً لتقاليد كتاب الحكمة فإننا نعتقد أن الاسرائيليين كانوا يستحسنون ذلك حسب شرائعهم . أما فيما يختص بطول القصيدة والتى أثارت الشكوى من القراء ، فإننا نعتقد أن أطول قصيدة عن أشرس الحيوانات قد حجبت عن عمد لآخر لحظة حتى تثير ذروة مرعبة والرعب الذى يثيره لوياثان يلاحظ فى عدد (١٠) ويشار إليه مرة اخرى فى عدد (٢٥) ويزداد رسوخاً فى السطور الختامية (٣٣و ٣٤)

٢ — ايوب (٤٢ : ١ — ٦)

لقد اقتنع ايوب . فرؤيته لله قد تجاوزت كل الحدود ، وأصبح لديه تقدير جديد لعالم الله بما فيه من آفاق جديدة وبما فيه من توافق وانسجام والذى لا يشكل منه هو نفسه إلا جزءاً بسيطاً . ولكن هذا الاكتشاف لم يشعره بضآلته ، ولكن هذا الاكتشاف لم يشعره بضآلته ، فبالنظر للاشياء العادية يدرك أنه لا يستطيع بمجرد تصور مدلول تلك القوة الخفية التى هى الله . فالعالم جميل ورهيب والله موجود فى كل ركن فيه ، والله قوى وحكيم . وأكثر

---

(١) فى الانجليزية حسب الـ RSV « ابواب وجهه » (المترجم)

(٢) هذا هو البخار الذى نلحظه عند التنفس فى يوم فيه ضباب . ومن وجهة نظر القصص الخرافية تعتبر النار حقيقية .

غموضاً عند معرفته مما هو عليه عند النظر إليه نظرة غامضة . لقد تكلم الرب مع أيوب وتلك الحقيقة وحدها أعجب من كل شيء آخر ، وقد ازدادت حكمة أيوب فأضحى سعيداً وشعر بالخجل فى نفس الوقت .

وكان رد فعله التلقائى مختلفاً تماماً عن رده المتحفظ على الحديث الأول وهو تعبير عن اعجاب مفرط :

انك تستطيع كل شيء
ولا يعسر عليك أمر

وفى عدد (٣أ) يكرر أيوب السؤال الذى سأله الله إياه فى (٣٨ : ٢) والآن هو يجيبه ، ويقر بأنه نطق بما لم يكن يفهم تماماً . لقد تكلم بثقة أكثر من اللازم عن أشياء و « عجائب » لم يكن يفهمها . هذه صرخة إنسان قد تحرر وليس صرخة إنسان منكسر ذليل .

وفى عدد (٤) يقتبس أيوب كلمات الرب التى تفوه بها مرتين (٣٨ : ٣ ، ٤٠ : ٧) والتى كان قد مال للاستجابة اليها فى نهاية الحديث الثالث . والآن هو يجيب ، ورده إيجابى .

ولهذا الرد وجهان لا ينفصلان كوجهى العملة فقد اكتسب معرفة بالله وبنفسه . فالله يأتى أولاً ويتمم رؤياه (الآن رأتك عينى) ، وتم تحقيق الأمل فى (١٩ : ٢٤ ــ ٢٧)[1] ، وحيث أن ما يقوله أيوب عن نفسه فى عدد (٦) هام جداً كالكلمة الاخيرة فى الموضوع كله ، فمما يدعو للاسف أن الترجمات القديمة بما فيها مخطوطة قمران تظهر اختلافاً كبيراً حول هذه النقطة . ويبدو أن هناك توبة وندامة ، لأن أيوب يقول (أحتقر)[2] (والترجمات عادة تضيف « نفسى » كمفعول به غير موجود فى العبرية) ، وهذا لا يذهب إلى حد كراهية النفس نتيجة تلك التوبة النصوحة التى تتطلب الاعتراف بالخطايا المعروفة . فإذا ربطنا بين ذلك وبين عدد (٣) يكون أيوب معبراً عن ندمه على كلماته الحمقاء التى نطقها بتسرع وفى جهل (حسب تفسير

---

(١) لازلنا نعتقد ان تحقيقه النهائى سوف يتم فى القيامة بالجسد بعد الموت .

(٢) عدد (٦) فى الانجليزية يقول « احتقر نفسى » أما فى العربية « ارفض » (المترجم)

الـ TEV لها) . وهذا خطأ يتطلب التصحيح وليس شراً يستحق العقاب فأيوب لم يقل أبداً « الآن أخيراً أسلم بأنى كنت أستحق ذلك العقاب »

فإذا كان نادماً على ما قاله ، فمثل هذا السلوك بعد وقوع الكارثة لا يمكن أن يكون الخطية المقصود عقابه عليها ومثل هذا الاكتشاف ، يمكن مع ذلك أن يكون هو النمو الروحى المقصود ازدهاره ، ويعترف أيوب بذلك الآن .

وقد اقترحت عدة تعديلات على كلمة (احتقر) ، ومن الأهمية بمكان أيضاً ألا يساء فهم الكلمة (أتوب) بتحميلها كل المعانى التقليدية للتوبة عن الخطايا التى تؤرق الضمير . فلو كان ذلك هو المعنى لانهار كل شيء ، فقد كان من الممكن لأيوب أخيراً أن يسلم لأصحابه ويعترف بخطاياه بناء على إصرارهم على ذلك ، وحتى وإن كان ذلك متضمناً فى العبارة ، فإن يتوب أمام الله شيء وأن يقر بعدم الأمانة أمام الناس شيء آخر . وإشارة أيوب « للتراب والرماد » يذكرنا بكلمات ابراهيم عندما كان يصلى لله (تكوين ١٨ : ٢٧) وهو كمتضرع لله يتواضع أمامه ويعرف مقدار نفسه على حقيقتها . وبالاضافه إلى أيوب فإن ابراهيم رجل العهد القديم البار الذى سجد امام الله . إن السجود أمام الله شرف يرفع الانسان فوق كل البشر .

(٦) النتيجة (٤٢ : ٧ — ١٧)

والآن تستوفى العدالة حقها وتصل القصة إلى نهايتها سريعاً . ويصدر الرب قراره (٧ — ٩) ويرد إلى أيوب اعتباره (١٠ — ١٧)

(أ) حكم يهوه (٤٢ : ٧ — ٩)

بعد تسوية الأمر مع أيوب أولاً ، يتجه الله إلى الاصحاب ، وبالرغم من ادانتهم فالله لا يتعامل معهم حسب حماقتهم ، وقد أعلن بوضوح أن أيوب كان على صواب (٧) فى حواره معهم . وقد استند تفسيرنا إلى حد كبير على هذه النتيجة ، فتزكية أيوب وانتصاره عليهم قد تم علناً وانقلبت الأدوار !! ففى مجرى أحاديثهم لم يشر واحد منهم أدنى إشارة إلى أنهم هم — وليس ايوب — قد يكونون موضوع غضب الله (٧) وأنهم فى حاجة لنعمته . والآن يكتشفون (ويالها من سخرية) إنهم ما لم يقروا بولاية أيوب عليهم (نفس الشخص الذى عاملوه كما لو كان فى حاجة لعونهم الروحى) فلن

يستطيعوا تجنب الغضب الالهى عليهم . إن تأثير الصلاة المقتدرة للرجل البار فى إبعاد غضب الله عن الأشرار (أنظر تكوين ١٨) يضيف بعداً جديداً لألم ايوب لم يتطرق إليه تفكير أحد .

(ب) رد اعتبار ايوب (٤٢ : ١٠ — ١٧)

ينهى أيوب ايامه وهو متمتع بكل العلاقات التى يتمتع بها الانسان تماماً ، ورد اعتباره ليس نتيجة لتوبته فى عدد (٦) بل لشفاعته فى عددى (٨ ، ٩) . فعندما صلى أيوب لأصحابه رد الرب سبى أيوب (١٠) فجاء إليه كل أقاربه وكل معارفه بتعزياتهم (١١) .

ومما تجد الإشارة إليه إنه حتى عندما عاد كل شيء كما كان من قبل فإن ايوب كان لا يزال يشعر بالألم لخسائره التى اجتاز فيها وكان يحتاج للعزاء البشرى .

وليس واضحاً أهمية تقدماتهم من المال والجواهر (١١ ب) ، فالإحتمال الأغلب أنهم يكرمون رجلاً غنياً بدلاً من تقديم العون لشخص فقير .

« ورد الرب سبي أيوب لما صلى لأجل أصحابه وزاد الرب على كل ما كان لايوب ضعفاً (٤٢ : ١٠) فقد سلب الشيطان أيوب ما كان له ، فرد له الرب ضعف ما سلب منه (انظر خر ٢٢ : ٤) . فقطعانه وماشيته اصبحت ضعف ما كان عنده قبل الكوارث التى حلت به . والرقم الغريب فى عدد (١٣) قد يعنى « ضعف سبعة أبناء » ولكن رقم البنات كما هو .

وقد اقترح البعض بناء على الـ ١٤٠ سنة الاضافية التى عاشها أن عمره كان سبعين سنة عندما بدأت القصة ، ولكن ذلك مجرد إفتراض وكشف النقاب فى عدد (١٤) عن اسماء البنات اللاتى لاسمائهن معانى تبدو غريبة علينا وليس لها أى مدلول ، بينما يغفل ذكر اسماء البنين ، يجوز أن يكون القصد منه تأكيد حقيقة أنهن شاركن فى الميراث مع اخوتهن (١٥) ولا تفسير يقدم هنا لهذا النظام فى الارث والذى لم يكن شرعياً ولكنه كان متروكاً لتقدير الأب (طبقاً لما ورد فى (سفر العدد أصحاح (٢٧) كان البنات يرثن فقط عندما لم يكن هناك ورثة من الذكور ، ولم تكن هناك حاجة لتطبيق ذلك فى هذه الحالة)

وهذه اللفته الطيبة من أيوب قد تكون تعبيراً عن العرفان بالجميل لأجل عائلته التى استردها ، أو دليلاً آخر على ثروته المستعادة والتى كان فيها الكفاية للجميع .

والنهاية البسيطة والمشرفة (١٧) والتى تذكرنا بالموت الهادىء للآباء فى سفر التكوين تعد اكتمالاً للحياة المثالية فى نظر الاسرائيلى . وقد شكا بعض الدارسين أن النهاية السعيدة قد أفسدت القصة كما لو أن الكاتب قد تراجع إلى فكرة الثواب والعقاب ، تلك الفكرة الفجة ، والتى كان هدفه أن يدحضها من خلال الأحداث ، أو أنه كان غير قادر على القضاء عليها وتطهير الملحمة الأصلية منها بالرغم من تناقضها مع الدرس الأخلاقى من القصة . ولكن هذه النقطة قد رسخت فى الأذهان وتثبتت تماماً حتى ان هذه اللمسات الأخيرة لا يمكن أن تضيرها فى شىء . فالله يفعل ما يشاء ، ويكون من السخف القول بأن الله كان يجب أن يجعل ايوب فى فقر مدقع لكى يدافع عن مبدأ القصة ، فهذه الهبات النهائية دليل من دلالات النعمة وليست مكافأة على الفضيلة[1]

وأنه لمن المناسب ، من الناحية الجمالية واللاهوتية ، إن لم يكن ضرورة ، أن تكون تزكية أيوب ليست مجرد مصالحة مع الله ، شخصية وسرية ، تختص بدخيلة نفس أيوب ، بل تزكية مرئية ومادية وتاريخية ، تحس وتدرك فى حياته كانسان . لقد كانت فعلاً نوعاً من القيامة بالجسد بقدر ما يستطيع العهد القديم أن يستوعب [2]إن تزكية أيوب الكاملة كان عليها أن تنتظر حتى قيامة لعازر ومن هو أعظم من لعازر .

---

(١) ومع ذلك فقد قلنا فى التعليق على عدد (١٠) إن هناك تعويضاً عن الشرور التى لا مبرر لها .

(٢) لقد اقترح (جورون) فى محاضرة عامة أن ابناء ايوب فى اصحاح (٤٢) مثل ابنائه فى اصحاح (١) فهم مقامين من الأموات . وهذا تحميل للكلام اكثر مما يحتمل وهو مبنى على الاختلاف البسيط بين ما جاء فى (١ : ٢) « وولد له سبعة بنين وثلاث بنات » وبين ما جاء فى (٤٢ : ١٣) « وكان له سبعة بنين وثلاث بنات »



هذا الكتاب :

الهدف من إصدار هذه السلسلة « التفسير الحديث للكتاب المقدس » هو مساعدة قارئ الكتاب المقدس على فهم معنى النص الكتابي ودلالته .

ولكل سفر مقدمة خاصة مختصرة لكنها عبارة عن معالجة عميقة للتعرف على كاتب السفر وزمن كتابته . وهي معلومات تفيد القارئ حتى يعرف غرض السفر والجو العام له .

وهذا الكتاب تفسير قيم للدارسين والمدرسين الذين يبحثون عن معالجة علمية للموضوعات الأساسية التي تربط البحوث العلمية المتعمقة بالنص الكتابي .

وهذا المرجع يقدم تفسيراً لكل مقطع من مقاطع السفر على حدة مع تبويب هذه الأجزاء ووضع عناوين لكل جزء .

كما يقدم تفسيراً لكل آية ويواجه مشكلات التفسير ولا يتهرب منها . كما أنه يحتوى على مذكرات إضافية تقدم مناقشات أوفى لبعض المشكلات الهامة بهدف التعمق في الدراسة للوصول إلى المعنى الحقيقي للنص الكتابي وتوضيح رسالته لنا .